

نص ينشر لأول مرة

تراجم الأوائل والخلفاء (الأعلام الصغرى)

خير الدين الزركلى



رأى عليه وقدم له
د. محمد سامان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الزركلى، خير الدين بن محمود بن محمد بن
على، ١٨٩٢ - ١٩٧٦.

تراجىم الأوائل والخلفاء: (الأعلام الصغرى)/
خير الدين الزركلى: راجعه وقدم له: د. محمد
سالمان. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠١٤.

١٥٦ص: ٢٤ سم.

تدمك ٩ ٧٦٩ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الرجال - تراجم.

٢ - النساء - تراجم.

١ - سالمان، محمد (مراجع ومقدم)

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٤٠٩ / ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 769 - 9

ديوى ٧، ٩٢٠

تراجيم الأوائل والخلفاء

(الأعلام الصغرى)

خير الدين الزركلي

راجعته وقدم له

د. محمد سالمان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٤

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : تراجم الأوائل والخلفاء
(الأعلام الصغرى)
تأليف : خير الدين الزركلى
راجعته وقدم له : د. محمد سلمان

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب
الإشراف الفنى : عادلين أيوب فرج
تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

الإهداء

إلى..

رؤى..

راجعت بعضاً من صفحات هذا الكتاب،

وأنت على كتفي..

آمل ألا أكون انشغلت

بالماضي عن المستقبل..

محمد

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد.

فهذا كتاب جديد للإمام خير الدين الزركلي، نقدمه للقارئ العربي للمرة الأولى بعد ما ظل حبيس الأدراج لسنوات طويلة.

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزرقي (الأزرق) المعروف فيما بعد بالزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي، وأصل نسبه (الزركلي) هو: الزرقي، نسبة إلى قبيلة كردية زعيمها حسن الأزرق حاكم ولاية ماردين ولما كانت نسبة الأعلام عند الأتراك في الأسماء هي (لي) فقد عرفت القبيلة بالزرقلية أو الزركلية.

ولد ليلة ٩ من ذي الحجة ١٣١٠هـ (٢٥ يونيو ١٨٩٣م) في بيروت، وكانت لوالده تجارة فيها، وهو وأمه دمشقيان.

ونشأ بدمشق، فتعلم في إحدى مدارسها الأهلية. وأخذ عن علمائها، على الطريقة القديمة، واتفق أن رأى أحد الصبيان المجاورين لبيته وهو متأبط كتاباً صغيراً حسن التجليد، وتبرق ورقته الأولى جدةً وحسنًا فاندفع إلى سؤاله عنه، وكان مولعاً بقراءة القصص كقصّة عنتره وبني هلال وأشتات من تلك الأساطير، فلما رأى الكتاب يتأبطه الصغير، وسأله عن اسمه أجابه بكل كبرياء وعجب: هذا كتاب علم.. وبعد جهد بذله الزركلي عرف أنه كتاب (الآجرومية) في النحو فأحدث في نفسه هوىً جديدًا، فأقبل على دراسة النحو واللغة والأدب، ثم مال إلى التاريخ فقرأ جانباً من تاريخ الإسلام، وقليلًا من التاريخ العام واتسع نطاق الميل، فدرس العروض والمعاني والبيان والفقه والتوحيد، وأولع بكتب

الأدب، ونظم الأبيات من الشعر، في صباه، وأدى امتحان «القسم العلمي» في المدرسة الهاشمية. ودرّس فيها.

وأصدر مجلة «الأصمعي» أسبوعية، فصادرتها الحكومة العثمانية، لصورة كتبت أنها صورة «ال خليفة العربي» المأمون.

وذهب إلى بيروت، فانقطع إلى الكلية العلمانية (لايك) تلميذًا في دراساتها الفرنسية، ثم أستاذًا للتاريخ والأدب العربي فيها.

ورجع، في أوائل الحرب العالمية الأولى، إلى دمشق. وأصدر بها، بعد الحرب (١٩١٨) جريدة «لسان العرب» يومية، مع أحد الأصدقاء. وأقفلت؛ فشارك في إصدار «المفيد» يومية أيضًا. وهبًا للطبع مجموعة من شعره أطلق عليها «عبث الشباب» فالتهمتها النار، وأكلت أصولها!

وعلى إثر وقعة «ميسلون» في صباح اليوم الذي كان الفرنسيون يدخلون به دمشق (١٩٢٠) غادر إلى فلسطين، فمصر، فالحجاز. وصدر حكم الفرنسيين (غيبًا) بإعدامه، وحجز أملاكه.

وفي سنة ١٩٢١ تجنس بالجنسية العربية في الحجاز. وانتدبه الملك حسين ابن علي، لمساعدة ابنه «الأمير عبدالله»، وهو في طريقه إلى شرقي الأردن، فمهد السبيل لدخول عبدالله وإنشاء الحكومة الأولى في عمان. وسُمي في تلك الحكومة مفتشًا عامًا للمعارف، فرئيسًا لديوان رئاسة الحكومة.

وفي خلال ذلك أبلغت حكومة «الجمهورية الفرنسية» بيته في دمشق، أنها قررت وقف تنفيذ حكمها عليه، فكانت فرصة له لزيارة دمشق، والعودة منها بعائلته إلى العاصمة الأردنية.

وقصد مصر، فأنشأ «المطبعة العربية» في القاهرة (أواخر ١٩٢٣) وطبع فيها بعض كتبه، ونشر كتبًا أخرى.

وثارت سورية على الاحتلال الفرنسي (١٩٢٥)، فأذاع الفرنسيون حكمًا ثانيًا (غيبًا أيضًا) بإعدامه!

وساءت صحته في عمله بالمطبعة، فباعها (سنة ١٩٢٧). واستجم ثلاث سنوات، زار خلالها الحجاز، مدعواً، بعد أن تسلم آل سعود مقاليد الحكم فيه.

وذهب إلى القدس (١٩٣٠) فأصدر، مع زميلين، جريدة «الحياة» يومية. وعطلتها الحكومة الإنجليزية. فاتفق مع آخرين على إصدار جريدة يومية أخرى في «يافا» وأعد لها مطبعة، وأصدر العدد الأول منها.

وأبلغه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل سعود، تعيينه (١٩٣٤) مستشاراً للوكالة (ثم المفوضية) العربية السعودية بمصر؛ فترك الجريدة لمن وإلى إصدارها، وتحول إلى القاهرة.

ومثل حكومة السعودية، في عدة مؤتمرات دولية. وشارك في مؤتمرات أدبية واجتماعية.

وانتدب (١٩٤٦) لإدارة وزارة الخارجية، بجدة. وصدر مرسوم ملكي بأن يتناوب مع صديقه الشيخ يوسف ياسين - وزير الخارجية بالنيابة - العمل في الوزارة وفي جامعة الدول العربية، معاً.

وسُمي (١٩٥١) وزيراً مفوضاً ومندوباً دائماً لدى الجامعة، فشر بالاستقرار بمصر.

وعُين (١٩٥٧) سفيراً ومندوباً ممتازاً - حسب التعبير الرسمي - في المغرب، حيث آل إليه عمادة السلك السياسي في المغرب، فقام بها مدة ثلاث سنوات. ومرض سنة (١٩٦٣) ودُعي إلى الرياض، فمنح إجازة للراحة والتداوي، غير محدودة. واختار الإقامة في بيروت، فعكف على إنجاز كتاب كان قد بدأ بوضعه، في سيرة عاهل الجزيرة الأول «الملك عبدالعزيز آل سعود» وهياه للطبع سنة ١٩٧٠.

وكان المجمع العلمي العربي بدمشق، قد تفضل (عام ١٩٣٠) فضمه إلى

أعضائه. وكذلك مجمع اللغة العربية بمصر (١٩٤٦) والمجمع العلمي العراقي في بغداد (سنة ١٩٦٠).

وقام برحلات إلى الخارج أفادته:

الأولى: إلى إنجلترا (١٩٤٦) ومنها إلى فرنسا، ممثلاً للحكومة في اجتماعات المؤتمر الطبي الدولي، بباريس.

والثانية: إلى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٧) بمهمة رسمية، غير سياسية، أمضى فيها سبعة أشهر بين كاليفورنيا وواشنطن ونيويورك وغيرها. وحضر في خلالها بعض اجتماعات حياة الأمم المتحدة.

والثالثة: إلى أثينا العاصمة اليونانية (١٩٤٥) بصفة «وزير مفوض ومندوب فوق العادة» وجعل طريق عودته منها، إلى استانبول، لزيارة بعض مكاتباتها، وإلى حلب، فيروت، فالقاهرة.

والرابعة: إلى تونس (١٩٥٥) مندوباً لحضور مؤتمر أقامه الحزب الدستوري فيها وعاد منها ماراً بإيطاليا، حيث تيسر له في خلال شهرين الطواف في أهم مكاتباتها. أما ما نشر من كتبه، فهو:

١ - ما رأيت وما سمعت. وهو رحلته الأولى من دمشق إلى فلسطين، فمصر، فالحجاز، طبع سنة ١٩٢٣.

٢ - عامان في عمان. من مذكراته عن عامين في مدينة عمان، عاصمة الأردن. طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٢٥.

٣ - الجزء الأول من «ديوانه» الشعري. وفيه بعض ما نظم إلى سنة صدوره (١٩٢٥). ثم نشر ديوانه بعد وفاته بتقديم الأستاذ سليم الزركلي.

٤ - الأعلام. الطبعة الأولى. في ثلاثة أجزاء (سنة ١٩٢٧).

٥ - الأعلام. الطبعة الثانية، في عشرة مجلدات. ووصل عدد طبعاته نحو عشر طبعات.

٦ - ماجدولين والشاعر. قصة شعرية صغيرة.

٧ - شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز.

أصيب أوائل عام ١٩٧٦، وهو في بيروت، بدوار وغيوبة، نقل على أثرهما إلى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت والأحداث فيها ملتبهة، فظل غائبًا عن الوعي خمسة أيام متواصلات، وفي اليوم السادس أفاق وكان أول ما طلب فنجائًا من التهوية، ثم غاب صوته وأخذ يطلب حاجاته كتابة، حتى أجريت له عدة عمليات، زرعت في إحداها بطارية في جوار قلبه. فأخذ يسترد بعد ذلك عافيته شيئًا فشيئًا.

ولما أصبح قادرًا على المشي نصحه أطباؤه بمغادرة المستشفى.

وفي شهر سبتمبر ١٩٧٦ قدم إلى دمشق فمكث أيامًا في ضيافة ابن عمه الشاعر سليم الزركلي، ثم قصد مصيف بلودان.

وفي أواخر سبتمبر سافر إلى القاهرة؛ حيث ولده الدكتور غيث وبتان له. أُدخل بُعيد هبوطه القاهرة مستشفى في المعادي، وسرعان ما أخذت صحته في التحسن لكنها عادت فسأت مرة أخرى فنقل إلى مستشفى في الزمالك، وهناك ساءت أكثر وتدهورت سريعًا، إلى أن فاضت روحه إلى بارئها في الثالث من ذي الحجة ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٧٦ في إحدى مستشفيات حي الزمالك بمدينة القاهرة.

لقد طوى الموت العلم الذي خلد الأعلام، وهبها أن تجود بمثله الأيام.

الزركلي شاعرًا:

الزركلي شاعر أصيل، تعلق بعمود الشعر العربي، والتزمه، وصاغ من الموشحات على منوال الأندلسيين.

شعره يتصف بمتانة التعبير، ودقة التصوير، وحسن الديباجة وروعة السوسيتا في حب الوطن والحنين إليه وفي وصف جمال الطبيعة وفي تصوير مآسي شعبه

ووصف معاناتهم في ظل الاحتلال وفي رثاء عظماء الأمة ومشهورينها.

وهو واحد من الشعراء الذين أعادوا للشعر العربي روعته وعظمته وجلال هيئته وخلصوه من التكلف والصنعة، الأمر الذي جعل الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يقول عنه: «من أدباء دمشق الشاعر المجيد السيد خير الدين الزركلي.. رأيت ينحو في شعره فلسفة المعري».

وقال عنه دكتور شكري فيصل أن الزركلي «أحيا بشعره أمة» وقال أيضاً: «شعر الزركلي نمط رفيع البيان، ورائع التصوير، ونير الأداء لم يبق من القادرين عليه إلا القلة».

وكان شعره أيقونة الثورة السورية.. فتغنت الآلاف بشعره، وهو يقول:

يا راقداً في الشام	يسقيك غاديتها
قد خلت الآجام	من رابض فيها
توالى الآلام	وانقض مزجيها
هل ترجع الأيام	بيضاً ليليتها؟!!

ويضم ديوان الزركلي، والذي طبع بعد موته نحو أربع مئة وثمانين قصائد تترواح بين البيت المفرد والأربعين بيتاً، أكثره في القضايا الوطنية، وغابت المرأة عن ديوانه (إلا قليلاً).. وقارئ ديوان الزركلي يجد أن أغلب شعره كتب ما بين عامي ١٩١٩، وعام ١٩٣٩ ويجده أنه كتب في أماكن متفرقة كثيرة كدمشق وعمان وبيروت والطائف والقاهرة وجده والقدس...

وقد أرخ الزركلي لبعض قصائده، فقد أرخ لنحو (٣٢٤) قصيدة ولم يؤرخ للباقي.. وقد وجدتُ بعضاً من القصائد التي لم تنشر بالديوان وآمل أن يتيسر لي نشره كاملاً مضافاً إليه مسرحيته الشعرية المخطوطة «وفاء العرب».

كتابه الأعلام:

لعل هذا الكتاب هو واحد من أشهر كتب التراجم ومن أنفَسَها، جمع فيه الزركلي نحو خمس عشرة ألف ترجمة من العصر الجاهلي حتى عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وقد أصاب به الرجل شهرة عظيمة وأصبح من خلاله صاحب مدرسة مستقلة في فن التراجم.

صنّفه الرجل في نحو خمسين عامًا، وكان «الأعلام» شغله الشاغل وعمله فيه مستمرًا ما امتدت به الحياة، وودّ لو استطاع أن يعمل فيه وهو في المستشفى ورهن مبضع الجراح.. وبلغ من حرصه على استمرار «الأعلام» أن رصد مبلغًا من المال أودعه البنك العربي باسم المجمع العلمي بدمشق مع وصية بها للمجمع بمتابعة العمل فيه بعد وفاته.. حتى أنه قال: «لو أحرق الأعلام لألقيت بنفسي في البحر أسفًا عليه» كما ذكر زكريا زعيتر.

الأعلام.. صنعه الزركلي كلمة كلمة وتعهده بالعناية والتوسعة وسد الثغرات ويسهر الليل ويلحق به النهار بين أكوام الفهارس ومجموعة المصورات إلى أن استوى على سوقه.

طريقته في ترتيب التراجم أن يربتها ترتيب المعجم، فآمنة قبل إبراهيم لوجود ألفين في بدء (آمنة)، وأحمد قبل إدريس... غير أنه لم يعتمد سوى الأول والثاني، فكل (محمد علي) عنده في نسق واحد، ولكنه يربط بينهم بحسب الوفاة معتمدًا على التاريخ الهجري.

وعندما يذكر العلم يذكره بشهرته أو لقبه في بابه من حروف المعجم، ثم يحيل على الاسم الذي تجيء الترجمة تحته، ففى البحث عن (الطبري) يأتي به في حرف (ط / ب / ر) وهو ترتيبه بحسب الشهرة، ثم يحيل إلى الترجمة في موضوعها فيكتب (=) ويعني انظر: محمد بن جرير ٣١٠ هـ والرقم الذي يلي الاسم هو تاريخ الوفاة بالهجري.

وتبدأ الترجمة بشهرة المترجم عنوانًا لها، محددًا تاريخ الولادة والوفاة

بالهجري وما يقابلها بالتاريخ الميلادي، ثم يذكر الاسم كاملاً ويثبت لقبه وكنيته ونسبته من الأعم إلى الأخص (الأنصاري الخزرجي) مثلاً، ثم يذكر المدينة التي ينسب إليها صاحب الترجمة والفرقة التي ينتمي إليها، ثم حرفته، ثم نشأته وتعلمه والمجال الذي تخصص فيه وأهم الأعمال التي تولاها ويبين منزلته، ثم أهم مؤلفاته، ويحيل إلى المصادر والمراجع موضعاً الخلافات بين المصادر ومصححاً لبعض أوهام القدامى ومشيراً إلى المطبوع منها والمخطوط.

الأعلام الصغرى:

لهذا الكتاب قصة طريفة.. فقد تلقيت دعوة كريمة من ابنته السيدة (حياة الزركلي) وقد اصطحبني في تلك الدعوة الأستاذ مصطفى موسى المحقق التراثي المعروف، ولأننا لا نعرف الطريق إليها فكان لزاماً علينا أن يصحبنا إليها ابنها المهندس محمود عبدالعاطي وكان موعد لقائنا مغرب الخميس ٢٦ / ١١ / ٢٠١٣ م، بالقرب من ميدان الدقي لننطلق لمقابلة السيدة الفاضلة.. ولكن الطريف أن المهندس ليس خبيراً بدروب القاهرة وشوارعها الأمر الذي جعله يصطحب حرمه المصون السيدة/ صافيناز الجمال فهي الخبيرة بتلك الدروب.. وبالفعل كان لقاءنا على الموعد.. انطلقت السيارة تطوي الأرض طياً في طريقها للمعادي يصطحبنا في المسير نيل مصر العظيم.. وعندما وصلنا كانت السيدة «حياة» في استقبالنا بحفاوة بالغة هي سيدة طويلة ممشوقة القوام.. نحيلة الجسم.. بيضاء.. عليها آثار السنين من خلال بعض تجاعيد الزمن.. تحتفظ بذاكرتها عن والدها وأخباره وأحبابه وحياته.. وقصت علينا قصصاً عن كتبه ورحلاته وحبه للعلم.. ثم قدمت لنا حقيبة سوداء كبيرة مملوءة بالأوراق والملفات تولى أ/ مصطفى موسى مهمة فتح الأوراق وتقديمها لنا.. فتجد - مثلاً - مخطوطاً لمسرحية شعرية ومخطوطاً لمقال لم ينشر.. وصورة دراسة مقدمة لدورية ما، وصور لشهادات تقدير مقدمة من المملكة المغربية... وفي مظهر أبيض صغير كانت - تلك المفاجأة - مخطوط كامل بخط صغير

وجميل ومقروء، على صفحته الأولى أشار الزركلي أنه كتاب لم يكتب له مقدمة ولم يختر له اسمًا، ولم يكمله، ويظن أنه كتبه عام ١٩٢٨!!

أخذتنا الأوراق الكثيرة للنظر فيها ومعرفة ما يصلح للنشر وما يمكننا تقديمه.. بينما أخذت حرم المهندس محمود عبدالعاطي جانبًا ومعها المخطوط الصغير.. تقرأ فيه باهتمام بالغ - فهي متخصصة في التاريخ والآثار - ولأن الزركلي لم يختر له اسمًا.. فكانت دعابتها أنه «الكتاب الأمور» وتتعالى ضحكاتها لهذه التسمية الطريفة..

أخذت «المخطوط» وبعض أوراقه، وودعنا السيدة «حياة» لتكون رحلة العودة.. لم أنم في تلك الليلة بضيقي الجديد في غرفتي.. كتاب جديد.. لم يذكره كل من كتب عن الزركلي.. بل لم يذكره الرجل عندما ترجم لنفسه.. مبكرًا استيقظت صباح الجمعة لأقرأ في تلك الدرة النادرة.. ولأول مرة أعرف قلة صبري.. فلم أحتمل ليوم الأحد فأمسكت بهاتفني واتصلت بالأستاذ الدكتور أحمد مجاهد رئيس مجلس إدارة الهيئة وأخبرته بالموضوع والذي رُحِبَ بنشره وأحسست أنه يشاطرنى فرحتي بهذا الكتاب النادر والمجهول.. مر يوم الجمعة ببطء ثم تلاه السبت ببطء أشد، ويوم الأحد مبكرًا ذهبت إلى الهيئة وبدأ نقاشنا حول كيفية الطبع.. هل نكتبه على الكمبيوتر أم نصوره بخط الرجل ليكون تحفة فريدة.. وبعد التجارب والنقاشات العديدة من فريق عمل متكامل استقر الرأي على كتابته بالكمبيوتر، ثم نصوره ويكون الكتاب بصورتيه الجديدة والمخطوطة في غلاف واحد، وأرسلنا الكتاب لقسم «الإسكان» لتصويره على الكمبيوتر.. ولعمري إنني انظر إليه بعد تسليمه لهم تمامًا كرضيع حُرِمَ من صدر أمه لتوه!!

خصصت موظفًا خاصًا لهذا الكتاب ليأتيني بأخباره يوميًا.. لا عمل له إلا مراعاته والحفاظ عليه وطمأنتي عليه من وقت إلى آخر ويعود به آمنًا إليّ ليستقر.. يوميًا.. بأحضاني!!

أخيرًا هذا كتاب أطلقت عليه «تراجم الأوائل والخلفاء - الأعلام الصغرى»

تيمناً بكتاب «الأعلام» الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وخلد ذكرهم.

والكتاب صغير الحجم لا يتعدى المائتين من الصفحات، وهو أيضاً في مجال التراجم، ولكن أي تراجم التي أفرد لها الزركلي كتابه الصغير؟!!

يبدأ الكتاب بترجمة ليست وجيزة للنبي (ﷺ) اسمه وحياته وزواجه وغزواته وبعض أقواله... ثم ينتقل إلى تراجم «بيت النبوة» أجداده بدءاً من عدنان وحتى عبدالله بن عبدالمطرب مروراً بمضر وكعب بن لؤي وقصي وعبد مناف وهاشم بن عبد مناف وعبدالمطلب... ثم ينتقل الزركلي مترجماً لأسرة بني هاشم وفيها ترجمة أبي طالب وحمزة والعباس والحسن بن علي والإمام الحسين ثم ترجمة الأئمة الاثني عشرية، وتضمُّ ترجمة زين العابدين بن علي والإمام الباقر ثم جعفر الصادق وموسى الكاظم ثم علي الرضى... ثم ينتهي بالإمام المهدي، ثم ينتقل الزركلي مترجماً لملوك الجاهلية بدءاً من حموربي وقحطان ويعرب وسبأ وحمير وتبع وعمر وبن لحي وحذيفة الوضاح وكليب..... فإذا ما انتهى إلى قيس بن زهير. فيبدأ باباً جديداً - في تراجمه لتكون تراجم الخلفاء الراشدين - بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم يبدأ بتراجم لخلفاء بني أمية، فإذا ما انتهى منهم فتكون تراجم الخلفاء العباسيين، ومنها إلى خلفاء المسلمين في الأندلس. المتأمل بين تراجمه في كتابنا وردت - بعضها - مفصلة وقد يروي بعضاً من سيرته وأشعاره ولذا قد تمتد الترجمة لصفحة أو اثنتين وقد تزيد أحياناً، وقد تقصر فتصل لثلث الصفحة.

وعلى هذا فإن هذه التراجم - بمادتها - غير موجودة بكتاب الأعلام وإن ورد أصحاب التراجم بالأعلام.

وإذا كان كتاب «الأعلام» ضمَّ نحو خمس عشرة ألف ترجمة، وأورد صوراً لبعض من ترجم لهم كما أورد خطوطاً لبعض منهم ممن تيسر له في العهود القريبة. فإن كتابنا هذا ضمَّ ما يقرب من مائة وخمسين ترجمة.

وإذا كان الزركلي في كتابه «الأعلام» بدأ مبوبًا ومرتبًا الأعلام حسب الترتيب الأبجدي.. فإن ترتيبه هنا في الأعلام الصغرى ترتيبًا زمنيًا عدا ترجمة النبي (ﷺ) التي تصدرت الكتاب.

وإذا كان الزركلي لم يختار له اسمًا ولم يكتب له مقدمة كما نص بخطه.. فكان حريًا بنا أن نكتب له مقدمة نعرف فيها بالزركلي وكتابه هذا ومنهجه ومصادره والفرق بينه وبين كتابه الكبير «الأعلام»، ثم كان لزامًا علينا أن نعطيه - أي الكتاب - عنوانًا، ولذا كان العنوان الأقرب إلينا وإلى روح الزركلي «تراجم الأوائل والخلفاء - الأعلام الصغرى».

يبدأ الزركلي ترجمته باسم الشهرة للمترجم أو اسمه الحقيقي إذا كان المترجم له مشهور به.. فنجد تراجم - مثلاً - بالأسماء الحقيقية وعبد مناف، ولهاشم ابن عبد مناف، وعبدالمطلب بن هاشم، وعبدالله بن عبدالمطلب، والحسين ابن علي، والحسين بن علي.... وقد تجد ترجمة بأسماء الشهرة دون الاسم الحقيقي، فنجد ترجمة لجذيمة الوضاح، وتبع، حتى ما وصلنا للعباسيين فتجد تراجم أبو العباس السفاح، والراضي بالله، والمقتدر بالله... ثم ينتقل الزركلي بعد الاسم المترجم له بذكر سنة الميلاد وكذا سنة الوفاة على أرجح الأقوال.

ثم تبدأ الترجمة ولكن يلاحظ أن تراجمه في صدر الكتاب (بيت النبوة والأئمة الاثنى عشرية والملوك والأمراء، والخلفاء الراشدين)، كان الزركلي يبدأ الترجمة مباشرة، باسم المترجم له وميلاده ونشأته.... ولكن مع خلفاء بني أمية وبني العباس والأندلسيين كان حريصًا أن يصدر الترجمة بعدة سطور عن شخصية المترجم له، يدرك القارئ منها أهمية تلك الشخصية وقوتها أو ضعفها.. انظر - مثلاً - ترجمة (سليمان عبدالملك) يقول: «لم يكن صاحب هذه الترجمة من أولئك الرجال الذين حالفهم التوفيق فشادوا وسادوا، ولكنه قصرت مدته، وحاول القيام بعمل عظيم فلم يفلح، وكان الناس قد استبشروا بتوليّه بعد أخيه....».

كما كان الرجل حريصًا على ذكر خاتمة للترجمة يضمنها مدة تولية الخلافة بالسنين والشهور وأحيانًا الأيام، وذكر عدد أولاده ومكان دفنه.

- حرص الزركلي أن يذكر مصادره في كتابه - على الرغم من تصريحه المباشر على أنه سيذكرهم بقائمة في نهاية الكتاب، ولكنه لم يفعل - وقد أحصيت عدد المصادر التي ذكرها في ثنايا التراجم فتعدت السنين مصدرًا، ما بين مصادر تختص بالتاريخ العربي والإسلامي في الشرق كتاريخ الشام لابن عساكر، وتاريخ بغداد والمعارف لابن قتيبة، والأغانى للأصفهاني، وبين كتب تضم التاريخ المغربي والأندلسي كنفح الطيب للمقري، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي أو المعجب في تلخيص أخبار المغرب، كما اعتمد على كتب تاريخيه عامة كالكمال في التاريخ لابن الأثير وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن الوردي.. كما اعتمد على كتب الأنساب ككتاب.. «سبائك الذهب» للثعلبشندي، وكذا نجد كتب التراجم، فتجد وفيات الأعيان لابن خلكان، وشذرات الذهب لابن العماد، وتاريخ النحاة للسيوطي.. لم يتوقف الزركلي على الكتب العربية فتعدها إلى كتب مترجمة ككتاب «السياسة الإسلامية» لماربين، و«تاريخ الجاهلية» لدى برسفال كما اعتمد على العديد من الدوريات كمجلة لغة العرب، ومجلة الشرق.

- وكما كان الرجل حريصًا على ذكر المصادر والمراجع.. كان - أيضًا - حريصًا على ذكر خلافاً للمؤرخين، ولكنه عند الخلاف يتجاذب الزركلي جانبان..

الأول منهما.. أنه يذكر الخلاف فقط كما في ترجمة (الحسين بن علي)، قال: «وبعد قتال عنيف نشب بين الفريقين، أصيب الحسين بجراح شديدة، فسقط عن فرسه، فقتلوه، قيل قاتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمر بن ذي الجوشن، وأرسل رأسه ونساؤه وذراياه إلى يزيد.... واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس الحسين فيه، فقاتل في الشام، وقاتل بل دفن مع الجثة في كربلاء وقاتل غير ذلك» فقد ذكر الزركلي الخلاف ولم يبد رأيًا فيه.

والثاني: نرى الزركلي يدخل طرفاً في الخلافات ويرجح رأياً أو يصوب تاريخاً أو موقفاً كما في ترجمة (علي الرضى) فيقول: «... وفي سبائك الذهب للقلقشندي أن وفاته كانت سنة ٢٣٠هـ والصحيح ما ذكرته [٢٠٣هـ] واعتمده ابن خلكان وأكثر المؤرخين».

والزركلي لم ينقل فقط، ولكنه حاضر في كتابه له آراؤه، ففي ترجمة (جعفر الصادق) يقول: «والشيعة تذكر أن لجعفر كتاباً يدعونه (الجفر) ذكر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة. وهذا الوصف باطل».. كما أنه لم يتر للفيلسوف الألماني ماربين في كتابه «السياسة الإسلامية» بشأن الحسين (انظر: ترجمة الحسين بن علي) ولذلك نرى للزركلي آراء كثيرة، فله رأي في البدع والأوهام والخرافات (انظر: ترجمة علي الخالص) ورأي عن أهل السنة والشيعة (انظر: ترجمة: المعتصم بالله).

كما نجد له رأياً أدبياً ونقدياً، ففي ترجمة (سليمان بن الحكم الأندلسي) وقد أورد أبياتاً شعرية ثم قال: «وهذه القصيدة إنما نظمها المستعين معارضاً الأبيات التي عملها العباس بن الأحنف على لسان هارون الرشيد، وأورد منها أبياتاً ثم قال.. وهذه القطعة أرشق وأعذب...».

- والكتاب على الرغم من صغر حجمه فإنه يضم الكثير من اللقطات، فتجد لقطات لغوية (ترجمة حمير / تبع / الضيزن السليحي / الناصر)، ففي ترجمة حمير - مثلاً - يتعرض للغة اليمن التي تختلف عن لغة العرب الحجازيين، فيتكلم عن (الوتم) وهو إبدال السين تاء فيقول: النات بدلاً من الناس، وكذلك عن (الشنشنة) وهي إبدال الكاف شيئاً، وإبدال لام التعريف ميماً، وقد ورد أن رسول الله (ﷺ) تكلم بتلك اللغة، حيث قال: «ليس من امر امصيام في امسفر»، ويقصد: «ليس من البر الصيام في السفر»... إلخ.

. كما نراه يعدد أسماء الأصنام عند العرب، وما تعبده القبائل منها (ترجمة عمرو بن لحي).

- اعتمد الزركلي على بعض كتب ليست لدينا تلك النسخ التي اعتمد عليها

ففي (ترجمة علي الهادي) أورد أبياتاً شعرية، وذكر أن الأبيات أكثر من ذلك في كتاب «الكنز المدفون» ولكن بالرجوع للكنز المدفون لم نر الأبيات على ما ذكره الزركلي، وعلى هذا فقد اعتمد الرجل على نسخة للكنز ليست بين أيدينا الآن.. وفي هذا السياق ذكر الزركلي كتاباً له تحت عنوان «الصيِّب المنثال في شرح أرجوزة الأمثال» كما أشار إليه في ترجمة (كليب) وأسأل الله أن نعثر عليه في قابل الأيام، ليعد إضافة حقيقية لتراث الرجل الأدبي والثقافي.

- في ثانياً بعض الترجمات ينوه الرجل إلى أن هناك تراجم للشعراء والقواد وغيرهم، ففي ترجمة (كليب) - مثلاً - أشار إلى أنه سترجم للمهلل في (ديوان الشعراء)، وكذلك في ترجمة (عمرو بن هند) ذكر أنه سترجم لعبيد بن الأبرص... إلخ مما يؤكد أن الرجل بدأ كتابه بطموحات كبيرة وآمال عريضة ثم عدل عنها، وهو ما أشار إليه في نهاية الكتاب، وربما وجد في كتابه «الأعلام» غنى عن هذه التراجم فتوقف عند هذا الحد.

- وأخيراً إليك عزيزي القارئ، هذا الكتاب الصغير حجمًا، الكبير مقامًا، الكثير علمًا فهو بحق موسوعة أدبية جامعة به الأنساب والشعر، والحكم والتاريخ، والمعارك والفتوحات، والأقوال والنوادر...

وبعد.. فهذه نسخة خطية واحدة.. اجتهدت لضبطها ما استطعت ولم أتدخل في النص إلا نادرًا وقد وضعته بين معقوفتين [] لنبين للقارئ أن ما بينهما ليس للزركلي. فإن باءت اجتهداتي بالفلاح فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني التقصير وللقارئ، الاعتذار، والله أسأل التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد علوان سلمان

القاهرة في مساء الإثنين

١٢ من ربيع الأول ١٤٣٥ هـ

١٣ من يناير ٢٠١٤ م

«لأضع لهذا الكتاب اسماً، ولا مقدمة، ولا أكلته. . وأظنني كتبه

حوالي سنة ١٩٢٨م أيام وضعت «معجم ما ليس في المعاجم»

لقصاصات الصحف».

خير الدين

بيت النبوة

إيضاح

تحت لواء عنوان «بيت النبوة» كل من انعقد نسبه بنسب النبي القرشي (عليه أفضل الصلاة والتسليم)؛ ممن تقدمه من عهد عدنان، أو من تأخر عنه إلى هذا الزمان، وذلك أمر يطول على مثل هذا المصنّف، وأحر به أن يكون في تأليف ينفرد له، أما ما عوّلت على الاكتفاء به في هذا الباب فهو أنني سأفتحه بذكر خلاصة ترجمة الرسول الأعظم، ثم ألحقها بأخبار أشهر رجال نسبه الشريف، ثم بالكلام على أنبه أعمامه ذكرًا وأرفعهم قدرًا وأختمه بالسبطين الأكملين (رضوان الله عليهما)، وبقية الأئمة الاثني عشر وأما أشباههم [...] ^(١) الفضيلتين: الارتباط بالنسب النبوي الأغر، والنبوغ؛ كالعلم والرياسة والشجاعة وأمثالها: مما أفردت لكل منه فصلاً أشبعثُ الكلام فيه على ما أردت الإتيان عليه، فيلتمسهم طالب الوقوف على أخبارهم وآثارهم في مظانهم من فصول الكتاب.

الله اسأل تسديد خطاي إلى واضح السبيل

(١) سقط بالأصل..

محمد رسول الله

ولد سنة ٥٧١م - ٥٣ق.هـ

وهاجر سنة ٦٢٢م - ١هـ، وتوفي سنة [١١هـ]

بينما العرب في ليلة ليلاء، من جاهلية عمياء، يأكل قويُّهم ضعيفهم، ويفضِّل غويُّهم شريفهم، وأنصاب الفتنة منصوبة، سيوف مسلولة، وأرواح مبدولة، ولا رادع، ولا حَكَم ولا مسيطر، وهم إلى الفناء أقرب منهم إلى [...] ^(١)، بعيدون عن فضائل العلم والمدنية، لا همَّ لهم إلا القتال والنزال، على كثرة ما فيهم من ذوي العقول الرجيحة، والألسنة الفصيحة، وما في أخلاقهم من الألفة، والنجدة، والإباء، والغيرة، وما في أجسامهم من القوة والمتانة والصلابة، وما في عشائريهم من التضامن والتراص، لولا إحنٌ وأحقاد، تتوارثها الأحقاد، عن الآباء، عن الأجداد؛ رأت في قلوبهم مكانًا خاليًا فتحكمت، فشغلتهم عن مجارة غيرهم من [...] ^(٢) الفرس والروم في حلبة الحضارة والعمران، والعلم والعرفان [...] ^(٣)، أراد الله بهم الخير؛ فأرسل لهم من أنفسهم هاديًا حكيمًا مرشدًا، ضمَّ كلمتهم ووحد جمعهم، وأمات كامن أضغانهم، وأسس فيهم بنيانًا لا يتهدَّم، وأودع في أدمغتهم نورًا لا تطفئه العصور والدهور، ذلك هو: النبي الأعظم: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإلى هنا ينتهي نسبه الشريف وما وراء ذلك فالخلاف فيه كثير. ولد (ﷺ) بمكة، ومات أبوه بعد مولده بشهور، فكفله جده عبد المطلب، وماتت أمه آمنة بنت وهب وعمره ست

(١ - ٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

سنوات، ثم مات جده وله من العمر ثمانية أعوام، فأنتم تربيته عمه أبو طالب، فنشأ معروفاً بالشجاعة والهمة والأمانة والصدق والأخلاق الفاضلة والعقل وقوة الإدراك، ولقبه قومه بالأمين.

ولما بلغ الخامسة والعشرين زوجه عمه بخديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وكانت قد أرسلته بتجارة إلى الشام فأفلح وربح، وفي العام الأربعين من مولده بعثه الله إلى الناس مبشراً ونذيراً؛ فجعل يدعوهم ويرشدهم خفية مدة ثلاث سنين، ثم أعلن الدعوة وكان قد آمن به جماعة من أهله وذوي قرباه، فهزأت به قريش وآذته، فصبر، وأقام بمكة مدة مات في أثنائها عمه وأكبر عاصم له من أعدائه: أبو طالب بن عبد المطلب، وأسلم في أواخرها عمه حمزة بن عبد المطلب نجدة لابن أخيه ونصرة له، وأسلم عمر بن الخطاب، وكثر عدد نصرائه وفيهم ابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وصديقه أبو بكر، وصاحبه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. فرأى النبي (ﷺ) أن يأذن لمن ليس له عشيرة تحميه من شر قريش بالهجرة إلى أرض الحبشة، فهاجر جماعة من أصحابه، ثم أسلم ستة من الأوس والخزرج من سكان المدينة، وذهبوا إليها فنشروا الإسلام في أبنائها، فجاءه منها اثنا عشر من الأنصار فأمنوا به فبعث معهم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن، فلم يمض غير قليل حتى لم تبق دار في المدينة من دور الأنصار إلا وبها مسلمون إلا دار بني أمية بن زيد. ثم ذهب إلى مكة جماعة منهم فعرضوا على النبي وأصحابه الهجرة إليهم والإقامة في يثرب وهي المدينة المنورة، وعاهدوه على أن يدافعوا عنه، فاستوثق منهم، وأمر أصحابه بالخروج من مكة ثم لحقهم، وبلغ قريشاً خبر رحلته فقصدوه ليقتلوه فحماه الله منهم، ودخل المدينة مهاجراً بعد إقامته بمكة ثلاثة عشر عاماً.

ومن سنة دخوله المدينة يتدئ التاريخ الهجري. وكانت الدعوة الإسلامية لا تخرج عن حد الدليل والبرهان، ولكنه لما اطمأن في المدينة وعلم أن أعداءه غير تاركيه بل لابد لهم من قصده ومحاولة إيذائه، رأى أن السيف لا يدفعه إلا السيف؛ فأمر المسلمين بإعداد القوة ومحاربة خصومهم وبغاة الشر بهم. فحدثت مناوشات يسيرة ثم عظم أمرها.

فلما كانت السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان كانت غزوة بدر الكبرى. وفي هذه السنة كانت غزوة بني قينقاع، والكُذُر والسويق. وفي السنة الثالثة كانت غزوة أُحد، وغزوة حمراء الأسد، وفي الرابعة غزوة الرجيع، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة بدر الثانية. وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وفي السادسة غزوة بني لحيان، وغزوة ذي قرد، وغزوة بني المصطلق، وفيها بعث رسول الله الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من عظماء الملوك كالمقوقس بمصر، والهارث الفسائي بالشام. وفي السنة السابعة من هجرته كانت غزوة خيبر. وفي الثامنة غزوة ذات السلاسل، وغزوة مؤتة، وفيها فتح المسلمون مكة المكرمة، وكانت غزوة هوازن بحنين. وفي التاسعة غزوة تبوك، وغزوة طي... وكل هذه الغزوات كانت حروباً بين المسلمين وعرب الحجاز، وأكثرها تم به النصر للمسلمين، حتى ارتفع شأنهم، وطأطأت لهم العرب رؤوسها؛ فدخلوا في الدين أفواجاً، وأرسلت القبائل وفود الطاعة.

ولم يتوفه الله إلا بعد أن فتحت له بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق، وجُبي له من أخماسها وصدقاتها وجزيتها ما لا يُجبي للملوك إلا بعضه، وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فلم يستأثر بشيء مما ورد عليه ولا أمسك منه درهماً بل صرفه على مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين.

وكان (ﷺ) شجاعاً مقداماً، خطيباً، أوتي جوامع الكلم، متصفاً بصفات

الكمال، قال أنس بن مالك: كان رسول الله (ﷺ): أشجع الناس وأسمح الناس، وأحسن الناس، وقع في المدينة فزع فركب فرسًا عربيًا، فسبق الناس إليه وهو يقول: أيها الناس لم تُراعوا لم تُراعوا.

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله (ﷺ)؛ فكان أقربنا إلى العدو.

ودوّنت كلماته من بعده. قال (ﷺ): «أوتيت جوامع الكلم واختُصِرَ لي الكلام اختصارًا».

وهذه نبذة من أقواله في الاجتماع والسياسة والأخلاق:

- «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».
- «أحبُّ الجهاد إلى الله: كلمة حق تقال لإمام جائر».
- «أحب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».
- «اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس؛ فإن الأمور تجري بالمقادير».
- «أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك».
- «ألا أدلكم على أشدكم؟ أملككم لنفسه عند الغضب».
- «الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين».
- «الجنة تحت أقدام الأمهات».
- «الجنة تحت ظلال السيوف».
- «الحزم سوء الظن».
- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».
- «خير الناس أنفعهم للناس».

- «دعوا الحسناء العاقر، وتزوجوا السوداء الولود، فإني أكاثركم الأمم يوم القيامة».

- «الرمي خير ما لهوتم به».

- «زُرْ غَيًّا تَزِدُّ حُبًّا».

- «الصبر عند الصدمة الأولى».

- «عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره».

- «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه».

- «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

- «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام».

- «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليُشر بما هو صانع لنفسه».

ومما أثبتته رجال الحديث وثقة الرواة من نعوته وأوصافه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش.

وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا.

كان طويل الصمت قليل الضحك، وإذا تكلم تبسم.

كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير.

كان يخط ثوبه ويخصف نعله ويجالس المساكين.

كان إذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعاً، يتكفاً في مشيه كأنما ينحط من صيب^(١).

(١) يتكفاً: يتمايل إلى الأمام. صيب: أي منحدر من الأرض. انظر: مشكاة المصابيح: ٢ / ٤٣٤.

كان إذا ضحك وضع يده على فيه.
 كان إذا اهتمَّ أكثر من مسِّ لحيته.
 كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، وهو القائل: الحرب خدعة.
 كان أشدَّ حياء من العذراء في خدرها.
 كان ضخم الرأس واليدين والقدمين، ليس بالطويل ولا القصير، سبط الشعر.
 كان فيه دعابة قليلة، وإذا مزح غَضَّ بصره.
 كان في كلامه ترتيل وترسيل.
 كان لونه أسمر، وخلقه تامة، عيناه سوداوان، وفي خديه حمرة.
 كان متواضعًا في غير مذلة.
 كان يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته.
 كان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه.
 كان يلبس قلنسوة بيضاء.

وكتب الحديث مفعمة بدرر ألفاظه مشحونة بمحاسن أوصافه، وأما معجزاته فحسبنا منها المعجزة الخالدة التي هي القرآن الكريم المُبَكِّم بفصاحته بلغاء الجاهلية المحيرُّ بأحكامه حكماء الناس أجمعين، وهو الذي أجمع عقلاء الأمم كافة على أنه أفضل الكتب السماوية وأجدرها بالبقاء وأصلحها للبشر وأنفعها للناس، وكان رسول الله (ﷺ) كثير الزوجات، قال ابن الكلبي النسابة: تزوج النبي خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة منهن، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي وعنده تسع نسوة، وولد له سبعة أولاد: ثلاثة ذكور، وأربع بنات. فأما الذكور؛ فالقاسم - وبه كان يُكنى -، وعبد الله، وإبراهيم، وكلهم ماتوا صغارًا لم يتجاوز أحدهم الستين. وأما البنات: فزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وكلهن عشن حتى كبرن وتزوجن، ولم يكن لرسول الله (ﷺ) نسل

إلا من ابنته فاطمة، تزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن والحسين، وإليهما نسبة كل منتسب إلى النبي المصطفى (صلوات الله عليه)، وولد لها ولد ثالث سمته مُحَسَّنًا، مات صغيرًا، وكان لرسول الله كُتَّابٌ يستعين بهم؛ لأنه لم يتعلم الكتابة، منهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد ابن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان له سيَّافون يضربون الأعناق بين يديه، وحُرَّاس اتَّخذهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، فتركهم، ومؤذنون، ورُسل، وشعراء، وخطباء، وخدم، وخيل، وبغال، وإبل، وحماران، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقسي ورماح وحراب وخوذة ومجنّ. وفي آخر سنة من حياته الشريفة حج حجة الوداع وخطب فيها فأبان للناس ما لهم وما عليهم وهي من أطول خطبه وأكثرهن استيعابًا لأُمُور الدين والدنيا. وفي المدينة المنورة بدأ به ألم في آخر صفر، وحُمَّ واشتد به الصداع فتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول. وفي مثل هذا اليوم كان مولده، فدفن في مرقده الشريف في المدينة المنورة، بعد أن أسس للناس مدينة أشرقت شمسها اليوم في جميع أقطار الأرض ودينًا يعتنقه نيف ومثتا مليون من البشر، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.



عدنان

كان في نحو سنة ١١٠٠ قبل الهجرة

كان النبي (ﷺ) إذا انتسب فبلغ عدنان يُمسك ويقول: كَذَبَ النسابون. فلا يتجاوزهُ، وإجماع المؤرخين ورجال الأنساب على أن عدنان من أبناء إسماعيل ابن إبراهيم (عليه السلام)، والذي اعتمده القلقشندي في نسبه إلى إسماعيل أن عدنان ابن أد بن أدد الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قidar بن إسماعيل (عليه السلام)، وإسماعيل يتدئ به القسم الثالث من أقسام العرب في جاهليتهم، وذلك أن المؤرخين يسمون الجيل الأول من أجيال العرب «العرب العاربة» وهم الذين انقطعت أخبارهم وبادت آثارهم، وربما سموهم العرب البائدة، ومنهم قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى. والجيل الثاني يتدئ بقحطان وسموه «العرب المتعربة» يذهبون إلى أن قحطان وابنه يعرب أخذوا العربية عن تقدمهم وسيأتي الكلام على قحطان وبنيه. والجيل الثالث «العرب المستعربة» ويبدأ بإسماعيل (عليه السلام) وسموهم مستعربين لأن إسماعيل لم يكن عربياً، وإنما هاجر ومعه أمه هاجر من الشام إلى الحجاز، وكان الحجاز وتهامة حينئذ مقرَّ العمالقة، فأصاب سكان اليمن مجاعة نشأت عن قحط أصاب بلادهم فأقبلوا مهاجرين نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى، فاجتمع بهم إسماعيل وأمه فأقبلا معهم، واحتلوا أسفل مكة، ثم حاربوا العمالقة سكان الحجاز فأهلكوا أكثرهم، وأقام اليمانيون المهاجرون في ربوع الحجاز وتهامة وفيهم بقية من جرهم الثانية (وهم من العرب المتعربة) فنشأ إسماعيل فيهم وتعلَّم منهم اللغة العربية، وكان يتكلم بالعبرانية، وزوجوه من بناتهم فخرج فيهم نسله وكان من أحفاده عدنان المترجم وإليه يُنسب الجَم الغفير من عرب الحجاز: وذلك أنه ولد له معدُّ وولد لمعدَّ نزار، ومن نزار ربيعة ومضر: وهذان هما اللذان كثرت بطونهما.

فكان من ربيعة قبائل كثيرة لها شهرة وذكر في تاريخ العرب إذ كانوا يناصون مضر في الشرف والرفعة، ومنهم كان أكثر الخوارج في الإسلام، ومنهم بنو أسد وبنو عبد القيس، وعنزة وبكر وتغلب ووائل والأراقم والدؤل وغيرهم مما بسطه علماء الأنساب - انظر أنساب العرب للقلقشندي.

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين: قيس بن عيلان بن مضر، وبطون إلياس ابن مضر. فمن بني قيس بن عيلان: بنو غطفان، وبنو سليم بن منصور، ومن غطفان بغيض بن ريث، وعبس وذبيان ابنا بغيض، وما يتفرع منهما، ومن سليم ابن منصور بن بُهته وبنو هوازن.

وأما إلياس: فكان من بنيه تميم بن مر، وهذيل بن مدركة، وبنو أسد ابن خزيمة وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة: قريش. وهم أولاد فُهر ابن مالك ابن النضر بن كنانة.

وانقسمت قريش، فكان منها جُمح وسهم ابنا هصيص بن كعب، وعدي بن كعب، ومخزوم بن يقظة بن مرة، وتيم بن مرة، وزُهرة بن كلاب، وعبد الدار ابن قصي، وأسد بن عبد العُزي بن قصي، وعبد مناف بن قصي، وكان من عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس، ونوفل، والمطلب، وهاشم. وبيت هاشم هو الذي كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. ومنه العباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب. ومن بني عبد شمس بن عبد مناف بنو أمية الخلفاء.

هذه خلاصة موجزة عن بعض بطون عدنان وقبائلها الذين انتشروا في أنحاء الحجاز وتهامة ونجد والعراق، ثم اليمن، ونحن وإن أطلعنا في إيرادها، ولكن البحث يضطرنا إلى ذكر أكثر مما ذكرنا. والله بخليقته أعلم.

مضر

مات في نحو سنة ٩٥٠ قبل الهجرة

مضر بن نزار بن معد بن عدنان: أحد سادات قريش، وبنوه كما في العبر: أهل الكثرة والغلبة بالحجاز من سائر بني عدنان. ولهم الرياسة بمكة والحرم. ومضر: أول من سنَّ الحداء للإبل، وكان من أحسن الناس صوتًا، وهو صاحب المثل السائر «بصبصن، إذ حُدين بالأذنان»، قاله وكان في سفر فوق فرُضت يده فجعل يصيح من ألمه: يا يداه! يا يداه! فأتته الإبل التريبة منه وكانت ترعى فلما صلح وركب حدا، فأعجبه ما رأى من الإبل فقال: بصبصن... إلخ، فذهبت مثلاً. ومات بمكة.

كعب بن لؤي

مات في نحو سنة ٣٠٠ - ٤٠٠ قبل الهجرة

أبو حصيص كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر: قرشي من كبار سادات العرب في الجاهلية وله أعمال مشهورة وذكر في تاريخ الجاهليين معروف. قال القلقشندي: كان كعب عظيم القدر عند العرب فلما مات أرخوا بموته إلى عام الفيل (وهو عام مولد النبي ﷺ)، ثم أرخوا بالفيل إلى أن ظهر الإسلام؛ فكانوا يؤرخون بالوقائع العظيمة إلى أن قرَّ رأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على اتخاذ هجرة الرسول الأعظم تأريخًا للمسلمين... وهو أي كعب أول من سنَّ الاجتماع في الجمعة، وكانت العرب تسميه يوم العروبة. كانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويعظهم، وقيل: كان يذكر لهم أنه سيكون من ولده نبي يبعثه الله. وهو الذي سمي يوم العروبة بيوم الجمعة. وقال ابن الأثير المؤرخ: كان كعب يخطب الناس أيام الحج. فهو من الخطباء الأمراء. وهو الأب الثامن للنبي الهاشمي المختار، وكانت إقامته بمكة وفيها مات.

قُصَيّ

مات في نحو سنة ٢٠٠ قبل الهجرة

أبو المغيرة قُصَيّ، واسمه زيد، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: كان سيد قريش ورئيسهم والمشار إليه منهم. مات أبوه وهو طفل صغير. فتزوج [ت] أمّه، فاطمة بنت سعد، رجل من بني عذرة يدعى ربيعة بن حرام، وسار بها الشام فأخذت قصيًا معها، فشبّ في حجر ربيعة، وسُمّي قصيًا لبعده عن دار قومه، فكان قُصَيّ ينتمي إلى ربيعة إلى أن كبر فكان بينه وبين رجل من قضاة شيء فعيره القضاة بانتسابه لغير أبيه، فعاد إلى أمه فسألها فأخبرته، فلما كان الشهر الحرام خرج مع الحاج حتى قدم مكة فتعرّف إلى قومه من قريش فعرفوه؛ فأقام بينهم وكثر ماله، وكان موصوفًا بالدهاء والعقل ومعرفة الطرق الموصلة إلى السيادة والرياسة، فعظم شرفه، وولي الكعبة، ثم كانت له مع القبائل حروب ووقائع رفعت ذكره واضطرته أن يجمع قومه إلى مكة من الشعاب والأودية والجبال فسمّوه مجمّعًا. وملكوه عليهم فكان أول قرشي من ولد كعب بن لؤي أصاب ملكًا أطاعه به قومه. وقسم مكة أرباعًا ومنازل بين قومه فبنوا بها المساكن، وكان إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف قريش كله. قال في كامل التواريخ: وتيمنت قريش بأمره ورأيه فكانت لا تعقد نكاحًا إلا في داره ولا يتشاورون في أمر يتزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء للحرب إلا في داره يعقده بعض ولده، وكان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد مماته.

وحفر بمكة بئرًا سماها العجول وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة، ولما كبر وبلغ سن الهرم جلس في دار الندوة، وهي دار في مكة كانت قريش تجتمع بها في قضاء أمورهما، وجمع بنيه وكانوا قد شبوا وسادوا فرأى أكبرهم سنًا أضعفهم شأنًا، وهو ولده عبد الدار، فأشفق عليه فقال له: والله لألحقنك بهم، فأعطاه

رياسة دار الندوة، وحجابه الكعبة، واللواء - فكان يعقد لقريش ألويتهم في الحروب - والسقاية - فكان يسقي الحاج، والرفادة وهي سنة سنّها قصي في قريش، وذلك أنهم كانوا يأتونه في كل موسم بشيء من أموالهم يصنع منه طعامًا للحاج يأكله الفقراء.

قال ابن الأثير في كلامه على الرفادة: وكان قصي قد قال لقومه: إنكم جيران الله وأهل بيته، وإن الحاج ضيف الله وزوّار بيته وهم أحقّ الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج ففعلوا فكانوا يُخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام منى. قال: وجرى الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام إلى الآن فهو الطعام الذي يصنعه الخلفاء كل عام بمنى.

ثم مات قصي بمكة فخلفه بالسيادة أبنائه ودُفن بالحجون فكانوا يزورون قبره ويعظمونه، وهو الأب الخامس من آباء النبي (ﷺ) وفي جمعه القبائل يقول الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمّعاً به جمع الله القبائل من فهر

عبد مناف

مات في نحو سنة ١٢٥ قبل الهجرة

عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة: سيد من سادات الجاهلية كانت له الشوكة في قريش، ساد في أيام أبيه قصي وترأس بعد أبيه، وعبد مناف لقب له، وإنما اسمه المغيرة، ويكنى أيضًا أبا عبد شمس، وكان يقال له القمر لجماله، وكانت أمه حين ولدته دفعته إلى مناف، وهو صنم بمكة تدينًا فغلب عليه عبد مناف. وكان دون أبيه السالف ذكره بالحكمة والتدبير، فلم يحدث جديدًا في قومه بعده، وانقادت له قريش لمكانة أبيه عندهم ولشدة تعلقهم به وحبهم له ولبنيه.

قال الجوهري: والنسبة إلى عبد مناف منافي. قال: والقياس عدي، عدلوا عنه لإزالة اللبس.

وهو الأب الرابع لرسول الله (ﷺ)، وفي آله يقول الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندى هلاً مررت بآل عبد مناف
الرائثون وليس يوجد رائث والقائلون هلم للأضياف

هاشم بن عبد مناف

ولد سنة ١٠٢ ومات سنة ١٢٧ قبل الهجرة

هاشم بن عبد مناف بن قصي: أحد من انتهت إليهم سيادة قريش في الجاهلية، اسمه عمرو وكنيته أبو نضلة، ولُقّب هاشمًا لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة، وذلك أنه كان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم والسخاء وللشعراء فيه قصائد وأبيات ماثورة.

واتفق أنه أصاب الناس محل فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقًا وكعكًا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدًا وأطعم الناس حتى أشبع الجياع فسُمي هاشمًا. قال الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

وكان هاشم قد بلغ السيادة وهو صغير فعُرف شأنه في حياة أبيه عبد مناف، ولما مات أبوه تولى سقاية الحاج ورفادته (وهي إطعام الفقراء من الحجاج كما قدمنا)، فحسده ابن أخ له اسمه أمية بن عبد شمس (وهو جد بني أمية ملوك

الشام) فتكلف أن يقلده في كرمه فعجز وظهر عليه أنه يصنع فوق طبعه فشمنت به ناس من قريش فغضب ودعا هاشمًا للمنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، فألحَّت عليه قريش حتى رضي فتنافرا إلى كاهن من بني خزاعة بعسثان واتفقا على أن ينحر المفضول خمسين ناقة بمكة يطعمها الناس ويرحل عن مكة عشر سنين، فانصرفا إلى الكاهن فقال: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشمٌ أميةً إلى المناخر». فتقضى بتفضيل هاشم وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين؛ فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية، ثم توارثها بنوهما.

وبينما كان هاشم في سفر إلى الشام مرض فتحول إلى غزّة فمات بها وهو في عصر الشباب لم يتجاوز سنه خمسًا وعشرين، وكان موصوفًا بالجمال وكرم الخلال، وهو جد أبي القاسم محمد (ﷺ)، وفي هاشم يقول الشاعر:

عمر و العلا ذو الندى من لا يسابقه	مرُّ السحاب ولا ريح تُجاره
جفانه كالجوابي للوفود إذا	لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت	قوتًا لحاضره منهم وباده

عبد المطلب بن هاشم

ولد سنة ١٢٧ ومات سنة ٤٥ قبل الهجرة

أبو الحارث شيبه الحمد بن هاشم بن عبد مناف: أحدُ عظماء قريش وسيد من كبار سادات العرب، اسمه شيبه الحمد، قيل: لأنه ولد وفي رأسه شيبه فسموه بها، وغلب عليه لقبه عبد المطلب، وذلك أن أباه هاشمًا سافر في تجارة إلى الشام فمرَّ بالمدينة فنزل على عمرو بن لبيد الخزرجي من بني النجَّار فرأى

ابنته سلمى فأعجبه فتزوجها ولما عاد من سفره أخذها معه إلى مكة، ثم أراد السفر إلى الشام فأخذها إلى المدينة على أن يعيدها عند رجوعه وكانت حبلى، فلما بلغ غزوة مات بها (كما تقدم في ترجمته)، وولدت سلمى غلاماً شيبه (أو شيبه الحمد) فنشأ في المدينة، وبعد نحو سبع سنين مرَّ بالمدينة رجل من بني الحارث؛ فإذا غلمان يتتضلون (يتبارون في رمي السهام) وشيبه بينهم كلما أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء، فقال له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا ابن هاشم بن عبد مناف، فلما أتى الحارثي مكة أخبر المطلب بن عبد مناف (أخا هاشم) بما رأى وما سمع، فسُرَّ المطلب وركب وارتحل إلى المدينة فرأى غلماناً يضربون كرة فعرف ابن أخيه فأخذه واستأذن أمه وأركبه على عجز الناقة حتى قدم مكة ضحوة والناس في مجالسهم فسألوه: من هذا وراءك؟ وكانت بزته غير حسنة فخجل أن ينسبه لهم فقال: عبد لي، ثم ألبسه حلة تليق به وأخرجه للناس فحدثهم بخبره؛ فكان بعضهم إذا ذكروه قالوا: عبد المطلب فغلب عليه، ثم شبَّ بينهم فكانت له السقاية والرفادة، ولاحت عليه أمارات السيادة والإمارة وكان عاقلاً ذا أناة ونجدة وخبرة فأحبه قومه؛ فرفعوا من شأنه وطال عمره، وحفر بئر زمزم، وهي البئر التي احتفرها إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) ودفنتها جرهم، فأعادها وظهر ماؤها. وكان فصيح اللسان حاضر الجنان، وقد بجماعة من قريش على ملك اليمن سيف بن ذي يزن الحميري حين أدرك مُلك آبائه، يهنتونه بالنيابة عن أهل الحجاز، فلما دخلوا عليه، استأذنه عبد المطلب في الكلام؛ فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك أذنًا، فقال عبد المطلب: «إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً، وأنبتك منبأ طابت أرومته، وعزَّت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعته، في أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت أبيت اللعن، رأس العرب، وربيعها الذي به تخصصه، ومليكها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ

العباد، فسلفك خير سَلَف، وأنت لنا بعدهم خير خَلَف، فلن يهلك من أنت خلفه، ولم يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك من أنهجك لكشف الكرب الذي فَدَحْنَا، فنحن وفد التهنة، لا وفد المرزنة، لا زلت ناعم البال، مهتًا في كل حال».

فقال سيفُ الملك: من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب ابن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، فأقبل عليه من بين القوم وقال: «مرحبًا وأهلاً ومناحًا سهلاً، وناقة ورحلاً، وملكا [...]»^(١)، يعطى عطاءً جزلاً، قد سمعت مقاتلكم وعرفت قرابتكم، أهل الشرف والنباهة ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم»، ثم أمر بهم إلى دار الضيافة فأقاموا شهرًا لا يؤذن في مقابلته ولا في الانصراف، ثم دعا بعبد المطلب فأخبره أن كتبهم السماوية تبشر بنبي يظهر من ذريته، وأمره أن يكتب ذلك، وأجزل له العطايا وأكرم من جاء معه، وأذن لهم فعادوا.

وكان عبد المطلب إذا دخل شهر رمضان صعد حراء فتحنث (أي تعبّد)، وأطعم المساكين جميع الشهر، وهو أول من خضب بالسواد من العرب. مات وعمره ٨٢ سنة - كما في عيون التواريخ - وفي الكامل أنه عاش ١٢٠ سنة، وفي سبائك الذهب ١٤٠ سنة، وخلف اثني عشر ولدًا وهم: عبد الله، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والعباس، وضرار، وحمزة، والمقوم، وأبو لهب، وقثم، والغيداق، والحارث. وبعض الناس ينسبون بعدهم عشرة، يهمل عبد الكعبة وقثم ويزيد ست بنات، وأنا ذاكرٌ فيما يلي تراجم أشهر هؤلاء، وفي كتب السيرة النبوية أن رسول الله كان إذا انتخى في الحرب يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب!»

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

عبد الله بن عبد المطلب

ولد سنة ٨١ ومات سنة ٥٣ قبل الهجرة

أبو قُثم عبد الله الذبيحُ بن عبد المطلب بن هاشم: والدُ رسول الله (ﷺ)، ولد في مكة ونشأ بها، وهو أصغر ولد عبد المطلب وأقصرهم عُمرًا، وكان عبد المطلب أبوه قد نذر: لئن وُلِدَ له عشرة أبناء وشبوا في حياته وكانوا أعوانًا له على أعدائه لينحرنَّ أحدهم عند الكعبة لله تعالى! فما زال يلد له حتى بلغ أبناؤه عشرة أشداء، فذهب بهم إلى قُبل وهو أكبر أصنام الكعبة فضربت القداح (يشعلون ذلك كالقُرعة) فخرجت على عبد الله.. وهو أحب بنيه إليه وأصغرهم، وكان عبد المطلب واقفًا يدعو؛ فلما خرج القدح على عبد الله انبرى إليه فأخذه وذهب به إلى أساف ونائلة (وهما صنمان كانوا إذا أرادوا ذبح شيء نحروه عندهما)؛ فقامت قريش من أنديتها فمنعوه من ذبحه، فأصرَّ، فقالوا: هلمَّ فانطلق إلى كاهنة الحُجر فسلها؛ فإن أمرتك بذبحه فافعل، فذهب معهم إليها وهي بخير، فنصَّ عليها عبد المطلب خبره، فقالت: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا عنها، ولما أصبحوا غدوا إليها، فقالت: نعم قد جاءني الخبر، فكم الدية عندكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم فتربوا عشرًا من الإبل واضربوا عليها وعلى عبد الله بالقداح؛ فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشرًا حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى أتوا مكة؛ فاجتمعوا ثم تربوا عبد الله وعشرًا من الإبل؛ فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشرًا فخرجت عليه فما برحوا يزيدون عشرًا وتخرج القداح عليه حتى بلغت الإبل مئة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل، فقال من حضر: قد رضي ربك يا عبد المطلب، فقال عبد المطلب: لا والله! حتى أضرب ثلاث مرات، فضربوا ثلاثًا، فخرجت القداح على الإبل،

فنجرت، وتُرِكَت لا يُصَد عنها إنسان ولا سبع، وانصرف عبد المطلب بابنه فرحاً به، فزوجه بأمنة بنت وهب (أم رسول الله ﷺ)، ثم أرسله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا، فمرض بالمدينة، ومات بها ودفن في دار النابغة الجعدي الشاعر.

وبعضهم يقول: إنه سافر إلى الشام في تجارة فلما عاد نزل في المدينة وهو مريض فتوفي بها، وله من العمر ثمان وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل ولادة سيد الخلق وهادي الهداة محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام)، وجُلَّ هذه الترجمة ملخص عن المجلد الثاني من الكامل لابن الأثير.

أبو طالب بن عبد المطلب

ولد سنة ٨٥ وتوفي سنة ٢ قبل الهجرة

أبو طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم: والد علي بطل الإسلام، وعمُّ النبي الأمين وناصره، وكافله ومربيه، وهو من أبطال بني هاشم والمُطاعين منهم.

قال رسول الله (ﷺ): ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. وذلك أنه لما أعلن الدعوة ثارت عليه بنو قريش وأرادوا قتله، فانتصر له عمه أبو طالب، فصدهم عن أذيته، فلما مات أخرجوه فاضطراً إلى الهجرة بمن معه كما قدمنا في الترجمة الأولى.

وكان أبو طالب خطيباً عاقلاً حسن الروية طاهر القلب أبي النفس، وعرض عليه ابن أخيه الإيمان بدينه فوعده بنصرته وحمايته، ولكنه امتنع عن قبول الإسلام خوفاً من أن تعيره العرب وتعيبه، فنزلت آية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (الفصل: ٥٦)، فتركه واكتفى منه بصد أعدائه عنه، وأورد الفاضل السهيلي في كتابه الروض الأنف نقلاً عن هشام بن السائب الكلبي خطبة قالها

أبو طالب حين حضرته الوفاة، واجتمعت عليه وجوه قريش نذكرها عنه قال:

«يا بني قريش! إنكم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وفيكم السيد المطاع، والمتقدم الشجاع، والواسع الباع، لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبًا إلا أحرزتموه، ولا شرفًا إلا أدركتموه، فلکم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم ألب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية؛ فإن فيها مرضاة للرب، وقوامًا للمعاش، وثباتًا للوطاة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها؛ فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق؛ ففيهما هلكت القرون قبلکم، وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل؛ فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة؛ فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام، وأنا أوصيكم بمحمد خيرًا؛ فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو جامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر: قَبْلَهُ الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأي أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس: قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنبًا، ودورها خرابًا، وضعفاؤها أربابًا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها وأعظمت قيادها، دونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولايةً ولحزبه حُماة ووالله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي».

ومن خطبه ما ذكره الإمام المبرّد قال: خطب أبو طالب لرسول الله (ﷺ) في تزويجه خديجة بنت خويلد فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحُكَّام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي: من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رَجَحَ

عليه برًا وفضلًا وكرمًا وعقلًا ومجدًا ونُبلاً، وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظلٌّ زائل وعاريةٌ مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتهم من الصداق فعليّ».

قال المبرد: وهذه الخطبة من أقصر خطب الجاهلية.

وكان أبو طالب صاحب تجارة كباقي قريش، ومولده في موطنه مكة وبها نشأ وفيها مات ودُفن، وأعقب أربعة واثنتين، وهم: علي، وجعفر، وعقيل، وطالب، والاثنتان هما: أم هانئ، واسمها فاخنة، وجُمَانة، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

حمزة بن عبد المطلب

ولد سنة ٥٤ قبل الهجرة وتوفي سنة ٢ للهجرة

أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم: عمُ رسول الله (ﷺ)، وأحدُ صناديد قريش وسرااتهم وساداتهم في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة ونشأ بها، قال صاحب أسد الغابة: كان أعزَّ قريش وأشدَّها شكيمة، وأول أخباره في الإسلام أن أبا جهل المخزوميَّ القرشيَّ (عدوَّ النبي ومن أشدَّ أعدائه عليه) تعرَّض لرسول الله فشتمه وأهانته، ورسول الله صامت لم يُجبه، وكان حمزة غائبًا في الصيد؛ فلما عاد أُخبرَ بما صنع أبو جهل، فقصدته، فرآه في الكعبة فضربه بقوس كانت في يده فشجَّ رأسه شجة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فاردَّد عليّ إن استطعت، فحدثت ضجة عظيمة وقامت رجال بني مخزوم على حمزة؛ فمنعهم أبو جهل وخاف اتساع الفتنة؛ فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت، فقال حمزة: وما يمنعي؟ فقالت العرب: اليوم عزَّ محمد، وإنَّ حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض إساءاتهم إلى المسلمين، وثبت حمزة على إسلامه، وكان ذلك قبل موت أبي طالب، ثم هاجر حمزة مع النبي (ﷺ) إلى المدينة وحضر وقعة بدر وغيرها وأبدى من البسالة ما هو معروف عنه.

قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله (ﷺ) كان لحمزة بن عبد المطلب، وكان حمزة يُعرف في الحرب بريشة نعامة يضعها في صدره، ولما كان في وقعة بدر قاتل بسيفين، فقال أمية بن خلف، وهو أسير في يد المسلمين: من الرجل المعلم بريشة؟ ف قيل له: حمزة، فقال: ذاك فعل بنا الأفاعيل!

وقُتل (ﷺ) في وقعة أُحد بعد أن قتل أحدًا وثلاثين نفسًا، ثم عثر فوقع على ظهره، فرآه أحد العبيد فأدركه وضربه بحربة ذهبت بروحه، وأخذته المشركون فمثلوا به وبشهداء المسلمين، فلما رآه النبي (ﷺ) صَعِقَ وبكى، ثم قال: «رحمك الله أي عم؛ فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات».

وأخذته المسلمون فدفنوه في المدينة. قال ابن حزم وغيره من رجال التحقيق: إنه انقرض عقبه، فلا يثبت انتساب بعض الأسر إليه (رضوان الله عليه).

العباس بن عبد المطلب

ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفي سنة ٢٢ هجرية

قال رسول الله (ﷺ): «هذا العباس بن عبد المطلب: أجود قريش كفًا وأوصلها؛ هذا بقية آبائي».

كان العباس أحدَ عظماء قريش: رئيسًا في الجاهلية عظيمًا في الإسلام؛ ووصولاً لأرحام قريش مُحسنًا إليهم ذا رأي سديد وعقل غزير؛ مولعًا بإعتاق العبيد، كارهاً للرق.

قال صاحبُ أسد الغابة: اشترى العباس سبعين عبدًا وأعتقهم جميعًا، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (وهي أن لا يدع أحدًا يسب أحدًا في المسجد ولا يقول فيه هُجرًا).

ولد بمكة بعد مولد رسول بسنتين، وأسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وأقام

بمكة يكتب إلى رسول الله (ﷺ) أخبار المشركين، وبعد الهجرة أراد أن يرحل إلى المدينة مهاجراً فقال له النبي (ﷺ): مقامك بمكة خير، ثم هاجر بعد زمن وشهد، وقعة حنين فثبت مع رسول الله لما انهزم الناس، وشهد فتح مكة أيضاً، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضاً له ضفirtان، وعاش نيّفاً وثمانين عاماً، أُصيب في آخر عمره بمرض في عينيه فعميتا، وهو أبو الخلفاء العباسيين يتصل نسبهم به، وكان جليل القدر رفيع الجانب.

قال الصفي في نكت الهميان: ولم يمرّ (أي العباس) بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجّلا: إجلالاً له، وبارك الله في نسله.

قال الجهنشيارى في كتاب الوزراء: أحصى ولد العباس في سنة مئتين فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً (٣٣٠٠٠).

وتوفي (ﷺ) بالمدينة ودُفن في البقيع، وله عشرة أولاد ذكور، سوى الإناث، منهم حبر الإسلام عبد الله بن عباس.

الحسن بن علي

ولد سنة ٣ وتوفي سنة ٥٠ هـ

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب: خامس الخلفاء (الآتي ذكرهم) وآخرهم، أمّه السيدة فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وهو أكبر أولادها وأولهم، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها، وكان عاقلاً حليماً وقوراً محباً للخير حسن الخلق والخلق، لما استشهد أبوه علي (وستأتي في ترجمته) عمد أهل العراق إليه فبايعوه على الخلافة سنة ٤٠ هـ، وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأتاهم وزحف بمن معه، [وعرف] خبره معاوية فسار من الشام إليه، فلما تقارب الجيشان في موضع يقال له مسكن بناحية من الأنبار، علم الحسن أن هاتين الطائفتين لا تغلب إحداهما الأخرى، إلا بفناء عدد عظيم منها، فعظم عليه

الأمر، وهاله نشوب القتال بين المسلمين؛ فمال إلى السلم، وكتب إلى معاوية يتنازل له عن الخلافة لقاء شروط يشترطها، فسرَّ معاوية وصالحه وخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية في بيت المقدس تورعاً وحسماً للشر، وسمي عام ذلك وهو سنة ٤١ هـ «عام الجماعة» لاجتماع كلمة الإسلام فيه واتفاقهما على حقن الدماء بعد تلك الحروب والفتن بين علي ومعاوية، ثم قصد معاوية الكوفة ورحل الحسن إلى المدينة؛ فأقام بها حتى توفي مسموماً في قول بعضهم. ودفن بالبقيع عليه الرحمة والرضوان، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام، وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة. هذا ما يتعلق بسيرته.

وأما فصاحته وبداهته فكان معاوية يوصي حاشيته باجتناّب محاوره رجلين هما: الحسن وعبد الله بن عباس؛ لقوة بداهتهما.

قال البيهقي: قدم الحسنُ عليَّ معاوية وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديدُ قومه ووجوه اليمن والشام، فأجلسه معاوية على سريره إكراماً له فحسده مروان فقال: يا حسن، لولا حلم أمير المؤمنين ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت له مستوجبٌ بقودك الجماهير فلما أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة وبعثت تطلب الأمان، أما والله لولا ذلك لأريق دمك ولعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى، فاحمد الله إذا ابتلاك بمعاوية فعفا عنك بحلمه، ثم صنع بك ما ترى.. فنظر إليه الحسن. وقال: ويحك يا مروان! لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخازلة عند مخالطتها، نحن! هيلتك الهوابل، لنا الحجج البوالغ والنعم السوابغ تفخر بيني أمية وتزعم أنهم صبر في الحروب أسد عند اللقاء؟ ثكلتك أمك! أولئك البهاليل السادة، والحماة الذادة، والكرام القادة، بنو عبد المطلب. أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ما هالتهم الأهوال ولم يحيدوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت

هاربًا وأُخذتَ أسيرًا فقلدتَ قومك العار، أيراقُ دمي زعمتَ؟ أفلا أُرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يُذبح الجمل، وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والشور كالأمّة اللكّماء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلتَ عند بسهم؟ لقد ارتعدتَ فرائصك وغشيَ بصرُك فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربه فأنجيتك من القتل ومنعتك منه، ثم تحثُّ معاويةً على قتلي؟ ألا ولو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفان!.. أنتَ معه أقصر يدًا وأضيق باعًا وأجبن قلبًا من أن تجسُرًا على ذلك، ثم تزعم أني ابتليتُ بحلم معاوية؟ أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لما ولّيناه من هذا الأمر، فمتى بدا له فلا يُفْضينَ جفنه على القذئ معك، فوالله لأُعَقِّبَنَّ أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها ويستأصل فرسانها، ثم لا ينفعك عند ذلك الهرب والروغان ولا يردُّ عنك الطلب تدريجُك الكلام. انطق إن كنتَ صادقًا!.. فانتصر عمرو ومعاوية للحسن وشتما مروان فانصرف مغضبًا مفحّمًا..

وسأله أبوه عليّ (عليه السلام) ليمتحن بداهته: يا بُنَيَّ ما السداد؟ قال: دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشرة والاحتمال للجريرة. قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء ماله وبذله عرضه. قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعز الناس، قال: فما الجبن؟ قال: الجراءة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها. قال: فما الذل؟ قال: الفرع عند الصدمة. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في العزم وتعفو في الجرم. اهـ.

وتجد ترجمته بأطول مما هنا في تاريخ الشام لابن عساكر، وإسعاف الراغبين للصبان وأمثالهما من كتب التاريخ والسِّير والأخبار.

وكان آخر كلامه (عليه السلام) لأخيه الحسين وهو يجود بنفسه: «يا أخي أوصيك أن لا تطلب الخلافة؛ فإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة؛ فإياك أن يستخفك سفهاء الكوفة ويخرجوك فتندم من حيث لا ينفعك الندم».

والحسن (عليه الرضوان) ثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وذلك أن السادة الإمامية، وهم فرقة من فرق المسلمين تقول بإمامة علي (عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله) (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني)، يذهبون إلى أن إمامة المسلمين يتوارثها أبناء علي عنه، وهم مختلفون في أسماء بعضهم ولكنهم متفقون على عدوهم، وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، والأشهر في تسميتهم أنهم: الإمام علي، والحسن، والحسين، وزين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، والهادي، والعسكري، والمهدي (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولكل من هؤلاء الأئمة شأن معروف ومكان محفوظ، وأنا آتٍ على تراجمهم فيما يلي إن شاء الله.

وأما الإمام الأول علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فسيذكر في فصل الخلفاء الراشدين.

الحسين بن علي

ولد سنة ٤ وتوفي سنة ٦١ هـ

السيد الشهيد أبو عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولد في المدينة المنورة، ونشأ بين عظماء المسلمين وعقلائهم: أديباً عاقلاً مفكراً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وهو صاحب الفاجعة التي أدمت القلوب وقرّحت الأجفان، وأنست الناس أحزانهم، وأبقت في قلوب بني هاشم ومن شايعهم ضغينة لبني أمية لا تنسى أبد الدهر وحسبك أنها ما زالت تغلي في الصدور حتى ضربوا آل أمية ومروان تلك الضربة القاضية فمحووا دولتهم وأزالوا صولتهم حتى لم يبق منهم في بلاد المشرق ديار.

وخلاصة الحادثة أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان وولي الخلافة ابنه يزيد تخلف الحسين عن مبايعته ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه وافقوه على رأيه فأقام بمكة أشهرًا؛ فبلغ أهل الكوفة ذلك، وكان لأبيه علي وأخيه الحسن فيها نُصراء وأعوان فكتبوا إليه كتابًا يطلبون به حضوره ليبايعوه على الخلافة ويذكرون له أنهم في جيش منتهين للوثوب فوعدهم بالمسير إليهم، ثم نصحه جماعة من عتلاء قومه أن لا يذهب فأصرَّ علي ما ارتأى، وخرج في أسرته ومواليه ورجاله، وهم نحو الثمانين، قاصدًا الكوفة، وبلغ يزيد بن معاوية خبره فأرسل إليه جيشًا اعترضه في كربلاء، وبعد قتال عنيف نشب بين الفريقين أصيب الحسين بجراح شديدة فسقط عن فرسه فقتلوه. قيل: قاتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمر ابن ذي الجوشن، وأرسل رأسه ونساؤه وذرائه إلى يزيد بن معاوية في الشام، فأظهر يزيد حزنه عليه، ولكن ما ينفع الحزن وقد سبق السيف العذل، ونفذ القضاء والقدر.

واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس الحسين فيه فقاتل في الشام، وقائل بل دفن مع الجثة في كربلاء، وقائل غير ذلك مما أدَّى إلى تعدد مراقده وضياع ضريحه الحقيقي بينها.

وكان مقتله، سقاه الله شأبيب رضوانه، يوم الجمعة عاشر محرم، ولا يزال هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين، اللهم إلا جماعة من جهلة أهل السنة يتباركون به لثبوت صيام النبي المكرم في يوم عاشوراء، وفي طائفة الشيعة أيضًا رجال يتجاوزون حد الحزن يقيمون له المآتم ويضربون أنفسهم بالسلاح وبعضهم يمثلون حادث مقتله، كما تمثل الحوادث التاريخية والخيالية على مسارح النوادي، وعقلاء الطائفتين غير راضين عما يفعله هؤلاء الجماعات منهم، أصلحنا الله!

أما خروج الحسين يريد الكوفة بنسائه وأطفاله؛ فقد فسَّره الفيلسوف الألماني

«ماريين» في كتاب له سماه «السياسة الإسلامية» بما لا أرى مناصاً من التفكير فيه. قال «ماريين»: «مات الرجلان العظيمان علي ومعاوية وتركوا في الصدور أضغاناً وجاء ولداهما: الحسين بن علي، ويزيد بن معاوية، والأول طامح، والثاني يراقبه ولا يستطيع البطش به. أما الحسين فلا أعلم في أصحاب الديانات من اختار سياسته المؤثرة؛ فإنه لما وجد قوته وقوة قومه ضعيفة بجانب قوى يزيد فكر في عمل كبير صرّح به لقومه، وهو أنه يريد المسير إلى الموت.. وعلى أثر ذلك جمع نساءه وأطفاله وخرج من المدينة فلاحق به عدد من أقربائه وأصدقائه.. ليس اختياره أخذ أطفاله إلا لحكمة كان يعلمها ويسعى إليها. أيقن أنه لا بد ليزيد من قتله فأراد أن تكون المصيبة عامة، فاستصحب صغاره وهو معتقد أن يزيد سيفتك بهم جميعاً، راقه ذلك لأنه علم أن الثورة الهاشمية لا يثيرها على بني أمية إلا دافع مؤثر يشب بالأمة الإسلامية جمعاء وثبة الحزن والإشفاق، وثبة التألم والغضب، وهي الأمنية التي كان يسعى إليها الحسين بأخذ أطفاله وصغاره، ولذلك كان؛ فإنها لم تقع الواقعة حتى نفرت من يزيد قلوب أخصائه، وما بلغت سبايا الحسين مدينة دمشق حتى تهبأت الثورة على يزيد، وما هي إلا أعوام قلائل تركت آل يزيد طعماً للسيوف وشيدت على أثرها دعائم الخلافة الهاشمية العباسية.. لم يذكر لنا التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه، في مهاوي الهلاك والفناء، إحياءً لدولة سُلبت منه إلا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع، ويقلقل أركان سلطانهم».

واستطرد الباحث إلى الكلام على الشيعة مما لا دخل له في بحثنا، وقد نُقلت بعض مباحث كتابه إلى الفارسية والعربية، وكان لما فُكّر به مناصرون ومؤيدون، وهو رأي حسن على علته؛ فإن الحسين إنما قصد الكوفة وهو واثق بنصرة أهلها، وأخذ أطفاله ونساءه للسكنى بها، ولئن صحَّ تفكير الحسين بذلك ليكونَ دليلاً ثابتاً على ما كان يوصف به من سعة العقل وجودة الروية.

ولنختم ترجمته بشيء من كلامه العذب.

قال أكثر مترجميه: خطب الحسين بن علي يومًا فقال:

«يا أيها الناس! نافسوا في المكارم، وسارعوا إلى المغانم، ولا تحسبوا المعروف لم تعجلوه، واكتسبوا الحمد بالنجح، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا، واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم، واعلموا أن المعروف يُكسب حمدًا ويُكسب أجرًا؛ فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسنًا جميلًا يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللوم رأيتموه سمجًا مشوّهًا تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار. أيها الناس: من جاد ساد، ومن بخل ذلّ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفا عند قدرته، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها فروعها تنمو، من أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين».

ومن كلامه: الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الشوق ريبة.

زين العابدين بن الحسين

ولد سنة ٢٨ وتوفي سنة ٩٤ هـ

أبو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من يُضرب بهم المثل في الحلم والورع.

ولد بالمدينة ونشأ بها ففاق أهلها تقىً وصلاًحاً، وكان من العلم والكرم على جانب عظيم؛ فأما حلمه فله فيه حكايات عجيبة، خرج يوماً من المسجد فلقبه رجل فسبه وبalg وأفرط فبادر إليه العبيد والموالي، فكفهم وأقبل عليه، وقال: ما سُير عنك من أمرنا أكثر! ألك حاجة نُعينك عليها؟ فاستحى الرجل وتنحى فأمر له بخمسة آلاف درهم.

ولقيه آخر فقال منه، فقال: يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي بما قلت، وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول! ألك حاجة؟ فخجل الرجل.

وأما ورعه وتقاه: قال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه.

وكان كثير الصلاة منهمكاً في العبادة فلُقِّبَ زين العابدين، وقُرَّب إليه الماء ليلة ليتوضأ فوضع يده في الإناء ليبدأ، ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكوكب فجعل يتفكر في خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده في الإناء لا يفتكر بها.

وأما كرمه فقال ابن عائشة: سمعت بعض أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين.

وقال محمد بن إسحق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وماكلهم؛ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم، ولما مات أحصي من كان يقوتهم فإذا هم نحو مئة بيت.

ونقل كثير من المصنفين أن القصيدة التي مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

قيلت في مدح زين العابدين، وأن قائلها الفرزدق ارتجلها ارتجالاً في البيت الحرام، ولها قصة معروفة في كتب الأخبار، والقصيدة في طبقة عالية من الشعر، ونسبها أبو تمام في أشعار الحماسة للحزين الليثي قال: وقيل: إنها للفرزدق.

ومن كلام زين العابدين: كان إذا بلغه أن أحداً ذكره بسوء يقول: اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له، وكان يقول: فقد الأحبة غربة.

ومات في المدينة المنورة فدفن في البقيع.

الباقر بن زين العابدين

ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٧ هـ

الإمام أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين: (عليه السلام): هو خامس الأئمة الاثني عشر، وكان ناسكاً عابداً، وله في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال: سأله العلاء بن عمرو بن عبيد عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٢٠)، ما معنى هذا الرتق والفتق؟ فقال أبو جعفر: كانت السماء رتقاً لا تُنزل مطراً، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات، وهذا رأي حسن في تفسير الآية لموافقة درجة علم العرب في عصر نزول القرآن الكريم.

وأما سبب تلقيبه بالباقر فلم يذكره غير وجه واحد مُتمحّل وهو أنه مشتق من مادة بَقَرَ. قالوا: لأنه بقر العلم أي شقه فعرّف أصله وخفيه.

ومن كلامه: بشس الأخ يراعيك غنياً ويقطعك فقيراً.

وقال: ليس في الدنيا شيء أعون من الإحسان إلى الإخوان.

وقال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر.

وقال: سلاح اللثام قبيح الكلام.

وقال: لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً.

وقال: شيعتنا من أطاع الله.

وقال: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك.

وتوفي بالمدينة ودفن بقبة العباس في البقيع (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

جعفر الصادق

ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٨ هـ

أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين (عليهم رضوان الله): هو سادس الأئمة الاثني عشر، وكان من أجلاء التابعين، وله منزلة في العلم معروفة وأخذ عنه جماعة من أئمة المسلمين كأبي حنيفة ومالك وابن جريج والسجستاني، وأشهر من ينتسب إليه من القارئين عليه جابر بن حيان الكيميائي العلّامة المشهور.

قال ابن خلكان: وألف جابر كتابًا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة.

والشيعة تذكر أن لجعفر كتابًا يدعونه «الجفر» ذكر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة، وهذا الوصف باطل.

ولُقّب جعفر (رَبِّهِ) بالصادق؛ لأنه لم يُعرف له كذب قط.

ومن كلامه: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره.

- أربعة أشياء القليل منها كثير: النار والعداوة والفقر والمرض.

- صحبة عشرين يومًا قرابة.

- من لم يستح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخشى علي بظهر الغيب فلا خير فيه.

- إياكم وملاحاة الشعراء؛ فإنهم يضمنون بالمدح ويجودون بالهجاء.

- من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه.

ودخل عليه بعض شيعته فرآه يوصي ولده موسى بوصية حفظ منها قوله: «يا

بني! اقبل وصيتي واحفظ مقالتي؛ فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا وتمت حميدًا، يا

بني! إن من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدَّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتَّهم ربه في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره، يا بني! من سلَّ سيف البغي قُتِلَ به، ومن كشف حجاب غيره انكشف ستره، من داخل السفهاء حُتِرَ، ومن خالط العلماء وُقِرَّ، ومن دخل مداخل السوء اتَّهم، يا بني! قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني! إذا زرت فُزِرَ الأخيار ولا تُزِرَ الأشرار؛ فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها».

وكان جريئاً قويَّ البديهة: يُذكر أنه كان عند المنصور فِرَقَت ذبابة على وجهه فذَبَّها فعادت حتى اضجرتة فالتفت إلى جعفر فقال له: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب؟ قال: لِيُذِلَّ به الجبابرة! فسكت المنصور.

توفي صاحب الترجمة في المدينة، ودُفِن في البقيع في قبر أبيه.

موسى الكاظم

ولد سنة ١٢٨ وتوفي سنة ١٨٣ هـ

الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن الباقر (عليهم رضوان الله): سابع الأئمة، وأحد سادات بني هاشم، ومن أعلام أهل البيت، ولد بالأبواء، وسكن المدينة المنورة، وكان أعبد أهل زمانه، ومن كبار علمائهم وأسخيائهم، هذا حذو جده زين العابدين في تفقد الفقراء ليلاً والناس نيام، وقيل فيه ما قيل بجده من أنه كان يحمل النفقات إلى منازل الفقراء في المدينة فلا يعرفون من أين أتت حتى مات فانقطعت، فعرفوه.

وكانت له سيادة ورياسة معروفة فوشى به بعض أعدائه إلى الرشيد العباسي، وقالوا له: إن الأموال تُحمل لموسى من جميع الجهات والزكاة والأخماس،

وها هو قد اشترى ضيعة سماها السيرية بثلاثة آلاف دينار، وحج الرشيد في تلك السنة وفي نفسه شيء منه فبدأ بالمدينة فدخلها فاستقبله موسى الكاظم في جماعة من الأشراف، ثم خلا به الرشيد فقال له: أنت الذي يبايعك الناس سرًا؟ قال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم، ثم اتفق اجتماعهما عند القبر الشريف؛ فقال الرشيد: سلامٌ عليك يا بنَ عمِّ. وقال موسى: السلام عليك يا أبت، فلم يحتملها الرشيد فحمله إلى البصرة وأمرَ واليها عيسى بن جعفر بن منصور أن يحبسه عنده فحبسه سنة، فكتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه، فاستعفاه عيسى من ذلك ورجاه أن يكون قتله على غير يده؛ فأرسل إلى السندي بن شاهك في بغداد يأمره بتسلُّمه وقتله، فجعل له سَمًا في طعام قدَّمه إليه، فأقام متوعكًا ثلاثة أيام ومات. ودفن في مقابر قریش بباب التين في بغداد.

ومن إنشائه رسالة بعث بها إلى الرشيد من السجن يقول فيها: «إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك في الرخاء حتى نمضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء هنالك يخسر المبطلون». ولُقِّبَ الكاظم لحلمه، وكظمه لغيظه، وأخباره شهيرة.

عليّ الرضى

ولد سنة ١٥٣ هـ وتوفي سنة ٢٩٣ هـ

أبو الحسن عليّ الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق: ثامن الأئمة عند الإمامية: ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، وهو الذي يذكر أصحاب التواريخ والسير أن المأمون العباسي عهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغَيَّرَ من أجله الزيَّ العباسي الذي هو السواد فاستعاض عنه بالأخضر؛ لأنه كان شعار أهل البيت، فثار العراق من ذلك النبا وقام أهل بغداد فخلعوا المأمون، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي فرحل إليهم المأمون بجيشه فاستخفى إبراهيم، ثم استسلم فعفا عنه المأمون، ومات

عليّ الرضى في حياة المأمون فلم تتم له الخلافة، وعاد إلى السواد فاستألف القلوب ورضي الناس عنه.

وكان السيد عليّ الرضى أسود اللون؛ لأن أمه كانت سوداء، وولد بالمدينة، وكان موصوفاً بطيب النفس وكرم الأخلاق والجود.

حكى القرماني في تاريخه أنه دخل يوماً الحمام فبينما هو في مكان منه إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال له: صُبَّ على رأسي يا أسود! فنهض عليّ وأخذ يصب على رأس الجندي حتى دخل رجل عرقه فصاح: ويلك يا جندي هلكت! أتستخدم ابن بنت رسول الله؟ فانقلب الجندي يقبل قدميه ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك؟ فقال: إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه!

ورآه أبو نواس ذات يوم وهو خارج من حضرة المأمون عليّ بغلة فارحة، فدنا منه وسلم وقال: يا ابن رسول الله (ﷺ)، قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني، قال: قل. فأنشأ أبو نواس يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم	تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا
من لم يكن علويًا حين تنسبه	فما له في قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم	علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال: قد جئنا بأبيات ما سبقك إليها أحد، ما معك يا غلام؟ قال: ثلاث مئة دينار، قال: ادفعها إليه، وبعد أن افترقا ووصل عليّ إلى منزله. قال: لعله يستقلها: يا غلام سقِ إليه البغلة.

وكان دُعبل الخزاعي شاعر أهل البيت وله في عليّ وأبيه مدائح كثيرة.

توفي (رَمَضَانُ) بمدينة طوس ودفنه المأمون بجانب قبر أبيه الرشيد، وفي سبائك الذهب أن وفاته كانت سنة ٢٣٠هـ، والصحيح ما ذكرته واعتمده ابن خلكان وأكثر المؤرخين؛ لأنهم جميعاً [اتفقوا] على أنه توفي في حياة المأمون المتوفى سنة ٢١٨هـ.

محمد الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ

أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضّى بن موسى الكاظم، وبقية النسب معروفة: وهو تاسع الأئمة، كان كبير القدر، رفيع الذكر كأسلافه كرام أهل البيت ولد في المدينة، ثم انتقل مع والده الرضّى إلى بغداد، ولما توفي أبوه كان صغيراً فاجتاز به المأمون يوماً فعرفه وأخذه معه وأحسن إليه وقربه، وكان على صغر سنه ذكي الفؤاد طلق اللسان تلوح عليه أمارات النجابة؛ فعني به المأمون وبالع في الإحسان إليه، ثم أراد أن يزوجه بابنته أم الفضل فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه فأظهر المأمون ميله إليه وحبه بفضله وعلمه على حداثة سنه فنازعوه باتصافه بصفة العلم واستصغروه فأرسل إلى يحيى بن أكثم وأمره أن يمتحن محمداً فلما حضر أمر له بفرش حسن فجلس عليه ثم سأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وسرّ الخليفة فقال: أحسنت يا أبا جعفر، ثم التفت إلى من حضر فقال: الحمد لله على ما منّ به عليّ من السداد في الأمر والتوفيق في الرأي، وأقبل على أبي جعفر فقال له: إني مزوجك ابنتي أم الفضل وإن رُغمت لذلك أنوف قوم! فاخطب لنفسك فقد رضى لك نفسي وابنتي، فقال أبو جعفر:

الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته، أما بعد؛ فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)، ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت

رسول الله (ﷺ) وهو خمسمائة درهم جياذ، فهل زوّجتي يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق؟ فقال المأمون: زوجتك ابنتي أمّ الفضل على هذا الصداق المذكور، فقال أبو جعفر: قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق المذكور، ثم أمر المأمون بأنواع الطيب فتطيب الحاضرون ودعى بالحلواء فمدت موائدها وأكلوا وفرقت عليهم الجوائز وأخرجت الأموال للفقراء والمساكين، وبعد ذلك تم الزواج.

وأقام أبو جعفر محمد عند المأمون معظماً مكرماً حتى عزم على التوجه بزوجه أم الفضل إلى المدينة المنورة فلبث حتى مات المأمون وآلت الخلافة العباسية إلى المعتصم فكتب إليه يستقدمه إلى بغداد ومعه زوجته فحضر، وذلك سنة ٢٢٠هـ، ومرض فمات ببغداد شاباً (رضوان الله عليه) ودفن في مقابر قريش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم، وعادت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم.

ويقال: إنه مات مسموماً كما يقال في أكثر الأئمة المذكورين، وخلف أربعة أولاد صبيان وبنات.

ومن كلامه: ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرّض تلك النعمة للزوال.

- أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأن ثم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه.

- من أجل إنساناً هابه، دون جهل شيئاً عابه.

- والفرصة خلصة، من كثر همّه سقم جسمه.

- عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، من استغنى بالله افتقر الناس إليه.

- الجمال في اللسان، والكمال في العقل، العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، وخفض الجناح زينة العلم، العامل بالظلم والمُعِين عليه والراضي به شركاء.

- العلماء غرباء «لكثرة الجهال بينهم» - أخذه أبو العلاء فقال:

أولوا الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء

ومن كلام أبي جعفر: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت، لو سكت الجاهل ما اختلف الناس، الرأي مع الأناة، من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

علي الهادي

ولد سنة ٢١٤ وتوفي سنة ٢٥٤ هـ

أبو الحسن العسكري عليّ الهادي بن محمد الجواد بن عليّ الرضى: عاشُرُ الأئمة الاثنى عشر: كان معروفًا بالتقى والصلاح، ولد في المدينة المنورة وبها نشأ؛ فلما بلغ سن الشباب وأصبح في منزلة يُنظر بها إليه تواترت الوشائيات به على المتوكل العباسي الخليفة في بغداد فأرسل إليه فاستقدمه من المدينة وأنزله في سُرمِ رَأْي (سامراء) وكانت تسمى «مدينة العسكر»؛ لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فُسِّيت إلى العسكر، ولذلك لُقِّب أبو الحسن عليّ المترجم [له] بالعسكري، فأقام بها، فسعى بعض أعدائه إلى المتوكل وأخبروه أن في منزل عليّ سلاحًا وكتبًا وغيرها من شيعة وأوهموه أنه يطلب الإمرة لنفسه فوجّه إليه عددًا من جند الأتراك ليلاً فهجموا عليه وهو في منزله على الأرض وعليه مدرّعة من الشعر وعليّ رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبلُ القبلة يترنم بآيات

من القرآن لا يفصل بينه وبين الأرض فاصل إلا الرمال والحصي، فأخذوه إلى المتوكل ووصفوا له حالته وكان المتوكل جالسًا يستعمل الشراب فأجلسه إلى جانبه وعرض عليه كأسًا فاعتذر بأنه لم يذقها فعافاه منها، ثم قال: أنشد في شعرًا أستحسنه فقال: إني لقليل الرواية للشعر قال: لا بد أن تنشدي، فأنشده:

باتوا على قُلل الأجيال تحرُّسهم	غلب الرجال فما أغتتهم القُللُ
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم	فأودعوا حُفْرًا يا بش ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	أين الأسرَّةُ والتيجان والحُللُ
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تُضربُ والاستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم:	تلك الوجوه عليها الدود يقتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فهاجت الأبيات إشفاق المتوكل فبكى وأمر برفع الشراب، ثم قال: يا أبا الحسن عليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرَّمًا.. أقول: هذه الأبيات التي أنشدها صاحب الترجمة نقلتها وقصتها عن وفيات الأعيان.

وحكى مؤلف سراج الملوك أنها مترجمة عن كتابة بالجميرية قديمة قبل الإسلام كانت منقوشة على بعض قصور ملوك حمير؛ وعبارته: قال وهب بن منبه: أصبْتُ على غُمْدان وهو قصر سيف بن ذي يَزَن بأرض صنعاء اليمن، وكان من الملوك الأجلَّة مكتوبًا بالقلم المُسند مترجمًا بالعربية، وإذا هي هذه الأبيات، وفي الكثر المدفون جاءت الأبيات أكثر مما تقدم بزيادة الأبيات الآتية في أولها:

انظر لما ذا ترى يا أيها الرجل	وكن على حذر من قبلٍ تنتقلُ
وقدَّم الزاد من خير تُسرُّبه	فكلُّ ساكن دار سوف يرتحلُ

وانظر إلى معشر باتوا على دعة فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا مالا فلم يُغنهم لما انقضى الأجل
باتوا على قلل الأجمال... إلخ.. قال صاحبه: ووجد مكتوباً على قصر
غمدان أيضاً هذه الأبيات:
من كان لا يطأ التراب برجله وطىء التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بغاية البعد
لو بعثر الناس الثرى ورأوهم لم يعرفوا المولى من العبد!
وتوفي الإمام علي الهادي (عليه الرحمة والرضى) بمدينة سامراء فدفن في
بيته وخلف ثلاثة أبناء وابنة.

الحسن الخالص

ولد سنة ٢٣٢هـ وتوفي سنة ٢٦٠هـ

أبو محمد الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد: حادي عشر
الأئمة عند طائفة الإمامية، ولد في المدينة المنورة وانتقل مع أبيه الهادي إلى
سامراء (أو سُرَّ من رأى أو سُرَّ من راء أو مدينة العسكر = كلها أسماء بلدة واحدة
في العراق)، وولي الإمامة بعد وفاة أبيه، وكان على سنن سلفه الصالح في التقى
والنسك والعبادة يجله الناس ويحترمونه، قال صاحب الفصول المهمة: لما ذاع
خبر وفاة الحسن ارتجت سُرَّ من رأى، وقامت صيحة واحدة وعُظلت الأسواق
وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والمعدّلون
وسائر الناس إلى جنازته وصلى عليه أبو عيسى ابن المتوكل بأمر الخليفة، ودفن
في البيت الذي دفن فيه أبوه وخلف محمداً الآتي ذكره.

وأصحاب القصص والأخبار ينقلون عنه وعن تقدمه من أهل البيت (رضوان الله عليهم) كرامات وحكايات كثيرة أضربت عن ذكرها لأنني لا أقول بها ولا سيما وجلتها مملوءة بالأوهام التي لا يتحصل منها للقارئ ما يفيده وأما التاريخ فأضيق صدرًا من أن يتسع لهاتيك الأخبار والأقاصيص، وهو إنما يُكرّم الرجال الذين شرفوا بأعمالهم وسَمَوْا بأنفسهم وما أجدر أولئك بالإجلال والإعظام إذا هم جمعوا بين التالد والطارف والنسب والمكتسب ذلكم خيرة الخلق وصفوة البشر.

محمد المهدي

ولد سنة ٢٥٥ وتوفي سنة ٢٦٥ هـ

أبو القاسم محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي: آخر الأئمة الاثني عشر فيما تعتقده الإمامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظر والحجة، والذي يُحقّقه المؤرخون الثقات أنه ولد بسامراء، ومات أبوه وعمره خمس سنين، ولما بلغ التاسعة أو العاشرة؛ فَقَدْ فلم يُعرف له أثر. هذا ما عُرِفَ من خبره.

أما الشيعة فيروون أنه دخل سردابًا كان في دار أبيه، ثم لم يخرج منه، وهم ينتظرون خروجه ويأتون بالأدلة الثابتة عندهم على أنه حيٌّ يُرْزَق وأنه سيعود إلى هذا الوجود فيملأ الأرض رحمةً وعدلاً وسلامًا، وهناك أقوال وآراء لا يدخل إيرادها والمناقشة بها في بحث هذا الكتاب وحسبي منها الإشارة إليها.

وأمر خروج المهدي المنتظر لا خلاف فيه عند الشيعة ولكن بعضهم يرى أنه غير صاحب هذه الترجمة ويؤكد أنه محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب والقول الأول هو الشائع الذائع عندهم.

قال ابن بطوطة الرحالة في حديث رحلته ما لفظه: ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابها ستر

حرير يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب مئة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مُسَرَّجة مُلجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون: اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل، ويقفون إلى الليل ثم يعودون، كذلك دأبهم أبداً.

وأما أهل السنة فأكثرهم على اعتقاد ظهور رجل من نسل النبي (ﷺ) تصلح به الأرض بعد فسادها وتزهو بعد اكمدادها، وفيهم من يأخذ بالحديث الشريف: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إرباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم»، وفيهم من يتكلم في هذا الحديث، وهذا بحث يطول فاطلبه إن شئت فيما ألف له خاصة من الأسفار والتصانيف أو في المصنفات الكبيرة مما له علاقة بأمر المهدي وظهوره ومن هو.

وتأمل فيمن ظهر في الإسلام حتى اليوم يدّعي أنه ذلك الرجل المصلح الإلهي وما أحسبنا معاشر المسلمين إلا ونبينا الأعظم (صلوات الله عليه) قد أغلق الله به باب التنبؤ وكفى الناس ظهور نبي جديد في كل جيل وقبيل: فأبينا نحن إلا أن نوجد تلك الشئشنة حية خالدة، لكن حَرَفْنَا الاسم وبدَّلْنَا مادَّة التنبؤ بمادة الهدى فكان القائم لإصلاح البشر قبل خاتم الأنبياء يدعوهم الناس نبياً ورسولاً فجئنا نحن ندعوه مَهْدِيّاً ومنتظراً، أقلق أبناء القرون الأولى والأجيال الخالية قيام كَذَبَة دجالين تسربلوا رداء النبوة وظهروا بمظهر الرُّسل فأسكت الله تلك النامة بآخر أنبيائه، ومَهَّدْنَا نحن السبيل لمن نحا ذلك النحو وانتهج ذاك النهج فأوجدنا له سربالاً من سرايل الدعوة إلى الله والهداية إليه فعادوا يعاودون الكرة ويبرزون في هذه الأجيال المرة بعد المرة، ذلك بما جَنَّتْ أيدينا واقترفت أنفسنا فلا حول ولا قوة إلا بالله مرشد خليفته، إلى طريقته، ومُلْهِم كل قلب ما يشتغل به عما سواه.

كتاب الملوك والأمراء

بيان

أمضينا الكلام في المطلب الأول من مطالب الكتاب على ما يتعلق بالنسب النبوي الطاهر والسادة من أهل البيت الكرام، وهانذا أفتح الباب الثاني منه وفيه الكلام على الملوك والأمراء والخلفاء والوزراء جاهليتهم وإسلاميتهم، متقدميهم ومتأخريهم، ورتبته على فصول أربعة:

الأول: في ملوك الجاهليين كحمير وسيف وتبع وجذيمة، وأمرائهم كقيس ابن زهير وزهير بن جناب.

والثاني: في خلفاء الراشدين الأربعة وأولهم أبو بكر.

والثالث: في صدور الخلفاء وأعيان الملوك بعد الجاهلية وفيه أشهر ملوك بني أمية ومروان وآل عباس وغيرهم.

والرابع: وهو فصل الأمراء والوزراء في الإسلام كالبرامكة وأضرابهم^(١).

وإنما أنا متوخ أولئك الرجال الذين بنوا مجدهم بسواعدهم وقلوبهم غير المتكلمين على آبائهم وجدودهم، وهذا الباب من أجل أبواب الكتاب لاشتماله على أخبار الجاهليين في باديتهم والإسلاميين في حاضرتهم، وترى فيه نبذا كثيرة عن المدنية العباسية في العراق والحضارة الأموية في الأندلس مما يعرض في خلال تراجم أصحابها.

والله الموفق للخير والمرشد للصواب.

(١) توقف الزركلي فلم يذكرهم في الكتاب.

ملوك الجاهلية وأمرؤها

(كلمة)

جاهلية العرب لم تزل أمراً غامضاً مستور الحقيقة في مدتها وأسماء ملوكها وأخبار قبائلها وأعمار رجالها، ولا سيما ما سلف منها، وإنما اندفع مؤرخونا المتقدمون بسائق حب الاطلاع فبحثوا ونقبوا فيما وصلت إليه يدهم من أساطير الأولين والآخرين، ولكن كان جل ما أتوا به من الأرقام التاريخية تكهنات وتقديراً ورمياً في الغيب، ولقد قُدِّرَ علينا أن نصنع صنيعهم فلم تكن نتيجة بحثنا غير العلم بأنهم يحققون ما لا يتحققون، ويدعون علم ما لا يعون، وأعظم ما استندوا إليه في أبحاثهم وعولوا عليه في أرقامهم أمران:

الأول: علم الأنساب في الجاهلية، يسلسلون الرجال حتى يبلغوا بهم أبا البشر آدم (عليه السلام) على ما يعترضهم من العقبات وما يضطرون إلى سلوكه من وعر المسالك، وفي هذا ما فيه من التصدي بما لا يُدرك وحسبنا سنداً في الوقوف عن الأخذ بأقوالهم ما صرَّح به النبي القرشي (صلى الله عليه وسلم) وَمِنْ حَوْلِهِ النَّسَابُونَ وَالْإِخْبَارِيُّونَ وَالشُّعْرَاءُ وَدَهَاءُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنُ مِنْ كِرَاهِيَةِ الْإِغْرَاقِ فِي نَسَبِ نَفْسِهِ إِلَى مَا يَتَجَاوَزُ عَدْنَانَ، وقوله عند بلوغه وإرادة اجتيازها: كذب النسابون! فبمثل هذا تسقط عندنا دعوى الوثوق بعلم الأنساب في الجاهلية الأولى، أي ما وراء عدنان، وفي ذلك اختلافنا.

وأما الأمر الثاني: الذي عول عليه مؤرخونا بعد الأنساب فهو التوراة في أنبائها عن بدء الخليقة وأزمان آدم ونوح وغيرهما^(١)، وقد أظهرت الاكتشافات

(١) انظر: سفر التكوين.

الجيولوجية وتنقيب علماء العاديات والآثار ما خالف كثيرًا من أخبار التوراة وأرقامها وأبحاثها.

والتوراة إنما هو كتاب دين يوضح قدرة الله في خلقه الأكوان ويشرح شريعة موسى التي سنّها الله، لا كتاب تاريخ وعلم يبحث عن الحقائق الطبيعية^(١) والعلمية؛ فإنه كثيرًا ما تدخله الشبهة في مباحثه في الطبيعة والتاريخ^(٢). ولا يهولنك دفاع علماء اللاهوت عما جاء به والتماسهم له الوجوه البعيدة؛ فالكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم: إذا تعرضت للبحث الغامض في التاريخ أو العلم الطبيعي توجز فيه ولا تزيده بيانًا عما يعلمه أهل ذلك العصر المرسل إليهم ذلك الكتاب.

فإذا سقطت هاتان الدعوتان: دعوى الأنساب، ودعوى الوثوق بالتوراة، تلاشى ما يقال عن الحكم على الزمن الذي حكم فيه الحموريون مملكة بابل والعراق، والذي كانت فيه قبائل طسم وجديس وعاد وشمود ذوات الذكر والشأن، وداخلنا الشك في عصر القحطانيين حكام البلاد اليمانية والجرهميين وأضرابهم.

واخترنا ترك إرادة التحقيق في ذلك حتى تنبث أيدي الباحثين في أطراف العراق واليمن والحجاز بعناية قوية وغيره على العلم كبيرة؛ فإذا بدت لهم الآثار وانكشفت الأستار زالت الأوهام وقام البتُّ والقطع في الحكم مقام الوهم والتكهن والتقدير.

ولما كان هذا المصنّف مرتبًا على السنين في أكثر أبوابه وفصوله اضطرتت إلى أن أتابع فيه الأقرب إلى الحق واليقين، مما ذهبت إليه جماعة المؤرخين، بينما يظهر ما يثبت أو يُعدّل من عاديات الآثار، وربك يفعل ما يشاء ويختار.

(١) انظر: تفسير الكتاب المقدس المطبوع في مطبعة الأمريكان، ص ٣٣١، و ٣٣٤.

(٢) المرجع السابق.

حموربي

كان في نحو سنة ٢٢٠٠ قبل الهجرة

ما زالت شريعة حموربي ومؤسستها موضع عناية الباحثين وتنقيب المنقبين حتى تضاربت بهما الأقوال واختلفت إلى مغان آثارهما رحال الرجال، والذي اتضح لهم بعد البحث أن مقر الدولة الحمورية كان في القطر العراقي، وأن عاصمتها مدينة بابل: دلّهم على ذلك ما وجدوه من آثارها الماثلة للباحث عنها فيما بين النهرين، حيث ظهرت أنقاض مدرسة صغيرة (في مدينة زيبارا) يرجع عهد بنائها إلى ما يقارب ثلاثة آلاف سنة قبل الهجرة، وعثروا بجوارها على كثير من الآجر المشوي والأحجار المنسطة منقوشة عليها نصوص تاريخية وصكوك وعقود ورسائل وأدعية دينية كتبت بالحروف المسمارية مما استدل منه العلماء الجيولوجيون على أن تلك الدولة يرجع عهد تأسيسها إلى نحو القرن الثاني والثلاثين قبل الهجرة، وهو رأي القائلين بأن حموربي كان معاصرًا لإبراهيم الخليل، وأنه هو المذكور في سفر التكوين من التوراة باسم (امرافل) موحد المملكة البابلية، قاله الأب شيل الدومنيكي، وحبّذ هذا الرأي العلامة الأب انستاس الكرملي قال في لغة العرب: إن الرأي القائل بأن حموربي وامرافل اسمان لمسمى واحد قريب الاحتمال ولو اختلف مبناهما.

وأمرافل: لفظة سنسكريتية من امرابلا Amarapala ومعناها: حامي المخلّدين، وحموربي: آرامية تفيد ما يقارب هذا المعنى وهو رب الأرباب.

ودولة حموربي وإن جزم بعض فضلاء المؤرخين كصاحب (العرب قبل الإسلام) وغيره بأنها عربية الأصل واللسان؛ فإن جلّ علماء الآثار والعاديات ما برحوا في شك من ذلك: فيهم من يقول: إن حموربي عربي لا دولته، وفيهم القائل بأن الأسرة المالكة والدولة معًا كانوا عربًا ينطقون باللسان العربية المتداولة في تلك العصور، وهي تختلف عن لسان عرب اليوم، وتُشبه لغة الآشوريين «سكان

نينوى وما جاورها»، وكانوا معاصريهم ومجاوريهم ويتفقون معهم في كثير من أزيائهم وعاداتهم وطراز بنائهم.

والحموريون إذا ثبتت عربيتهم بما سيكتشفه المنقبون من آثارهم يكونون أول دولة عربية عرّف بها تاريخُ البشر ووصف حضارتها ومدينتها بما أفصحت عنه الأطلال الشاخصة بها، وفي (العرب قبل الإسلام) أن بعض الباحثين ظفر في بلاد السوس (فيما وراء النهر) بمسلة^(١) من الحجر الأسود الصلب قد نُقشت عليها شريعة حموربي مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث في طبقات الأمة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والإرث، وعثر آخرون على كتابات تدل على معرفتهم بفنون الجراحة والطب، وبالجملة؛ فإن الأمة الحمورية وإن ظلمها التاريخ بإغفال ذكرها وإهمال أمرها فسُتظهرها آثارها الخالدة وتُفصح عنها بناياتها وأنقاضها حتى تكون في عداد الدول القديمة المعروفة ذات المكانة الرفيعة والمنزلة السامية والمجد والإعظام.

قحطان

توفي في نحو سنة ٢٦٩٠ قبل الهجرة

سبقت الإشارة إلى صاحب هذه الترجمة في الكلام على عدنان وقلنا بأن الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة، وهو المسمى «العرب المتعربة» يبتدئ بقحطان وأنه وابنه يعرب أخذا العربية عن تقدمهما من قبائل العرب العاربة.

وقحطان هو: ابنُ عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ذلك ما يذكره

(١) المسلة في اصطلاح الأثرين اليوم: أعمدة طويلة مربعة محددة الرأس، والأصل في هذه التسمية شيوعها عند العامة من المصريين في إطلاقهم على بعض الأعمدة القديمة اسم مسلة فرعون. قال ياقوت في المعجم: في البحث عن عين شمس: «وكانت مدينة كبيرة.. وبها آثار قديمة وعواميد تسميها العامة مسال فرعون سودّ طوالاً جداً تبين من بعد كأنها نخيل بلا رؤوس».

علماء الأنساب ويقدمونه على ما عداه، واسم قحطان في التوراة يقطان، وأبوه عابر هو نبي الله هود (عليه السلام)، وكانت إقامة أبيه هود في حضرموت وهو من أشرف قومه ووجوههم وبها توفي وفيها قبره، وأما ابنه قحطان؛ فمولده ومنشأه الأول في حضرموت، ثم انتقل بجماعة من قبيلته وأهله إلى مدينة صنعاء وكانت أرضاً خالية فابتنى بها واقتدى به من جاء معه فمَصَّروها وصيروها مدينة تذكروهم آثارها بعد مَرَّ الألوْف من السنين، وكثرت جماعة المنتقلين إلى صنعاء لما وجدوا بها من الخصب وطيب الهواء فنادوا بقحطان أميراً عليهم (ملكاً) وكان كما قدمنا من أعيان قومه وأبوه ذو الشأن الرفيع بوجاهته بينهم ونُبُوَّتِهِ فيهم، وأحسن قحطان السياسة فأحبوه وكرَّموه، ورأى نفسه في قوة وسلطان فجمع جيشاً وزحف به إلى العراق، وكان قد بلغه أن شداد بن عاد (أحد أمراء العرب العاربة) جاور العراقيين مدة واستولى في نحو سنة ٢٩٢٧ ق.هـ على مدينة بابل قاعدة مملكة الكلدانيين والحموريين.

ولما كانت سنة ٢٦٩٥ ق.هـ، وذلك في أيام قحطان، وثبَّ الملك الآشوري بعلوس على من كان فيها من العرب فطردهم وجعلها عاصمة لمملكته الآشورية، فزحف إليه قحطان بما اجتمع لديه من المقاتلة ونشبت بين الفريقين حرب هائلة طالت أيامها، ومات في أثنائها قحطان سنة ٢٦٩٠ ق.هـ، ثم إن ابنه يعرب عقد الصلح مع بعلوس، وعاد إلى صنعاء مقر مُلكه ومُلِك أبيه من قبله.

أما قحطان فيقال: إنه أول من لبس التاج ولعله لما قدم العراق ورأى حضارة بابل ونيوى في ذلك العهد قلَّد ملوكهم بلبس التاج فكان أول من لبسه من ملوك اليمن وجزيرة العرب، وهو وابنه يعرب أول من نطق باللغة العربية وكانت لغتهم اللغة الكلدانية وهي لسان أهل العراق الأصليين، واستبعد ابن خلدون ما ينقله المؤرخون من أن قحطان أول من تكلم بالعربية، وأنه أتى بها مخترعاً من ذات نفسه، فقال: وقحطان تعلَّم العربية ممن أدركه من العرب العاربة (البائدة).

وولد لقحطان ثلاثة عشر ولدًا، وكثر نسله حتى امتلأت به البلاد اليمنية بعد زمن يسير، وإنما تشعبت القبائل والبطون القحطانية من حفيده سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، فكانت منه بطون حمير وبطون كهلان وانتشرت أبنائهم في الشام والحجاز والعراق واليمن، ومن نسله التابعة ملوك اليمن، واللخميون ملوك الحيرة، والغساسنة ملوك الشام، وفيه يقول الشاعر:

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كابنه رب الفصاحة يعرب

يَعْرَبُ

مات في نحو سنة ٢٦٥٠ قبل الهجرة

يعرب بن قحطان بن عابر: أحد ملوك العرب وحكمائهم وخطبائهم ومن ذوي البسالة والإقدام فيهم ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، واشتد ساعده، وكثر رهطه بعد عودته من قتال الآشوريين في العراق وبابل، فأقام في مقر إمارته سنينًا يُعدُّ عُدَّه ويُنمي عُدَّه، ورأى قوم عاد (الثانية) قد طغوا في اليمن فخاف زحفهم عليه، فجمع جموعه وابتدأهم فحاربهم فحالفه التوفيق والظفر فامتلك البلاد اليمنية، وصفا له الملك بها، ثم حارب العمالقة وكانوا في الحجاز فغلبهم على أمرهم، وولى إخوته الأعمال؛ فجعل جرهمًا على الحجاز، وعاد بن قحطان على الشحر، وحضر موت بن قحطان على جبال الشحر، وعمان بن قحطان على بلاد عُمان.

ويعرب هذا أول من حيَّاه وولده بتحية الملك: أنعم صباحًا! و: أبيت اللعن! وهو وأبيه اللذان نشرَا لغة العرب في البلاد والممالك، وذلك بعد تفرق الألسن وتبليبلها واختلاف الناس في أساليب التعبير عن ضمائرهم وخواطرهم، وبذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أينا فصرتم مُعربين ذوي نَفَرٍ
وكنتم قديمًا ما لكم غيرَ عجمة كلامٍ وكنتم كالبهائم في القفرِ
ويزعم أصحاب الأخبار أن يعرب لما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم
بقوله:

«أي بني! تعلموا العلم واعملوا به، واتركوا الحسد؛ فإنه داعية القطيعة
بينكم، وتجنبوا الشر وأهله؛ فإن الشر لا يجلب عليكم إلا الشر، وأنصفوا الناس
من أنفسكم؛ فإنهم ينصفونكم من أنفسهم، واجتنبوا الكبرياء؛ فإنها تبعد قلوب
الرجال عنكم، وعليكم بالتواضع؛ فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم، وإذا
استشاركم مستشير فأشيروا عليه بما تشيرون به على أنفسكم بمثل ما استشاركم
فيه؛ فإنها أمانة قد ألقاها في أعناقكم».

وملك بعد أبيه ثلاثًا وثلاثين سنة، ومات في صنعاء.

سبأ

مات نحو سنة ٢٥٩٠ قبل الهجرة

عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان: أحد كبار ملوك اليمن ومن
أصحاب الذكر والشأن في تاريخ تلك الأصقاع، ملك صنعاء وما جاورها من
الديار التي أخضعها يعرب لسلطانه، كما قدمنا في ترجمته، وكان موصوفًا
بالشجاعة وعلو النمة وحب الغزو؛ فإنه طمح ببصره إلى القبائل البعيدة عنه
فتصددها وحاربها وأكثر السبي فيها فلما عاد إلى صنعاء أكبرت قبيلته أمره
وأعظمت شأنه وكانت عادة السبي غير مألوفة فسَنَّها عبد شمس.

قال أصحاب التواريخ: ولذلك لُقِّب بسبأ.. ولا يحسن عندي هذا التوجيه.

وكان مولعًا بالعمران وإقامة الأبنية الفخمة، فابتنى مدينة مأرب، وهي

من المدن التي ما زالت آثارها شاخصة إلى هذا الحين وقد عثر بعض علماء الآثار واللاهجين بالبحث والتنقيب من فضلاء الغرب على كثير من الكتابات منقوشة على الحجارة باللسان الحميري استدلوا منها على اسم المدينة ورأوا بعض الأنقاض الآخذة بالاندثار فعرفوا منها حدود المدينة، وفيها سور له بابان أحدهما شرقي والآخر غربي، وفي وسطها آثار هيكل يسميه سكان ذلك القطر الآن هيكل سليمان، وبنى بها السد المعروف بسد مأرب.

قال المسعودي: ومات سبأ قبل أن يستتمه فأتته ملوك حمير بعده.

وفي المؤرخين من ينسب له بناء مدينة عين شمس في إقليم مصر وتعرف اليوم باسم مصر الجديدة، وما أحسبها إلا من بناء الفراعنة كما يفهم من صدر كلام ياقوت الحموي عنها.

وكان موصوفاً بقوة العارضة حتى قال واصفوه: هو أول من خطب في الجاهلية على الجماعة يريدون أنه أول خطيب جاهلي قام في ملا من الناس فحذرهم أو أنذرهم أو وعظهم أو شجّعهم، لم يكن ذلك معروفاً عند من تقدمه من ملوك القبائل وأماؤها.

وعاش بعد موت أبيه خمسا وثلاثين سنة، وأعقب نسلأ حميداً. قال النسابة الكلبي: وُلد لسبأ: حمير وكهلان وصيفي وبشر ونصر وأفلح وزيدان والعود ورهم وعبد الله ونعمان ويشجب وشداد وربيعه ومالك وزيد.

فيقال لبني سبأ كلهم السبثيون إلا حميراً وكهلان؛ فإن القبائل قد تفرقت منهما؛ فإذا سألت الرجل: ممن أنت؟ فقال: سبثي، فليس بحميري ولا كهلاني. اهـ.

وفي كثرة غزواته وفتوحه يقول الشاعر:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
سعى بالجياد الأعوجية والقنا إلى بابل في مقنب بعد مقنب
قال صاحب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: «ويقال: إن سبأ أغار على
بلبل (?)» بالخيل ففتحها وأخذ أتاوتها، وضرب بالخيول والرجال في الأرض؛
فكان لا يذكر له بلد إلا قصده وفتح، وهو أول من فتح البلاد وأخذ أتاوتها.

حمير

مات نحو سنة ٢٥٤٠ قبل الهجرة

الحميريون: ملوك عظام كانت منازلهم في اليمن ودام لهم الملك زمناً طويلاً،
وهم ينتسبون إلى صاحب هذه الترجمة: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان، وكان ملكاً شجاعاً مظفرًا، حكم بعد موت أبيه سبأ، ولم تزل عاصمة
ملكه صنعاء، وغزا وافتتح حاذيًا حذو آبائه في توسيع دائرة ملكهم حتى قيل: إن
غزاته بلغوا الصين.

وحمير: لقبٌ عليه لاختباره الثياب الحمر وكثرة لبسه لها واسمه العرنجج:
وهو مشتق من قولهم: اعرنجج في الأمر: إذا جدَّ فيه، واتخذ من الذهب الوهاج
تاجًا، فكان أول من تتوج بالذهب، وله وقائع مشهورة منها أنه قاتل قبائل ثمود،
وكان مقامها في اليمن ففرَّقها فارتحلت إلى الحجاز.

والدولة الحميرية ذات ذكر وشأن في تاريخ جاهلية العرب، وأصحابُ
الأخبار لا يعولون في مدتها على رأي، ولكنهم يختلفون اختلافًا عهدها بهم في
مثلها فلا غرابة فيه، وضعفت في منتهى أمرها، شأن غيرها من الدول الكبيرة،
فأسست على أنقاضها دولة حبشية أسسها أرياط الحبشي الذي أغار بجيش
كبير من أبناء جلده على آخر الملوك الحميريين ذي نواس، وهو أحد الملوك

اليمنيين المعروفين بالأذواء^(١)، فقاتله وامتلك اليمن سنة ٨٥ ق.هـ. فدام لأرباط الملك وتوارثه عنه بعض أبنائه، والعرب اليمنيون يتحفزون إلى الوثوب بهم، ولكنهم لا يستطيعون لاستئثار الحبشة بالقوة دونهم، حتى نهض فيهم شاب كان من سلالة الأذواء الحميريين واسمه: سيف بن ذي يزن فإنه دهم الأحباس بجيش أتى به من الفُرس؛ على نحو ما سيأتي مفصلاً في ترجمة سيف المذكور؛ فأعاد الملك إلى أهله واستقل به سنة ٢١ ق.هـ.

وللحميريين لغة انفردت بها قبائل اليمن تختلف عن العربية الحجازية بفروق كثيرة في كتابتها وكلماتها، ولها ألفاظ لا يعرفها غير اليمنيين؛ فمما اختصوا من الألفاظ: العباهلة، والأقيال، والأرواع، والمشاييب^(٢)، وغير ذلك مما ورد شيء منه في بعض رسائل النبي (ﷺ) التي بعث بها إليهم، وكان يخاطب كل قبيلة بلهجتها ولغتها، ورسائله محفوظة في أكثر كتب الأدب والتاريخ.

ومما خالفوا فيه غيرهم من قبائل العرب: الوثوب: يعنون بن القعود، وإبدال لام التعريف بالميم، يقولون: طاب أمهواء، وجاء أمشاء، وصفا أمجوا؛ يريدون الهواء والشتاء والجو، ويحفظ عن رسول الله (ﷺ) أن جماعة من الحميريين سألوه عن الصيام في السفر فأجابهم بلغتهم: ليس من أمة أمصيام في أمسفر، يعني: ليس من البر الصيام في السفر.

والعامية في مصر والشام اليوم يقولون: أمبارح «إذا أرادوا» البارحة». ومنها: الوثم، وهو إبدالهم السين تاء، يقولون: ألنات بالنات، يعنون: الناس بالناس.

(١) جمع «ذو» وهم ملوك اليمن الحميريون المبدوءة أسماءهم بذو: منهم: ذو يزن وذو غمدان وذو جدن وذو سلحين وغيرهم.

(٢) العباهلة في لغتهم: الذين استقر ملكهم، والأقيال: جمع: قيل وهو دون الملك الأعلى كالوزير الأكبر (صدر أعظم)، والأرواع: السادات، والمشاييب: الأذكاء.

والشنشنة: وهي إبدالهم الكاف شيئاً: سُمع أحدهم في عرفة، يقول: لبشّ
اللهم لبش، أي: ليك اللهم ليك، وهذه شائعة اليوم في كثير من القرى
والبوادي، ويبدلون الياء جيماً في الإضافة والنسب نحو غلامج (أي غلامي)
وبصرج (أي بصري).

ويقفون على الهاء بالتاء: يقولون: عربيتّ، ولغويتّ، ونجديتّ، وهم
يريدون: عربية، ولغوية، وهذه أيضاً شائعة اليوم في المدارس المسيحية، خاصة
في بلاد الشام، والبحث في هذا الأمر يطول، وعلماء العربية لا يحتجون بكلامهم
في اللغة لمخالطتهم الحبشة والهنود (المزهر: للسيوطي).

وعلماء الآثار اليوم يرون بونا بعيداً بينها وبين العربية الحجازية، وذلك فيما
عثروا عليه من كلامهم، حتى شك بعضهم في أنها فرع من العربية وعدوها لغة
قائمة بنفسها. قال البستاني في دائرة المعارف (ج ٧ ص ٢٤٢): وذهب بعضهم
إلى أن الحميرية تختلف جداً عن العربية، حتى أنه لا يجوز جعلهما معاً، وأول
من بين لأوروبا وجود الكتابة الحميرية في المقاطعات الجنوبية من بلاد العرب
هو العالم نيبور، وذلك سنة ١١٩٠ هـ (١٧٤١ م)، ثم كُشفت عدة كتابات وآثار
في ظفار وصنعاء والخريبة ومأرب وحرم بلقيس وحضرموت، وفي المتحف
الإنكليزي بلوندره نموذج منها منقول على ألواح نحاسية باللغة الحميرية
وُجدت في حضرموت، وجوهرتان عليهما كتابة حميرية جيء بهما من بابل،
واكتشف الباحثان بليفير وكوغلان عدة ألواح برنزية عثرا عليها في القرب من
صنعاء وأهدياها إلى المعرض. قال البستاني: ووُجد حديثاً كتابات كثيرة حتى
صارت تعد بالآلاف.

والأحرف الحميرية اكتشفها موسيو كلدور في أبين (جهة في الشمال الشرقي
من عدن) منقوشة على قطعة من البلاط، والكتابة الحميرية تختلف عن غيرها

من لغات القبائل العربية اختلافاً واضحاً وخطها يعرف بالمُسند وهو قريب في صورته من الخط السرياني والحبشي.

ونقل صاحب المطالع النصرية عن ابن خلكان قوله: والحميرية هي خط أهل اليمن قوم هود وهم عاد الأولى، وكانت كتابتهم تسمى المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم. اهـ.

وعاش حمير خمسين سنة في ملكه بعد أبيه، وولد له خمسة أولاد: مالك، وعامر، وعمرو، وسعد، ووائللة. كذا في المعارف لابن قتيبة.

ومن بطون حمير على ما ذكره القلقشندي في كتاب الأنساب: السكاسك، والشعبيون، وبنو الریان، وقضاة، وبطون قضاة، وبنو عبد شمس.

ومن ملوك حمير: التباة، والأذواء، والأقيال. وعلى ما في تاريخهم وأخبارهم من الغموض تجد في كتب التاريخ الكبيرة كتاريخ ابن خلدون وأشباهه كلاماً كثيراً عنهم، وفيه ما تؤيده الآثار المكتشفة في عصرنا هذا.

تَبَع

مات في نحو سنة ١٠٥٣ ق.هـ

الملك الأكبر من ملوك الدولة الحميرية الثانية في بلاد اليمن، كان يُلقَّب بتَبَع، كما كان الفرس يدعون كل ملك منهم كسرى (معرب خُسرو الفارسية)، والروم قيصر (معرب: Cesar)، والترك خاقان، والحبشة النجاشي (معرب انكاش، في الحبشية، وهي بالكاف المشمة بالجيم، كما في العبر).

وامتاز تبَع هذا بأنه ورد ذكره وذكر قومه كثيراً في الأخبار الإسلامية، وهو من ذوي الفتوح والشأن، واسمه حسان وأبوه تبع أسعد أبو كرب الحميري (قاله أبو الفداء). كان من أعظم ملوك حمير، ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب.

قال الإمام ابن عساكر في تاريخ الشام: سار تبَع بجيش عرمرم حتى انتهى إلى

سمرقند يغزو ويفتح وكلما دخل مدينة أو قرية كبيرة اختار من كلمائها وذوي العقول الراجحة من أبنائها عددًا لا يقل عن العشرة فاستصحبهم معه، ثم انصرف فأخذ طريق الشام، فامتلئك دمشق واعتقل منها أحرارًا من اليهود جعلهم فيمن سِيرَ معه من الحكماء، وما كَرَّ راجعًا نحو اليمن إلا وبين يديه من الأحرار والكهنة والحكماء ما يناهز أربعة آلاف رجل، وبينما هو سائر إلى اليمن كان الأحرار يحدثونه عن الأديان والكتب السماوية حتى استمالوه إليهم، ولما قُرب من مكة شاع في الناس أنه يريد هدم الكعبة؛ فهرع إليه الأحرار فحدثوه بشأن الكعبة وأنها بيت الله وما زالوا به إلى أن كانت لها في نفسه هيبة؛ فخلع ثيابه مُحرمًا واصطفى دين إبراهيم الخليل، ودخلها فقضى نسكه وكساها سبعة أثواب، فهو أول من كسى البيت، ثم مرَّ ببقعة يثرب (المدينة) وعاد إلى اليمن فاستمرت بينه وبين قومه مناظرات في أمر دينه الجديد، وكانوا وثنيين يعبدون بيتًا شيدوه يزعمون أن به إلهًا يكلمهم ويخرج إليهم، وثبت تُبَّع، وتبعه جماعات منهم وأحرق كثيرًا من الذين قاوموه في نشر دينه، واعتزله جماعة بقوا على دياناتهم فهدم تُبَّع وأصحابه بيت عبادتهم، واتخذ في اليمن مدينتي «مأرب» و«ظفار» فجعلهما سكنًا له يقيم في أيام الشتاء بمنزل في مأرب مبني بالصفائح الذهبية، ويقضي فصل الصيف في «ظفار» بمنزله المبني من الرخام، وجعل في مأرب مكانًا يُنشأ أبناء الملوك من حمير يتعلمون به اللغة والأخلاق فهو كمدرسة للعلم والتربية، ثم ثار عليه جمع من قومه فقتلوه، وقيل: بل مات في «غلسان» من بلاد الهند.

هذه أخبار تُبَّع حسان اليماني لخصتها كما ترى عن بعض الكتب العربية الموثوق بها عند أصحاب هذه اللغة، وأما آثار التبابعة فحتى يومنا الذي نحن فيه لم ينكشف للباحثين من أمرها غامض ولا وضحت حقيقة وعساها تنبئ الأطلال الدارسة بأقدار بُنائتها وأهلها الأولين ولو بعد حين، أما زمن صاحب الترجمة فلم أرَ ما أثق به من الأقوال الصريحة في كتب التواريخ غير كلمة يُستأنس بها الآن أوردها الحافظ ابن عساكر قال: وبين تُبَّع ومولد رسول الله (ﷺ) ألف

سنة، فأضفت ما بين مولد النبي وهجرته إلى الألف فكان مجموعهما ألف سنة وثلاثًا وخمسين سنة، وإنما هو تقدير وتقريب: وقد يحسن إيرادهما ويحتج بهما عند فقدان الحقيقة وامتناع التأكيد.

وينسبون لتبع هذا شعرًا يزعمون أنه ناظمه وأثبت شيئًا منه ابن عساكر في تاريخه، أما عندي فلا يثبت من ذلك شيء ونحن نرى الخلاف في أسماء ملوكهم قائمًا فكيف بما يُعزى إليهم من الشعر على كثرة ناظميه والمشتغلين فيه.

عمرو بن لحي

مات نحو سنة ٣٩٠ ق.هـ

كانت العرب حتى سنة ٤٠٠ قبل الهجرة آخذة بدين إبراهيم الخليل (عليه السلام) إلا قليلاً منها اتبعوا ديانات مجاورينهم من الفرس والروم والوثنيين وغيرهم حتى نشأ في الحجاز ملك منهم يُدعى «عمرو بن لحي» بن حارثة بن عمرو مزريقاء الأزدي من ولد كهلان بن سبأ، وكان ملكًا مطاعًا شائع الذكر داهية خضعت له الحجاز، وهو أول من أدخل الأصنام على تلك البقعة وجعلها في الكعبة، وذلك أنه أصيب بعلّة شديدة أعياه شفاؤها فقيل له: لو قصدت البلقاء من أعمال الشام فإن بها حمةً إن أتيته برأت، فأتاها، فاستحم، فبرأ من مرضه، واختلط ببعض أهلها فرآهم يعبدون أصنامًا فسألهم عنها، فقالوا: هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فنُصّر ونُسْتَقِي بها فنُسْقَى، فأعجبه ذلك، فطلب منهم صنمًا وبذل لهم ما يعدله من النقود فدفعوا إليه «هَبَل» واسمه في العبرانية «هَبَل»، وهو اسم أكبر أصنام الفينيقيين أو الكنعانيين ومن جاورهم من أمم الشام.

قال النويري: وهَبَل: صنم من خرز العقيق على صورة الإنسان، فاحتمله عمرو به لحي وسار به إلى مكة فوضعه على الكعبة، واشترى صنمين أحدهما

«إساف»، والثاني «نائلة»، فعكف على عبادتهما وأمر قومه وعشيرته بعبادة الأوثان وتعظيمها، ثم دعا العرب كافة إلى رفع شأنها واحترامها والتقرب منها، فأجابه السواد الأعظم منهم رغبةً أو رهبةً، وشذَّ جماعة من عقلائهم ومفكريهم، ففضَّلوا الديانات المعروفة في ذلك العصر كالإسرائيلية والنصرانية، ومنهم من اختار مذهب المجوس والزنادقة أو الثنوية، أو عبادة الكواكب، وثبت فريق على ديانته الأولى. واستمر الأكثرون على عبادة الأصنام وتقريب القرابين لها حتى جاء الإسلام فحطمها وحول الناس عن ابتغائها بعد أن كثر عددها وفشا أمرها واتخذت كل قبيلة من قبائل العرب صنمًا ابتدعته، ومنهم من بنى له بيتًا ليكون كالكعبة يُطاف حوله، حتى إذا ارتفع لصاحب ذلك الصنم شأن أو كان له سلطان على من جاوره من العشائر دعاهم إلى تعظيمه وعبادته وناضل عنه بآسه وقوته، تشبهاً بقريش في سدانيتها للكعبة وسيادتها بذلك.

وقد حطَّم المسلمون نيِّفًا وثلاثمائة صنم، وقيل: إنها كانت على عدد أيام السنة، ومن أشهر أصنام العرب: «هبل» الآنف ذكره، و«إساف»، وكان على الصفا، و«نائلة» وكان على المروة، و«مناة» وكان عند الأوس والخزرج في مدينة يثرب، و«اللات» وكان لثقيف في الطائف، و«العُزَّى» وكان لقريش وكنانة، و«ود» لبني كلب بدومة الجندل، و«سواع» لهذيل، و«يغوث» لمذحج، و«يعوق» لهمدان، وأصنامهم كثيرة يضيق بها مجال هذا الكتاب.

أما عمرو بن لحي المترجم: فقد كان في عصر سابور ملك العجم (قاله الشهرستاني)، وسوابير العجم ثلاثة: سابور بن أردشير (مات سنة ٣٩٨ ق.هـ) وسابور بن هرمز المعروف بذي الأكتاف (مات سنة ٢٧٨ ق.هـ)، وسابور ابن ذي الأكتاف (مات سنة ٢٦٩ ق.هـ)، وأشهرهم عند سكان جزيرة العرب ذو الأكتاف؛ فإنه غزاهم وكان له معهم حديث طويل، والذي ذهبت إليه في تاريخ صاحب الترجمة أنه كان في عصر سابور الأول ورجحه عندي قِدَمُ

الأصنام في الكعبة ورجوعها إلى عهد أبعد من عهد سابور الثاني أو الثالث، وكذلك صنع السيد رفاعه الطهطاوي في كتابه بداية القدماء وهداية الحكماء، اختارَ لعمرٍو مُعاصرةَ سابور الأول، وهو متردّد في الحكم غير جازم.

جذيمة الوضاح

مات سنة ٣٦٥ ق.هـ

جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي: أحد ملوك العراق ومن ذوي الذكر الذائع والاسم الشائع. قال المؤرخ ابن الأثير: «كان من أفضل ملوك العرب رأيًا، وأبعدهم مغارًا، وأشدّهم نكاية، وهو أول من غزا بالجيوش، وشنّ الغارات على قبائل العرب».

كان مقره في الأنبار والياً على من جاوره من عرب العراق من قبَل الأكاسرة ملوك العجم في أيام ازدهار ملكهم وامتداد سلطتهم، ثم استولى على السواد (في شمالي العراق) وانقادت له الحيرة والأنبار وسائر القرى المجاورة، ثم طمح بنظره إلى مشارف الشام وأرض الجزيرة فغزاها وحارب ملكها عمرو بن الظرب والد الزباء، فقتله وانهب بلاده، وكان له من الفرات إلى تدمر، وفرت ابنته الزباء، حتى انصرف جذيمة فعادت إلى تدمر مقر ملك أبيها فجمعت شمل الجند واستعدّت، ثم راسلته وعرضت عليه نفسها زوجة له، وكانت أجمل وأعقل وأشهر نساء عصرها، فقَدِمَ عليها جذيمة ليتزوجها فاغتالته وقتلته وأخذت بثأر أبيها: وقصتها مشهورة تجدها في أكثر كتب التاريخ والأدب العربي وفي حوادثها أمثال جيدة وأخبار تلذُّ التُّلّة، ولبحثة الإفرنج اهتمام كبير بأمرها وهم يسمونها «زينوبيا - ملكة تدمر»، فارجع إن شئت البحث عنها إلى كتب المستشرقين وأهل التحقيق منهم، وابتعد ما استطعت عن كتب العرب وأقوالهم فيها إلا في ما لا بدّ منه كالأمثال العربية أو إرادة المقابلة.

وجذيمة أول ملك أو أمير عربي جلس على سرير اتخذه لنفسه في مجلسه:
أخذ ذلك عن الفرس، وجُبيت له أموال البلاد الخاضعة لحكمه فقال فيه شاعره:
أضحى جذيمة في الأنبار منزله قد حاز ما جمعت في عصرها عادُ
مستعملُ الخير لا تفنى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزدادُ
وضاع له ابن أخت يُدعى عَمْرًا وهو صغير فمضى عليه زمن ثم لقيه رجلان:
اسم أحدهما مالك والثاني عقيل. فأتياه به فقال لهما جذيمة: تَمَنِّيَا عليَّ ما
شئتما، فطلبا منادمته ما بقي وبقياً، فنادماه أربعين سنة، ورأى منهما عقلاً وأدباً
فصحبهما حتى مات وفرقت بينهما الأيام، فَضَرَبَتِ العربُ بهما الأمثال في تأكيد
الألفة وطول الصحبة؛ قال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه عروة:

تقول أراه بعد عروة لاهياً وذلك رُزءٌ لو علمتِ جليلُ
فلا تحسبي أن قد تناسبتُ عهده ولكنَّ صبري يا أميمُ جميلُ
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلاً صفاء: مالكٌ وعقيلُ

وكان يقال لجذيمة «الأبرش» و«الأبرص» لبرص كان فيه، ولكن العرب
هابته أن تنعته به فلُقِّبَ بالوضَّاح، وقتل في تدمر كما ذكرنا واختلفوا في مدة ملكه
بين ٥٠ سنة و[٦٠].

الضيزن السليحي

مات سنة ٣٠٤ ق.هـ

ما برحت الآثار الشاخصة والأطلال البالية تذكر رأيها بانيها وتدل مُشاهدها
على شائدها، فإن علماء البلدان وأصحاب الرحلات المولعين بالأسفار
والبحث عن الآثار كلما مرَّ واحد منهم بتلك الأخربة المبعثرة في ذلك المكان

المائل بين الكوفة والقادسية استوقفه منظرها طويلاً فنقّب وبحث ثم كتب ما لاح له، فأما ياقوت فثبت عنده أن مجاوري ذلك الموضع كانوا يسمونه في عصره «طيزناباذ» وسبقه إلى بيان ذلك المؤرخ البلاذري، واتفقا على أن اسمه الأول «ضيزناباذ»، ولكن مجاوريه الفرس حرفوا الضاد طاء؛ لأن لغتهم خالية من الضاد، وقالوا: ضيزناباذ: مؤلفة من كلمتين «ضيزن» وهو اسم بانيها و«أباد» ومعناها بالفارسية العمارة فتكون ترجمتها «عمارة ضيزن»، وحرفت في العامة في العهد الأخير فقالت: «طعيريزات»، وهو اسمها الشائع اليوم على ما جاء في مجلة لغة العرب البغدادية، ص ٣١٩، وربما قالوا «العريسات»، كما جاء بها أيضاً في مواضع مختلفة، وهي كما في معجم البلدان تبعد عن القادسية في جادة الحاج مسافة ميل، وكانت في صدر الإسلام من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر مقصودة للهو والبطالة، وفي القرن السادس كانت خراباً ولم يبق بها إلا أثر قباب كانوا يسمونها «قباب أبي نواس» لأبيات نظمها أبو نواس فيها أوردتها ياقوت (ج ٦، ص ٧٩)، وهي اليوم آثار أبنية في تلال وهضاب.

أما مشيد دعائمها والمنسوبة إليه فهو صاحب هذه الترجمة: الضيزن بن معاوية بن الإحرام (أو الأجرام) بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة (كذا نسبه في كتابي المعجم والفتوح رواية عن الكلبي)، وكان ملكاً مذكوراً بالبأس والمنعة تخشاه أقيال العرب وملوكها، فكانوا يُهادونه ويسالمنونه خوفاً من بطشه، وكان قد ملك الجزيرة إلى الشام، والعرب في ذلك العهد، كما تدلّ كتب الثقة من مؤرخيهم، كانوا بين جاذبين سياسيين قوين:

أحدهما دولة الفرس وهي لا تألو جهداً في تقريب من داناها من أمراء القبائل وملوك العشائر فتُنع عليهم وتُحسن إليهم ثم تُطلقهم في بلاد الروم يعيشون بها فساداً ويقلقون سكانها، والثاني: الروم، يصنعون صنيع الفرس، حذوك النعل بالنعل! وكان الضيزن مشايعاً للروم متحيزاً إليهم يغير رجاله على العراق

والسواد، وذلك في أيام كسرى سابور ذي الأكتاف وهو من بُغاة الأكاسرة وأشدّهم عداوة للعرب، فجمع جيشًا كبيرًا وزحف به إلى بلاد الجزيرة حتى بلغ «الحضر» وهو بناءٌ بناه الضيزن، أو مدينة له فيها حصن، فلجأ الضيزن إلى الحصن، وأقام سابور مدة لا يُرشد إلى فتحه وزعموا أنه كان للضيزن بنت تدعى «النضيرة» رأت سابور فأحبته وراسلته، ثم مهّدت له سبيل دخول الحصن، فدخله، وقتل الضيزن، وانتهبه وأمر بهدمه، ولعله هو «أخو الحضر» الذي أرادته صاحب القصيدة المشهورة وهو عدي بن زيد بقوله:

[أين] كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج لة تُجبي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلّله كل سا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

النعمان السائح

مات في نحو سنة ٢٢٠ ق.هـ

النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي الأعور السائح: أحد ملوك الحيرة من قبل ملوك الفرس، وكان شجاعاً كثير الغارات رفيع الذكر، غزا الشام مراراً بتحريض الفرس، كما سبقت في الترجمة السالفة الإشارة إليه، فغنم وربح وظفر واتخذ كتيبتين حازهما عن جنده، إحداهما كانت مؤلفة من رجال الفرس، وسماها الشهباء. والثانية من تنوخ وسماها دوسر، وبهذه يُضرب المثل في البطش والفتك؛ فيقال: أفتك من دوسر.

واجتمعت له في حروبه أموال كثيرة، وكان موصوفاً بالعقل والدهاء منعوتاً

بالحزم وبُعد النظر، وكان معاصراً ليزدجرد، المعروف بالأثيم، ملك الفرس، فدفع إليه ابنه بهرام (الذي سُمي بهرام جور) ليربيه ويهذبه، فأنشأه على غاية ما يكون من حُسن الأخلاق والشجاعة والفروسية، وطالت أيام النعمان، وهو باني القصرين العظيمين الخورنق والسدير، وللشعراء فيهما كلام كثير، ولما بلغ سن الكهولة فكَّر في أمر الحياة الدنيا فلم يرها إلا غروراً، فسلك مسلك النساك والحكماء. واستعاض عهد داء المُلك، بقاء النُك، وانصرف سائحاً في البلاد، فانقطع خبره، وخفي أثره، وذلك بعد أن حكم ثلاثين سنة. وفيه يقول عدي بن زيد من قصيدة تقدم بعضها:

وتدبر رَبَّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي تفكيرُ
سرّه ماله وكثرة ما يملك والبحر مُغرّضاً والسديرُ
فارعوى قلبه وقال: فما غطبة حيّ إلى الممات يصيرُ
ومطلع هذه القصيدة:

أيها الشامت المعير بالدهر أنت المبرأ الموفورُ
وفي ختامها بعد ذكر الملوك وآثارهم:

ثم بعد الفلاح والمُلك والنعمة وارتهم هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فألوت به الصبا والدُّبورُ

ولما غاب النعمان وتحدّث الناس بأمره عثروا على بعض آثارٍ منه عرفوا منها ما صار إليه حاله فتولّى مكانه المنذر الأولي، وتعاقبت الأبناء والإخوة من بني لخم حتى آل الأمر إلى المنذر بن ماء السماء الآتي خبره. [أورده الزركلي في الترجمة التالية بالفعل، ثم أدخل تعديلاً، فتأخرت ترجمة المنذر قليلاً].

كَلِيبُ وائِل

وُلِدَ سَنَةَ ١٨٧ وَقُتِلَ سَنَةَ ١٣٣ ق.هـ

من أمراء العرب الذين تشبهوا بالملوك في سلطتهم وسعة ديار دان، وأن لهم وخضع لحكمهم صاحب هذه الترجمة: كليب واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن مُرَّة التغلبي الوائلي من أحفاد عدنان، سيد الحيين بكر وتغلب ابني وائل، ومن الشجعان المذكورين في الجاهلية، كانت منازلهم في نجد وأطرافها، وكانت الإمارة في بني ربيعة ابن نزار للأكبر، فالأكبر من ولده وكلما ولي الإمارة حَيٍّ منهم اتخذ له شارة أو سنة يعرف بها؛ فكان لواء الإمارة، بعد جدهم ربيعة، في بني عنزة بن أسد بن ربيعة فجعلوا سنتهم التي يمتازون بها أنهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم ولا يباح لغيرهم من قبائل ربيعة أن يفعل ذلك إلا من أراد حربهم وقتالهم فيفعل خرقاً لحرمتهم ونبذاً لطاعتهم.

ثم تحوّل اللواء إلى بني عبد القيس بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد؛ فكانت سنتهم أنهم إذا شتم أحدهم لنظم من شمة، وإذا لطم قتل من لطمه يرون ذلك حقاً لهم لا ملام فيه.

وانتقل اللواء إلى بكر بن وائل فكانوا يوثقون فرخ طائر ويضعونه في قارعة الطريق فإذا عُلِمَ بمكانه لم يسلك أحد ذلك الطريق وإنما يتنحى عنه بعيداً ومن دنا منه أو حاذاه فقد خرق حرمة الأسرة المالكة وجاز قتله، ومنهم تحوّل اللواء إلى تغلب فوليه كليب بن ربيعة بعد أبيه، فاتخذ جرّواً كان إذا جلس في روضة أو مكان يضربه ويلقيه فيعوي فحيثما بلغ صوته كان في حمايته فلا يُرعى كلاً منه ولا يُصاد فيه ولا يأوي أحد إليه.

وقالوا: إن اسمه وائل ولكنه لما اتخذ الجرّو فكان إذا عوى ابتعد الناس يحذّر بعضهم بعضاً ويقولون: هنا كليب وائل فغلب ذلك عليه، وزاد في منزلة

كليب انضمام قبائل معد له وقيادته لجموعهم يوم خزاز، وهو من أيام العرب المشهورة كان بين معد واليمن فأظهر كليب شجاعة وبسالة ففُضَّ جموع اليمن وهزمهم وأطاعته معد فوثق بها ودخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول: ما أظلمت هذه السحابة في حماي، فلا يُرعى ما تظله، وكان يقول: وحش أرض كذا في جوارى، فلا يُصاد، ولا يورد أحدٌ مع إبله، ولا توقد نار مع ناره، ولا يمر أحد بين بيوته، ولا يجتبي أحد في مجلسه، وحمى أرضاً من العالية في أول الربيع فكان لا يقربها أحد، وبه يُضرب المثل: يقال: «هو في حمى كليب» لمن كان آمناً، ومن أجله ثارت حرب البسوس التي هي أطول حرب نشبت في الجاهلية: قيل: دامت أربعين سنة، وسببها أنه رأى ناقة غريبة ترعى في أرض العالية التي هي في حماه فرماها بسهم فقتلها، وكانت الناقة لرجل يقال له سعد بن شمس الجرمي نزل ضيفاً عند البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة، وهو أخو زوجة كليب، فوقع الشقاق بين جساس وكليب على ما هو مسطور في كتب الأمثال (انظر كتاب «الصيِّب الممثال» لصاحب هذا الكتاب) وجعل جساس يترقب كليباً حتى انفرد به يوماً فقتله، ونشبت الحرب بين التغلبيين رهط كليب، والبكرتين رهط جساس، وكان بطل تلك المواقع مهلهل بن ربيعة أخو كليب، وسيأتي ذكره في ديوان الشعراء، وفي كامل التواريخ كلام طويل على يوم البسوس كما في أكثر كتب التاريخ والأخبار، وجاء في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٩٨): قوله: وسوق الذنائب قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل.. قال مهلهل يرثيه:

أليتنا بذي حُسم أنيري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير

ولو نُبِشَ المقابر عن كُليب لَخُبِّرَ بالذنائب أيُّ زير!
فلولا الريح أسمعَ أهلُ حُجر صليلَ البيضِ تفرَّعَ بالذكورِ

والزير لقب كان يدعو به كليب؛ لأن مهلهلاً كان في صباه يُكثر من معاشرَةِ النساءِ فسماه أخوه «زير النساء» فلما قُتل هَجَرَ مهلهلاً ذاك النعيم، وعكف على السلاح والكفاح.. والبيت الأخير يقال: إنه أول كذب ورد في شعر العرب لأن بين الذنائب وحجر سبع ليال، وله في كليب مراتٍ كثيرة يأتي بعضها في ترجمته إن شاء الله.

ذو نواس الحميري

ولد سنة ١٧٥ ومات سنة ١٠٩ ق.هـ

أشرت في بعض ما تقدم إلى ملوك الحميريين ومآثرهم في القطر اليماني، وصاحب هذه الكلمة هو: ذرعة بن كعب الحميري، أحد ملوكهم والأعزة فيهم، ولقبه ذو نواس؛ لأنه كان له صغيرتان تنوسان (أي تضطربان) على عاتقه. وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، وكان من حديثه أنه بلغه أن رجلاً من الدعاة إلى النصرانية والمبشرين بها بعثته آل جفنة ملوك غسان إلى أهل نجران فتنصروا وكان دينه اليهودية فغاضه ذلك وسار إليهم بنفسه فأمر بأخاديد حُفرت وملاها جمرًا وجمع من في المدينة فجعل يعرضهم على النار من تبعه نجا، ومن أبى هوى! حتى قتل منهم جمعًا كثيرًا.

وأُفلت رجل منهم اسمه «دوس ذو ثعلبان» فركب البحر وفرَّ إلى النجاشي ملك الحبشة، وكان على النصرانية فحدّثه بما حَدَّثَ، فكتب النجاشي إلى قيصر يعلمه ذلك ويستأذنه في التوجه إلى اليمن فأتاه الجواب بالإيجاب فجهز جيشًا عدته سبعون ألف مقاتل وزحف يريد صنعاء فاستقبله ذو نواس بجيشه على

ساحل البحر الأحمر عند عدن فتقاتل الجيشان وشعر ذو نواس بالغلبة فرأى أن الموت قد كمن له بين شغار أسياف العبيد فركض جواده برجله ركضةً أبلغتهما البحر وودع ذو نواس الحياة وهو يلاطم الموج ويعارك الحيتان مختاراً بطون الأسماك وهو عزيز كريم على الوقوع في أسر السودان وامتهانهم وإذلالهم له؛ فمات شريفاً!

زهير بن جناب الكلبي

مات سنة ٦٤٤ ق.هـ

زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله (أو عبد اللات) به كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة الكلبي من أهل اليمن: أحد أمراء العرب المشهورين وشعرائهم وذوي الرأي فيهم، وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقية، عاش طويلاً: ومؤرخونا يذكرون عن عمره ما يقولونه عن سائر المعمرين، وهو أحد الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا (انظر ترجمته ملاعب الأسنة)، ومن أخباره أنه لما بلغه أن بني بغيض بن ربث بن غطفان بنوا حرماً كحرم مكة لا يُقتل صيده ولا يُهاج عائذه قال: والله لا يكون ذلك وأنا حي! فنادى في قومه فغزا بني بغيض فظفر بهم وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم، ثم مرَّ على غطفان وردَّ النساء وأخذ الأموال، وقال في ذلك من أبيات:

فلم تصبر لنا غطفان لما	تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتن	إلى عذراء شيمتها الحياء
نفينا نخوة الأعداء عنا	بأرماح أسننتها ظمأ

واشتهرت واقعة مع بكر وتغلب ابني وائل: وسببها: أن أبرهة الأشرم حين طلع إلى نجد أتاه زهير فأكرمه وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر

وتغلب فوليههم حتى أصابهم قحط فلم يؤدوا الخراج فقاتلهم زهير فترقبه ابن زيابة وكان فاتكاً حتى نام فاعتمد بالسيف على بطن زهير حتى ظن أنه قتله، وسلمت أمعاء زهير فلم يتحرك لثلا يعود إليه، فلما انصرف التيمي إلى قومه أخبرهم أنه قتل زهيراً، ولم يكن مع زهير إلا نفر من قومه فأمرهم أن يُظهروا أنه ميت ورحلوا به مجذّين إلى قومهم فشفي وجمع جموعاً من أهل اليمن فهاجم بكرّاً وتغلب فأثخن فيهم وأسر كليلاً ومهلهاً ابني ربيعة وجماعة من فرسانهم وقال في ذلك من قصيدة:

أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ	إِذَا يَتَقَوْنَ بِالْأَسْلَابِ
إِذْ أَسْرَنَا مَهْلَهلاً وَأَخَاهُ	وَابْنُ عَمْرٍو فِي الْقَيْدِ وَابْنُ شِهَابِ
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلِبٍ كُلِّ بَيْضَاءَ	رَقُودِ الضَّحَى بَرُودِ الرِّضَابِ
وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْمَنَايَا عَلَيْهِمْ	بَلِيوْثٌ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابِ
فَهُمْ بَيْنَ هَارِبٍ لَيْسَ بِأَلْوِ	وَقَتِيلٍ مَعْفَرٍ فِي التَّرَابِ
فَضُلَّ الْعِزَّ عَزُّنَا حِينَ نَسْمُو	مِثْلَ فَضْلِ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ

وكان زهير خطيب قضاة، وسيدها، وشاعرها، ووافدها إلى الملوك، وبطلها، واجتمعت فيه خصال محمودة لم تجتمع في غيره وأحصى بعضهم ما عُرف له من الغزوات والحروب فبلغ مئتي واقعة، وأسنّ وطال عمره حتى ضعف عقله فمات متحرراً بشرب الخمر صرفاً على ما سيأتي بيانه.

المنذر بن ماء السماء

مات نحو سنة ٦٤ ق.هـ

المنذر بن امرئ القيس اللخمي: أحد ملوك الحيرة وما بينها من جهات العراق وهو من أعظم رجال هذه الطائفة المالكة ومن كبار مشاهيرها ومفاويزها، أمه ماء

السماء أخت كليب وائل؛ السابق ذكره، وكان المنذر ينتخي بها في بعض حروبه فيقول: أنا ابن ماء السماء! فنُسب لها، وقيل: لأنها كانت جميلة، وصاحب هذه الترجمة هو المنذر الثالث: ولي مُلك الحيرة بعد أبيه سنة ١١٠ ق.هـ، وذلك من قِبَل ملوك الأعاجم وملِكُهم المعاصر له كسرى قباد: وفي أيامه ظهر مزدك الفارسي ينشر مذهب الزندقة فاختره قباد على المجوسية ودعا إليه المنذر بن ماء السماء وهو نائبه على العرب فأبى المنذر متابعتة، فأضمر له قباد حقدًا، وكان قد اشتهر في زمنه ملك من ملوك العرب يُدعى الحارث بن عمرو بن حُجر الكندي: منازل في نجد، وهو من بُسِّل الأمراء وذوي النجدة منهم، وسيأتي ذكره في الكلام على ابنه امرئ القيس الشاعر. فدخل الحارث هذا في مذهب مزدك وهجر الأوثان وبلغ ذلك ملك العجم قباد فُسِّرَ وطرَدَ المنذر من مُلك العراق وولَّى مكانه الحارث، فدام للحارث الملك حتى مات قباد وتولَّى مملكة فارس كسرى أنو شروان المعروف بالملك العادل، وذلك سنة ٩٣ ق.هـ، وكان كارهاً للزندقة وأشياءها فقتل مزدك الزنديق وأصحابه وطرَدَ الحارث الكندي وأعاد المنذر بن ماء السماء، فدام ملك العراق في بني لخم حتى جاء الإسلام.

والمنذر هذا هو باني الغريين وصاحب يومئ البؤس والنعيم، وذلك في رواية الأغاني، وأمالي القالي، ومعجم ياقوت، وكامل ابن الأثير، وقال الجاحظ في المحاسن والأضداد، وابن قتيبة في الشعر والشعراء والمعارف، والجوهري في الصحاح، والزبيدي في التاج، بل هو النعمان بن المنذر الآتي ذكره، هذا خلاف المؤرخين فاختر أحد القولين.

والغريان: بناءان في ظاهر الكوفة دُفن فيهما رجلان كانا ينادمان المنذر وهما: خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود الأسديان، غضب عليهما يومًا وهم يشربون فأمر بهما فقتلا، فلما أصبح وصحا سأل عنهما فأخبر بما كان فندم وأمر أن يُبنى عليهما طُرْبَالَان ليعرفا بهما، وجعل لنفسه في كل سنة يومين أحدهما للبؤس

والثاني للنعيم؛ فكان يضع سريره بينهما، فأول من يظهر له في يوم يؤسه يذبحه ويطلّي الغريّين بدمه، وأول من يراه في يوم النعيم يمنحه مئة من الإبل ويُغدق عليه إحسانه، وظهر له في أحد أيام يؤسه عبّيد بن الأبرص الأسديّ الشاعر وافداً عليه رجاء خيره ولم يكن دارياً بذلك اليوم فتردد فيه المنذر ثم قتله (انظر ترجمة عبّيد في ديوان الشعراء).

وما زال على تلك الحال حتى أتاه في يوم يؤس حنظلة بن أبي عفراء الطائي، فعرضه على القتل وكانت له عند الملك المنذر يدٌ فسأله أن يمهلّه سنة يرجع بها إلى أهله فينظر في أمرهم ويعود في مثل هذا اليوم فأجابه وكفله شريك بن عمرو الشيباني فلما كان اليوم الموعود أقبل حنظلة وقد تكفّن وتحنّط وجاء بنادبته فعجب المنذر من وفائه وسأله عما جاء به بعد أن أفلت من القتل، فقال: إن لي ديناً يمنعني من الغدر. قال: وما دينك؟ قال: النصرانية. ووصفها له فرآها المنذر أحبّ إليه مما كان عليه فتنصّر ودعا أهل الحيرة إلى النصرانية، وبنى بها الكنائس وعفا عن الطائي وأبطل تلك العادة.

وعاش إلى أن حدثت بينه وبين الحارث بن أبي شمّر الغساني شؤون وتلاقيا بجيشهما في موضع يُعرف بعين أباغ، وهو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، فقتل المنذر وانهزم جمعه وهذه الواقعة مذكورة في أيام العرب مشهورة باسم الموضع الذي كانت فيه.

الحارث الغساني

ولد نحو سنة ١٣٤ ومات نحو سنة ٦٢ق.هـ

الغسانيون هم عرب الشام قبل الإسلام ترجع أنسابهم إلى أصول يمانية تفرق أهلها من اليمن عند انفجار سد مأرب، والمؤرخون مختلفون في أخبارهم على ما سنورده وإنما يتلخص لنا أن الغسانيين كانت لهم الولاية على جميع أطراف

الشام من الجنوب والشرق والشمال الشرقي: تمتد جنوباً إلى الحجاز وشرقاً إلى حدود ملوك العراق من اللخمين، ولم يصح ملكهم لدمشق، وإنما كانت لهم الزعامة والإمارة على عرب الشام كافة، وكانت عاصمتهم بصرى (اسكي شام) في حوران، أما دمشق فكان أكثر سكانها من الروم يحكمها أمراء من قبل القياصرة أصحاب القسطنطينية؛ كانوا يقرّبون أمراء غسان منهم ويكرمونهم ليكونوا للشام مِجَنًّا يدفعون به غارة مهاجميها من عرب الحجاز والعراق، وسُمُّوا غسانيين لنزولهم على ماء يدعى غَسَّان بالقرب من الشام وهم قادمون من اليمن، وكانت الديانة الشائعة فيهم هي النصرانية وفيهم وثنيون كثيرون، وطالت مدتهم نحوًا من خمس مئة سنة، أولهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو ابن مزريقاء، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم وارتد.

والعجب من ديار الشام فإنها على كثرة ما تضم من الآثار الشواخص لا تزال موضع بحث الباحثين من المستشرقين وعلماء العاديات والآثار والتاريخ، والخلاف ما برح قائمًا فيما يتعلق بالغسانيين من وجوه أربعة:

أولها: هل ملك الغسانيون بلاد الشام كلها أم بعضها؟

ثانيها: هل حكموا دمشق؟

ثالثها: لماذا سُمُّوا غسانيين؟

رابعها: هل كانوا جميعهم نصاري؟

فأما امتلاكهم الديار الشامية فلا دليل عليه غير ما جاء في كتاب «أشهر مشاهير الإسلام» قال مؤلفه الفاضل (ج ٢ ص ٢٣٣): «... والذي يرجح عندنا أن الفرس لما دَوَّخوا الولايات الرومانية سنة ٦١٤م أقروا ملوك غسان على ما كان لهم وأقاموهم ملوكًا على الشام ولما استعاد هرقل من الفرس البلاد لم يشأ أن ينزع من ملوك غسان الولاية لضعفه في حرب الفرس وخوفه من شغب القوم

فاستمرت بيدهم ولاية دمشق إلى حين الفتح الإسلامي، بل هناك دليل آخر على أن سلطة بني غسان يومئذ تجاوزت ولاية دمشق، وربما شملت سورية كلها فقد ذكر المؤرخون أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ابتنى بين اللاذقية وطرابلس مدينة سماها باسمه وهي جبلة التي لم تزل عامرة إلى هذا العهد... لا جرم إنَّ سلطة العرب كانت يومئذ مبسوطة على الشام، وكانت عاصمة ملوكهم دمشق ولولا ذلك لما تسنى لجبلة أن يبتني تلك المدينة ويسمّيها باسمه، وهذا القول لم يشاركه فيه غيره من أهل البحث والنقد فيما نعلم فيثبت أو يسقط.

وأما الخلاف في حكمهم دمشق فقويّ جدًا ولفريقي المختلفين أدلة وحجج؛ فمن القائلين بالسلب المستشرق الكبير نُلك صاحب تاريخ أمراء غسان (ص ٤٧).

قال: «وأما عاصمة الغسانيين فكانت الجابية في الجولان، وهي عبارة عن قرية كان يسكنها قوم من الحضرم مع لواحق تُحْدَق بها يأوي إليها أهل الوَبَر، وكان ملوك غسان في وسطهم كشيوخ القبيلة يقطنون قصرًا ابتنوه في ظهرانيهم»، كذا نقلته المشرق وقد نقصهم هذا المحقق قدرهم لما ثبت في التاريخ من إعظام ملوك الروم لهم وتقدمهم عندهم مما لا يكون لشيوخ القبائل مثله، وأيد أحد الباحثين رأي نُلك (راجع مجلة المشرق ج ١، ص ٤٨٤، وج ٣، ص ٤٣٨)، ومن القائلين بأن الغسانيين حكموا دمشق المستشرق الدكتور فاندريك قال في كتابه «المرأة الوضية»: «وكانت - يعني دمشق - قبل الإسلام تحت آل جفنة ملوك غسان الذين يقول فيهم حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المَعَمَّ المُوْخُولِ
يسقون من ورد البُرَيْصَ عليهم بردئ يصفق بالرحيق السلسلِ

ومن نَقَضَ هذا القول فحجته قول حسان في نفس القصيدة:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجِلْق في الزمان الأول

وعنده أن جلق قرية من قرى الغوطة يمر بها نهر بَرْدَى، لا دمشق نفسها، ذهب إلى هذا الرأي نللك صاحب أمراء غسان ودي برسفال في تاريخ الجاهلية:

وفي أشهر مشاهير الإسلام (ج ١، ص ٦٠، وج ٢، ص ٢٢٩) بحث حاول صاحبه فيه إثبات حكم الغسانيين للشام فراجع.

وأما سبب تسميتهم غسانيين فلم يكن من الأمور التي فكّر بها الباحثون، ولكن ياقوت في معجمه (٦ ص ٢٩٢)، اضطرب فيه فقال: «يجوز أن يكون فعّالان من الغس وهو دخول الرجل في البلاد، وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزد بن الغوث وهم الأنصار (الأوس والخزرج)، وبنو جَفْنَة وخزاعة فسُمُّوا به، ويقال: غسانُ ماء بالمشلّل قريبٌ من الجُحْفَة - وهي قرية بين المدينة ومكة - وقال نصر: غسانُ ماء باليمن بين رَمَع وزبيد وإليه تنسب القبائل المشهورة إلى آخر كلامه».

وأما نصرانيتهم فالأكثر على أن الدين الذي كان غالباً على تلك القبائل هو النصرانية لا أن جميعهم كانوا نصارى، وللاب أنستاس الكرملي بحث موجز مفيد يؤخذ منه هذا القول (راجع مجلة لغة العرب، ج ٣، ص ١٤١).

هذه خلاصة يسيرة لا تفني بالمراد، ولكنها ترشد الباحث إلى مظان البحث، ومواضع الخلاف ولعل الآثار توضح لنا ما جهلناه وتكشف ما وددناه.

أما صاحب هذه الترجمة فإن «الحارث الغساني» لقب يتناول كل من مُلْك أو أُمَرّ في بني غسان، ولفظ الحارث فيهم كلفظ قيصر في الروم وكسرى في الفرس، والذي أردناه هو ترجمة أشهر ملوك غسان ذكراً وأبعدهم صيتاً: الحارث الخامس المعروف بالأعرج بن أبي شُمِرِ جَبَلَة بن الحارث الرابع بن حُجْر،

صاحب الوقائع المشهورة في عرب الحجاز والعراق وممدوح حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف: وأمه (أي الحارث) مارية ذات القرطين، وكان غزا خير فسي من أهلها ثم أعتقهم بعدما قدم الشام، وكان سار إليه المنذر بن المنذر بن ماء السماء في مئة ألف فوجّه إليهم مئة رجل، وأظهر أنه إنما بعث بهم لمصالحته فأحاطوا برواقه فقتلوه وقتلوا من معه في الرواق وركبوا خيلهم فنجا بعضهم وقتل بعض، وحمّلت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموهم، كما قدمنا في ترجمة المنذر، وكان للحارث بنت جميلة حليلة كانت تطيب أولئك الفتيان الذين دخلوا على المنذر وأوقعوا به وهي التي ألستهم الأكفان وفوقها الدروع التي كانت تحجبها الثياب في الظاهر، وهذه الواقعة ذكرها ابن الأثير أيضًا وسماها يوم مرج حليلة (انظر الكامل، ج ١، ص ١٩٥)، وفي هذه الحادثة خلاف عند أصحاب الأخبار فبعضهم يقول: إن الذي قتل بها هو المنذر بن ماء السماء، وبعض يقول: بل مات المنذر في وقعة عين أباغ - المذكورة في ترجمة المنذر - وفي الكامل تفصيل الخلاف فراجع في الكلام على يوم عين أباغ ويوم مرج حليلة، وفي عين أباغ يقول ابن الرعلاء الضبالي:

كم تركنا بالعين عين أباغ	من ملوك وسوقة أكفاء
أمطرهم سحاب الموت تترئ	إن في الموت راحة الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميت الأحياء

سيف بن ذي يزن

مات سنة ٤٩٩ ق.هـ

اسمه معد يكرب ولقبه سيف بن ذي يزن المكنى بأبي مرة الحميري: أحد ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم المذكورين، ولد ونشأ في صنعاء، وكانت الحبشة قد تغلبت على البلاد اليمنية (سنة ١٠٧ ق.هـ)، وملكها بعد أن قتلت ملوكاً من آل حمير (السابق ذكرهم)، ثم اشتد ضغط الحبشان السود على الأمة الخاضعة، وحاولوا بها أموراً لم تُطق الصبر عليها، فتحركت سواكن اليمانيين وهاجت أضغانهم وأخذوا ينتظرون وثبة تثير ينحرفون إليه، حتى نهض من بينهم أحد أبناء ملوكهم سيف بن ذي يزن الحميري: وكان شاباً عاقلاً شجاعاً، فقصده قيصر ملك الروم وهو حينئذ في أنطاكية، فشكا إليه أمره وما صنعت الحبشة من اغتصاب ملك آبائه وسوء تحكمهم بأهل البلاد وأطمعه بأنه يُملكه اليمن إذا أخرج الحبشة منها فلم يلبه قيصر، فقصده النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه ما حلَّ بهم، فقال له النعمان: إن لي في كل عام رحلة إلى كسرى فانتظر، فلبث سيف حتى كان الموعد ثم خرج معه فأدخله على كسرى «أنو شروان» ملك الفرس، فسأله عن شأنه، فقال له: أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة. فقال له كسرى: أيُّ الأغربة الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة، وقد جئتك لتصرفني، ويكونُ مُلك بلادي لك. قال: بعُدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه، فلما قبض سيف الدراهم رأى خير الأمور أن يحتال فخرج وجعل يثر تلك الدراهم للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إنَّ لهذا شأنًا وأمر بإعادته فعاد فقال له: عمدتُ إلى حياء الملك تثره للناس؟ قال: وما أصنع بهذا وكل جبالنا مملوءة بالذهب والفضة! فجمع كسرى مرازبته فاستشارهم فقال أحدهم: أيها الملك إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل

فلو بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ما تريد، وإن ظفروا ملكت بلادًا بلا مشقة، فبعث كسرى معه مَن في سجونته وهم نحو ثمان مئة رجل وأمر عليهم رجلاً من أشراف العجم اسمه وَهْرَز بن الكامجار وهو شيخ مُسن، فسار بهم حتى بلغوا الأُبُلَّةَ، فركبوا البحر في ثمان سفائن وخرجوا بساحل عَدَن فأقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم، فقتلوا ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة الأشرم، ودخلوا صنعاء وضبطوا البلاد وكتبوا إلى كسرى بالفتح، فألحقت اليمن ببلاد الفرس، على أن يكون ملكها والمتصرف في إدارتها سيف بن ذي يزن الحميري، واتخذ سيفٌ غُمدانَ قصرًا له، وعاد الفارسيون إلى بلادهم بأمر كسرى، واستبقى سيفٌ جماعة من السودان أشفق عليهم وجعلهم خدماً له، ووفدت عليه وفود العرب تهته، ومكث في المُلْك نيفاً وعشرين سنة، فاتفق عبيده الذين كانوا من بقايا الدولة الحبشية على قتله، فشدوا عليه يوماً وهم بين يديه في موكبه بصنعاء فضربوه بحراهم حتى قتلوه (سنة ٤٩ ق.هـ)، وبلغ كسرى خبر قتلته فأرسل إلى اليمن جيشاً آخر أفنى من بها من السودان.

وظلت اليمن تابعة لملوك فارس حتى جاء الإسلام وافتتحها المسلمون سنة ١٣ للهجرة.. وتجد أخبار الملك سيف في كتاب مروج الذهب للمسعودي، والكامل، وتاريخ الطبري، والسيرة لابن هشام، والأخبار الطوال للدينوري، وتاريخ الحبشان للقناني ودائرة المعارف للبستاني وأكثر كتب التاريخ والأخبار.

عمرو بن هند

قُتل سنة ٤٤ ق.هـ

أوردنا فيما تقدم ترجمة المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة الذي قتله الحارث الغساني، وقد استولى على مُلْك العرب من قِبَل الفرس بعد المنذر ابنه صاحب هذه الترجمة عمرو بن المنذر بن ماء السماء، واسم أم عمرو: هندُ

الكنديةُ عمة امرئ القيس الشاعر، وإليها ينتسب عمرو، كما انتسب أبوه إلى أمه ماء السماء، ولما تملك عمرو وانتظم أمره أكثر الغزو وأظهر قوة وبأساً، فشاع خبره، وهابته العرب، وأطاعته القبائل، وكان شجاعاً فاتكاً، وأخباره كثيرة، وهو صاحب صحيفة المتلمس (انظر قصتها في ترجمته). وقاتل طرفه ابن العبد (انظر ترجمته)، ويُلقَّب بالمحرَّق: لشدته وبطشه، أو لأنه أحرق مئة رجل من بني تميم وقصتهم لا بأس بالإشارة إليها، وذلك أن ملوك العرب كانوا كثيراً ما يرسلون أطفالهم إلى بعض القبائل المطيعة لهم ليتربوا بها تربية بعيدة عن زهو الملوك وكبرياء الأمراء قريبة من السذاجة ويتلعموا الفروسية والرماية ومهاجمة الأبطال، وكان لعمر وأخ اسمه أسعد^(١)، دَفَعَه أبوه إلى بني تميم يتربى بينهم، فلما ترعرع وأخذ يتعلم الرماية مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرماها بسهم أصابها فقتلها، فغضب صاحبها سويد الدارمي التميمي فضرب أسعد فقتله، ثم علم الملك عمرو بن هند بما أصاب ابنه فحلف ليحرقن من بني دارم مئة رجل وقصدهم بجيش حتى بلغ أَوَارَةَ (موضع لبني تميم بناحية البحرين) فظفر منهم بجماعة فأحرقهم، وبآخرين فألحقهم بهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً فمَرَّ رجل من البراجم (وهم خمسة رجال من بني تميم) فشم رائحة الحريق فظن وليمة، ولم يبلغه الخبر، فمال إليه، فلما رآه عمرو بن هند قال: ممن أنت؟ فقال: رجل من البراجم، فقال عمرو: إِنَّ الشَّقِيَّ وافدُ البراجم فأرسلها مثلاً، وأمر به فألقي في النار، وبرَّت يمينه.

وصارت تميم تعير بالشَّره وحب الأكل. قال شاعر يهجوهم:

إذا مات ميت من تميم فسَّرَكَ أن يعيش فجيء بزاد

وعاد عمرو وقد خافته القبائل، فبينما هو يوماً في مجلس له قال لجلسائه:

(١) هذا قول ياقوت في معجم البلدان في كلامه على أواره (ج ١، ص ٣٦٤)، وأما ابن الأثير فقال في الكامل: إن أسعد ابن لعمر بن هند (ج ١، ص ١٩٩).

هل تعلمون أن أحدًا من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي، قالوا: ما نعرفه، إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي؛ فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو، فكتب الملك عمرو إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويدعو والدته إلى زيارة أمه، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه أمه ليلى فتزل على شاطئ الفرات، وعلم الملك عمرو بقدومه فأمر فُضِرِبَتْ له الخيام بين الحيرة والفرات، وضرب سرادقًا لأُمَيَّهِمَا: هند وليلى، وقال: لأمه هند، إذا فرغ الناس من الطعام فنحي خدمك عنك ومري ليلى فلتناولك الشيء بعد الشيء يريد أن تستخدمها، ثم أرسل إلى عمرو بن كلثوم ومن معه فحضروا ونزلوا في الخيام، وجلس القوم للطعام في سرادق الملك، فلما انتهى وقت الطعام طلبت هند من ليلى أن تناولها حاجة، فقالت: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فَأَلَحَّتْ عليها، فصاحت ليلى: واذلاًه يا آل تغلب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم وكان السرادقان متقاربين، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فقفز من بينهم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه فضرب به رأس الملك عمرو ابن هند فقتله وخرج فتبعه أصحابه فأنتهبوا ما في الخيام وانهزم رجال عمرو بن هند.

قال أفنون التغلبي:

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلاً وأمسك من ندمائه بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربةً بذى شطب صافي الحديد رونق

ولعمرو بن كلثوم قصيدة هي من أفضل المعلقات بناها على قتله لعمرو بن هند وسيأتي ذكرها في ترجمته (انظر ديوان الشعراء)، وبعد قتل الملك عمرو بتولى مكانه أخوه قابوس بن المنذر الذي تلاه المنذر الرابع الذي ولي بعده ولده النعمان بن المنذر الآتي ذكره.

النعمان بن المنذر

مات سنة ١٨ ق.هـ

أشهر ملوك الحيرة على الإطلاق، أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي: داهية أبي شجاع كثير الأخبار، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه، وكان قد ضعف شأن دولتهم بعد قتل ابن كلثوم لابن هند، فلما ولي النعمان أعادها سيرتها الأولى وأبلغها من الترف منتهاه ومن العزة أقصاها، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، والقصة مشهورة، نذكر خلاصتها: وذلك أنه قدم النعمان على كسرى هرمز؛ فإذا عنده وفود من الروم والهند والصين فذكروا ملوكهم وبلادهم وشاركهم النعمان في الحديث فافتخر بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثني فارس ولا غيرها، فتألم كسرى فذم العرب، وأجابه النعمان بما كذب ظنه في حديث طويل، ثم عاد النعمان إلى الحيرة فبعث إلى عشرة رجال هم من خيار العرب في ذلك العهد فحضروا وهم: أكثم بن صيفي «من بني تميم»، وحاجب بن زرارة «تميمي»، والحارث بن ظالم «بكري»، وقيس بن مسعود «بكري»، وخالد بن جعفر «عامري»، وعلقمة بن علاثة «عامري»، وعامر بن الطفيل «عامري»، وعمرو بن الشريد «سلمي»، وعمرو بن معد يكرب «زيدي»، والحارث بن ظالم «من بني مرة»، فلما وفدوا عليه جمعهم في الخورنق وقال لهم: «قد عرفتكم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله»، ثم حدثهم بما كان بينه وبين كسرى، ودعاهم إلى الوفود على كسرى وأن يخطبوا بين يديه ليعلم أن في العرب رجالاً ذي عقول كبيرة وألسنة فصيحة، فأجابوه إلى ما انتدبهم إليه، فرتبهم في الكلام بين يدي كسرى وقدم عليهم أكثم بن صيفي، خلع عليهم الخلع وكتب معهم كتاباً إلى كسرى يذكرهم

فيه، فارتحلوا حتى بلغوا المدائن، فدفعوا الرسالة إلى أحد الحجاب فأوصلها إلى كسرى، فعقد لهم مجلساً لسماع أقوالهم ودعاهم، فمثلوا بين يديه وألقى كل واحد منهم ما نهباً له من الكلام، ولولا خوف الإطالة لذكرت أقوالهم لما فيها من الحكمة والإبداع، وكان الترجمان يؤدي إليه معنى ما يقولون. فلما انتهوا قال كسرى: «قد فهمت ما تكلم به خطباؤكم ولولا علمي بأن الأدب لم يثقف أودكم وأنه ليس لكم مَلِك يجمعكم فتنتقون بين يديه منطق الرعية الخاضعة لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به، وإني لأكره أن أجبه وفودي وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم وأحسنوا أدبهم فإن في ذلك صلاح العامة»، ثم أكرمهم وأحسن إليهم فعادوا إلى ديارهم، وإن شئت الإطالة في قصة الوفود فقد وردت في المجلد الأول من العقد الفريد لابن عبد ربه فارجع إليه.

ولما انتقل مُلك فارس إلى كسرى ابرويز بن هرمز الرابع أراد مصاهرة العرب فأرسل إلى النعمان يخطب منه بعض بنات عمه لأولاده، فامتنع النعمان وقال للرسول: «ما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم؟» وكتب إلى كسرى يعتذر له بأنه ليس في بنات عمه ما يرضيه، وانصرف الرسول فأعاد ما قاله النعمان وترجم له لفظة «العين» بالبقرة: وهي من الأوصاف الحسنة في العربية لتشبيه عيون النساء بعيون البقر في السعة والملاحة، فكان كلامه: «ما في بقر السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم» فأغضب هذا القول كسرى، وسكت شهراً، ثم بعث إلى النعمان يستقدمه إليه، وعلم النعمان بما كان، فأخذ سلاحه وأمواله وتوجأ إلى بعض القبائل فلم يحموه حتى نزل على بني شيبان سرّاً فأودعهم أهله وماله وتوجه مستسلماً إلى كسرى، فقبض عليه وأرسله مُبَعَّداً إلى خانقين، فأقام بها مسجوناً حتى أصابها وباء فمات بالطاعون.

وبسببه كانت واقعة ذي قار بين الفرس والعرب؛ فإن كسرى لما اعتقل

النعمان أرسل إلى بني شيبان يطلب ما أودع عندهم، فامتنعوا من تسليمه، فجهز لهم الجيوش واجتمعوا في مكان يُعرف بذي قار فثبتت العرب وأبليت بلاءً حسناً وانهمزت العجم، وذلك بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة.

وكان كسرى قد ولي على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي فلما ضعف أمرهم عن قتال العرب عاد بنو لخم إلى ملكهم فتولى الأسود بن المندر أخو النعمان، ثم المندر الخامس بن النعمان، وهو آخر ملوك العراق، وفي زمنه استولى خالد ابن الوليد على الحيرة فصالحه أهلها كما هو مسطور في كتب الفتوح.

وصاحب هذه الترجمة النعمان بن المندر ذهب جماعة من ثقة المؤرخين إلى أنه صاحب الغريتين، ويومئ البؤس والنعيم، وقاتل عبيد بن الأبرص وقد أوردنا الكلام على كل ذلك في ترجمة المندر بن ماء السماء السالفة فارجع إليه، وأنت تعلم أن مثل هذه الحوادث من وقائع الأجيال الخالية لا يجد المؤرخ اليوم ما يعول عليه فيها إلا النقل وتحريّ أصح الأقوال وقد تعارضت في هذا الأمر الآراء وصعب الترجيح فانظر وتأمل واختر ما يقوى لديك.

قيس بن زهير

مات سنة ١٠ هـ

الأمير قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي: أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي؛ لجودة رأيه وهو معدود في الأمراء، والدهاة، والشجعان، والحكماء، والخطباء، والشعراء؛ فأما إمارته فقد ورثها عن أبيه زهير بن جذيمة أمير عبس من قبله، وأما دهاؤه ففيه المثل السائر «أدهى من قيس»، وأما شجاعته فحروبه مع بني فزارة وذيان شاهد صدق على ما يقال، وأما كلمته فله في أقواله غرر تحفظ من الشعر والنثر، وهو خطيب

مذكور، وشاعر مفطور، عُرِفَتْ بَقِيس تلك الخلال بعد مقتل أبيه، وذلك أن أباه زهيرًا كان سيدًا شريفًا فتزوج ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس ابنته (وهو جد النعمان بن المنذر) وأرسل النعمان إلى زهير يستزيره بعض أولاده فسير إليه ابنه شأسًا، فأكرمه وحباه وردّه إلى أبيه، فلما كان شأس في طريقه بماء بني غنيّ اعترضه رباح بن الأشل الغنويّ فقتله وأخذ ما معه، ثم علم زهير بالأمر فأغار على بني غني، وكانوا حلفاء بني عامر فقتل منهم عددًا كثيرًا، ووقع الشر بين بني عامر وبني عبس، فترقب خالد بن جعفر العامريّ فرصةً بزهير حتى قتله، وانطلق إلى ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس فاستجار به فأجاره فلحقه الحارث بن ظالم المرّي الفاتك المشهور فقتله في الحيرة، وأخذ قيس ابن زهير العسبي يتجهز لقتل بني عامر أخذًا بثأر أبيه، فوقع خلاف بينه وبين أحد شيوخ بني عبس الربيع بن زيارد، فانضم إلى الربيع أكثر القبيلة، فارتحل قيس بأهله ومن انحاز إليه حتى نزل بجوار حذيفة وحمل ابني بدر الفزاريين، وكان لبني عبس قرابة في بني فزارة فأكرموه فأقام فيهم، وكان مع قيس أفراس له ولإخوته رآها حذيفة فحسده عليها، وجرى حديث الخيل يومًا فقال حذيفة لقيس: فرسي الغبراء أسبق من فرسك وأحسن، فخالفه قيس، فتراهما، وضمّر الفرسين واختار كل منهما فارسًا لفرسه، وأرسلاهما ورجال القبيلة، وقوف ينظرون، وكانت مسافة السباق بعيدة فأقام حذيفة رجلًا في الطريق وأمره إذا رأى داحسًا سابقًا فليعرضه حتى تجوزه الغبراء، وسبق داحس فلطمه الرجل فحوله عن السير وهو على شفير وادٍ فهوى الفرس بفارسه فكادا يهلكان، ومَرَّت الغبراء فسبقت، ثم أقبل راكب داحس يسير الهوينا فقصّ عليهم خبره فكذبه حذيفة فتشاحن حذيفة وقيس وافترقا فأرسل حذيفة ابنه ندبة يطالب قيسًا بالرهان فردّه قيس فأغلظ ندبة الكلام لقيس فطعنه فقتله، ونادى قيس بأهله فركبوا وابتعدوا، وبلغ حذيفة ما كان بابنه فطلب قيسًا فلم يدركه، وكان

مالك ابن زهير أخو قيس متزوجاً في فزارة وهو مقيم بينهم، فرآه حذيفة بعد ذلك فقتله، وشاع مقتل مالك فحزنت عليه عبس وبعثوا إلى قيس أن يأتيهم بمن معه فجاءهم قيس فلقية الربيع بن زياد فتعانقا وبكيا لمصابهم بمالك، فقال قيس للربيع: «إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ولم يستغن عنك من استعان بك، وقد كان لك شرُّ يومَيَّ فليكن لي خيرُ يوميك، وإنما أنا بقومي، وقومي بك وقد أصاب القومُ مالكا ولست أهمُّ بسوء؛ لأنني إن حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وإن حاربتني خذلني بنو عبس، إلا أن تجمعهم عليَّ وأنا والقوم في الدماء سواء قتلُ ابنهم وقتلوا أخي فإن نصرتني طمعتُ فيهم وإن خذلني طمعوا فيَّ».

فقال الربيع: «يا قيس إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي، ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك، وقد مأل عليَّ قتلُ مالك، وأنت ظالم ومظلوم، ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم، فإن يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك وأحبُّ الأمرين إليَّ مساعدتهم وتخلو بطلب ثأر أبيك»، وعلم حذيفة باتفاقهما فشق ذلك عليه واستعد للقتال، ثم حدثت الوقائع المعروفة بحروب داحس والغبراء وعظم الشر والبلاء، وانضمت ذبيان إلى فزارة فكانت وقعة جفَر الهباءة وبها قُتل حذيفة وحَمَل ابنا بدر، وعدد كبير من فزارة وعبس، وبموت حذيفة وأخيه انحسم الشر ودخل بعض أمراء القبائل في الإصلاح بينهم، فأذن قيس لقومه بالصلح، وتنسك وسار عنهم لا يريد إمارة ولا سيادة فنزل ببني النمر ابن قاسط، ثم دعاهم يوماً فخطبهم فقال:

«يا معاشر النمر أنا قيس بن زهير: غريب حريب طريد شريد موتور فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى، وأذلها الفقر»، فزوجوه بامرأة منهم، فقال لهم: «إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقِي: أنا فخور غيور أنف، ولست أفخر حتى أبتلى ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم»، فرضوا أخلاقه، فأقام فيهم حتى

ولد له، ثم أراد أن يتحول عنهم، فقال: «يا معاشر النمر إن لكم حقاً عليّ في مصاهرتي فيكم ومُقامي بين أظهركم وإني موصيكم بخصال أمركم بها وأنهاكم عن خصال: عليكم بالأناة؛ فإنّ بها تُدرَك الحاجة وتُنال الفرصة، وتسويد من لا تُعابون بتسويده، والوفاء بالعهود؛ فإن به يعيش الناس، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة. ومنع ما تريدون منعه قبل الإنعام، وإجارة الجار على الدهر، وتنفيس البيوت عن منازل الأيامي، وخلط الضيف بالعيال [بالإكرام]، وأنهاكم عن الغدر؛ فإنه عار الدهر، حاد عن الرهان؛ فإنّ به ثكلت مالكا أخي، وعن البغي؛ فإن به صُرع زهير أبي، وعن السرف في الدماء؛ فإن قتلى أهل الهبأة أورثني العار، ولا تعطلوا في الفضول؛ فتعجزوا عن الحقوق، وأنكحوا الأيامي الأكفاء؛ فإن لم تصيبوا بهنّ الأكفاء فخير بيوتهنّ القبور، واعلموا أني أصبحت ظالماً مظلوماً، ظلمني بنو بدر بقتل أخي مالك، وظلمتهم بقتل من لا ذنب له»، ثم رحل إلى عُمان فتنصّر بها وتقشّف وعفّ عن المأكّل حتى أكل الحنظل، وما زال بها إلى أن مات.

وقد رُوي له شعر جيد، منه قوله بعد وقعة جفر الهبأة يرثي حمل ابن بدر:

تعلّم أن خير الناس مَيِّتٌ	على جَفْرِ الهبأة لا يريمُ
ولولا ظُلُمه ما زلت أبكي	عليه الدهر ما طلع النجومُ
لكن الفتى حَمَل بن بدر	بغى والبغى مرتعه وخيمُ
أظنّ الحلم دل عليّ قومي	وقد يُستجهل الرجل الحليمُ
ومارستُ الرجال ومارسوني	فمعوجّ عليّ ومستقيمُ
فلا تغشّ المظالم، لن تراه	يُمْتع بالفنى الرجل الظلومُ

وقوله:

شفيتُ النفس من حَمَلِ بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
شفيتُ بقتلهم لغليل صدري ولكنني قطعتُ بهم بناني!

وقوله:

إذا أنت أقررت الظلّامة لامرئ رماك بأخرى شعبها متفاقمُ
فلا تُبد للأعداء إلا خشونة فما لك منهم إن تمكّن راحمُ

وأخباره كثيرة تجدها في كامل التواريخ (ج ١، ص ٢٠٤)، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٤، ص ١٥٠)، وأكثر مصنفات الأخبار.

الخلفاء الراشدون

علاوة

الخليفة لقب كل ملك شرعي من ملوك الإسلام وهو كقصر عند الروم والنجاشي عند الحبشة، وامتاز من خلفاء المسلمين أربعة هم سادة من مَلَك بعدهم نهجوا منهج رسول الله (ﷺ) واحتدوا بهديه، أولهم أبو بكر، والثاني عمر، والثالث عثمان، والرابع علي (رضوان الله تعالى عليهم)، وهم الذين قاموا بجمع شتات المسلمين بعد وفاة النبي (صلوات الله عليه) وسنوا القوانين الإسلامية بأعمالهم وأقوالهم، وجمعوا القرآن الكريم، وكانوا قدوة من تلاهم، وينفردون بنعت خاص بهم دون سائر خلفاء الإسلام، وهو لقب الراشدين، كما أن ثانيهم عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) حدث في الإسلام تلقيب كل ملك منهم بأمير المؤمنين وجرت سنته في الملوك مقترنة بلقب الخلافة فكل ملك مسلم جُمعت فيه شرائط التملك على المسلمين يحق له أن يدعي «أمير المؤمنين الخليفة...».

وهذا الفصل إنما أفردته لترجمة هؤلاء الأربعة الكرام وسيعتبه إن شاء الله الكلام على غيرهم كخلفاء الأمويين في المشرق والمغرب وخلفاء بني مروان وبني العباس وأمثالهم ممن حكموا البلاد وساسوا العباد، وكان لهم القول والحول والطول والسيادة والقيادة والوفادة، تقدّم المتقدم في عصره ونؤخر عنه من تلاه جرياً مع العصور والأزمنة بحيث تتألف منذ هذا الفصل إلى بدء فصل الأمراء والوزراء سلسلة مُحكمة ينتظم بها ذكر أشهر الخلفاء الإسلاميين مرة، وسألتزم في ذلك جانب الاختصار والإيجاز ما استطعت وما تضامّت أجزاء الفوائد التاريخية فلا يفوتني من أخبار المترجم إلا ما هو دون ما ذكرت وأوردت، والله نعم العون.

أبو بكر الصديق

ولد سنة ٥١ ق.هـ وتوفي سنة ١٣ هـ

توفي رسول الله (ﷺ) واضطرب أمر المسلمين من بعده في من يتولى أمرهم؛ فما زالوا حتى اتفقت كلمتهم على الصحابي الجليل أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب التيمي القرشي، أقرب الناس مودة من النبي، وأول من آمن به من الرجال، وأحد عظماء أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده وبذلوا النفس والنفس في سبيل إعزاز دينه.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ، فخطب في المسلمين خطبة طويلة يُحفظ منها: «أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، لا يدع أحد منكم الجهاد؛ فإنه لا يدعه قومه إلا ضربهم الله بالذل. أيها الناس، إنما أنا متبع لا مبتدع، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، إن أصبت الحق فأعينوني عليه، وإن زغت فقوموني».

وحاله في الجاهلية حال سيادة ورياسة، وكانت العرب تدعوه «عالم قريش»، وله ثروة طائلة، وربما عالج تجارة البز، وهو من علماء الأنساب المذكورين كان عارفاً بأخبار القبائل وبطون العرب وجماهيرهم كارهاً للسيئ من عادات الجاهلية وحرماً على نفسه الخمر فلم يشربها، ولما نال الخلافة في الإسلام قام بشؤون الأمة حق القيام فحارب الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي وقاتل الذين امتنعوا من إعطاء الزكاة، ثم اتجه إلى الاستعمار^(١) والفتح فافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق واتفق له قواد أمراء كخالد بن الوليد وعمرو بن

(١) يقصد العمارة والبناء.

العاصر، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة، وازدهرت أيام العالم الإسلامي في زمنه، وود الناس لو طال ولكن المنية عاجلته فأصابته حمى شديدة فعهد بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب حذرًا من اختلاف الأمة بعده، كما اختلفت بعد رسول الله.

ومات بعد أن حكم سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر وعمره ثلاث وستون سنة.

وكان موصوفًا بالحلم والصبر والرافة بالعامّة عادلاً في أحكامه أثبت في الوقائع الإسلامية في حياة الرسول وبعده حباً عجبياً وولوعاً غريباً بخير الأمة ونفعها وأظهر شجاعة وبسالة يدلُّك عليها ما أخرجه البزاز في مسنده عن علي أنه قال: أخبروني من أشجع الناس، فقالوا: أنت؟ قال: أما إني ما بارزتُ أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منّا أحد إلا أبا بكر شاهراً سيفه على رأس رسول الله (ﷺ) لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس... إلى آخر الحديث.

وقد شهد مع النبي (ﷺ) أكثر الغزوات وهو صاحبه في الغار ساعة لا ثالث لهما إلا الله، وكان خطيباً لساناً، وله مقالات محفوظة وكلمات مأثورة، ومن خيار ما يُنقل عنه وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما ولاه قيادة جمهور من المسلمين وسيره لفتح الشام فإنه شيعه ماشياً، وهو يقول له:

«إني قد وليتُك لأبلوك وأجربك؛ فإن أحسنت رددتُك إلى عملك، وزدتك، وإن أسأت عزلتُك، فعليك بتقوى الله؛ فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعِذهم إياه،

وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وإذا قَدِم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكري وهم جاهلون به، وأنزلهم في ثروة عسكري، وامنع مَنْ قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قِبَل نفسك، واسهر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكري، وأكثر مفاجأتهم في محارستهم بغير علم منهم؛ فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما: لقربها من النهار، لا تجالس العبَّاثين وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، ولا تغفل عن أهل عسكري فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتفِ بعلانيتهم، وستجد أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

ومن كلامه: «ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي والنكث والمكر، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣)، وقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠)، وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣).

وهو القائل لخالد بن الوليد: «فرَّ من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت تُوحَب لك الحياة» يريد بالشرف الرياسة والسيادة.

ولما عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كان كتاب عهده ما ترى:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله (ﷺ) عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب؛ فإن برَّ وعدل فذلك

علمي، ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

فانظر إلى الإنشاء العذب الذي يمثل لك البلاغة بأوضح معانيها، كما أنت تراه في تضاعيف كلامه وخطبه ووصاياه (رضوان الله عليه)، وكان إذا خطب يقول في ختام كلامه: «اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك»، فيُعرف أنه انتهى.

واطلع على هذه النبذة مما نقله عنه المؤرخون. قال أحدهم: كان أبو بكر إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه، فقيل له: هلاً أمرتنا؟ فقال: إن رسول الله (ﷺ) أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً.

ومن قصار خطبه مما أورده له ابن عبد ربه في العقد قوله:

«أيها الناس، اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال: هو موضعي ولي أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يده سلم وسلموا، وإن تركوه هلك وهلكوا معه، وهذا مثل ضربته لكم رحمة الله وإياكم».

وقد جمع الفاضل صاحب كتاب أشهر مشاهير الإسلام طائفة كبيرة من أخباره وآثاره بلغت مئة وخمسين صفحة فارجع إلى الجزء الأول منه إن شئت الاطلاع على أكثر مما قدمت لك، وأما كتب التاريخ كتاريخ أبي جعفر الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن خلدون وأشباهاها؛ فهناك الكثير من أنبائه (ﷺ).

ودفن مع النبي (ﷺ) في حجرة عائشة.

عمر بن الخطاب

ولد سنة ٤٠ ق.هـ وتوفي سنة ٢٣ هـ

مضى الخليفة الراشد الأول لسبيله بعد أن اختار للمسلمين إمامًا كان له من الذكر ما لم يكن لأحد من قبله ومن بعده: أعني ثاني الخلفاء الراشدين أبا حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، ذلك الرجل الكبير، وما أحسبني إلا على شيء من الجرأة وقد هممت بالإشارة إلى بعض نبأه في صفحات يسيرة من هذا الكتاب الذي يضيق عن الإطالة والإكثار من الأخبار، ولكن قول: ما لا يستطيع كله لا يترك قلبه، حدا بي أن أقول:

كان عمر (رضي الله عنه) من شرفاء العرب ووجوههم في الجاهلية والإسلام.

أما في الجاهلية فكانت له السفارة في قريش، وذلك أنهم إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرًا، وإن نافرهم حتى لمفاخرة جعلوه منافقًا وراضوا به.

وأما في الإسلام فحسبك أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو ربه أن يُعزَّز به دينه، وكان يُرزق من التجارة بين الشام والحجاز حتى ولي الخلافة.

أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ونصر الإسلام نصرًا بيِّنًا، وكان شجاعًا مهيبًا طويل القامة، إذا مشى فكانه راكب والناس يمشون.

وبويع بالخلافة سنة ١١ هـ يوم وفاة أبي بكر، فحذا حذوه وسلك سبيله، فسير البعوث وجيش الجيوش؛ فأتى فتح الشام والعراق وفتح القدس والمدائن ومصر والجزيرة، ودون الدواوين على الطريقة الفارسية لإحصاء أرباب الأعطيات وتوزيع المرتبات المالية عليهم، ووضع للمسلمين التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع الشهيرة كعام الفيل وعام الفجار، وكانوا يتعاملون بالدراهم والدنانير الفارسية والرومية ف ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وزاد في

بعضها « الحمد لله » وبعض « محمد رسول الله »، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء مدينتي البصرة والكوفة فشيديتا، وهو أول من دُعي بأمر المؤمنين، وكانوا ينادونه يا خليفة خليفة رسول الله، فاستثقلت، وضرب بعدله المثل.

قال علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «إن الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاية إلى يوم القيامة فسبقا والله سبقا بعيدا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابا شديدا، فذكرهما حزن للأمة وطعن على الأئمة...».

وكان يطوف في الأسواق منفردا ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وقصة «اضرب ابن الأكرمين» من غريب أخباره: روى أنس بن مالك فقال: بينا كان عمر جالسا أتاه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائد بك، فقال عمر: لقد عذت بمجير فما شأنك؟ فقال: سابتُ بفرسي ابنا لعمر بن العاص (وهو يومئذ أمير مصر) فجعل يعلوني بسوطه، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ ذلك أباه عمرًا فخشى أن آتيك، فحبسني في السجن، فانفلتُ منه حتى آتيتك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري: أقم حتى يأتيتك، فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج، وقعد عمر مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، فقام المصري، فرمى إليه عمر بالدرة (وهي سوطه)، وأشار إليه أن يضرب ابن عمرو.

قال أنس: فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم يُنزع حتى اشتهدنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين! فقال المصري: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، قال: ضعها على ضلع عمرو، قال: يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال: يا عمرو! متى

تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ فجعل عمرو يعتذر إليه، ويقول: إني لم أشعر بهذا.

قال الغزالي في إحياء علوم الدين: وشهد عند عمر شاهد فقال: اثني بمن يعرفك، فأتاه برجل: فائني عليه خيراً، فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا، فقال: كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا، قال: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهتمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى؟ قال: نعم! فقال: اذهب فلست تعرفه، وقال للرجل: اذهب فائني بمن يعرفك.

وذكر عنده رجل فقيل: يا أمير المؤمنين، فاضل لا يعرف من الشر شيئاً، فقال: ذاك أوقع له فيه.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري كتاباً يوصيه فيه: نقله ابن قتيبة في عيون الأخبار، نصه: «أما بعد؛ فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران: أحدهما لله والآخر للدنيا؛ فآثر نصيبك من الله؛ فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى، أخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً، وعُد مريض المسلمين، واشهد جنازتهم، وافتح لهم بابك، وباشر أمورهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً، وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها؛ فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة: مرت بواد خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السمن، وإنما حتفها في السمن، واعلم أن العاقل إذا زاعغ زاعغ رعيته، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام».

وهذه خطبة أوردتها له أبو جعفر الطبري قال: قال عمر:

«إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ وَلَّانِي أَمْرَكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بِحَضْرَتِكُمْ لَكُمْ وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ فِي قِسْمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَلَنْ يَغَيِّرَ الَّذِي وَلَيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خُلُقِي شَيْئًا، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ: إِنَّ عَمْرٍاءَ قَدْ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيٍّ، أَعْقَلَ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِي وَأَتَقَدَّمُ وَأَبَيِّنُ لَكُمْ أَمْرِي فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ ظُلْمٌ مَظْلَمَةٌ أَوْ عَتَبٌ عَلَيْنَا فِي خُلُقٍ فَلْيُؤْذَنِي إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعِلَانِيَتِكُمْ وَحَرَمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا يَحْمِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحَاكُمُوا إِلَيَّ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ، وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَيَّ صَلَاحُكُمْ، عَزِيزٌ عَلَيَّ عَتَبُكُمْ، وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ عَامَتُكُمْ حَضَرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَأَهْلُ بِلَادٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ، إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ وَعَدَكُمْ كَرَامَةً كَثِيرَةً وَأَنَا مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ، وَمَطْلَعٌ عَلَيَّ مَا بِحَضْرَتِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِيحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَةِ وَلَسْتُ أَجْعَلُ أَمَانَتِي إِلَى أَحَدٍ سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومن كلامه (رَبِّهِ): لا تؤخر عمل يومك إلى غدك.

- لَسْتُ بِخَبٍّ وَالْخَبُّ لَا يَخْدَعُنِي.

- اتَّقُوا مَنْ تَبْغِضُهُ قُلُوبُكُمْ.

- إِنَّمَا مَثَلُ الْعَرَبِ: مَثَلُ جَمَلٍ أَتْبَعَ قَائِدُهُ فَلْيَنْظُرْ قَائِدُهُ حَيْثُ يَقُودُهُ.

- لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ أَرْبَعٌ خِلَالٌ: اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَالشَّدَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَالْإِمْسَاكُ فِي غَيْرِ بَخْلٍ، وَالسَّمَاحَةُ فِي غَيْرِ سَرْفٍ؛ فَإِنْ سَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَسَدَتْ الثَّلَاثُ.

- مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ.

- مُرّ ذوي القرباب أن يتازوروا ولا يتجاوروا.
- تعلموا المهنة؛ فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته.
- إياكم والمعاذير؛ فإن كثيراً منها كذب.

ولما كان فجر يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ٢٣هـ، ووقف عمر للصلاة بالناس فاجأه فيروز أبو لؤلؤة الفارسي غلامُ المغيرة بن شعبة فطعنه في خاصرته بخنجر ذي رأسين مسموم فسقط عمر، فانهال الناس على الفارسي يريدون القبض عليه فطعن منهم ثلاثة عشر رجلاً هلك سبعة منهم، ثم طعن نفسه فمات متحرراً.

واختلف أصحاب الأخبار في الدافع الحقيقي لأبي لؤلؤة على عمله فقيل: إنه شكاً لعمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة فلم يره كثيراً فحقد عليه فضربه.

وقيل غير ذلك، وكله وهم وأمر اتخذاها الغلام الفارسي ليستر بها مؤامرة سياسية كانت بينه وبين جفينة النصراني من أهل الحيرة، والهرمزان الفارسي، ولا يُعلم إن كان ثمة غيرهما فإن عمر أبقى في قلوب الفرس والروم جروحاً لا تأسوها اليوم، أو ليس الذي قوّض أركان دولة الأكاسرة وزلزل عروش القياصرة بحزمه وبأس رجاله؟ كان فيروز الفارسي رجلاً غيوراً على أمته أخذته الآلام مما صنع أمير المؤمنين بقومه فأراد الانتقام ففعل ما فعل.

وأخذ عمر إلى داره فدعا بعلي وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وأمرهم أن يتشاوروا في أمر الخلافة وأن ينتظروا طلحة؛ فإن أبطأ فليقضوا بأحدهم وأن يشهدهم عبد الله بن عمر (ابنه) وليس له أن يولي، وإنما صنع ذلك ليتخلص من تبعة خلفه وليكون أمر المسلمين شوري، وقيل له في ذلك، فقال: إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني (يريد رسول الله) وإن استخلفت فقد

استخلفَ عليكم من هو خير مني (يعني أبا بكر)، وكأنه بهذا القول يشير إلى خيرة عرته في الأمر، فاختار سنة النبي الأمين ولم يعهد إلى أحد، وعاش ثلاث ليالٍ ثم لقي ربه.

هذا ما اتسع المجال لإيراده من أخبار أعدل الخلفاء وأمير الأمراء (رضوان الله ورحمته عليه) وإن شئت الزيادة فعليك بكتاب أشهر مشاهير الإسلام؛ فهناك نحو ثلاث مئة صفحة جمعت من أخباره ما لا تراه في غيرها.

عثمان بن عفان

ولد سنة ٤٧ ق.هـ وتوفي سنة ٣٥ هـ

توفي الله عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وترك الأمر شورى في ستة من كبار المسلمين وبعد بحث وحديث طويل تجده في تاريخ الطبري قرأ رأيهم على أن يكون ثالث الخلفاء الراشدين ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية: نودي به خليفة في المسلمين بعد وفاة عمر بثلاثة أيام، وهو أحد الرجال الذين أعز الله بهم الإسلام من السابقين إلى الدين، وله في سبيل الدعوة الإسلامية أياد بيضاء، وهو صاحب جيش العسرة.

وذلك أن رسول الله (ﷺ) لما حشد جيش العسرة في غزوة تبوك وقف في القوم، فقال: «مَنْ يُنْفِقُ اليوم نفقةً متقبلةً؟» فلم يكن من عثمان إلا أن جهّز نصف الجيش من ماله فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار، فقال رسول الله (ﷺ): ما ضرَّ عثمانَ ما عملَ بعد اليوم.

ولما ولي الخلافة كتب إلى أمراء الأمصار يقول:

«أما بعد؛ فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاةً ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباباً وإن صدر هذه الأمة خلُقوا رعاةً ولم يُخلَقوا جباباً وليوشكنَّ أئمتكم أن يصيروا

جُباة ولا يصيروا رعاة؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء».

وكتب إلى أمراء الجنود في الثغور:

«أما بعد؛ فإنكم حُماة الإسلام وذاتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملأ منّا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه».

وكتب إلى عُمال الخراج:

«أما بعد؛ فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به؛ والأمانة الأمانة: قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم».

وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار:

«أما بعد؛ فإنما بلغت ما بلغت بالاعتداء والاتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم؛ فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن؛ فإن رسول الله (ﷺ) قال: «الكفر في العجمة؛ فإذا استعجم عليهم أمرٌ تكلفوا أو ابتدعوا».

وسار عثمان في بادئ الأمر سيرة من تقدّمه، ثم ما لبث أن جعل يتشيع لأقاربه من بني أمية فيعزل عن البلاد الأكفاء ويوليها من لا يصلح لها منهم، وقد كان

عمر يتخوَّف ذلك منه. قال العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج من فصل عقده لذكر ما فُقم على عثمان في خلافته:

«لما ولي عثمان صحَّت فيه فِرَاسة عمر؛ فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع وافتتحت أرمينية في أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان بن الحكم، وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربع مئة ألف درهم، وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيَّره رسول الله (ﷺ) ولم يرده أبو بكر ولا عمر وأعطاه مئة ألف درهم، وتصدَّق رسول الله (ﷺ) بموضع سوق بالمدينة يُعرف بتَهروز على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان، وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية، وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب - وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة - من غير [أن] يشركه فيه أحد من المسلمين، وأعطى أبا سفيان بن حرب مئتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال للخلفاء شعراً كثيراً لست أدري مبلغه من الصحة، جاء فيه هذان البيتان لعثمان:

غنى النفس يُغني النفس حتى يكفَّها وإن عضها حتى يُضرَّ بها الفقرُ
وما عسرةٌ فاصبر لها إن لقيتها بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ

وترجم في كثير من كتب التاريخ الإسلامي ولعلك تجد ما يكفيك في أشهر مشاهير الإسلام.

علي بن أبي طالب

ولد سنة ٢٣ ق.هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ

أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين أبو الحسن، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي: ولد بمكة وأسلم صغيراً وناصر ابن عمه كبيراً؛ فكان من أعظم أعوان رسول الله (ﷺ) على نشر الدعوة الإسلامية والذود عن حياض شريعة القرآن، وكان ممتازاً بثلاث خلال: الشجاعة في الحروب: وهو ابن بجدها وصاحب الصوت والصيت في المعارك والملاحم، والفقه في الدين، وكان أعلم أصحاب النبي (ﷺ) بالأحكام وبه يضرب المثل في حسن القضاء، والفصاحة في المنطق، وله الخطب الرنانة والأقوال المتناقلة والكلم السوائر.

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان (عام ٣٥ هـ) فحدثت في أيامه من وقائع عظيمة أشدّها ما كان بينه وبين معاوية مزاحمه الأكبر على الخلافة والداهية الأموي المشهور.

يكاد الباحث المؤرخ يوجل من إبداء رأيه في صاحب هذه الترجمة عليه الرضى والسلام لما يراه من اختلاف الناس فيه وإدخال بعض العامة ورهط من الخاصة الحكم عليه في أمور الدين، علي أن العاقل المنصف إذا وجد مجالاً للقول لم يسعه إلا أن يجهر بحقيقة ما يجب أن يُذكر به هذا الخليفة الراشد مما يكون له أو عليه، لنترك أقوال الغالين في حبه والذين يبلغون به مقام الربوبية أو ما دونها، ولندعّ التعرض للمفاضلة بينه وبين من تقدمه من الخلفاء؛ فالأولون جهلة أغبياء لا يُقاومون بغير التهذيب والتعليم فلا تلبث أن تنقشع عن قلوبهم تلك العمّاية الرائنة والغواية الكامنة، وأما الخلفاء من الأصحاب فكأصابع الكف للدين، لكل منهم مقام ومنزلة لا ينوب بها عنه الآخر، ولا سيما والشحناء في مثل هذا لا تجدي من أوري بها الزند نفعا.

أما ما شغل جماعات المؤرخين من أنه كان الأحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، مما يؤدي بشريق من الناس إلى الحط من كرامتهم بنسبتهم إلى الظلم، ثم بأن يُقال فيهم ما يقال في الظالم المغتصب، فهذا أيضًا أمر مفروغ منه، والذي نعتقده أن أبا بكر كان أرضى لله والناس من سواه لاطلاعه على روح الدين في نشأته الأولى والثانية، حين كان أمير المؤمنين عليّ يُعدُّ في الفتيان، يقوده إلى الدين حبه لرسول الله (ﷺ) وشغفه بأخلاقه واستحسانه لما جاء به، وأبو بكر من شيوخ المسلمين وأهل الحنكة والدربة والعلم والرأي فيهم، فهو أولى بها، واجتهد أبو بكر في المسلمين فعهد إلى عمر فلم يكن دونه ضبطًا للأمور وقيامًا بمصلحة الأمة، وانتهى الأمر إلى عثمان فكان في عصره ما كان، وجاءت النوبة إلى علي والناس له مُريدون عليه مُجمعون، فكان (رَضِيَّ) شديدًا في الدين إذا رأى الرأي لم يردّذه عنه رادّ يصدع فيما يأمره به قلبه النقي وما يوحى إليه ضميره الطاهر غير وإن ولا مُحابٍ وأنت ترى أن سياسة الملك ربما قضت على القائم بها أن يفض بصره على بعض القذئ وأن يتوقع الفرصة ويتربص للسوانح؛ فهذا ما يأخذه على عليّ من آخذه، ومن دافع عنه عدّ تلك الخلال سياسة خداع ودهان، ورأى عليًا عليه الرضوان أجدر بأن لا يتصف بها وأحرى بأن يتعرى منها، وذلك ما يظهر لنا في أمره يتجلى لك فيما سنذكره من الكلام على أخباره:

قُتل عثمان ووليّ عليّ بمبايعة الناس له، فلم يكن لطيب له الصبر وهو يرى البلاد قد طوّقت ببني أمية وفيهم الصالح والطالح، فسيرّ الولاة إلى الجهات وعزل بعض من ولّاهم سلفه، وكانت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان عداوات وحزازات أشار إليها العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج حكاية عن معاصره أبي جعفر نقيب البصرة، قال (ج ٢، ص ٥٧٩): «وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع لعليّ لو أقرّه على الشام وبينه وبينه ما لا تترك الإبل عليه

من الترات القديمة والأحقاد، وهو - أي عليّ - الذي قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه وحتى تهدده معاوية، وقال له: إني شاخص إلى الشام وتاركٌ عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والله لئن أنحضت منه شعرة واحدة لأضربنك بمئة ألف سيف... إلخ».

فلما بعث عليّ الرجال إلى الأمصار سبر سهل بن حنيف والياً على الشام؛ فسار حتى بلغ تبوك فإذا خيل من الشام فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: عليّ أي شيء؟ قال: عليّ الشام. قالوا: إن كان بعثك عثمان فحيّ هلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع، فرجع إلى عليّ، وبلغ معاوية الخبر فقام في الناس فأخبرهم بأن عليّاً قتل عثمان وحرّضهم على القيام لقتل من اشترك في دمه فاتجهت إليه القلوب، وكان عليّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لما أراد توجيه الأمر بالعزل إلى معاوية وأضرابه من عُمال عثمان نهاه أصحابه وأطالوا عليه ولا سيما المغيرة بن شعبه وعبد الله بن العباس وهما من خيرة عقلاء المسلمين ودهاتهم فأبى وأصرّ (راجع كامل ابن الأثير المجلد الثاني)، قال له المغيرة: «أقرر معاوية وابن عامر - والي البصرة - وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت»، فكان يقول: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري»، قال: «فإن أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن فيه جرأة وهو في أهل الشام يُستمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قد ولّاه الشام»، فقال: «لا والله لا أستعمل معاوية يومين!»، ودخل عليه ابن عباس فحدثه عليّ بقول المغيرة فقال: نصحك. قال: ولم نصحنى؟ قال: «لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى ثبّتهم لا يبالون من ولي هذا الأمر، ومتى عزلتهم يقولون أخذ هذا الأمر بغير شوري، وهو قتل صاحبنا ويؤلّبون عليك فتتفض عليك الشام وأهل العراق مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكررا عليك، وأنا أشير عليك أن تثبت

معاوية؛ فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله»، قال علي: «والله لا أعطيه إلا السيف»، فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الحرب خدعة؟ قال: بلى! قال: «والله لئن أطلعتني لأصدرنهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نتصان عليك ولا أثم لك..» فأزعم عليّ على ما ارتأى وبعث الرجال فكان لسهل بن حنيف ما كان فلما عاد وأخبره أخذ يتجهز للزحف على الشام لقتال معاوية [و] من أخذ إخذه، وإذا هم نبأ جديد، جمع من المسلمين ثاروا عليه في البصرة يرأسهم طلحة والزبير الصحابيّان الجليلان وعائشة أم المؤمنين وكلهم يتهمونه بقتل عثمان، فحوّل عليّ قوّته إليهم وتوجه نحوهم فكانت الواقعة المعروفة باسم «وقعة الجمل» حاربهم فيها عليّ بنصراء له من أهل الكوفة والحجاز فظفر بهم وفرّق جمعهم، فلم يطمئن حتى بلغه وهو في الكوفة أن معاوية يتهاى للوثوب، فكتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى البيعة له ويؤكد له أنه بريء من دم عثمان، فأجابه معاوية بأنه: إن لم يكن هو قاتل عثمان؛ فإنه أغرئ به وخذّل عنه أنصاره، وأنه لا يبايع إلا بعد أمرين: أن يدفع إليه قتلة عثمان ينتقم منهم، وأن يترك الأمر شورى بين المسلمين كما تركه عمر؛ فإن اتفقوا عليه بايعه، فأغلظ له عليّ في الجواب، وترادفت الرسائل بينهما، ولم يشعر عليّ إلا وأهل الشام زاحفة بجيوشها عليه، فجهز أهل العراق، ومن كان معه من رجال الحجاز وخرج يريد القتال، فتلاقى الجمعان في موضع يقال له صفين (كسجّل: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس) قال ياقوت في معجم البلدان (ج ٥، ص ٣٧٠): «كانت وقعة صفين في سنة ٣٧ في غرة صفر.. وكان عليّ في مئة وعشرين ألفاً، ومعاوية في تسعين ألفاً، وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً.. وكان مدة المقام بصفين مئة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة».

واختتمت تلك الحروب الهائلة في ذلك السبب التافه حتى اتفق الفريقان على تحكيم رجلين منهما والرضى بما يتفقان عليه فاختر معاوية وأصحابه عمرو بن العاص القائد الداهية، واختار أصحاب عليّ أبا موسى الأشعري أحد الأشراف وكان في سن الشيخوخة؛ فخدعه عمرو في حديث طويل (تراه في تاريخ الطبري وابن الأثير) فخلع أبو موسى صاحبه عليّاً، وأثبت عمرو صاحبه معاوية، وعليّ في الكوفة ومعاوية في الشام، فانصرف الناس كل فريق إلى صاحبه وسلّم أهل الشام على معاوية بالخلافة، وأسف عليّ ما كان ثم خرجت عليه الخوارج فما زال في حروب وخطوب حتى اعترضه عبد الرحمن بن ملجم المرادي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وهو واقف بباب مسجد الكوفة يصيح بالناس: «الصلاة الصلاة» فضربه بسيفه فأصاب قرّنه وفرّ فشدّ عليه الناس فأمسكوه، وأخذ عليّ إلى منزله فجمع بنيه وأوصاهم بما يصلح به دينهم ودنياهم وأمرهم أنه إذا مات فليقتلوا ابن ملجم ولا يمثلوا به، ففعلوا ذلك، ودفن أمير المؤمنين بالكوفة عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة، وقال القلقشندي: دفن بالنجف.

ولم يتسع أجل عليّ (كرّم الله وجهه) لتكون له أوليات كبيرة، وإنما عُرف له منها أنه أول من وضع «بيت القِصص» وهو غرفة يُلقى بها الناس رقاعهم وشكاواهم، وتبعه بمثله بعض خلفاء بني العباس (ذكره ابن أبي الحديد).

وأما خطبه وأقواله فقد جُمعت في كتاب سُمّي «نهج البلاغة» وربما شك بعض الناس في نسبة جميعه إلى عليّ، وهو في أعلى طبقة من طبقات كلام البشر يَحْسُنُ بكل مشتغل في اللغة والأدب والإنشاء أن يكثّر من تلاوته، وقد شرحه أحد كبار علماء المعتزلة ابنُ أبي الحديد شرحاً وافياً (انظر ترجمة ابن أبي الحديد)، وفي هذا الشرح الكبير تجد جميع أخبار أمير المؤمنين وجانباً عظيماً من أخبار صدر الإسلام والمباحث الجدلية والفلسفية النافعة.

ومن كلامه: المرء مخبوء تحت لسانه، الناس أعداء ما جهلوا، لا راحة لحسود، لا مُروءة لكذوب، الراحة مع اليأس، من كثر مزاحه لم يخلُ من حقدٍ عليه واستخفافٍ به، كفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك، من أكثر من شيء عُرف به، الناس من خوف الذل في الذل، خير أموالك ما كفاك، وخير إخوانك من واساك، من عذب لسانه كثر إخوانه، بالبر يُستعبد الحر، إذا تم العقل نقص الكلام، النصيح بين الملاء تقريع، من أكثر فكره في العواقب لم يشجع، من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ.

وجاء في إحدى خطبه بصيغتين يوصي الجيش: «لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم؛ فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مذبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وإن شتمتكم؛ فإنهم ضعاف الأنفس والقوى».

ومن كلامه: قَصَمَ ظهري رجلان؛ عالم متهتك، وجاهل متسك، هذا ينثر الناس بتهتكه، وهذا يُضل الناس بتنسكه، ما ذبَّ عن الأعراض كالصنح والأعراض.

وقال لابنه الحسن: يا بني، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة ولا تُفش له كل الأسرار.

وقال: من كثر دينه لم تقر عينه، من فعل ما شاء لقي ما ساء، من استعان بالرأي ملك ومن كابد الأمور هلك، من حسنت سياسته دامت رياسته، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة.

وعنه (رَبِّهِ): الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتصاد بُلغة، والعزيم بغير الله ذليل، والغني الشره فقير، ولا تُعرف الناس إلا بالاختبار؛ فاختر

أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فافتك، والتودد والملق عند عطلتك، لتعلم بذلك منزلتك.

وجاء في خطبة أثبتها له الجاحظ في البيان والتبيين:

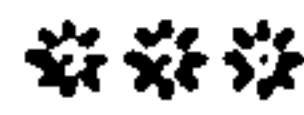
أما بعد؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة؛ فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة، وشمله البلاء، وألزمه الصغار، وسيم الخسف، ومُنِع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم - يريد بني غامد - ليلاً ونهاراً سرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوه قبل أن يغزوكم فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهيراً، حتى سُنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل ابن حسان البكري وأزال خيلكم من مسالحها وقتل منكم رجلاً صالحين، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلبها ورعشها، ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم حلماً فلو أن امرأً مُسلمًا مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي جديراً بها فيا عجبا من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلهم عن حقكم، فقبُحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمى وفيثاً يُنهب، يُغار عليكم ولا تغيرون وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في الحر قلتم حرارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر كل هذا فراراً من الحر والقر؟ فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أقر، يا أشبه الرجال ولا رجال! ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الخجال! وددت أن الله أخرجني من بين ظهرائكم وقبضني إلى رحمته من بينكم والله لو ددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفتكم، والله حرتُ ندماً وورثتم صدري غيظاً وجرعتموني الموت أنفاساً وأفسدتهم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب شجاع، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم! وهل منهم أحد أشد

لها مراسًا وأطول لها تجربة مني؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين، ولكنه لا رأي لمن لا يُطاع».

قال الجاحظ: وهذه الخطبة خطب عليّ بها الناس وهو جالس على باب السدة، أقول: وذلك في الكوفة؛ فإنه كان اتخذها دار إماراة له.

وروي له أصحاب المجاميع والأقاصيص شعرًا جعلوه في كتيب سموه (ديوان علي بن أبي طالب)، وجلّه أو كله مما ينطق ببراءته من عليّ لبعده عن بلاغة معاني أمير المؤمنين وضخامة ألفاظ ذلك الجيل العربي المحض وما يذكرونه ويعزونه إليه أشبه بشعر الفقهاء والمؤدبين فأين هو من ناشر لواء البلاغة (عليه رضوان الله وسلامه)، وقرأت في تاريخ النحاة للسيوطي كلمة نقلها عن المرزباني قال: ما صح عندنا ولا بلغنا أن عليّ بن أبي طالب قال شعرًا إلا هذين البيتين:

تلكم قريش تمنّني لتقتلني فلا وربك ما برؤوا ولا ظفروا
فإن هلك فرهنّ ذمتي لهم بذات روقين لا يعفولها أثر



بنو أمية في الشام

توطئة

مضى الكلام في الصحف السالفة على القسم الأول من كتاب الملوك والأمراء، وكان بها الكلام على الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين)، وهذا هو القسم الثاني نورد فيه تراجم ملوك بني أمية في الشام وهم الذين ورثوا الخلافة الإسلامية عن الحسن بن علي بن أبي طالب كما جاء في الكلام عليه، وإنما خُص بالذكر من كان في الشام منهم إعلامًا بأن ملوك الأندلس الذين من أصل أموي سيجري البحث عن رجالهم في فصل آت.

والدولة الأموية أسسها في الشام [و] أول أمرائها معاوية بن أبي سفيان، وكان كما سترى في ترجمته أميرًا على الشام من قبل عمر ابن الخطاب، ثم أقره على ولايته عثمان بن عفان وأراد علي بن أبي طالب عزله عنها فوثب عليه وألبس السياسة ثوبًا دينيًا فادعى أنه لا يحارب عليًا من أجل ملك أو رياسة، وإنما هو يعتقد أن عليًا قتل عثمان أو اشترك بدمه فهو يريد قتله ويطلب دمه على نحو ما أوردنا في ترجمة علي وانتهى الأمر بأن كان في المسلمين خلافتان في زمن واحد: راشدية في العراق، وصاحبها علي بن أبي طالب، وأموية في الشام وصاحبها معاوية بن أبي سفيان، فلما قُتل علي بايع أصحابه ابنه الحسن فصالح الحسن معاوية وولاه الخلافة فصفت لابن أبي سفيان يتوارثها بنوه من بعده، وبنو هاشم في معزل عنها يتطألون إليها، ولا يطولونها، حتى آلت إلى بني مروان وهم فرع من بني أمية وسنذكرهم في المبحث القادم بعد الكلام على معاوية وبنيه إن شاء الله ولا قوة إلا به.

معاوية بن أبي سفيان

ولد سنة ٢٠ ق.هـ وتوفي سنة ٦٠ هـ

بنو أمية بطن من قريش كبنى هاشم، وهم من ذوي السيادة والرياسة في هذه القبيلة، وإنما قُدِّمَ عليهم الهاشميون برسول الله (ﷺ)؛ فلما لقي ربه طمحووا نحو الإمرة من بعده، فتولاها أبو بكر فصبروا، وعمر فانكمشوا، وصارت إلى عثمان فأحياهم وأنعش آمالهم وفرقهم ولاية وحكامًا في البلاد.

أما معاوية وهو صاحب هذه الترجمة، فأبوه أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: ولد بمكة وأسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ)، وكان من ذوي الرأي والدهاء عارفًا بالكتابة وهي فضل كبير في ذلك الحين فجعله رسول الله (ﷺ) في كتابه.

ولما ولي أبو بكر ولاية قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا، وعرقه، وجبيل، وبيروت.

وآل الأمر إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فولاه ولاية الأردن، فرأى فيه معرفة وحزمًا؛ فلما مات أخوه يزيد وكان والي دمشق ولّاه عمر بدلًا منه.

وجاء عثمان وصلة النسب تربطهما فجمع له الديار الشامية معها وجعل ولاية أمصارها تابعين له، فشرع معاوية يتحجب إلى أهل الشام ويدني رؤساؤهم من حضرته حتى استألفهم واستمالهم إليه، ومات عثمان فقام عليّ مقامه، وهو الأمر الذي تكرهه أمية لعلمها بأن الخلافة متى توارثتها قريش حُرمت هي منها: فأعدَّ معاوية العدة واتخذ قتل عثمان ذريعة له يستحث به الجموع على قتال عليّ وأصحابه وكان بينهما ما أسلفنا ذكره في ترجمة عليّ من الحروب والوقائع بصفين وانتهى الأمر بإمامته على الشام وإمامة عليّ في العراق، ثم قُتل عليّ

وبويع بعده ابنه الحسنُ فسَلَّمُ الخلافة إلى معاوية (انظر ترجمته الحسن بن علي)، وذلك في عام ٤١ هـ، وهو المعروف بعام الجماعة لاجتماع المسلمين فيه يداً واحدةً على إمام واحد، ودامت له الخلافة حتى بلغ سن الشيخوخة فعهد بها إلى ابنه يزيد. ومات بدمشق فدفن في مقبرة باب الصغير.

ذلك إجمال في سيرة معاوية مؤسس دولة بني أمية، ومن عظماء ملوك العرب وخلفائهم، وهو أحد كبار الفاتحين، بلغت فتوحاته المحيط الأتلاطيقي [الأطلنطي]، وكان واليه على مصر عمرو بن العاص (الآتي ذكره) فافتتح السودان سنة ٤٣ هـ، وفي هذه السنة غزا عبد الله بن سوار العبدي القيطان من بلاد السند فأصاب مغانم كثيرة عاد بها إلى معاوية ورجع إلى الغزو فقتل في بعض بلاد السند، وكان عدد السفن في أيام معاوية ١٧٠٠ سفينة كاملة العدة، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، وذلك حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان، وفي أيامه فتح كثير من الجزائر اليونانية والدردييل وحاصر القسطنطينية بحرًا وبرًا سنة ٤٨ هـ فلم يتمكن من فتحها وأُصيبت سفنه بخسائر فادحة فعاد ما بقي منها، وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير (وهي الدور الواسعة المحصنة)، والحرس والحجاب، ولم يكن ذلك للخلفاء الراشدين لآزدرائهم تلك المظاهر والزخارف وبُعدهم عن أبهة المُلْك وقناعتهم بما كانوا عليه قبل الخلافة من السذاجة والتقشف وأما معاوية فلم يتسنَّ له ذلك في بلاد ألفت أنظارها ما كان عليه ملوكها السابقون من الروم، وربما سَخِرَت بمن كان دونهم وعَدَّتْه دخيلاً على الرياسة، حديث عهد بالإمارة، وهو أول من خطب قاعدًا لأنه كان بطيئًا بادنًا، وأول من قَدَّمَ الخطبة على الصلاة في يوم الجمعة، وكانت الخطبة بعد الصلاة فخاف معاوية أن يتفرق الناس عنه قبل أن يُتم ما يريد أن يقول فقدمها: وتابعه المسلمون حتى اليوم، وهو أول من جلس بين الخطبتين: وبقيت بعده إلى يومنا هذا، وفي أنساب

العرب للقلقشندي أنه كان طويلاً أبيض جميلاً مهيباً، قال: وكان عمر ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب!

وفي سنة ٥٠ هـ سار إلى المدينة بموكب حافل فألقى بها عدة خطب وكان قوي المنطق جيد البديهة سريع الخاطر، ومن أحسن ما تتمثل به سياسته في قوله في بعض خطبه:

«يا أهل المدينة إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه: كل امرئ منهم شيعة نفسه، فأقبلونا بما فينا؛ فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن معروف زماننا هذا مُنكر زمان قد مضى، ومُنكر زماننا معروف زمان لم يأت ولو قد أتى، فالرتق خير من الفتق، وفي كل مقال بلاغ ولا مقام على الرزية».

ودخل دار عثمان بن عفان - في المدينة - فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباه، فقال معاوية: «يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه؛ فإن نكثناهم نكثوا بنا ولا ندري أعليتنا تكون أم لنا، ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرض الناس».

وخطب في المدينة أيضاً فقال: «أيها الناس، إن أبا بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لم يُرد الدنيا ولم تُرده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُردها، وأما عثمان فنال منها ونالت منه، وأما أنا فمالت بي وملت بها؛ فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم».

وكان يُضرب المثل بحلم معاوية ومن أخباره أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض فيها عبيد لمعاوية من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب إلى معاوية: «أما بعد؛ فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي كان لي ولك شأن!»، فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تنفذ إليه جيشاً أوله عنده وآخره

عندك يأتونك برأسه، فقال: يا بني عندي خير من ذلك عليّ بدواة وقرطاس، وكتب: «وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله (ﷺ) وساءني والله ما ساءك، والدنيا هينة عندي في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي برقمًا بالأرض والعبيد، وأشهدت عليّ فيه ولتُصف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام»، فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه: «وقفتُ على كتاب أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام»، فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أشرق وجهه، فقال: «يا بني إذا رُميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء».

ويُذكر في الاتفاقات الغربية أن أول ملوك بني أمية اسمه معاوية وآخرهم معاوية، وأول ملوك الدولة الأيوبية صلاح الدين يوسف وآخرهم صلاح الدين يوسف، وأول ملوك بني العاص مروان وآخرهم مروان وأول ملوك الفاطميين عبد الله وآخرهم عبد الله.

يزيد بن معاوية

ولد سنة ٢٥ وتوفي سنة ٦٤ هـ

ما ينسّ المسلمون لا ترهّم ناسين فاجعتهم الكبرى بابت نبت نبهم وفادحتهم العظمى بأحب الناس إليهم تلك الجريمة المؤلمة التي اقترفها صاحب هذه الترجمة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني ملوك بني أمية: عهد معاوية إلى يزيد بالخلافة فلما مات تولّاها وانضم إليه من أخلصوا في حب أبيه وفاء له وتنفيذاً لعهد، وكان يزيد فتى لهو وقصف، ولكنه عارف بالأدب روي له من الشعر رقيقه، ولم تصف له الخلافة، بل كثرت في عهده الثورات وامتنع كثير من الناس عن مبايعته والرضى بخلافته، فقامت الفتنة في العراق ودعا أهل الكوفة الحسين ليبايعوه؛ فلما ارتحل إليهم اعترضه بكر بلاء عمرو بن سعد ابن أبي وقاص قادمًا

من قبل عبيد الله بن زياد، وكان يزيد قد كتب إليه يأمره بتوجيه من يقاتل الحسين قبل أن يبلغ الكوفة، فحاربوه، وقتله شمر بن ذي الجوشن، وأُتي برأسه إلى دمشق على ما قدمنا في ترجمته (انظر ترجمة الحسين)، فلما ذاع خبره كان عبد الله بن الزبير بمكة فحضر أهل مكة والحجاز على الثورة فبايعوه، واتفق أهل المدينة على خلع نائب يزيد، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان فطردوه من المدينة، وعلم يزيد بما حدث فوجّه مسلم بن عقبة في عشرة آلاف مقاتل فساروا إلى المدينة فافتحوها وجعلها مسلم مباحة للسلب والنهب ثلاثة أيام، ثم رحل عنها يريد مكة؛ فمات في طريقه بموضع يُعرف بالمشلل، وأقام نائباً عنه الحصين ابن نمير، فقدم مكة، فقاتله ابن الزبير فلم يزل بها حتى جاءه خبر موت يزيد فعاد بجيشه إلى الشام.

هكذا تجد المسلمين بعد اشتغالهم بفتح البلدان وتوسيع سلطة الدولة الإسلامية وتوطيد أركانها عادوا فشغلوا بأنفسهم، يقتل بعضهم بعضاً، ويحارب الرجل قريبه ونسيبه وحبيبه، ثورات في البلاد على كل مستخلف فيهم وخروج وعصيان وخوف مستمر:

كأنما القوم عادت جاهليتهم لهم فما أغنت الآيات والنذر

وفي أيام يزيد فُتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع، وكان قد وجّه يزيد إلى إفريقية فلما بلغ القيروان جمع من بها من الجند ودخل مدينة باغاية فحاربه أهلها وكانوا من الروم، ثم أغلقوا أبوابها، فأراد حصارهم ولكنه اختار قُصد غيرها، فسار إلى بلاد الزاب فامتلك مدينتها العظمى إربه، وسار إلى طنجة ومنها عاد بغنائم وافرة.

فانظر هداك الله إلى المسلمين في ذلك الحين لو وجهوا سيوفهم التي يضربون بها وجوههم إلى بلاد الأعداء وأمصار الروم وغيرهم هلا كانوا بلغوا أقاصي

الأرض وأطاعهم الناس أجمعون؟ وأنت ترى أن جيشًا قليل العدد قليل العدد يتوغل يحارب البرابرة والروم ويرجع ولواؤه يخفق بالظفر والغنم والربح.

وكانت وفاة يزيد بجوار أبيه من أرض حمص لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأولى، وعمره تسع وثلاثون سنة، وخلد في صحيفة بني أمية تلك النقطة السوداء التي لن تزول، وقد سبق القول بأن ليزيد شعرًا مرويًا فلا نرى بأسًا من ذكر شيء منه، وإن كنت لا أثق بصحة كل ما يُنقل عنه من هذا النوع؛ فمن ذلك قصيدة تنمى إليه في كتب الأدب قال:

خذوا بدمي ذات الوشاح فإني	رأيت بعيني في أناملها دمي
ولا تقتلوها إن ظفرتم بقتلها	بلى خبروها بعد موتي بمأثمي
لها حكم لقمان وصورة يوسف	ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس	وآلام أيوب وحسرة آدم
إلى أن يقول:	

ولما تلاقينا وجدتُ بنانها	مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت: خضبت الكف؟ بعدئ، وهكذا	يكون جزاء المستهام المتبم
فقلت وأبدت في الحشا حرق الجوى	مقالة من في القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته	فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيته نائيا	وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيت دما يوم النوى فمسحته	بكفي وهذا الأثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صباة	بسعدي شفيئ النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا	بكاهها فكان الفضل للمتقدم

وَتُنسَبُ لَهُ الْقَصِيدَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنْلَهُ يَدِي نَقَشَا عَلَى مَعْصَمٍ أَوْهَتْ جَلْدِي

وَيُرَوَّى لَهُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ:

دَعَوْتُ بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَجَاءَنِي غَلَامٌ بِهِ خَمْرًا فَأَوْسَعْتُهُ زَجْرًا

فَقَالَ: هُوَ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ وَإِنَّمَا تَبَدَّى بِهِ خَدِي فَأَوْهَمَكَ الْخَمْرَا

وَهُوَ صَاحِبُ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ قَالَهَا حِينَ جَاءَهُ النَّبَأُ بِمَوْتِ أَبِيهِ، وَكَانَ غَائِبًا عَنْ

دَمَشَقَ:

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقَرطاسٍ يَخْبُ بِهِ فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قَرطاسِهِ فزَعَا

قُلْنَا: لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ قَالُوا الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُشْتَبًا وَجَعَا

فَمَادَتِ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا كَأَن أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا انْقِلَعَا

ثُمَّ انْبَعَثْنَا إِلَى خَوْصٍ مَزْمَمَةٍ نَرْمِي الْعِجَاجَ بِهَا مَا نَأْتَلِي سُرْعَا

فَمَا نَبَالِي إِذَا بَلَفَنَ أَرْحَلُنَا مَا مَاتَ مِنْهُمْ بِالْمَوْمَاةِ أَوْ طَلَعَا

أَوْدَى ابْنُ هَنْدٍ وَأَوْدَى الْمَجْدُ يَتْبَعُهُ كَذَا [ك] كُنَّا جَمِيعًا قَاطِنِينَ مَعَا

أَغْرُ أُبْلَجٌ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ لَوْ قَارَعَ النَّاسُ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ قَرَعَا

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَرْقَعُوهُ وَلَا يَوْهُونُ مَا رَقَعَا

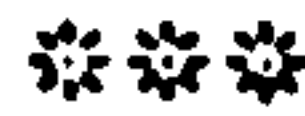
قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَالْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ سَرَقَهُمَا مِنَ الْأَعَشَى.

معاوية بن يزيد

ولد سنة ٤١ ومات سنة ٦٤ هـ

لما مات يزيد بايع أهل الشام ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ثالث ملوك بني أمية وأضعفهم: فتولى الملك ثلاثة أشهر بعد أبيه وأصيب بأمراض حالت بينه [وبين] شؤون الخلافة والنظر في مصالح الناس فأمر فنودي: «الصلاة جامعة» فاجتمع الناس فقام فيهم خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به، ثم تقلده أبي، ولقد كان غير خليق به، وصرت أنا الثالث والساخط علي أكثر من الراضي، وقد ضعفتُ عن أمركم، ولا أحب أن ألقى الله (عَزَّوَجَلَّ) بتبعاتكم، فابتغيتُ لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم، فأنتم أولى بأمركم، فاختروا له من أحببتهم، فقد خلعتُ بيعتي من أعناقكم».

ثم دخل منزله وأغلق بابه وأقام يعبد الله حتى مات، ولم يعيش في الرواية المشهورة أكثر من أربعين يوماً.



ملوك بني مروان

صلة

رأيت في ترجمة «معاوية بن يزيد» آخر أبناء معاوية بن أبي سفيان، كيف ترك الخلافة للناس دون أن يعهد أو يوصي واعتذر عن نفسه بأنه لم يجد الرجل الذي يُحق له أن يركن إليه ويعتمد في أمور المسلمين عليه، وأنت ترى أن المسلمين كانوا على عهد والده في نفور واضطراب وسُخط فلما بلغهم موته، وتولية ابنه معاوية المعروف بالضعف وقصر اليد قويت شوكة الثائرين، فبويع لابن الزبير بالخلافة في الحجاز وامتدت سلطته إلى المدينة ومصر فسير إلى المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، وإلى مصر عبد الرحمن بن جحدم الفهري، واليين عليهما، وأبعد بني أمية ومروان بن الحكم إلى الشام، وانبتت الدعاة إلى ابن الزبير بحمص وقنسرين وفلسطين والعراق، ولا سيما حين استقال معاوية من الملك وتركه لمن لا يُعرف من يكون، واختلف أهل دمشق وفيهم مريدون لابن الزبير. ومبايعون لمروان بن الحكم، ثم انتهى الأمر باجتماع الشاميين على مروان وهو ابن الحكم بن العاص بن أمية، أمويٌّ ولكنه غير مُعاويٍّ فكان أول من مَلَكَ من هذا البيت وترادفت أبنائه من بعده وبويع ابن الزبير في الحجاز والعراق فاجتمع للمسلمين خليفتان حتى كان زمن عبد الملك بن مروان فوجه الحجاج إلى ابن الزبير فقتله وصلبه، ثم نشأت الثورة العباسية على ما سيذكر إن شاء ربك.

مروان بن الحكم

ولد سنة ٢ وتوفي سنة ٦٥ هـ

علمت ما كان في أيام معاوية بن يزيد من تركه للملك على ما تقدم بيانه وقلنا: إن أهل الشام اتفقوا على مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو أموي قرشي.

وكان شيخاً كبير السن، ولد بمكة وانتقل إلى المدينة حتى كانت أيام عثمان ابن عفان جامع شتات بني أمية بن عبد شمس فقربه عثمان إليه وجعله أحد خاصته الذين يرجع إلى آرائهم ويعتمد عليهم في المعضلات ولما قُتل عثمان انصرف إلى مكة وأقام يتردد بين الحجاز والشام حتى طرده ابن الزبير من مكة، فانصرف إلى الشام وهي بلا خليفة بعد انفصال معاوية بن يزيد عن الخلافة، فبويع مروان بها لسنه وقربه من عثمان وأمويته فهدأ الشام وخرج إلى مصر فصالحه أهلها، وكانت قد فشت فيها البيعة لابن الزبير فوثق منهم مروان وولى عليهم ابنه عبد العزيز وعاد إلى الشام، ورجا أن تصفو الخلافة لبنيه إلا أنه خاف مطالبة خالد بن يزيد بن معاوية بها متى كبر، وكان آنئذ صغيراً فرأى أن يستميله فتزوج أمه.

وبقي مروان في الملك تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، حتى دخل عليه يوماً خالد بن يزيد في شأن له فشتمه مروان وسب أمه فانحرف إليها ونقل لها الكلام فانتظرت حتى أقبل فوضعت على وجهه وسادة ضخمة بعد أن اضطجع وأمرت الجواري فقعدن عليها فصاح واستنجد فلم يغثه فمات مخنوقاً (قال ابن الأثير)، وقال القلقشندي: توفي بالطاعون بدمشق.

عبد الملك بن مروان

ولد سنة ٢٦ وتوفي سنة ٨٦هـ

ما انفكت خلافة الأمويين في اضطراب وتزلزل منذ غادر الحياة معاوية الأول حتى انقلبت العوبة في أيدي الرجال، فقاذف لها زاهدٌ بها، ومتلقف لها راغب فيها ومشرئبٌ إليها طامع بانتقالها إليه، بحيث لم تستقر على حال واحدة إلا في زمن صاحب هذه الكلمة وهو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه مروان سنة ٦٥هـ فبويع في دمشق وأعظم ما يهدد ملكه استفحال أمر عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق، فلما بويع قام في الناس خطيباً فقال:

- «أيها الناس إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بالخليفة المدهن - يريد معاوية الأول - ولا بالخليفة المأفون - يريد يزيد بن معاوية - فمن قال برأسه كذا - أي امتنع - قلنا له بسيفنا كذا - أي ضربناه - ثم نزل».
- وعلم عبد الملك أن ابن الزبير وجّه المختار الثقي إلى الكوفة أميراً عليها فجهز عبد الملك جيشاً فيه عبيد الله بن زياد ورجال من كبار القادة عنده فأرسل المختار جيشاً لقتال عبيد الله بقيادة إبراهيم ابن الأشر، فالتقى الجيشان بالجازر (قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن) فقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه وأخذت رؤوسهم إلى ابن الزبير، فلما بلغ عبد الملك ذلك عظم عليه فنادى أهل الشام فلم يلبوه، وكان في رجال شرطته الحجاج بن يوسف، وهذا أول ما اشتهر به: فتقدم إلى عبد الملك فسأله أن يسلطه عليهم، فقال: قد سلطتك!! فانصرف من مجلسه لا يمر على رجل من أهل الشام قد تخلف عن القيام إلا أحرق عليه داره، فجزع الناس واتجهوا إليه فجهزهم عبد الملك وسار بهم يريد العراق، وخرج إليه مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقوا بين

الشام والعراق، وكان عبد الملك كتب كُتُبًا إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم إلى نفسه ويجعل لهم الأموال، فلما تلاقى الفريقان انضم رجال مصعب إلى عبد الملك، وبقي مصعب في قليل من أصحابه فأتاه غلام لعبيد الله ابن ظبيان فأعان عليه مولاه عبيد الله بن ظبيان فقتلاه (وستأتي ترجمة مصعب في القواد)، ودخل عبد الملك الكوفة، فبايعه الناس فجاءه الحجاج فقال: رأيت في المنام كأني أسلخ ابن الزبير من رأسه إلى قدميه، وكان عبد الملك قد رأى من الحجاج حزمًا وشدة بأس فقال له: أنت له، فخرج الحجاج بجيش كثيف يريد عبد الله بن الزبير.

وفي سنة ٧٢ هـ كان في منى ثم حصر ابن الزبير في مكة ونصب المجانيق على جبالها ونواحيها يرمي أهلها بالحجارة، وانتهى القتال بقتل عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين في العراق والحجاز، فأرسل الحجاج رأسه إلى عبد الملك بن مروان في دمشق، ونصب للناس راية الإمارة فجعلوا يغدون عليه، فلم ينصرف عن الحجاز إلا وهي مبايعة لعبد الملك وبهذا سكنت الفتنة واجتمع المسلمون مع عبد الملك واستتب له الأمر فيهم، ودامت له الخلافة العامة بعد مقتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر.

وكان يقال: معاوية للحكم، وعبد الملك للحزم، وكان ملكًا جبارًا على من عانده وقوي الهيبة شديد السياسة، حسن التدبير، جمع بين العلم والعقل.

قال الشعبي: ما ذاكرت أحدًا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ما ذاكرته حديثًا ولا شعرًا إلا زادني فيه.

وقال نافع وهو من مشاهير القراء: لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشد تشميرًا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان.

وفي أيامه كانت تكتب الدواوين باللغتين الفارسية والرومية فأمر بترجمتها

ونُقلت إلى العربية، وهي مأثرة تذكر، وكانت الرعية كما علمت من ترجمة عمر ابن الخطاب وغيره تتكلم بحضرة الخلفاء وترجع إليهم في جميع أمورهم؛ فنهاهم عبد الملك عن ذلك وجعل الكلام لخاصته ومن أراد من العلماء والأمرء.

وهو أول من سلك الدنانير في الإسلام، وكان عمر قد سلك الدراهم كما أسلفنا، وكأني بعبد الملك اتخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إماماً له يقتدي به في سياسته وأعماله فإنه أتم مشروعات جليلين بدأ بهما عمر، وهما: الدواوين، وضعها عمر على نسق الفرس بلغتهم ونقلها عبد الملك إلى العربية، والدراهم: نقشها عمر فتابعه عبد الملك بنقش الدنانير، ولعل هذا كان سرّ صفاء الأمر له وخلوّه من المكدرات.

وفي مراسلاته وكتبه نجد عقلاً كبيراً وحباً للخير جمّاً: كتب إليه الحجاج بن يوسف عامله على العراق في شأن عروة بن الزبير عامل اليمن، وكان قد لجأ إلى عبد الملك:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن لو ذان المعترضين بك وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك واستلافتهم دمث أخلاقك وسعة عفوك كالعارض المبرق لأعدائه، لا يعدم له شائماً رجاء استمالة عفوك، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال، والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله، وفي استخراج منه قطع لطمع غيره فليبحث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام».

فأجابه عبد الملك: «بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خارطاً في السياسة ضبط عشواء الليل؛ فإن رأيك الذي يسؤل لك أن الناس عبيد العصا هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب

عليك، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوبًا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هداه إذا رَجَوْا بذلك إدراك الثأر منك، وقد وُلِّتَ العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحمى أنوفًا وأقرب من عمياء الجاهلية وكانوا عليهم أصلح منهم عليك، وللشدة واللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة والسلام».

وفي أيام عبد الملك ضُبِطَت الحروف العربية النقط والحركات؛ فعل ذلك نصر بن عاصم النهوي المتوفي سنة ٩٠هـ، ولما حضرت عبد الملك الوفاة جمع أبناءه وقال يعظهم:

«أوصيكم بتقوى الله؛ فإنها عصمة باقية، وجنة واقية وهي أحسن كهف وأزین حلية، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والفرقة والخلاف، فبهما هلك الأولون، وذل ذوو العز المعظمون كونوا بني أم بَرَّة لا تدب بينكم العقارب، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب؛ فإنهم أصون له وأشكر لما يؤتى إليهم منه، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فإن استقالوا فأقبلوا، وإن عادوا فانتقموا»، ثم أقبل على ابنه الوليد ولي عهده فقال: «لا أُلْفِيَنَّكَ إِذَا مِتُّ تعصر عينيك! وتحنُّ حين الأمة! ولكن شَمِّرْ واتزر والبس جلد نمر! وذُلِّني في حفرتي وخلِّني وشأني وعليك وشأنك، ثم ادعُ الناس إلى البيعة؛ فمن قال برأسه كذا (لا) فقتل بالسيف كذا (اضرب عنقه)»، والجملة الأخيرة أثبتها مترجموه له مرَّتين، حين وُلِّيَ وحين وُلِّيَ، كما رأيت، ومات في منتصف شوال فدفن خارج باب الجابية.

لخصت هذه الترجمة من الكامل لابن الأثير (المجلد الثالث)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح، والعقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢)، وفوات الوفيات (ج ٢)، والمعارف لابن قتيبة وغيره.

الوليد بن عبد الملك

ولد سنة ٤٨ هـ وتوفي سنة ٩٦ هـ

اتصف أكثر الملوك من بني مروان بصفات جعلت لهم فضلاً كبيراً على العالم الإسلامي؛ ففيهم الزاهد الناسك في غير ضعف، والمؤطد السائد في غير عنف، والعمري الفاتح، والرجل الصالح، مما لا يُنكره المنكر ولا يجحده الجاحد، وكان عمرانيّهم الأكبر وصاحب الآثار فيهم مترجمنا هذا.

وهو: أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الأمويّ القرشي، ولي الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك (سنة ٨٦ هـ)، والبلاد مطمئنة والمسلمون ساكنون، فوجّه القواد لفتح البلاد فكان من رجاله موسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد، فسيّره الوليد إلى بلاد المغرب (سنة ٨٩ هـ)، وموسى سيّر طارقاً، فاجتاز طارق جبال إلبيرة، وهي سلسلة جبال تفصل بين مملكة أسبانيا (الأندلس) وفرنسا، وافتتح الجانب الجنوبي من فرنسا، وأوشك يتوغل في أوروبا، إلا أن موسى حسده ولحق به وأهانته وأوقفه عن السير وقيل: إنه سجنه فبلغ الوليد ذلك فطلب موسى إلى الشام وضربه وطرده إلى مكة، حيث كانت وفاته، وأصبحت جبال إلبيرة (أو البرينات) حدّاً بين العرب والعجم.

وامتدت في زمنه المملكة العربية شرقاً إلى بلاد الهند فتركستان فحدود الصين، بحيث بلغت مسافتها ستة أشهر بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، قال أحد المؤرخين: فتح المسلمون في ثمانين عاماً ما لم تفتحه الرومان في ثمان مئة.

أما ولوع الوليد بالبناء والعمران فكان غريباً جداً، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٨٨ هـ: «وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز - والي المدينة - يأمره بتسهيل الشايات وحفر الآبار وأن يعمل الفوارة بالمدينة فعملها وأجرى ماءها

فلما حج الوليد ورآها أعجبه فأمر لها بقوام يقومون عليها، وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار، ومنع المجذومين من الخروج على الناس وأجرى لهم الأرزاق. اهـ.

والوليد أول من أحدث المستشفيات في الإسلام وأمر ببنائها مؤساة للمرضى والمصابين بعقولهم، وجعل لكل أعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال ولا عمل له إلا قيادته والنظر في شأنه، وأقام لكل مقعد خادما، ونشط القراء المشتغلين بحفظ القرآن الكريم فخصص لهم أموالا تكفيهم وتمنعهم من أن يكونوا عالة على الناس أو يتخذوا القرآن حرفة يعيشون بها كما هو الحال اليوم في بلاد المسلمين من تكسب القراء بالقراءة، حتى دخلت علينا بدعة من أسوأ البدع في الإسلام، وهي بيع الخُتْمَةِ بقيمة محتومة وهم يحتالون على الله فيجعلون الدراهم هبة ويهبون الخُتْمَةَ لروح الميت ولو امتنعت من بذل المقابل من الأجرة لظنوا على دفينك بالكلمة يتلونها والحرف يجودونه، وهذا بحث يجر إلى سواه فلنتركه إلى الباحثين من علماء الدين.

وأقام الوليد بيوتا ومنازل تأوي إليها الغرباء وتهوي عليها الضيفان كما هو الشأن في قبائل العرب والآخذين إخذهم، وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ثم بناه بناء جديدا، فجعل مساحته مئتي ذراع في مئتين (ذراعا هاشميا، وهو نحو نصف الذراع الشامي)، ودفع أثمان البيوت من بيت مال المسلمين، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة، وبنى المسجد الأقصى في القدس، أرسل إليه الصُّنَّاع والعملة من الشام، والمأثرة الخالدة للوليد بناؤه مسجد دمشق المعروف بالجامع الأموي وهو من أشهر مساجد البلاد الإسلامية وفيه قبر ماريوحنا، وكان كنيسة لنصارى الشام فلما فتح خالد بن الوليد دمشق ودخلها عنوة من جانبها الشرقي دخل الكنيسة، وقد علم أن أبا عبيدة بن الجراح دخلها صلحا من الجانب الغربي فاتفق المسلمون مع الروم على أن يجعلوا النصف

الشرقي مسجداً ويبقى النصف الغربي كنيسة، فلما استُخلف الوليد الأموي دعا النصارى إلى أن يعرضهم عن ذلك الجانب الغربي الذي بأيديهم مكاناً غيره في دمشق، فأبوا فانتزعه قهراً وضمه إلى النصف الأول.

وكتب إلى ملك الروم والقسطنطينية أن يوجه إليه اثني عشر ألفاً من صناعات بلاده فأبى فهدده فأذعن وبعث بهم وأنفق على بنائه، كما نقل ابن جبير في حلقته عن ابن المعلّى الأسدي (١١, ٢٠٠, ٠٠٠) أي نحو ستة ملايين ليرة إنكليزية من نقود زماننا، وعلّق فيه ست مئة سلسلة ذهبية للمصابيح، وملاً جدرانها كلها بنصوص النسيخاء ممزوجة بها أنواع من الأصبغة الغريبة تمثل أشجاراً وأغصاناً بديعة الصنع، بدأ فيه سنة ٨٨هـ، ومات ولم يكمله فاتمه أخوه سليمان، وقد وصف ابن جبير هذا المسجد وصفاً شاملاً فارجع إليه إن شئت ولا بأس بنقل النبذة التاريخية الآتية عنه قال:

«وله - أي الجامع الأموي - أربعة أبواب: باب قبلي، ويُعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين - لعلها المعروفة بالصاغة اليوم - وهي كانت دار معاوية (رضي الله عنه) وتُعرف بالخضراء، وباب شرقي، وهو أعظم الأبواب ويُعرف بباب جيرون، وباب غربي، ويُعرف بباب البريد، وباب شمالي، ويُعرف بباب الناطنيين، وللشرقي والغربي والشمالي أيضاً من هذه الأبواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظرًا الدهليز المتصل بباب جيرون، ليخرج من هذا الباب إلى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوّسة لها ستة أعمدة طوال، وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي (رضي الله عنه)، ثم نُقل إلى القاهرة وبازائه مسجد صغير يُنسب لعمر بن عبد العزيز... إلخ».

وبالجملة فقد كان هذا المسجد من مفاخر الأبنية الإسلامية ولما ولي عُمر ابن عبد العزيز أتاه جمع من النصاري وأروه عهدًا في أيديهم من الصحابة بإبقاء جانب الغربي لهم فهم بإعادته إليهم، ثم عوضهم منه بمال عظيم أرضاهم به فقبلوه.

وأُحرق هذا الجامع مرات متواليات آخرها في عهدنا هذا، وبنائه اليوم يختلف كثيرًا عن شكله الأول؛ فإنه الآن مسجد متسع عمارته لا تزيد عن عمارة غيره من المساجد العظيمة المبنية في الأزمنة المتأخرة وفيه كثير من آثاره لا تزال كمشهد الحسين وبعض الأعمدة وشيء من الفسيفساء في الجانب الشمالي من داخله، وقد أطلنا في الكلام عليه حتى كدنا نخرج عن موضوعنا.

وامتدت الخلافة للوليد تسع سنين وثمانية أشهر أبقى فيها آثارًا جليلة وذكرًا حسنًا، وكان محبًا للنساء كثير الزوجات، قيل: إن عدد اللواتي تزوجهنَّ ينيف على الستين، وكان كثير الصدقات والمبرات والخيرات، وكانت وفاته بدير مران في غوطة دمشق، ودُفن بها وقيل في خارج الباب الصغير.

وهذه الترجمة لخصتها من كتب كثيرة أوثقها: (الكامل: ج ٤، ٥)، وشذرات الذهب، والفخري لابن الطقطقي، ورحلة ابن جبیر، وتاريخ الشام لابن عساكر.. وغيرها.

سليمان بن عبد الملك

ولد سنة ٥٤هـ وتوفي سنة ٩٩هـ

لم يكن صاحب هذه الترجمة من أولئك الرجال الذين حالفهم التوفيق فشادوا وسادوا ولكنه قصرت مدته وحاول القيام بعمل عظيم فلم يفلح وكان الناس قد استبشروا بتوليده بعد أخيه، وذلك أنه ببيع يوم وفاة أخيه الوليد وهو بالرملة سنة ٩٦هـ فلم يتخلف عن مبايعته أحد لرسوخ قدم هذه الأسرة في منصب الخلافة

ولكُره الناس المشاغب بعد ما قاسُوا وما عانُوا في أيام مروان ومن تقدمه، وكان الحجاج بن يوسف قد توفي سنة ٩٥هـ، أي قبل تولية سليمان بسنة والناس له كارهون، ومن شدته مشتكون، فسَرَّهم موته ثم استُخلف سليمان فأملوا به خيرًا؛ فإنه أطلق الأسرى وأمر بإخلاء السجون والعفو عن المجرمين وأحسن إلى الناس بما علَّقهم بحبه، وعهد أولاً بالخلافة إلى ابنه أيوب، فمات في حياته فعهد إلى وزيره ومشيره ابن عمه عمر بن عبد العزيز الملك الصالح، وكان الناس يعرفون صلاحه وحسن دينه وفضله، فشملهم السرور وسَمُّوا سليمان: مفتاح الخير.

وهو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، وكان موصوفًا بالنصاحة وجودة الفهم والفطنة وحب الخير والعدل والميل إلى فتح البلدان والغزو.

وفي سنة ٩٨هـ أراد أن يقرن اسمه بأسماء كبار الفاتحين فجهز الجيوش والسفن وسيرها بقيادة أخيه مَسْلَمَةَ بن عبد الملك لحصار القسطنطينية فلما بلغها خدعته الروم وأصاب الجيش جوع شديد ومحنة وبلاء ولم يزل بها حتى بلغه موت أخيه سليمان، وتولية عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر أن يعود فعاد، ولم يُصب نجاتًا، وفي أيام سليمان فُتحت جرجان وطبرستان من بلاد الترك ولم تكن أمصارًا، بل هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يُقدم عليه أحد.

وكانت عاصمة دمشق عاصمة آبائه، وأما إقامة مدة خلافته فأكثرها كان في دابق من أرض قنسرين، وبها مات ودفن ولم يحكم غير سنتين وثمانية أشهر إلا أيامًا، وكان مُعجبًا بنفسه، لبس يومًا حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال: أنا الملك الفتى! فمات قبل تمضي عليه جمعة، ونظرت إليه جارية فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنتَ تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

عمر بن عبد العزيز

ولد سنة ٦٢هـ وتوفي سنة ١٠١هـ

لعلك تجد في بعض كتب التاريخ والسير اسم هذا الخليفة الأموي مقترناً
بلقب: خامس الخلفاء الراشدين؟ وأنت تعلم أن زمرة الراشدين قد ذهب بهم
وذهبوا به فكيف عادت تلك النعمة المحبوبة والذكرى المصطفاة؟ فاعلم أن
صاحب هذه الصحيفة وهو:

أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: الخليفة المرواني الأموي
القرشي: هو الرجل الفذ الذي سلك طريقة الراشدين واهتدى بهديهم ونسج
على منوالهم، هو الملك الناسك والخليفة الصالح والإمام العابد، مولده
بحلوان قرب القاهرة، ولما شبَّ وُلِّيَ إمارة مصر، ثم استوزره سليمان بن عبد
الملك، وولي الخلافة بعهد من سليمان ولم يكن يعلم به؛ فلما مات سليمان
(سنة ٩٩هـ) أقبل رجاء بن حية أحد المقرَّبين من سليمان وكان ذا رأي وفضل
فنادى بالناس فاجتمعوا إليه في مسجد دمشق فابتدأ يقرأ عليهم عهد سليمان إلى
عمر، وعمر بناحية من المسجد يستمع كغيره فلما ذكر اسمه وكان يخشى أن
يكون هو المولى وهذه صورة العهد:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر
ابن عبد العزيز: إني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك،
فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم».

فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأسرع إليه رجل من ثقيف يقال له سالم، من أخوال عمر، فأخذ بضبعيه فأقامه، فالتفت إليه قائلاً: أما والله ما الله أردت بهذا ولن تُصيب بها مني دنيا! ثم أجلسه رجاء بن حياة على المنبر فأقبلت الناس تباعه وهم يبيكون على سليمان، ثم وقف عمر فحمد الله وصلى على نبيه وقال:

«أيها الناس، إني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه ولا طلبه ولا مشورة من المسلمين، إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاخhtarوا لأنفسكم غيري»، فصاحوا كلهم: قد اخترناك ورضيناك، فقال: «أوصيكم بتقوى الله؛ فإنَّ تقوى الله خَلَفَتْ من كل شيء وليس من تقوى الله خَلَفَ واعملوا لآخرتكم فإنَّ من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته وأصلحوا سرائركم يُصلح الله علانيتكم، والله إني لا أعطي أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً، من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطيعتُ الله؛ فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ولما نزل أُتي بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا؟ فقيل: مراكب الخلافة. قال: دابتي أوفق لي، وركب دابته وصُرفت تلك الدواب، فقيل له: أُنزل الخلافة نبغي؟ قال: لا؛ فإن فيه عيال أبي أيوب - يعني سليمان بن عبد الملك - وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا، ولما استقرَّ به مجلسه دعا بكاتب واحد فجعل يُملي عليه الرسائل إلى العمال، فكان فيما كتبه كتاب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

«... أما بعد؛ فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يُصلح عمل المنسدين».

وإلى سليمان بن أبي السري: «... واعمل خانات فمن مرَّ بك من المسلمين فاقروه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم، ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين، وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده».

وكتب إلى عامل الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب:

«... أما بعد؛ فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة سنّها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكوننّ شيء أهم إليك من نفسك فلا تحمّلها قليلاً من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر - يريد في أمر الجباية - وخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذنّ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذنّ أجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجور البيوت، ولا درهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمري فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه، وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له منه ليحج بها والسلام».

وقال في إحدى خطبه وقيل في خطبته الأولى:

«أيها الناس، من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا: يرفعُ إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهدده، ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه ولا يغتابنّ أحداً ولا يعترض فيما لا يعنيه».

ودخلت عليه امرأته فاطمة فرأته يبكي وهو في مصلاه فقالت: أحدث شيء؟ فقال: إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع، والغازي والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثير، والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت حجتي فرحمت نفسي فبكيت.

وأول حسنة قام بها عمر أنه منع سبّ علي بن أبي طالب وكان الخلفاء من بني أمية يسبونهم ويعزون إليه أموراً مستكرهة فكتب عمر ابن عبد العزيز إلى عماله أن يستعصوا عنها بآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ (النحل: ٩٠).

فكان (ﷺ) من الخلفاء الأتقياء سكن إليه الناس واطمأنوا وآمنت الرعية في زمنه؛ لأنه كان لا يحابي ولا يراعي وإنما الناس في الحقوق سواءً عنده كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم، سيدهم وحقيرهم.

كتب إليه عامل حمص يقول: إن هذه المدينة تحتاج إلى حصن، فوقع له في الكتاب: حصنها بالعدل.

ومن كلامه: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، وقوله: لولا أن ذكر الله فرض عليّ لما ذكرته إجلالاً له.

وكان قد شرع بأمر لا يصدر عن غيره ولو طالبت مدته لأتمه ولكن المنية التي لم تمكنه من المكوث في منصب الخلافة غير ستين وخمسة أشهر ونصف شهر حالت بينه وبين ما أراد، وذلك أنه همّ بترع الأموال والزخارف التي كان يملكها رجال من بني أمية وهو يعلم أنها إنما أخذت سلاباً وانتهاباً من بيت مال الأمة فرأى أن يعيدها إلى مصدرها، ولكنه خاف الفتنة وقيام الثورة فجعل يمهّد السبل رجاء أن يعيش فيظهر ما عوّل عليه، وشعر بذلك بعض أهله فدسوا له السُمّ في الدسم فمرض أياماً، وتوفي (رحمه الله) وهو بدير سمعان من أرض المعرة فدفن به وقبره يُزار إلى اليوم. قال الشاعر:

دير سمعان لا عدتك الفوادي خيرٌ ميت من آل مروان ميثك

وقد جمعت سيرته وأخباره في عدة مصنفات منها كتاب بقي بن مخلد الأندلسي، وهو مفقود فيما أحسب، وكتاب أبي الفرج ابن الجوزي: سماه سيرة عمر بن عبد العزيز وهو مطبوع في مصر صفحاته تقارب ست مئة، وترجمه أكثر أصحاب التراجم والتواريخ.

ذيل

لما توفي عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة من بعده، يزيد بن عبد الملك ابن مروان بعهد من أخيه سليمان كما تقدم في ترجمة عمر، وكان يزيد يتواضع ويتظاهر بالصلاح فلما صار إليه الملك رجا به الناس أن يتابع سيرة سلفه فخاب رجاؤهم ولم يكن الرجل العظيم الذي يبقى المآثر، بل خالف مظهره الأول ومال إلى لذائذه، ولد سنة ٧٦هـ وتولى سنة ١٠١هـ، ومات سنة ١٠٥هـ، وليس في أخباره ما يجعله في عظماء الرجال الذين ألف هذا الكتاب ليذكرهم، وقد كانت في أيامه حروب وغزوات تجدها في تراجم أخبار السنين والعصور كتاريخ العبر والكامل والطبري فارجع إليها.

وعهد يزيد هذا بالملك إلى أخيه هشام بن عبد الملك ثم ابنه الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك، فلما مات تولى هشام الآتي خبره.

هشام بن عبد الملك

ولد سنة ٧١هـ وتوفي سنة ١٢٥هـ

امتاز صاحب هذه الترجمة برجاحة العقل وضبط الأمور بالحزم والأخذ بقوة البطش وجلال الهيبة، مات أخوه يزيد والأطماع ممتدة إليه، وهشام بحمص فبيع بها وأقبل على دمشق وذلك سنة ١٠٥هـ، وكانت في عهده أمور كثيرة منها، خروج زيد بن علي بن الحسين بن علي سنة ١٢٠هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة قد بايعوه وعاهدوه على قتال جيوش الشام وما يرد عليهم من ملوك بني أمية قال ابن خلدون في العبر:

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام: داعياً للكتاب والسنة، وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في

قسمة النية، ورد المظالم، وأفعال الخير، ونصر أهل البيت. اهـ.

وكان العامل على العراق يوسف بن عمر الثقفي وهو حينذاك في الحيرة فكتب إليه هشام، بعد أن أعلمه يوسف بالأمر، يأمره أن يقاتل زيداً، فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة، فطلب الحكم زيداً، ثم اجتمع الثائرون من أصحاب زيد، والعساكر من جنود الحكم، فنشب قتال أظهر فيه زيد بن علي شجاعة خارقة وجلداً على الحرب عجيبة، وأصابه سهم في جبهته فلما عاد إلى منزله في المساء نزع وقد بلغ دماغه فنزف دمه فمات من ساعته ودفنه أصحابه.

وفي اليوم الثاني تفرق جمعه وبحث عنه الحكم فعثر عليه فقطع رأسه وأرسله إلى يوسف في الحيرة ويوسف بعث به إلى هشام في الشام فنصبه على باب دمشق، وانطفأت الفتنة.

وفي أيامه حدثت حروب كثيرة مع خاقان الترك في ما وراء النهر، انتهت بقتله خاقان وملكوا بعض بلاده وفازوا بغنائم وافرة.

وتحرك فريق من الخوارج يريدون الظهور فعلم بهم هشام فوجه إليهم جنداً فكان قتال ختم بقمع ثائرتهم وتخفيض شوكتهم واستتباب الأمر له.

وكان هشام محباً لجمع الأموال منعوتاً بالبخل، قيل لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية من المال ما اجتمع في خزائنه.

قال الثعالبي في الإعجاز والإيجاز: قيل لهشام - قبل أن يلي الملك - : أتطمع في الخلافة وأنت جبان بخيل؟ فقال: كيف لا أطمع بها وأنا عفيف حليم.. قال: وكتب إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك: «طهر عسكرك من أهل الفساد فإن الله لا يصلح عمل المفسدين».

ونقل ابن الأثير في الكامل عن مجمع بن يعقوب الأنصاري نبذة تدل على

حلم هشام وحسن أخلاقه قال: شتم هشام رجلاً من الأشراف فوبخه الرجل وقال: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيى هشام منه، وقال: اقتصر مني! قال: إذا أنا سفيه مثلك! قال: فخذ مني عوضاً من المال! قال: ما كنت لأفعل! قال: فهبها لله! قال: هي لله ثم لك! فنكس هشام رأسه واستحيى وقال: والله لا أعود إلى مثلها أبداً!

ولما كانت سنة ١٢٥ هـ مرض هشام بن عبد الملك وهو في الرصافة (قال ياقوت: رُصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف، فهي غير رصافة بغداد والبصرة) ففكر في أمر من يلي الخلافة بعده، وكان أخوه يزيد قد عهد بها إلى ابنه الوليد بن يزيد، فرأى هشام أن الوليد لا يصلح لها ولا هو من رجالها؛ فحاول خلعه وتولية من يكون أولى منه بها فلم يستطع، ومات في الرصافة.

ومدة خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام.

الوليد بن يزيد

ولد سنة ٨٤ وقُتل سنة ١٢٦ هـ

قلتُ في آخر سيرة هشام السالف ذكره: إن هشاماً رأى الوليد لا يصلح للخلافة، وذلك لما كانوا يصفونه به من حب المجنون والميل إلى اللهو وإيثار اللذائذ على التفكير بشؤون الملك، وأوشكت أن أضرب صفحاً عن إلحاقه بعظماء الرجال الذين عقدت النية على إثباتهم في هذا المصنّف، ثم رأيت بعض المؤرخين يذهبون إلى الثناء على الوليد ويعُدُّون ما قيل فيه افتراءً عليه وهم يرون له شعراً حسناً يصلح لنا أن ندعوه به شاعر الملوك الأمويين، وعلماء الأدب يذكرون أن كثيراً من الشعراء والكبار كأبي نواس وطبقته يسرقون معاني

الوليد ويدمجونها في أشعارهم، فقلت: إذا لم يكن الوليد ملكاً هماماً فهو شاعر مجيد، ولم أر أخلاء الكتاب من وصفه.

وهو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولي الخلافة بعد عمه هشام بعهد من أبيه يزيد. قال ابن الأثير المؤرخ بعد أن ذكر أخباره ونسبه: وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم منهمكاً في اللهو والشرب وسماع الغناء، ومن جيد شعره قوله لما بلغه أن هشاماً يريد خلعه وكتب إليه بالآيات:

رأيتك تبني دائباً في قطيعتي	ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
تثير على الباقي مَجْنَى ضغينة	فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأنى بهم والليت أفضل قولهم	ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يُغني
كفرت يداً من منعم لو شكرتها	جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

يشير إليه بأنه لو صرف الخلافة عنه ومات لحدثت حروب ووقائع وفتن، ولما مات هشام أتى خبره الوليد، وهو في مجلس طرب فأصغى قليلاً وأمر مغنيه أن يغنيه:

طاب يومي ولذ شرب السُلافَة	وأنا ناعِي مَنْ بالرِصافَة
وأنا البريد نعي هشاماً	وأنا بخاتم للخلافَة
فاضطحبنا من خمر عانة صرفاً	ولهُونا بقينة عزافَة

فغناه بها وفي صبيحة اليوم الثاني من توليته أجرى على الزماني من أهل الشام الجرايات وكسا المعوزين وأمر بإحصاء العميان، وأن يُدفع إلى كل واحد منهم خادم يخدمه وفرّق على الناس العطايا والمنح ولم يُسأل شيئاً إلا سمح به،

وقال:

ضمنتُ لكم إن لم يعقني عائق بأن سماء الضر عنكم ستُقلعُ
سيوشك إلحاق معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرعُ
فيجمعكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبعُ

وهو الذي قتل خالد بن عبد الله القسري وقال في ذلك قصيدته العامرة يوبخ أهل اليمن، وكانوا قد حاولوا نصرة خالد، ثم تخلوا عنه، وقيل: إن القصيدة لأحد شعراء اليمن جعلها على لسان الوليد ولا أراه حقيقة، قال الوليد:

ألم تُهتَج فتذكر الوصالا وحبلاً كان متصلاً غزالاً^(١)
بلى فالدمع منك إلى انسجام كماء المزن ينسجل انسجالاً
فدع عنك أذ كارك آل سعدى فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعري بعز قيس فيالك وطأة لي تستقالا
وهذا خالد فينا أسير ألا منعهوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز لما ذهب صناعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً يعالج من سلاسلنا الثقالا
ولكن الوقائع ضعفتهم وجدتهم وردتهم شلالا

وأثرت هذه القصيدة في اليمانية فأخذوا يسعون في قتله وقال حمزة ابن بيض الشاعر يرد على الوليد في أبياته السابقة:

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستُقلعُ

(١) القصيدة أوردتها مصادر كثيرة.. وقد ورد الشطر الثاني برواية: ... كان متصلاً فزالا.

فليت هشامًا كان حيًا يسومنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع
ثم أتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة فأطاعهم فبايعوه
وانعقدت له البيعة سرًا وفشت الدعوة إليه في الناس واستفحل أمره وشعر بهم
الوليد فأراد تجهيز جيش فرأى الناس عنه راغبين فنهض برجاله يقاتل يزيد
وأشياعه فنشب القتال، ثم انهزم الوليد فدخل قصر النعمان بن بشير في البخراء
بظاهر دمشق وأغلق الباب، ثم أطل على الجماهير، وقال: أما فيكم رجل
شريف له حسب وحياء أكلمه؟ فأجابه رجل من أصحاب يزيد، فقال: ألم أزد في
أعطياتكم، ألم أرفع المؤن عنكم، ألم أعط فقراءكم، ألم أخدم زمناكم، قالوا:
بلى! ولكنك انتهكت حرمة الله وشربت الخمر واستخففت بأمر الله، فعلم أنه لا
سبيل لإقناعهم فعاد فأخذ مصحفًا وجلس يتلو، فدخلوا عليه، فقال: يوم كيوم
عثمان! فقتلوه.

وذلك سنة ١٢٦ هـ، ومدة خلافته سنة وستة أشهر، وله من الكلام ما هو غاية
في بلاغته: يُذكر أنه لما مات مسلمة بن عبد الملك قعد هشام للعزاء فأتاه الوليد
يجر مطرف خز عليه، فوقف على هشام فقال: «يا أمير المؤمنين إن عُقبى من
بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى،
وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى»، فأفحم
هشام ولم يُجبه، ومن شعره قوله في نصرانية اسمها شقراء:

أضحى فؤادك يا وليد عميدا	صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة	برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق	حتى بسُـرْتُ بها تقبل عودا
عود الصليب فويح قلبي من رأى	منكم صليبًا مثله معبودا
فسألتُ ربي أن أكون مكانه	وأكون في لهب الجحيم وقودا

تتمة

لما قُتل الوليد ولي الخلافة ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك؛ فكانت أيامه على قصرها أيام شرور وفتن وثورات وإحزن وليس له ما يدل على عظمة أو كبر نفس أو فضل إلا قوله حين ولي؛ فإنه خطب الناس بعد أن قُتل الوليد فذكر لهم زيد ما كان عليه ابن عمه من الخلاعة والفسق ثم قال:

«أيها الناس، إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنه ولا أكتري نهراً، ولا أكثر مالا، ولا أعطيه زوجة وولداً، ولا أنقل مالا عن بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ولا أحجركم في ثغوركم كأفتنكم، ولا أغلق بابي دونكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم، ولكم أعطياتكم كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى يكون أقصاكم كأدناكم؛ فإن وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة، وإن لم أفِ فلکم أن تخلعوني إلا أن أتوب، وإن علمتم أحداً ممن يُعرف بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه، أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

كان الوليد قد زاد في أعطيات الناس (أي رواتبهم) عشرة عشرة من الدراهم فلما ولي يزيد نَقَصَها فلقبوه «يزيد الناقص».

وكان مولده سنة ٨٦هـ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦هـ فأقام خليفة خمسة أشهر وثمانية أيام ومات في هذه السنة وليس في تاريخ حياته ما يجعله في العظماء، أما أخبار أيامه فكثيرة كما قلنا وهذه ليست من خصائص هذا الكتاب فارجع إليها في تواريخ الأزمنة والعصور.

ولما مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك قام بعده بالأمر أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره مغلول اليد فازدراه أتباعه، فكانوا تارة يسلمون عليه بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يُسلم عليه بواحدة منهما، فمكث سبعين [يوماً] (وذلك سنة ١٢٦ هـ - ١٢٧ هـ) فثار عليه مروان ابن محمد بن مروان، وكان والي أذربيجان ودعا إلى نفسه بالخلافة وسار إلى الشام؛ فأنفق أموالاً استمال بها الجند إليه، وعرف إبراهيم عجزه عن دفع هذه الغائلة، وكان على ما عرفت من الضعف، ففرّ واختفى، فاستولى مروان على الشام، ثم أثن إبراهيم فظهر، واستقرت الخلافة لمروان سنة ١٢٧ هـ.

مروان بن محمد

ولد سنة ٧٣ وقُتل سنة ١٣٢ هـ

قدّمنا أن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وثب على إبراهيم بن الوليد فاغتصب الملك منه، ونرى أن لمروان هذا ذكرًا كثير الورود في التاريخ فلا ينبغي إغفاله، وإن لم يكن قد أبقى من الآثار ما يُذكر به، فأيامه ليست من أيام إبقاء الآثار وتخليد الذكر، ولأه هشام بن عبد الملك على إرمينية (سنة ١١٤ هـ) فسار إليها وافتتح بلادًا وقلاعًا، واستولى على ولايات كثيرة من إرمينية إلى طبرستان، وفي سنة ١٢٧ هـ كان عاملاً على أذربيجان فبلغه ما أصاب الدولة الأموية، وهي على ما رأيت من ضعف الكلمة وتقهر السلطان واضطراب الحال، فدعا الناس إلى البيعة له فبايعوه وقدم بجيش كثيف إلى الشام فخلع إبراهيم واستوى على عرش بني مروان، فكثرت في أيامه فتن الثائرين والمخالفين لما انبث بهم من روح الشقاق والخروج عن طاعة هذه الطائفة المالكة فكان كلما رأب صدعًا انصدع رأب، وكلما داوى جرحًا سال جرح، وسترى في الكلام على خلفاء بني العباس ما صنعوه من بث الدعوة إليهم وتحريض الناس على نزع بيعة بني أمية والناس عبيدٌ

القوة؛ فلما رأوا أن أبا مسلم الخراساني وهو القائد الأعظم الذي أقام العباسيين في خراسان أولاً، ثم بمرور غيرها من بلاد فارس والعراق يدعو إلى بني العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي انضموا إليه وعطفوا عليه وفُتَّ في عضد مروان ومن والاه فجمع ما استطاع جَمَعَهُ من الجيوش، وذلك سنة ١٣٢ هـ وقصد قتال قحطبة به شبيب الطائي: وكان أبو مسلم الخراساني قد سَيَّرَهُ إلى طوس فلما عظم شأنه سار إليه مروان بعسكره فنزل بالزاب، وهناك جيش من عسكر قحطبة عليه عبد الله بن علي فاشتعلت بينهما نار الحرب، فانهزم جنود مروان، وفرَّ مروان إلى الموصل، ثم إلى حران ومنها إلى حمص فدمشق ففلسطين، وانتهى إلى بوصير من أعمال مصر.

وكان السفاح (أول الخلفاء العباسيين) قد كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بأن يتعقب مروان فلحقه حتى أدركه ببوصير فقتله وبعث برأسه إلى السفاح، وهو في الكوفة سنة ١٣٢ هـ وهو آخر ملوك بني مروان وبه انقرضت دولتا بني أمية: المعاوية والمروانية؛ في الشام، وصفا الملك لبني العباس على ما سذكركه إن شاء الله.

ومن كلام مروان: كنزنا الكنوز فما وجدنا كنزاً أنفع من كنز معروف في قلب حر. أيام القدرة، وإن طالت، قصيرة والمتعة بها وإن كثرت قليلة.

وكان مروان حازماً مدبراً فلم ينفعه حزمه وتدبيره عند إدبار الملك وانحلال السلطان.

الدولة العباسية

تمهيد

قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي والأبصارُ حائمة على شخصه المحبوب، فانقلبت القلوب تبكيه والألسن تنعاه وترثيه واتخذ بنو هاشم مقتله وما عمّ من الحزن عليه ذريعة لبث الضغينة في المسلمين على بني أمية وأحلافهم ومحضاً يثيرون به نار الحُتُود والبغضاء؛ فكانوا كلما آنسوا من أنفسهم قوةً هيَّجوا فريقاً من أشياعهم فثار على من عاصره من خلفاء بني أمية فلم يظفروا بدأة ذي بدءٍ لِمَا كان أولئك قد اتخذوه لأنفسهم من الوقاية وما عدّوه من العدة حتى كان العام الأخير من القرن الأول للهجرة فكثرت أنصارهم ونبغت نابغتهم وعُدَّت مثالب الدولة المالكة وأحصيت هَفَواتها وزلَّلاتها وكان مرجع الهاشميين في ذلك الحين إلى رجلين هما: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم مات أبو هاشم مسموماً قيل سمّه سليمان بن عبد الملك وأوصى أصحابه والدعاة إليه بمتابعة محمد ابن علي، وكان محمد ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فأقبلوا عليه فبايعوه سرّاً كما كانوا يبايعون من قبله فاختر منهم رجالاً وثق بهم فسيرهم إلى الآفاق لبث الدعوة إليه، وكتب لهم كتاباً يكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها وهو أشبه بنظام جمعية سرية ثورية، فانصرفوا وهم كلما شكّ فيهم شكٌّ من ولادة بني أمية أظهروا أنهم يشتغلون في التجارة وفي سنة ١٠٧ هـ وشئ بجماعة منهم في خراسان واشٍ إلى أميرها أسد بن عبد الله فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبهم

فكتب بعضهم بذلك إلى محمد بن علي فأجابه: الحمد لله الذي صدّق دعوتكم وحقق مقالكم وقد بقيت منكم قتلى ستعدّ.

ومن غريب أمرهم أن أسد بن عبد الله علم بدعاة منهم سنة ١٠٩ هـ فقبض على أحد عشر رجلاً يرأسهم زياد أبو محمد مولى همدان فقتله أسد وعرض البراءة منه على أصحابه فمن تبرأ خلّى سبيله، فتبرأ اثنان فتركّا، وأبى البراءة ثمانية فقتلوا، فلما كان الغد أقبل أحد الاثنين إلى أسد فقال: أسألك أن تلحقني بأصحابي! فقتله.

وسنة ١٢١ هـ أعلن العصيان زيد بن علي بن الحسين في الكوفة فكان من أمره ما ذكرناه في ترجمة هشام وقتل سنة ١٢٢ هـ، وفي سنة ١٢٥ هـ توفي محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى إلى ابنه إبراهيم بن محمد بالقيام بأمر الدعوة، وفي سنة ١٢٦ هـ وجّه إبراهيم ابن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان وهو من أمثاله إلى خراسان، فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى محمد بن علي، ودعا إلى ابنه إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال وكانت الشيعة تدفع إلى النقباء في كل سنة خمس أموالها يستعينون به على بث الدعاة في البلاد، فعاد بكير إلى إبراهيم بالأموال.

وفي سنة ١٢٨ هـ كان قد اتصل بإبراهيم بن محمد أبو مسلم الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم (انظر ترجمته) ورأى منه ما جعله يثق به فوجّهه إلى خراسان وكتب إلى من بها من الشيعة أن يأتروا بأمره ويطيعوه، فأبوا ذلك واستصغروا سنه، وكان في التاسعة عشرة، ثم شافهم به إبراهيم فأطاعوه، وفي شهر شعبان من سنة ١٢٩ هـ نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين، فجمع حوله النقباء ورؤساء الشيعة وفرقهم في البلاد، وأمرهم أن يُظهروا الدعوة في الليلة الخامسة والعشرين من شهر رمضان في جميع الآفاق بيوم واحد، ومن خالتهم قاتلوه، وذلك بعد أن اعتقد ضعف خلفاء بني أمية ونفرة الناس منهم

وكثرة عدد الشيعة في الأقطار، فتفرق أصحابه في طخارستان، ومرو، الروذ، والطالقان، وخوارزم، ثم انصرف هو [إلى] منزل قرية سفيدنج من قرى مرو في الليلة الثانية من رمضان، فبث الدعاة في الناس وأظهر أمره فأتاه أهل ستين قرية من قرى خراسان، وأمير خراسان نصر بن سيار مشتغل في قتال جماعة خرجوا عليه، ولما كانت ليلة الخميس في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ، وهو اليوم الموعود المتفق عليه عقد أبو مسلم لواءً كان إبراهيم الإمام قد بعث به إليه يدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً ونشر راية تدعى السحاب ولبس هو وأصحابه السواد، وأوقد النيران في الليل وكانت علامتهم، فاجتمعت إليه شيعته وقدمت عليه الرجال وكتب كتاباً إلى نصر بن سيار فوجه إليه نصر جيشاً عليه مولاه يزيد، وعلم به أبو مسلم فسير إليه جيشاً عليه مالك بن النيثم الخزاعي فتلاقيا بقرية تعرف بالين فأسر يزيد وانهزم من معه وجيء به إلى أبي مسلم فأحسن أبو مسلم إليه وعالجه حتى اندملت جراحه وخيره بين البقاء معهم أو الرجوع إلى نصر على أن يعاهدهم أنه لا يحاربهم ولا يكذب عليهم، بل يقول فيهم ما رأى فعاهده وعاد، فليتم أبو مسلم على تركه فقال: إن هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فما نحن عندهم على دين الإسلام، وكان الأمر كذلك فإنهم كانوا يرجفون بأنهم يعبدون الأوثان ويستحلون الدماء والأموال، فلما انصرف إليهم يزيد نفى عنهم ما يقال، وشهد فيهم بشهادة حسنة، ثم اجتمع الناس على قتال أبي مسلم فقاتلهم.

وفي سنة ١٣٠ هـ دخل مرو وهرب نصر بن سيار إلى سرخس وطوس ونيسابور وانتهى إلى ساوة من قرى الري فمرض فمات بها، وبعث أبو مسلم الرجال إلى الجهات حتى امتلك كل ولاية خراسان وسير الجيوش إلى الشام والعراق، وكان مروان بن محمد بن مروان قد عثر على كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم عرف فيه ما بينهما، فكتب إلى عامله بالبلقاء أن يوثق إبراهيم

ويرسله إليه فأتى به فحبسه مروان في حران، وأرسل إبراهيم إلى أهل بيته يأمرهم بإطاعة أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وأن يرحلوا إلى الكوفة، فارتحل بهم أبو العباس، ولما علم مروان بما صنع أبو مسلم في خراسان أرسل إلى إبراهيم فقتله سنة ١٣٢ هـ.

وفي هذه السنة عظم أمر أبي مسلم ووصل إلى الكوفة أبو العباس أخو إبراهيم فبويع بالخلافة جهراً، وأمر أبو العباس عبد الله بن علي أن يلحق مروان فقصده وقاتله بالزاب فانهزم مروان إلى بو صير كما قدمنا في الكلام عليه وتبعه عبد الله فقتله في بو صير.

وصفت الخلافة الإسلامية لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم فتتابع أبناء العباس على ما سيلي.



أبو العباس السفاح

ولد سنة ١٠٤هـ وتوفي سنة ١٣٦هـ

أصبح المُلْك بعد بني أمية ثابت الأساس لبني العباس وأولهم: أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد [الله] بن العباس عم النبي (ﷺ)، وذلك على ما بيناه في التمهيد السالف: تولى بالكوفة سنة ١٣٢هـ بعد أن قتل مروان بن محمد آخر ملوك بني مروان، وكان أبو العباس هذا شديد العقوبة حازماً مفكراً، لم يأل جهداً في الانتقام من بني أمية، بل أخذ يقتل ويصلب ويحرق كل من ظفر به منهم حتى تشتت شملهم واختفت آثارهم ولم يسلم منهم غير الأطفال، ومن ذهب إلى الأندلس، ونش قبرهم فرأى معاوية بن أبي سفيان قد فني وابنه يزيد رماداً، وعبد الملك بن مروان لم يبق إلا جمجمته، ووجد هشام بن عبد الملك لا يزال عليه لحمه فأخرجه وصلبه وضربه بالسياط حتى تناثر لحمه، ثم أمر به فأُحرق وذُرَّ رماده في الفضاء، ولم ينفرد أبو العباس بعمله، بل كان جميع أمرائه وولاته الذين وجَّههم إلى الأمصار يصنعون صنيعه لِمَا كان الأمويون قد جعلوه في قلوبهم من الأحقاد الكامنة؛ فإن عبد الله بن علي دعا من بني أمية تسعين رجلاً إلى الطعام فلما كانوا عنده أنشده شبل بن عبد الله مولى بني هاشم أبياتاً حرَّضه بها على قتلهم وذكره بما صنعوا فثارت ضغينته وأمر بهم فضربوا بالعمد، وبُسِطت عليهم الانطاع فجلس هو وأصحابه عليهم يأكلون وهم يسمعون أنيهم من تحتهم حتى ماتوا جميعاً.

وسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قتل منهم بالبصرة جمعاً وافراً وألقاهم للكلاب فأكلتهم، وامتدت إليهم الأيدي من كل ناحية وصوب حتى فني أكثرهم، ونجا من فرَّ إلى الأندلس حيث أسست الدولة الأموية الثانية هنالك وستكلم في الفصل الآتي على رجالها.

ولُقِّبَ أبو العباس «السفاح» لكثرة ما سفح من دماء بني أمية، وبني في الأنبار مدينة سماها «الهاشمية» وجمعها مقر خلافته، واتخذ الوزراء، وهو أول من أحدث الوزارة في الإسلام، فإن الأمويين لم يكن لهم من يطلقون عليه هذا [الاسم]، وإنما كانوا يقرَّبون منهم رجالاً يستشيرونهم في بعض شؤونهم ويعولون على آرائهم.

وكان السفاح من أسخى الناس بدءاً لا يعد وعداً ويؤخره عن وقته، وهو أول خليفة في الإسلام وصل بمبلغ مليوني درهم، وكان يلبس خاتمه باليمين، وذلك أن رسول الله (ﷺ) كان يتختم في يمينه، وكذلك الخلفاء بعده، ولما ولي معاوية جعله في يساره واقتدت به بنو أمية فلما استولى السفاح أعاده إلى اليمن وتابعه الكثيرون، وبقي يُستعمل في اليمن حتى كانت أيام الرشيد فنقله إلى اليسار وتبعته الناس حتى الآن، وكان فصيحاً متأدباً.

ومن كلامه: «لأعملنَّ اللين حتى لا ينفع إلا الشدة، ولأكرمنَّ الخاصة ما أميتنَّهم على العامة، ولأغمدنَّ سيفي حتى يسله الحق ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعاً».

- «ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا، وأولياؤنا خالون من حُسن آثارنا»

- «إذا عظمت القدرة قلَّت الشهوة».

مرض بالجدري وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمره، ومات بالأنبار فدفن بها وقد عهد بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، وكانت في أيامه ثورات فمنعها بالثوة وشدة الجدة ونشاط فتوة الملك.

أبو جعفر المنصور

ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٥٨هـ

قال صاعد الأندلسي في طبقات الأمم: «أول من عُني بالعلوم من ملوك العرب الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، فكان مع براعته في الفقه، وتقدمه في علم الفلسفة، وخاصة في علم صناعة النجوم كلّفها بها وبأهلها»، وكان مولده بالشراة (كما في المعارف)، وولي الخلافة بعد أخيه السفاح، ببيع يوم وفاته وهو بطريق مكة آتياً من الحج (سنة ١٣٦هـ)، فقدم عليه أبو مسلم الخراساني وكان السفاح قد ولّاه عليّ خراسان، فلما ولي المنصور كان حاقداً عليّ أبي مسلم خائفاً من شرّه لما رآه من ميل الناس إليه والتفافهم حوله، فاستدعاه، فامتنع أبو مسلم ثم أطاع، وجاء المدائن مخدوعاً يحسب أن المنصور سيحبوه ويكرمه، فلما تمكن منه أبو جعفر قتله شر قتلة (انظر ترجمة أبي مسلم)، وذلك عام ١٣٧هـ وهو لعمر الله بشس الجزاء جزئ به آل عباس، مشيد دولتهم، ورافع لوائهم ومؤسس ملكهم، ولكن رحم الله المتنبئ إذ يقول:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم!

وكان أبو جعفر يُتهم بالبخل لحرصه ولأنه لم يكن يضع الأموال في غير موضعها، ولا يبذلها إلا في منفعته، فجمع مالاً وفيراً، وكانت في أيامه أمور كثيرة لا علاقة لها بموضوع كتابنا هذا؛ لأنه لا يُكتب فيه إلا ما يتعلق بترجمة صاحب الترجمة وأما ما كان في زمنه من الأحداث والخطوب فمرجعها كتب الأخبار وتواريخ الأعصار.

وهو باني بغداد، بدأ بينائها سنة ١٤٥هـ لجعلها مقرّ الملكة بدلاً من «الهاشمية» التي لم تكن من الحصانة عليّ ما يروم، وفي عصره شرع العرب يطلبون علوم

اليونان والفرس ويترجمونها إلى العربية، وفي زمنه عُمل أول اسطرلاب في الإسلام صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري، وكان أبو جعفر بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجِدِّ والتفكير في الأمور، وله تواقيع هي غاية في البلاغة منها:

- أن رجلاً رفع إليه شكايةً على بعض عمّاله فوَقَّع فيها العامل: «اكفني أمره وإلا كفيتَه أمرك»، ووَقَّع إلى عامل آخر: «قد كثر شاكوك، وقلّ شاكروك فإما اعتدلت، وإما اعتزلت».

- وكتب إليه سوار بن عبد الله القاضي: «إنَّ عندنا رجلاً شديد الترفض يُدعى السيد الحميري» فوَقَّع في كتابه: «إنا بعثناك قاضياً لا ساعياً!».

- ووَقَّع في كتاب بليغ استمache: «إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطغياه، وقد رُزقت إحداهما، فاكتف بها واقتصر عليها»، ورُفِع إليه في بناء مسجد فوَقَّع: «إن من أشراط الساعة أن تكثر المساجد فزد في خطاك يُزِد في أجرك».

- وأوصى ابنه المهدي قبل وفاته فقال:

«لقد جمعتُ لك من الأموال ما إن كُسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لإرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث، فأياك والأثرة والتبذير بأموال الرعية، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السُّبل العامة، وأدخل المرافق عليهم، وادفع المكاره عنهم، وأعدّ الأموال واخزنها فإنَّ النوائب غير مأمونة، وهي من شيم الزمان، وأعدّ الكراع والرجال والجند ما استطعت، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد فتتدارك عليك الأمور وتضيع، وأعدّ رجلاً في الليل لمعرفة ما يكون في النهار، ورجلاً في النهار لمعرفة ما يكون في الليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حُسن الظنّ، وأسئ الظنّ بعُمَّالك وكتّابك، وخذ نفسك بالتيقظ».

وفي سنة ١٥٨ هـ أراد المنصور الحج فسار فلما كان في الكوفة مرض فمات بيشر ميمون من أرض مكة المكرمة.

قال القلقشندي: ودُفن بالحجون، وكانت مدة خلافته اثنين وعشرين عاماً.

هارون الرشيد

ولد سنة ١٢٦هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ

مات أبو جعفر المنصور وتولى من بعده بعهد ابنه أبو عبد الله محمد المهدي فكانت خلافته عشر سنين لم يأت فيهن بعمل يدل على ما يجعلنا نلّمزه في قرن مع عظماء الرجال، وكان مولده سنة ١٢٦هـ وخلافته سنة ١٥٨هـ وموته سنة ١٦٩هـ بما سبذان.

* وبعد المهدي تولى ابنه الهادي موسى بن محمد المهدي، وكان ضعيفاً فاستبدت الخيزران بالأمر فلم يشعر إلا والقواد والرؤساء يغدون ويروحون إلى بابها فنهاها عن الدخول في شؤونها وقال لها: ما هذه المراكب التي تغدو وتروح إلى بابك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك، إياك أن تفتحي بابك لمسلم، أو ذمي فإني ضارب عنقه وقابض ماله، فانصرفت وهي مغضبة وأمرت جواريتها أن يقتلنه: فجلس على وجهه وهو نائم فمات، وكان مولد سنة ١٤٤هـ وخلافته سنة ١٦٩هـ وموته سنة ١٧٠هـ وليس بذي بال. أما الرجل الذي امتلأت بأحاديثه صحائف الأخبار وشُحنت بآثار سنائن الآثار فهو صاحب هذه الترجمة:

أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور: خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم على الإطلاق، خدم العلم وقرب العلماء من مجالسه رافعاً من شأنهم وموسعاً عليهم في العطاء، وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً مقداماً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً لأولي العلم والفضل، وكان يحج سنة، ويغزو سنة حتى قال فيه بعضهم:

فمن يطلب لقاءك أو يُردّه ففي الحرمين أو أقصى الثغور

ولي قبل الخلافة أعمالاً لأبيه وأخيه، وغزا الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيريني (Jrene: marte en803)، على أن تفتدي منه المملكة الرومانية بسبعين ألف دينار تدفعها إليه في كل عام، ولما بويع بالخلافة وله من العمر أربع وعشرون سنة قام بأعباء الملك أحسن قيام وتشبه في أفعاله بالمنصور [إلا] في بذل المال؛ فإنه لم يُرَّ خليفة أجود من الرشيد، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يُؤخر، وكان يحب الشعر والشعراء ويجزل لهم العطاء، وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والكتّاب والندماء ما اجتمع على بابه.

جاءته البيعة ليلة وفاة أخيه الهادي وفي تلك الليلة وُلد ابنه المأمون؛ فكانت ليلة، وُلد فيها خليفة، ووُلِّي خليفة، ومات خليفة.

وكانت بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان (bharlemagne: 742-814) صلةً موثقة العرى، وكثيراً ما كان الرشيد يتحفه بالهدايا، ومن جملة ما أهده ساعة شمسية دقاقة، وشطرنج ثمين، وأرسل إليه مفاتيح كنيسة القمامة في القدس مع أمر لنوابه بأن يعاملوا زائري الأراضي المقدسة أحسن معاملة.

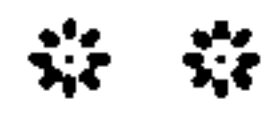
وكان الرشيد يطوف في أكثر الليالي مستتراً بألبسة العامة في أسواق بغداد وشوارعها فيعلم من أمر رعيته ما خفي عنه من ظالم يزجره أو مظلوم ينصره أو عالم يقربه، وهو أول خليفة عربي لعب بالكرة والصولجان، وهو صاحب وقعة البرامكة وكانوا طائفة فارسية الأصل استولت على الملك إدارته وسياسته وماله ورجاله، فخاف الرشيد بادرة تبدر منهم نحوه ففتك بهم تلك الفتكة الهائلة فقتل بعضهم وشرّد بعضاً وسجن آخرين في ليلة واحدة لم يتمكنوا بها من أقل حركة يقومون بها على قوتهم وتصرفهم في الدولة والأعمال والأموال، وذلك سنة ١٨٧ هـ، وسيأتي الكلام عليهم أيضاً في أخبارهم.

وكان الخراج يُحمل إليه من القسطنطينية منذ غزاها في أيام أبيه؛ فلما كانت سنة ١٨٧ هـ خلع الرومانيون ملكتهم «إيريني» وولوا عليهم ملكاً يدعى نيقيفور، فكتب «نيقيفور» إلى الرشيد كتاباً ترجمته: «من نيقيفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد؛ فإن الملكة إيريني حملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بأن تحمل أضعافه إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما أخذت وإلا فالسيف بيننا وبينك»، فقرأ الرشيد الكتاب فغضب وأجابه على ظهر كتابه: «من هارون أمير المؤمنين إلى نيقيفور كلب الروم؛ قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه»، وجهز جيشاً جراراً وسار يحرق المدن ويدمر المعاقل حتى قرب من القسطنطينية فارتاع ملك الروم وألقى السلاح فضرب عليه الرشيد الجزية وعاد فلم يبلغ بغداد حتى بلغه أن نيقيفور نكث عهده، فرجع إليه ولم يبال ببرد تلك البلاد وثلجها فدمر وأضرب حتى بلغ البوسفور فتدلل نيقيفور له فصفح عنه ثم أخلف، وغدر ثالثة فضربه الرشيد ضربة كادت تكون قاضية قتل بها من جيش الروم أربعون ألفاً في وقعة واحدة، وجرح نيقيفور، فانتهب الرشيد ماله وسلاحه ثم جعل عليهم مالا يبعثون به في كل سنة فأطاعوا وأقبل الرشيد على بغداد ظافراً قاهراً.

وأخبار الرشيد مع الأدباء والشعراء كثيرة تجدها في مظانها من كتب الأدب وله كلم ماثورة منها:

إياك والدالة فإنها تُفسد الحزمة، وقال يوماً لبنيه: ما ضرَّ أحدكم لو تعلَّم من العربية ما يُصلح به لسانه، أيُّرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمتيه؟ وسأل جلساءه: من أرغد الناس عيشاً؟ قالوا: أمير المؤمنين. فقال لهم: كلاً، إنَّ لأعواد المنابر لهيبةً، وإنَّ لقعقة اللجم لفزعة، وإنَّ أهني الناس عيشاً رجل له دار يسكنها، وزوجة يأوي إليها، في كفاف من العيش، لا يعرفنا ولا نعرفه؛ فإن من عَرَفنا وعرفناه، أفسدنا عليه دينه ودنياه!

وكان قد أرسل رافع بن الليث عاملاً على خراسان فلما اطمأن بها خلع الطاعة وأظهر العصيان وتبعه كثيرون فأغار على مدينة سمرقند فملكها وقتل عاملها فبلغ الرشيد ذلك فأغضبه فركب في عسكر ضخمة فمرض في الطريق ولما وصل إلى مدينة طوس من أعمال خراسان مات بها فدفن هناك، وأوصى بالخلافة من بعده لأبنائه الأمين، ثم المأمون ثم المؤتمن، ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة، وكانت عاصمة ملكه بغداد.



ولما توفي الرشيد بطرس بايع الناس ابنه محمدًا الأمين وهو ببغداد سنة ١٩٣هـ، وكان ضعيف الرأي منهمكًا بالملذات والشهوات وحسن له بعض وزرائه خلع المأمون أخيه من ولاية العهد وتولية ابنه موسى وفي سنة ١٩٤هـ أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى وإبطال الدعاء للمأمون، وكان المأمون بمرور فغاظه ما صنع أخوه وجاءته رسالة من الأمين يدعوه بها إلى المسير إليه فاستشار المأمون أخصاءه فحذروه شرَّ الذهاب، فرجع الرسول بخبر امتناعه، فجيش الأمين جيشًا أراد توجيهه إلى مرو لقتال المأمون وكانت للمأمون عيون ببغداد تأتيه بأخبار الأمين فلما جاءه النباُ جهز جيشًا ممن كانوا قد انضموا إليه بعد إعلانه العصيان على أخيه، وسيره بقيادة طاهر بن الحسين؛ فالتقى الجيشان بقرب الري فانهزم جيش الأمين وقُتل قائده على بن عيسى بن ماهان، وسار طاهر بن الحسين حتى بلغ بغداد فحاصرها ثم افتتحها، وفرَّ الأمين فقبض عليه بعض جنود طاهر فقتلوه وأخذوا إليه رأسه فبعث به إلى المأمون، وابتدأت خلافة المأمون على ما سيأتي، وكان مولد الأمين سنة ١٧٠هـ وتولى الخلافة سنة ١٩٣هـ، وقُتل سنة ١٩٨هـ.

المأمون

ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ

سعدت الدولة الإسلامية في أزمان رجال كانوا خير من أخرجتهم بطون الأمهات، ظفرت بهم الأمة برافعي شأنها ومشيدي ذكراها، ومؤسسي مجدها، وكان من الطراز الأول فيهم صاحب هذه الصحيفة الذي كان قصارى الملوك من بعده أن يتشبهوا به ويتخذوه قدوة في إحياء دارس المعارف ونشر لواء العلوم وإكرام النابغين بما ينشط المشتغلين بالدرس المنقطعين إلى البحث والتنقيب والتأليف والتصنيف على متابعة السير في ذلك السبيل الحميد والمنهج الرشيد.

قال صاعد الأندلسي في طبقات الأمم: لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع - من الخلفاء العباسيين - عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور تم ما بدأ به جده المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة، فاستخار لها مَهْرَةَ الترجمة، وكلّفهم إحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حضّ الناس على قراءتها، ورغّبهم في تعلمها، فنفت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم، لما كانوا يرون من إحظائه لمتحليها، واختصاصه لمتقليديها، فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتعلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيرًا من أجزاء

الفلسفة، وسُنُّوا لمن بعدهم منهاج الطب، ومهَّدوا أصول الأدب، حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومانية أيام اكتمالها، وزمان اجتماع شملها..

تولى أبو العباس المأمونُ الخلافة سنة ١٩٨ هـ وصفت له بعد مقتل أخيه الأمين عشرين سنة خدم بها الأمة الإسلامية والعالم العربي خدمة لا تُنسى على وجه الدهر، وكان أفضل بني العباس على الإطلاق، وأكثرهم حزمًا وفطنة واعتناءً بنشر العلوم والاشتغال في الفنون، وأطلق في أيامه حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، ونشر الأمان لكل بائع برأئه مُعلن لمذهبه وإن خالف الجمهور أو كُفِّر أو زُندق فكانت بغداد في أيامه أشبه بمدينة راقية من بلاد الغرب اليوم تُقام فيها الاجتماعات لخوض المباحث المختلفة دون مسيطر أو رقيب، وعلى ذلك آخذه أمام الحرمين الجويني، قال في كتابه: «غياث الأمم»:

«وقد اتفق للمأمون وكان من أنجد الخلفاء وأقصدتهم خطةً ظهرت هفوته فيها وعُسر على من بعده تلافيتها؛ فإنه رأى تقرير كل ذي مذهب على رأيه فنبغ النابغون وزاغ الزائغون وتفاقم الأمر وتطوَّق خطبًا هائلًا وانتهى زلله وخطله؟ إلى أن سوَّغ للمعظلة أن يُطهروا آرائهم، ورتب مترجمين ليردوا كتب الأوائيل إلى لسان العرب وهلمَّ جرًّا إلى أحوال يقصر الوصف عن أدناها ولو قلت إنه مطالب بمغبات البدع والضلالات في الموقف الأهل في العرصات لم أكن مجازفًا».

وقد جُمعت أخبار المأمون في مجلد كامل (صفحاته ٣٨٤) من تاريخ بغداد لأبي الفضل طيفور (انظر ترجمته والكلام على تاريخه)، قال طيفور: وكان المأمون قد همَّ بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتابًا فشاه عن ذلك يحيى بن أكرم قائلاً: يا أمير المؤمنين، إن العامة لا تحتمل هذا، ولا سيما أهل خراسان ولا تأمن أن تكون لهم نفرة وإن كانت لم تدر ما عاقبتها، والرأي أن تدع الناس

على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق فإن ذلك أصلح في السياسة وأحرى في التدبير، فرجع المأمون عن رأيه.

وكان شعار العباسيين السواد فأراد المأمون أن يستبدله بشعار العلويين وهو الأخضر فأمر قواده وخاصته أن يخلعوا الثياب السود ويلبسوا ثياباً خضراً ففعلوا فخاطبه بنو العباس وقواد خراسان في الأمر فخاف الفتنة فعاد إلى شعار آبائه، وكان مولعاً بالصفح محباً للعفو حباً عجيباً حتى إنه ربما ضرب به المثل فيه ومن كلامه:

لو علم المذنبون ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا إليّ بالذنوب دون رهبة، وفي شرح النهج أن أحد كتّاب المأمون أذنب ذنباً فتقدم ليحتج لنفسه ويعتذر، فقال له المأمون: يا هذا قف مكانك، فإنما هو عذر أو يمين، وقد وهبتهما لك، وقد تكرر منك ذلك، فلا تزال تسيء ونحس، وتذنب ونغفر، حتى يكون العفو هو الذي يصلحك.

وقد نقلت بعض أخباره في العفو في كتابي «الصّيب الممثال في شرح أرجوزة الأمثال» فارجع إليه إن شئت، وله كلم رائعة يؤثّر عنه منها قوله:

- لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة، إنما تطلب الدنيا لتُملك فإذا مُلكت فلتوَهّب.

- الشاء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ أو حسد.

- النساء شرُّ كلهنّ ومن شرُّ ما فيهنّ قلة الاستغناء عنهنّ.

- الناس أربعة: ذو سيادة أو صناعة أو تجارة أو زراعة فمن لم يكن منهم كان عيالاً عليهم.

- النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جدّدتها ولا جماعة إلا بددتها ثم لا بد لمن عُرف بها ونُسب إليها أن يُجتنب ويُخاف من معرفته ولا يُوثّق بمكانه.

وله تواقيع تدل على مقدرة وإبداع منها ما وقع به إلى الرستمي أحد عماله وقد تظلم منه غريم له: «ليس من المرءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة وجارك طاو، وغريمك عاو».

وتوقيعه إلى حميد بن قحطبة من عماله أيضًا في قصة متظلم منه: «يا أبا حامد لا تتكل على حسن رأيي فيك فإنك، وأحد رعتي عندي في الحق سواء»، وفي قصة متظلم من علي بن هشام: «يا أبا الحسين الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت؟».

ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم فوقع فيها: «نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد فليحط عنهم نصف الخراج»، وجاءته قصة يتظلم كاتبها من عمرو بن مسعدة أحد كتّاب المأمون وخاصته فوقع بها: «يا عمرو عمّر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها».

وتظلم رجل من أبي عيسى وهو أخو المأمون فوقع في قضيته: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، وأخباره مع أهل الأدب والظرف والعلم والشعر كثيرة لا مجال هنا للإلمام بها، وله شعر رقيق منه قوله:

لساني كنوم لأسراركم ودمعي كنوم لسري مُذيعُ
فلولا دموعي كتمتُ الهوى ولوا الهوى لم تكن لي دموعُ

وفي سنة ٢١٨ هـ مرض فخلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد وأخذ البيعة لأخيه أبي إسحق المعتصم ومات (رحمه الله) بطرسوس فدفن بها في دار خاقان خادم الرشيد.

المعتصم بالله

ولد سنة ١٧٩هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ

لم يكن أبو إسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي من حملة العلم أو ناشري لواء العرفان، ولكنه اشتهر في ملوك بني العباس بما أحرزه من قوة البأس والشجاعة والإقدام فقد كان خارقة زمنه في قوة الساعد ومثانة الأضلاع، يكسر زند الرجل بين إصبعيه، ويحمل عشرة قناطير، ولا تعمل في جسمه الأسنان، وكان في صغره يكره التعلم وضعه والده الرشيد مع مملوك له صغير عند أحد المؤدبين فمات مملوكه فلما رأى أباه تأوّه فجعل أبوه يسليه عن المملوك وهو يحسب أنه حزين عليه فقال: لا يا أبي أنا لا أتأوّه لموته، ولكني سررت له لأنه استراح من التعليم! فعلم أبوه أنه لن يكون من رجال العلم فأعفاه منه فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا.

وهو فاتح عمورية من بلاد الروم في غلاطية، وذلك أنه كان في أحد أيام سنة ٢٢٣هـ جالسًا يتناول كأسًا من الشراب، وإذا برجل دخل عليه فحدثه أن امرأة هاشمية سباهها أحد ملوك الروم ووضعها في عمورية فلطمها يومًا فصاحت: وامعتصماه! فهزئ بها الرومي وقال: دعيه يأتي على فرس أبلق، فنهض المعتصم فختم الكأس وقال: والله لأشربته إلا بعد إطلاقها والتفريج عنها، ونادى رجاله أن يركبوا الخيول البلق فسار في سبعين ألف فارس حتى بلغ عمورية فحاصرها ثم هدمها ودخل على الأسيرة وهو يقول: لبيك لبيك، ثم ضرب عنق الرومي بيده ودعا بالكأس ففك ختامها وشربها.

وهو باني مدينة سامراء حين ضاقت بغداد بجنده فخططها وأمرهم بسكنائها فدُعيت «سُرمن رأى» ثم حُرِّفت فقالوا: «سامراء»، وسامرا، وسرمن را، وسرمن راء» - راجع معجم البلدان.

ولقبه بعض المؤرخين «بالمثمن»؛ لأنه ولي سنة ٢١٨ هـ وتوفي ثامن عشر رمضان، وعمره ثمان وأربعون سنة، وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمانية فتوح، واستُخلف ثمانين سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمان بنات، وخلف من الذهب ثمانين مليون دينار ومن الدراهم مئة وثمانين مليوناً، ومن الخيل ثمانين ألف فرس، ومن الممالك ثمانية آلاف، ومن الجواري ثمانية آلاف جارية، وبني ثمانية قصور؛ وقد ذكر هذا الاتفاق في كثير من مصنفات التاريخ وهو إن صح من غريب الموافقات.

وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى فقل: المعتصم بالله، وكانت وفاته بسامراء ودفن بها، ومن كلامه:

إذا نُصر الهوى بطل الرأي، وذكر التيه عنده فقال: حظ صاحبه من الله المقت ومن الناس اللعن، ولما احتضر قال: ذهبت الحيلة، وذكرها حتى صمت، وكان موصوفاً بلين العريكة وطيب الأخلاق، عهد بالخلافة إلى ابنه الواثق بالله.

ولما مات ولي ابنه أبو جعفر الواثق بالله واسمه هارون بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد وكان كريماً أديباً، أُصيب بعلّة الاستسقاء فمات بها: مولده سنة ٢٠٠ هـ وخلافته سنة ٢٢٧ هـ ووفاته سنة ٢٣٢ هـ، وكانت في زمنه أمور غير ذات بال فهو غير جدير بالترجمة الواسعة.

ومثله أخوه المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ولد سنة ٢٠٦ هـ وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ وقُتل سنة ٢٤٧ هـ طالت مدته فلم يُحدث بها ما يجعله في طبقة عظماء الملوك ولكنه كان يحب العمران فبنى «المتوكلية» وأنفق عليها أموالاً كثيرة، وأراد نقل العاصمة العباسية من بغداد إلى دمشق، فأقام بها شهرين وأياماً فلم يطب له مناخها فعاد إلى سامراء، وكان يلبس في زمن الورد الشياب الأحمر ويأمر بالفُرُش الأحمر، ولا يُرى الورد إلا في مجلسه، وكان يقول:

أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكلُّ منا أولى بصاحبه.

وكرثت الزلازل في أيامه فخرَّت أماكن كثيرة فعمر بعضها.

وقتل غلام تركي اسمه باغر بإيعاز من ابنه المنتصر، فدفن في سامراء.

وولي بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله بن المعتصم: مولده سنة ٢٢٣هـ وخلافته بعد أبيه المتوكل سنة ٢٤٧هـ ومات بسامراء سنة ٢٤٨هـ، لم تطل مدته غير ستة أشهر، وكان حليماً عاقلاً غزير المعروف راغباً في الخير إلا أنه قويت في أيامه سلطة الغلمان فحرضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد وكانا ولي عهده فخلعهما وأهانهما فعاش شهراً.

وقيل: مات مسموماً بمبضع أحد أطبائه، توفي بسامراء ومولده بها، قال ابن الأثير: وهو أول خليفة من بني العباس عُرف قبره، وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره، وكانوا لا يحفلون بقبور موتاهم.

وكان قواد الأتراك قد تحكّموا بالدولة والأموال فلم يرق لهم أن يجعلوا الخلافة في أبناء المتوكل وهم قاتلوه، فلما مات المستنصر اتفقوا على مبايعة أحمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه المستعين بالله فولوه الخلافة فلم يكن له منها غير اسمه وكثرت فتن الغلمان المتسلطين في زمانه، وكان مولده بسامراء سنة ٢٢١هـ، وولي الخلافة الموهومة سنة ٢٤٨هـ ونقم عليه قواده الأتراك فخلعوه سنة ٢٥٢هـ، ثم قتلوه في هذه السنة بواسطة.

وبايعوا بعده المعتز بالله بن المتوكل وكان في سجن المستعين فأخرجوه وولوه سنة ٢٥٢هـ ومولده سنة ٢٣١هـ فلم يكن له من الملك إلا الزخرف الباطل، ولبت وليس في يده عقد ولا حلّ إلى سنة ٢٥٥هـ فجأؤوه فطلبوا مالاً لا يملكه المعتز فانزلوا مقداره إلى خمسين ألف دينار، وكانت أم المعتز قد قبضت على أمواله فسألها أن تعطيه ما يرضيهم فامتنعت فدخلوا عليه فضربوه، فخلع

نفسه فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام، وذلك سنة ٢٥٥هـ، وكان فصيحاً وله خطبة ذكرها ابن الأثير في حوادث هذه السنة.

وفي اليوم الثاني من خلع المعتز أسندوا منصب الخلافة إلى محمد ابن الواثق ولقبوه المهتدي بالله وكان يكنى أبا عبد الله، فلم يقبل بيعته أحد فأتي بالمعتز فخلع نفسه أمام الناس وأقر بالعجز عما أسند إليه، وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق فبايعه الخاصة والعامة: مولده في القاطول سنة ٢٢٢هـ، وخلافته سنة ٢٥٥هـ، فكان كآسلافه وأقرب الخلفاء عهداً منه، ولكنه أخذته في آخر أيامه حمية القوي المستضعف فخرج لقتال جمع من الأتراك كان قد أعلن العصيان فلما تقابل الفريقان خانه من كان معه من الأتراك، وانضموا إلى أصحابهم فبقي المهتدي وحده وتخلّى عنه أنصاره فولّى منهزماً وبيده السيف وهو ينادي يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتم فلم يجبه أحد من العامة، وأصيب بطعنة فمات على أثرها سنة ٢٥٦هـ في بغداد ومدة خلافته أحد عشر شهراً ونصف، وكان محمود السيرة يأخذ أخذ عمر بن عبد العزيز في الصلاح وإطراح الملاهي وتحريم الغناء والشراب على نفسه ومنع أصحابه وخاصته عن الظلم ومن كلامه:

عاون على الخير تسلم ولا تؤخره تندم.

وقبل قتل المهتدي بيومين بويع بالخلافة أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل، وكان محبوباً بالجوسق في سامراء فأطلقت الأتراك سراحه وبايعوه ولقبوه المعتمد على الله فاستولى على مراسم الخلافة وزخارف الإمارة وهو يعتقد أنه سيدخلها ويخرج منها، لا عليه ولا له، آلة تديرها قوة فتدار، مولده سنة ٢٢٩هـ وخلافته سنة ٢٥٦هـ وطالت أيام ملكه وظهر فيه الضعف والعجز عن إدارة الشؤون والتفكير في الأمور فاتجه أخوه أبو أحمد الموفق بالله وأعانه على

بعض العصاة وكُفَّت يد المعتمد عن كل قول وعمل، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاث مئة دينار فلم ينلها، فقال في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلَّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تُحمل الأموال طراً ويُمنع بعض ما يُجبى إليه

وكان الخلفاء من قبله يقيمون في سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، ولم يعد إليها أحد من بعده، وكانت في أيامه شؤون وشجون تجد الكلام عليها في تصانيف الأخبار.

ومات المعتمد سنة ٢٧٩هـ ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر، ومات أخوه الموفق في السنة التي قبلها، وكانت ولاية العهد للمعتضد الآتي خبره.

المعتضد بالله

ولد سنة ٢٤٢هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ

مضى الكلام فيما أسلفنا على عدد كثير من خلفاء بني العباس لم يكونوا من نباهة الذكر وجلالة القدر وارتفاع الشأن بحيث يُقرنون مع أسلافهم الأولين كالمنصور والرشيد والمأمون، وجاء في عَرَض كلامنا إشارات واضحة إلى أن أولئك الخلفاء كانوا موثقين عن العمل غير مُطلقين، ومسيرين غير مخيرين، لعبت بهم طوائف الغلمان والمماليك حتى استولت على عقولهم ثم على أموالهم وانتهت إلى التحكم بهم واجتياز تدبير المملكة دونهم فإذا المال في خزائنهم، والرجال طوع أيديهم، والبلاد منقادة لهم فاستراح ضعفاء الخلفاء، بحيث يتعب العظماء، واستمر الأمر جارياً في منهاجه حتى قضى على هذه

الدولة العباسية بعجز ملوكها وخَوَر عزائمهم وهو الذي قَوَّض بعد ذلك أركانها وهدم بنيانها وزلزل سلطانها وفرَّق أعوانها، وكان حَسْبُ الرجل العظيم منهم أن يستميل بعض أولئك الدخلاء إليه ويجعل لكلمته بعض النفوذ ولقوته بعض التأثير كما كان شأن صاحب هذه الترجمة وأبيه من قبله وإليك طرفاً من حديثهما:

لما تولَّى المعتمد (سنة ٢٥٦هـ) وهو الخليفة المتقدم ذكره أراد أن ينهض بأعباء الملك فأثقلته فلجأ إلى أخيه أبي أحمد طلحة بن المتوكل فعهد إليه بالخلافة ولقَّبه الموفق بالله واستعان به على أعدائه فكان الموفق من كبار الرجال صدَّ عن أخيه المعتمد غارات الطامعين بملكه، ولكنه اختص بأمور المملكة نفسه وحجر على المعتمد حتى كان يتمنى الشيء اليسير فلا يناله، وكان الموفق شجاعاً كثير الحروب موفقاً في جميع أعماله، عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده القضاة وغيرهم فيتصف الناس بعضهم من بعض، وهو عالم بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وأخباره مستطابة (راجع الكامل ج ٧)، ولم تخدم الموفق السعادة فيتولَّى الخلافة اسماً كما تولاها فعلاً فإنه توفي في أيام أخيه المعتمد بيلة النقرس سنة ٢٧٨هـ ودفن ببغداد، ولما مات الموفق بايع القواد بولاية العهد بعد المفوض [إلى الله] بن المعتمد للمعتضد بالله أحمد ابن الموفق.

وفي مبدأ سنة ٢٧٩هـ خلع المعتمد على الله ابنه جعفر الملقَّب بالمفوض إلى الله من ولاية العهد وعهد بالخلافة من بعده للمعتضد ابن أخيه الموفق، فأستط اسم المفوض من السكة والخطبة وأثبت اسم المعتضد وهو صاحب هذه الترجمة:

أبو العباس المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بالله طلحة بن المتوكل: ولد ببغداد ونشأ بها، فكان عَضُد أبيه الموفق وساعده في حياته أيام خلافة

المعتمد وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب وبويع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩هـ: فحلَّ عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين، ثم جعل يتوجه بنفسه إلى المفسدين في البلاد وأصحاب الشغب فيجمع ثأرتهم ويشرق عصبتهم ويعود ظافراً فائزاً.

قال ابن الأثير: «وكان المعتضد شهماً شجاعاً مقداماً، وكان ذا عزم مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفاً منه».

وكانوا يقولون: قامت الدولة بأبي العباس وجُددت بأبي العباس، يريدون بالأول السفاح وبالثاني المعتضد، قال ابن الرومي:

هنيئاً بني العباس أنَّ إمامكم إمام الهدى والجود والناس أحمدُ
كما بأبي العباس أنشئ مُلككم كذا بأبي العباس أيضاً يُجددُ

وكان المعتضد عارفاً بالأدب والشعر، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١، ص ٢٠٣ من طبعة باريس): «كان أبو بكر المعروف بابن العلاف النهرواني الشاعر ينادم الإمام المعتضد بالله قال: بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلاً فقال: أمير المؤمنين يقول: أرقَّت الليلة بعد انصرافكم فقلت:

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى إذا الدار قفري والمزار بعيدُ
وقد أرتج عليَّ تمامه فمَن أجازَه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة، قال:
فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت وقلت:

فقلتُ لعيني عاودي النوم واهجمي لعلَّ خيلاً طارقاً سيعودُ

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال: أمير المؤمنين يقول: قد أحسنت وأمر لك بجائزة.. والمعتضد ممن اتصف بالحلم العجيب، نقل صاحب تاريخ دول

الإسلام (ج ١، ص ١٢٨) عن أحد وزراء المعتضد عبد الله بن سليمان قال: كنتُ عند المعتضد يوماً، وخادم بيده المِذْبَّة (المِرْوَحَة)، إذ ضربت قلنسوة المعتضد، فسقطت، فكدتُ أختلط إعظاماً للحال، ولم يتغير المعتضد، وقال: هذا الغلام قد نعس، ولم يُنكر عليه، فقبلتُ الأرض وقلتُ: والله يا أمير المؤمنين ما سمعتُ بمثل هذا، ولا ظننتُ أن حلمه يسعه، فقال: وهل يجوز غير هذا؟ أنا أعلم أن هذا الصبيّ البائس لو دار في خَلْدِه ما جرى لذهب عقله وتلف، والإنكار لا يكون إلا على [المتعمد] دون الساهي الخاطي، ولم يكن حلمه فيما يحسُن به الحلم دونه شدته فيما تجب به الشدة؛ فإنه كان صارم العقوبة اتخذ للمجرمين وذوي المفاسد مطامير تحت الأرض، (وهي حفائر كانت تخبأ فيها الحبوب)، فجعل يزجهم بها ولما مات وولي ابنه المكتفي أمر بهدمها، ومرض المعتضد في بغداد فجدد البيعة لابنه المكتفي بالله ومات بها ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر، ونصف شهر إلا يومين.

مات المعتضد، وابنه أبو محمد علي الملقَّب بالمكتفي بالله في الرقة فلما جاءه الخبر أخذ البيعة على من عنده من الأجناد، وقدم بغداد فاستلم زمام الملك فقام به قياماً حسناً وظفر في أكثر ما كان بينه وبين العصاة والثائرين من الوقائع، مولده سنة ٢٦٣هـ وخلافته سنة ٢٨٩هـ ووفاته سنة ٢٩٥هـ، وعاصمته بغداد مقر آبائه وهو:

المكتفي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل، مرض وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمره وطال مرضه فعهد بالخلافة إلى أخيه جعفر المقتدر، ومات ومدة حكمه ستة سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، ولم يكن كأبيه.

وبويع أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالخلافة ولقَّب نفسه المقتدر بالله بعد وفاة أخيه المكتفي، وكان صغير السن لا يتجاوز الثالثة عشرة فاستصغر وتكلم الناس في أمره فخلعوه.

وولوا أبا العباس عبد الله بن المعتز بالله ولُقِّبَ بالمرتضى بالله ثم خذله أصحابه وهجم عليه بعض غلمان المقتدر فانهزم واختفى ثم عثروا عليه فقتل وستأتي ترجمته في ديوان الشعراء.

وصفا الملك للمقتدر وطالت أيامه على ما ضمت من الفتن والمحن وكان يستعين في أكثر شؤونه بخادم له يدعى مؤنسًا، فبلغ هذا الخادم أن الخليفة يريد به الشر فأعلن عصيانه فأرسل إليه المقتدر يحلف له أن ما بلغه كذب فعاد إلى الطاعة، ثم نكث وجمع أنصاره ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوا المقتدر وأمه وأولاده وخواص جواريه من دار الخلافة إلى دار مؤنس فاعتقلوا بها وبايعوا أخاه المقتدر وهو القاهر بالله محمد بن المعتضد فاستُخلف يومئذ ثم ثارت فرقة من الجيش تُعرف بالرجالة فقتلت بعض رؤساء الغلمان ودعت بالخلافة للمقتدر فأعيد إلى الملك ثانية وخرج مؤنس من بغداد وقد علم أن قلب الخليفة لن يصفو عليه فاجتمعت عليه العساكر والغلمان وقصد الموصل فاحتلها، ثم سار بمن معه يريد بغداد فخرج له المقتدر بعسكره فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردًا فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه وسلبوه ثيابه وزينته، ثم دفن في موضعه، وكان مولده سنة ٢٨٢هـ وخلافته سنة ٢٩٥هـ وخُلع بابن المعتز سنة ٢٩٦هـ، وأُعيد بها ثم خُلع ثانية بالقاهر سنة ٣١٧هـ، وأُعيد فقتله بعض أصحاب خادمه مؤنس الملقَّب بالمظفر سنة ٣٢٠هـ، وكان المقتدر ضعيفًا في إرادته وقوته وسياسته فاستولى على الملك خدمه ونساؤه وخاصته وكان مبذرًا كثير الإنفاق على البذخ والجواري والندماء مضياغًا لماله، والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك أعاد للدولة العباسية شأنها، وهذا هدم ركنها، وقد أطلنا في هذه الكلمة عليه وكان يجدر بناء إغفاله؛ لأنه لا يدخل في رجال هذا الكتاب ضعفاء الرجال وصغارهم.

قرَّ الرأي بعد المقتدر على إعادة أخيه لأبيه محمد بن المعتضد الملقَّب

بالقاهر فلما وُلِّي ساء السياسة فأحضر أم المقتدر وطلب منها أموال ابنها فأقسمت له أنها لا تملك غير ما في منزلها من متاع الزينة والثياب والأثاث فضربها وعذَّبها وصادر جميع أصحاب المقتدر وباع أملاكهم وأوقفهم وبلغه أن بعض وزرائه ساءهم ما صنع فهم يتآمرون عليه فقتل مؤنسًا، وعلي بن بليق وأباه، وطلب ابن مقله، وكلهم من خاصته، فاخفى وبيع عليه الجند فزحفوا إلى دار الخلافة ببغداد فاستيقظ القاهر، وفرَّ فقبضوا عليه، وحبسوه وسحلت عيناه فبقي أعمى لا يبصر إلى أن مات، ومولده سنة ٢٨٧هـ وخلافته الثانية سنة ٣٢٠هـ وخلعه سنة ٣٢٢هـ ومدة حكمه سنة وسبعة أشهر ووفاته سنة ٣٢٢هـ.

الراضي بالله

ولد سنة ٢٩٧هـ وتوفي سنة ٣٢٩هـ

علمت كما أسلفناه ما صارت إليه حال الدولة العباسية من الضعف وتحكم الخاملين، مما أدى بها إلى عصيان أمراء البلاد واستقلال كثير من العمال بما كانوا يلون، وانتهى أمرها إلى صاحب هذه الكلمة.

وهو: أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله، وكان محبوسًا مع والدته في أيام القاهر فلما خلع أخرج وبويع بالخلافة سنة ٣٢٢هـ ولُقِّب بالراضي بالله وكان فاضلاً أديباً سمحاً يحب محادثة الأدباء والفضلاء والجلوس معهم.

وختم الخلفاء في أمور عدة منها: أنه آخر خليفة له شعر يدون، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر ويُطيلها، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحُجَّابه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين، وشعره رقيق جيد منه قوله:

يصفرُ وجهي إذا تأمله طرفي ويحمرّ وجهه خجلاً
حتى كأن الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقلاً
وقوله في رثاء أبيه المقتدر:

ولو أن حيّا كان قبراً لميتٍ لصيرت أحشائي لأعظمه قبراً
ولو أن عمري كان طوع مشيتي وساعدني في التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرّئ ضاجعت في تربة البلى لقد ضم منك الغيث والليث والبдра

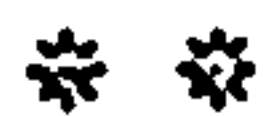
وولي الخلافة فحاول رتق ما فتق أسلافه فلم يستطع، ولكن البلاد زاد اضطرابها واتسع خرقها فكتب إلى محمد بن رائق عامله على واسط والبصرة والأهواز يستقدمه إلى بغداد وقلده إمارة الجيش وجعله أمير الأمراء وولاه الخراج والدواوين، وذلك سنة ٣٢٤هـ فاستولى ابن رائق على جميع ما ذكر، وأصبح الحاكم المطلق فتصرف بالأموال والأموال والخليفة الراضي راضٍ بما وقع لا يملك لنفسه قوة يدفع بها ما أصابه، وتفاقم أمر العمال فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج [الإخشيدي]، والمغرب وإفريقية في يد أمير المؤمنين القائم بأمر الله العلوي، والأندلس في يد الناصر من ملوك بني أمية، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر ابن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم.

وهكذا تفرقت هذه المملكة وانحلت رابطتها وانفرط عقدها، ولبت الخليفة الراضي يتلهّى بمن كانوا يسامرونه وينادمونه من رجال الأدب وأعيان البيان حتى كانت سنة ٣٢٩هـ فتوفي في بغداد ودفن بالرصافة وخلافته ست سنين وعشرة أيام.

ونودي من بعده باسم أخيه أبي إسحق إبراهيم بن المقتدر ولُقِّبَ المتقي لله مولده سنة ٢٩٧هـ وخلافته سنة ٣٢٩هـ، ودامت خلافته أربع سنين إلا شهراً أو أياماً فلم يصنع شيئاً إلا أنه تغيرت في أيامه بعض أسماء قواده أو بكلمة أجمع أسماء المسيطرين على الملك الذين كان هو وأشباهه آله صماء في أيديهم، وكان موصوفاً بالصلاح والتقوى وفي أيامه قُتل محمد بن رائق قَتَلَه ناصر الدولة بن حمدان (سنة ٣٣٠هـ) وفي سنة ٣٣١هـ تولى إمارة الأمراء تورون (أوطوزون) التركي ثم خافه المتقي على نفسه فخرج في أهله من عاصمته بغداد إلى الموصل ومنها إلى الرقة وتورون يأمر وينهى، وفي سنة ٣٣٣هـ بعث إلى تورون يستأمنه فأقسم له بالأمان، فركب الفرات حتى إذا وصل السندية قبض عليه تورون وخلعه، وسمل عينيه فعمي، وأتى به إلى بغداد فأقام وهو أعمى حتى مات سنة ٣٥٧هـ.



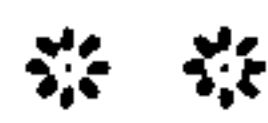
وبايع تورون وأصحابه يوم خلع المتقي لأبي القاسم عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي بالله بن المعتضد، وكان مستتراً فلم تطل مدته غير سنة وأربعة أشهر مات في خلالها تورون (سنة ٣٣٤هـ) وقدم عليه معز الدولة بن بويه الديلمي والي الأهواز، فخلع عليه المستكفي ولقبه منذ ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة، وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم: فعل ذلك كله اتقاء لشركهم وخوفاً من بطشهم به، ثم تغير عليه معز الدولة؛ فبينما كان المستكفي جالساً وحوله معز الدولة وبعض الأعيان أقبل رجلان من الديلم فتناولوا يد المستكفي فظن أنهما يريدان تقبيلها فجذباه عن السرير وجعلا عمامته في رقبته وقاداه إلى منزل معز الدولة ثم سُجِّلَ فعمي وسُجِنَ إلى أن مات، وكان مولده سنة ٢٩٦هـ، وخلافته سنة ٣٣٣هـ، وخلعه سنة ٣٣٤هـ ووفاته سنة ٣٣٨هـ.



وكان للمقتدر ابن آخر اسمه الفضل وكنيته أبو القاسم يطمع بالخلافة بعد أخيه المتقي؛ فلما خلع أخوه وولي المستكفي خاف الفضل واستتر فطلبه المستكفي فلم يظفر به، فلما قدم معز الدولة بغداداً انتقل إليه وأغراه بالمستكفي حتى فعل به ما فعل، وقدمه معز الدولة للخلافة فبايعه الناس ولُقّب المطيع لله وازداد أمر الخلافة العباسية إقبالاً في توليته ولم يبق للخلفاء من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة ببعض الشيء فلما كانت أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد.

قال ابن الأثير (في حوادث سنة ٣٣٤هـ): وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد أغضبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة... إلخ.

وكان مولد المطيع سنة ٣٠١هـ وخلافته سنة ٣٣٤هـ، وفي سنة ٣٥٦هـ مات معز الدولة وقد عهد إلى ابنه بختيار الملقب بمعز الدولة فأساء السيرة وزاد أمر الدولة تفهقراً وضعفاً ثم مرض المطيع لله وفُجِع وثقل لسانه، وتعذرت الحركة عليه فدعاه سبكتكين وهو حاجب بختيار إلى أن يخلع نفسه من الخلافة ويسلمها إلى ولده ففعل ذلك، واشهد على نفسه بالخلع في أواخر سنة ٣٦٣هـ بعد أن أقام يدعى بلقب الخليفة تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ومات بعد شهرين من استقالته وذلك سنة ٣٦٤هـ.



وعلى أثر خلع المطيع بويغ ولده أبو الفضل عبد الكريم ولُقّب الطانع لله سنة ٣٦٣هـ وفي أيامه ثار الأتراك ببختيار لتبديده الأموال وتأخير مرتباتهم

فكتب إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه يستنصره فدخل عضد الدولة بغداد.

ثم أخرجه بختيار وابنه المرزبان منها، وفي سنة ٣٦٧هـ طمع عضد الدولة ببختيار وأقبل على بغداد فانهزم بختيار منها إلى تكريت فأدركه عضد الدولة وأسرته ثم قتله وعاد إلى بغداد فعمر منها ما خربته وفرق الأموال وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والأطباء والمهندسين، وزوج ابنته للطائع ليكون لها عقب منه وتكون الخلافة فيهم، ثم مات عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ فقام مقامه ابنه بهاء الدولة.

وفي سنة ٣٨١هـ قبض بهاء الدولة على الطائع وحبسه في داره وأشيد عليه بانخلع ونهب دار الخلافة، ومولد الطائع سنة ٣١٥هـ وولي سنة ٣٦٣هـ. وخلع سنة ٣٨١هـ ومات سنة ٣٩٣هـ.

القادر بالله

ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٤٢٢هـ

لقد هزنت دولة بني العباس حتى استامها الديلم والأتراك وضعفت قوى ملوكها حتى طمع بها المتغلبون وامتدت إليها الأيدي وانصرفت نحوها وجوه الطامعين وأصبح بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي بعد أن خلع الخليفة الطائع حاكمًا مطلقًا لا يد تعلو يده، غير أنه خاف ثورة الجند إذا علموه قد استقل بالملك فلم يرَ إلا أن ينصب في مقام الخلافة رجلاً يكون له مطيعًا ولأمره سميعًا فشاور خاصته في الأمر فاتفقوا على: أبي العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بن المعتضد، وكان بالبطيحة (وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة)؛ فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه فقدموا عليه وأخبروه فركب وأتى بغداد فبايعه الناس، وخطب له في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٣٨١هـ، ولقب القادر بالله، فأقام بضعة أشهر

ينظر في أمور الدولة ويبحث عن أسباب وهنها، ثم طلب الخليفة المخلوع الطائع لله فسلمه إليه بهاء الدولة وكان قد سجنه في منزل منفرد، فأكرمه القادر بالله وأنزله في حجرة من أفضل حجره وَوَكَّلَ به من يقوم بخدمته وَحُسِنَ ضيافته بحيث لم يختلف أمره بين خلافته وخلعه إلا بالخطبة له.

وطالت أيام القادر، وكان حازماً مطاعاً فألقى الله هيبته في القلوب فأطاعه الذين كانت لهم السيطرة والغلبة على الخلفاء أحسنَ إطاعة وكان موصوفاً بالحلم والكرم وحب الخير والبعد عن الشر إلا فيما يتعلق بالأمور السياسية فأحبه الناس وصفاً له المُلْك، وأصلح من شؤون الدولة ما استطاع إلى إصلاحه سبيلاً وَحَسِبَهُ أَنَّهُ كَثُرَ عنها آمال المشرئين بأعناقهم إلى التسلط والتملك عليها، وكان محباً للعلم فاضلاً في نفسه، وقد أَلَّفَ كتاباً في اعتقاد أهل السنة، فُقِدَ مع ما فُقِدَ من قديم الكتب وحديثها، وكان الخليفة القادر كثيراً ما يلبس لباس العامة ويخرج يتجول في دار السلام يزور قبور الصالحين ويتفقد أمور الأمة.

ودامت له الخلافة إحدى وأربعين سنة وتوفي ببغداد عن سبع وثمانين سنة إلا شهرين، ومات في أيامه بهاء الدولة (سنة ٤٠١ هـ)، وانتهى أمر رئاسة الأمراء إلى ابنه أبي طاهر جلال الدولة، وتوفي الخليفة في أيامه بعد أن عهد بالملك من بعده إلى ولده الذي لُقِّبَ القائم بأمر الله الآتي خَبْرُهُ.

القائم بأمر الله

ولد سنة ٣٩١ هـ وتوفي سنة ٤٦٧ هـ

كان الخليفة القادر بالله قد عهد بالخلافة إلى ابنه أبي جعفر عبد الله ولقَّبه القائم بأمر الله سنة ٤٢١ هـ، ولما كانت سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر على ما تقدم ذكره فصلى عليه ابنه القائم وأتبع سنته في إدارة شؤون ما بقي له من ملك بني

العباس، وكان ورعاً ديناً له فضل وعناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثراً للعدل والإنصاف يريد قضاء حاجات الناس لا يرى منعهم من شيء هو لهم ولا يضجر من إلحاحهم وتكاثرهم على بابه، قال ابن الأثير:

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل: دخلت يوماً إلى المخزن فلم يبق أحد إلا أعطاني قصة (عرض حال) فامتألت أكمامي منها، فقلت في نفسي: لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلها فألقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها، فوقع فيها بأغراض أصحابها، ثم قال لي: يا عامي! ما حملك على هذا؟ فقلت: خوف الضجر منها، فقال: لا تعد إلى مثلها فإنما أعطيناهم من أموالنا شيئاً إنما نحن وكلاء!..

هذه ترجمة القائم بأمر الله في نفسه وأما ملكه فلم يزد على ما كان لأبيه ومن تقدمه، وقد طال عمره وحدثت في أيامه أمور ليست من أمور هذا الكتاب فارجع إليها في تواريخ الممالك والأزمنة إن أردتها، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، وعهد بالخلافة إلى ابن ابنه أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله، ولم يكن للقائم من أعقابيه ذكر سواه؛ لأن ابنه أبا العباس محمداً توفي في أيامه ولا عقب له إلا أن إحدى جواريه واسمها أرجوان كانت حاملاً فوضعت بعد ستة أشهر من موت محمد بن القائم ولداً سمي عبد الله وكُني أبا القاسم وسيأتي الكلام عليه.

المقتدي بأمر الله

ولد سنة ٤٤٩هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ

مات القائم بأمر الله بعد أن عهد إلى حفيده أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، ولقبه المقتدي بأمر الله، وذلك سنة ٤٦٧هـ وعمره ثمانى عشرة سنة، فانصرف إلى عمران بغداد وخدمة الأمة فكانت أيامه أيام خير وسعة وعظمت في عهده الخلافة أكثر مما كانت قبله وبني في بغداد عدة محال منها ما لا يزال عامراً حتى اليوم.

وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فتنين، وكان المغتسلون ربما دخل بعضهم الحمام غير مؤتزر فأمر بالأتزار والاستار، وأمر بقلع أبراج الطيور ومنع الناس من اللعب بها حفظاً للحرم المصونات في الخدور من اطلاع أولئك عليهن، ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه، ومنع الملاحين أن يحملوا في زوارقهم الرجال والنساء مجتمعين، وكان قوي النفس عظيم الهمة أحبه الناس وودوا لو طال عمره؛ فإنه حَكَمَ تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ومات فجأة وهو شاب لم يبلغ الأربعين، ولادته ووفاته ببغداد.

المستظهر بالله

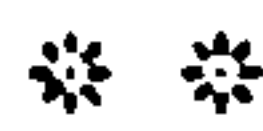
ولد سنة ٤٧٠هـ وتوفي سنة ٥١٢هـ

لما توفي المقتدي بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وهو ولي عهده فأعلم بموته وبايعه من حضر وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، واتسق له الأمر على ما كان لأبيه وجده، أما أخلاقه فكان ممدوحها.

قال صاحب الكامل: كان المستظهر لين الجانب كريم الأخلاق يحب

اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يردّ مكرمة تطلب منه، وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع ولا ملتفت إلى قوله واشي، ولم يُعرف عنه التلون أو انحلال العزم بأقوال أصحاب الأغراض، وهذه من أحسن خصال الحزم؛ فإن الملك والأمر إذا ضعفت ثقته برجاله تلاعب فيه الناس وسلوكوا به كل مسلك ولم تبقَ له إرادة يعزم بها على المهمات وكيف يُخلص الوزير أو المستشار في خدمة مولاه وهو يعتقد أن كلمة من عدو أو وشاية من حاسد تزلزل منزلته وتذهب بإخلاصه وخدمته، على أن هذه الحسنة ربما انقلبت سيئة إذا لم تتخذ الحيلة في شأنها، فإن صاحب الأمر لا ينبغي له إذا وثق أن يُفرغ ثقته ويستنيم إلى صاحبه بحيث لا ينظر في شيء يرد عنه، بل لابد لمن ولي من أمور الناس جانباً أن يكون شديد الثقة في غير اطمئنان، كثير الحذر في غير استرابة، وإلا فلا يتم له أمره، وكان المستظهر عارفاً بالأدب والإنشاء والشعر، وله توقيعات لا يقاربه فيها أحد تدل على فضل غزير وعلم واسع، وباسمه ألف العلامة الغزالي كتابه في التاريخ الذي سماه «المستظهري».

وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ومات ببغداد وله من العمر واحد وأربعون عاماً وستة أشهر، ودُفن في حجرة له كان يألّفها وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ولده الفضل الملقّب بالمسترشد بالله.



وكان المسترشد بالله شهماً شجاعاً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً جيّد التوقيعات واسمه الفضل وكنيته أبو منصور، إلا أنه ارتكب خطأ ذهب بحياته وأخر دولته بعد تقدمها، وذلك أنه بلغ من أمر الخلافة العباسية أن أصبح الحكم فيها لرجلين أحدهما الوازع السياسي المنفذ وهو صاحب الحل والعقد والأمر والنهي في

شؤون الدولة داخلها وخارجها وكان يسمى أمير الأمراء، ثم صار من أسندت إليه هذه الإمارة يُلقب بملك أو سلطان، والثاني وهو صاحب الاسم الديني يُبايع وتُعرض عليه الأمور قبل عرضها على الأول فيرى فيها رأيه وهو الخليفة، فكان الدولة في ذلك العهد بين سلطتين: نظرية وتنفيذية.

فالنظرية يتولاها الخليفة، والتنفيذية يتولاها الملك أو السلطان أو أمير الأمراء، وكان المعاصر للخليفة المسترشد بالله هو السلطان مسعود بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي ومقره في همذان، زار بغداد فأكرمه المسترشد، ثم إن الخليفة شعر بخيانة جماعة من الأمراء فأراد عقابهم فلجأوا إلى السلطان مسعود فطلبهم الخليفة منه فأبى ردّهم إليه، فحدثت بينهما النثرة والوحشة وسافر السلطان مسعود إلى همذان فلما استقرّ بها، علم الخليفة أن مسعوداً يستعد لقتاله فتجهز هو أيضاً وجاءته رسائل من الأمراء الذين انضموا إلى مسعود يعرضون عليه طاعتهم ويستأمنونه فأمنهم الخليفة، وحضروا فأكرمهم وخرج من بغداد بجيش يريد فيه ابتداء السلطان مسعود بالقتال وجعل أولئك الأمراء في الميمنة وزحف عليه السلطان مسعود فتلاقيا بموضع يقال له «دايمرج» فلما حمى القتال انحازوا إلى السلطان مسعود استداروا حول عساكر الخليفة المسترشد وهو ثابت في مقره وانهمز عسكره فأخذ هو أسيراً فأنزل في خيمة وترددت بينه وبين السلطان الرسل في الصلح فاتفقا على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر، وأن لا يخرج من داره ورضي الخليفة وعزم على الرجوع إلى بغداد فدخل عليه جماعة من فرقة تسمى «الباطنية» فقتلوه ومثلوا به، وذلك على باب مراغة لأن السلطان مسعوداً كان قد أخذه معه حتى انتهى إليها فدفنه أهل مراغة عندهم، وكان مولد المسترشد سنة ٤٨٥هـ وخلافته سنة ٥١٢هـ، وقتله سنة ٥٢٩هـ، والخطأ الذي أودى به هو اعتماده على جماعة

خانوه أولاً فخانوه ثانياً ثم خروجه من بغداد يقود جيشه، وكان الأجدر به أن يوجه قائداً يعتمد عليه في مثل هذا الشأن.



ولما قُتل المسترشد كتب السلطان مسعود إلى رئيس الشحنة ببغداد أن يبايع ابن المسترشد وكان ولي عهده واسمه المنصور وكنيته أبو جعفر ولقبه الراشد بالله، فبويع في بغداد على شروط كتبها للسلطان مسعود بخط يده وحلف عليها وهي أنه متى جندٌ جنداً، أو خرج للقاء أحد من أصحاب السلطان بالسيف فقد وجب خلعه، فلم تطل أيامه حتى وقع نفور بينهما فتهيأ الراشد لقتاله فعلم مسعود فزحف على بغداد فحاصرها حتى دخلها وفر الخليفة الراشد إلى الموصل ومنها إلى أصفهان فأقام بها حتى قُتل.

مولده سنة ٥٠٤هـ وخلافته سنة ٥٢٩هـ، وخلعه سنة ٥٣٠هـ، وقتله سنة ٥٣٢هـ، قتله بأصفهان بعض خدمه للتخلص منه لأنه لم يكن يستقر في مكان، ودُفن بظاهرها في شهرستان.

المقتفي لأمر الله

ولد سنة ٤٨٩هـ وتوفي سنة ٥٥٥هـ

لما خلع الراشد بالله استشار السلطان مسعود جماعة من أعيان بغداد فيمن يصلح أن يلي الخلافة فاتفقوا على أبي عبد الله بن المستظهر فدعا به فحضر وأكرمه السلطان واشترط عليه ما كان يشترطه على غيره فبايعه الناس ولقب المقتفي لأمر الله، وهو:

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي، تولى الخلافة وهي على ما علمت من الوهن والضعف وذلك سنة ٥٣٠هـ فجعل لا يترك سبباً من أسباب تقوية ملكه ألا تعلق به دون أن يجاهر السلطان مسعوداً أو غيره بعداوة.

فجمع مالا كثيرا وقوة وسلاحا حتى كانت سنة ٥٤٧هـ، وبها توفي السلطان مسعود بهمذان فلم يتصل خبره بالخليفة المقتفي حتى ثار ثورة الأسد فاستولى على دار السلطان مسعود ببغداد وقبض على أصحابه وأعوانه من السلجوقيين وغيرهم وضبط أموالهم وأمر بأن يراق في الطُّرُق ما في بيوتهم وبيت السلطان من الخمر فأريق مقدار غير يسير وبه نفر الناس إلى الخليفة مُنكرين على أعوان السلطان ما رأوه، وشتمَّ الخليفة عن ساعد الجد فاستقل بالملك وقهر كل مزاحم له عليه، وكان من الرجال ذوي الرأي والعقل والدهاء، وهو أول من استبد من ملوك العراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم إلى أيامه، وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر إلى أيامه، إلا أن يكون المعتضد - قاله ابن الأثير.

وكان المقتفي شجاعا مقداما مباشرا للحروب بنفسه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء، وهو موصوف بالحلم والكرم والعدل وحسن السيرة، وكانت مدة خلافته أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر صَفَّتْ له الخلافة منها ثمانٍ سنين بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي، وعهد إلى ابنه يوسف الملقَّب المستنجد بالله.

المستنجد بالله

ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٦٦هـ

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله، وَلِيَّ الخلافة على إثر وفاة أبيه (سنة ٥٥٥هـ) فسار سيرته وضبط الدولة ضبط الحازم العاقل وأول ما بدأ أنه أزال المكوس ورفع عن الناس الضرائب حتى لم

يترك في العراق شيئاً منها، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلاً فيهم كثير الرفق بهم شديداً على هل العبث والفساد والسعاية بالناس.

يُذكر أنه سجن إنساناً كان يسعى بالناس فأطال حبسه فشفع فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي إنساناً آخر مثله لأكفّ شره عن الناس ولم يطلقه.

وقبض على قاض يعرف بابن المرخم كان سيئ المسلك وقد ثبت له أنه أخذ أموالاً كثيرة من بعض الرعية فصادر أمواله ورد للناس ما أخذه منهم، ولكنه أساء إلى العلم إساءة لا تغتفر لأنه لم يكتفِ بأن صادر ذلك القاضي وحبسه وسلبه نعمته حتى امتدت يده إلى كتبه فأحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة وفيها كتاب الشفاء لابن سينا، وكتاب إخوان الصفا، وما يشاكلهما، فهي وصمة في تاريخ حياته سوداء.

حكم إحدى عشرة سنة ثم مرض، وكان قد خان بعض خاصته فأرغم طبيبه على أن يصف له الحمام فوصفه له فامتنع المستنجد لضعفه فما زالوا به حتى أدخلوه وأغلقوا عليه الأبواب فصاح واستغاث فلم يلبوه حتى مات فأعلنوا وفاته.

وفي الليلة التي مات بها المستنجد بالله بويح ابنه أبو محمد الحسن، ولُقّب المستضيء بأمر الله ففرق أموالاً كثيرة وحذا في الحكم حذو أبيه وكان حليماً جداً قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو والصفح عن المذنبين، كريم اليد، صفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر، ولا يُذكر له فيها أثر، ولد سنة ٥٣٦هـ، وبويح سنة ٥٦٦هـ، وتوفي سنة ٥٧٥هـ.

الناصر لدين الله

ولد سنة ٥٥٢هـ وتوفي سنة ٦٢٢هـ

وبويع بالخلافة بعد موت المستضيء بأمر الله ولده أبو العباس أحمد بن المستضيء بن المستنجد بن المتقي بن المقتدي بن محمد بن القائم بن القادر ابن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن عبد الله بن عباس، ولقب أحمد الناصر لدين الله، وذلك سنة ٥٧٥هـ، فلما تملك طالت أيامه حتى إنه لم يل لخلافة من بني العباس أطول منه مدة، وكان شديد السياسة داهية خبيراً بشؤون الملك إلا أنه ربما تشدد في بعض الأمور فنُسب إلى الظلم، والمؤرخ يحار في ما يكتب عنه لأنه لم يكن مستقيم الأطوار، فبينما تراه مولعاً بالمصلحة العامة يفتح دور الضيافة للناس وللحجاج، ويطلق المكوس، ويرفع عن الناس الضرائب والمظالم، ويتفقد شؤونهم مختفياً في الحنادس الداجية يجوب المنازل ويجول في الشوارع العامة والأزقة مرتدياً جلباب سوقي أو شيوخ أو غريب إذا بك تراه قد أغلق تلك الدور، وأعاد تلك الضرائب، وانصرفت همته إلى اللهو واللعب برمي البندق والاشتغال بالطيور والعناية بسر اويلات الفتوة (المعروفة اليوم باسم التبنات يتخذها المصارعون، واحداً تَبَّان وليس بعربي)، ويقال: إنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه السلطان محمد من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق، ولئن صح ذلك ل يكوننَّ لطخة عار تشوهت بها صحيفته، وقد شك فيه المؤرخون ورأوا أن العجم ينسبونه إليه. وكانت خلافته ستاً وأربعين سنةً وأحد عشر شهراً إلا يومين، وفي آخر عمره ذهبت إحدى عينيه وضعف بصر الثانية، وفُلج فبطلت حركته ثلاث سنين ثم أصابته دوسنطاريا فمات (رحمته الله) وله من العمر نحو سبعين سنة.

وولي بعده ابنه أبو نصر محمد الملقب الظاهر بأمر الله وكانت أيامه في عصر المؤرخ ابن الأثير فذكره وأثنى عليه كثيراً حتى داخلني الشك في أنه ربما كان محسناً إليه فقابله على الإحسان إحساناً لأن المؤرخ مهما تمكن من الحرية وانطلاق القلم في الحق لا بد له من أن تأخذه على معاصره وولي أمره عاطفة فيثني ويطري ويعدد المحامد ويستر المثالب دفعاً للشر أو جلباً للخير، والذي يجدر بنا أن ننقله عن مؤرخنا مما يتعلق بهذا الخليفة أنه كان على عكس أبيه مستقيماً محباً للخير أطلق المكوس التي كان قد وضعها والده وخفف الأموال عن بعض رعيته، وأخرج المسجونين، ومنع جاسوسية الحرّاس وكانوا يكتبون للخلفاء كل ما يدور بين الناس من الحديث فأعفاهم من هذا، ولم تطل مدته، ولد سنة ٥٧١هـ، وحكم سنة ٦٢٢هـ، ومات سنة ٦٢٣هـ ومدة حكمه تسعة أشهر.

المستنصر بالله

ولد سنة ٥٨٨هـ وتوفي سنة ٦٤٩هـ

البيان أفضل ما خُلد به الذكر، ولا سيما إذا كان أثراً نافعاً كمدينة أو مدرسة فخمة أو بناءً عظيم يأوي إليه المحاويع أو مستشفى يُطيب فيه أصحاب العاهات والأمراض أو ما ضارعه من الأبنية النافعة وحسبك من أدلتنا أن صاحب هذه الترجمة وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر الملقب بالمستنصر بالله عاش كغيره من الخلفاء أو كالمُحسنين منهم لأنه كان عاقلاً عادلاً محباً للحق، ولكنهم إذا كُرّت الأجيال وأنكرت الأطلال الرجال ذهب ذكر أولئك الخلفاء وبقيت آثار مدرسة عظيمة أقيمت في بغداد، ودُعيت المستنصرية فهي ترشد الأمم التالية إلى بانيها كما ترشد آثار سامراء إلى المعتصم وكما أرشدت أطلال نينوي إلى حمورابي، والمستنصرية هذه مدرسة كبيرة من أشهر مدارس

الإسلام بناها في بغداد مترجماً المستنصر بالله على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة، وجعل عليها من الأوقاف شيئاً كثيراً وأقام لها الأطباء والصيادلة حتى ظهرت في أبهر حلة من الاتساع والزخرفة وما فيها من رجال العلوم الدينية والفنون الدنيوية وهي اليوم مهمة تكاد تغفو آثارها وقد أصبح قسم منها داراً للمكس وآخر مطبخاً وآخر قهوة تعرف بقهوة الشط.

كانت سيرة المستنصر حميدة كسيرة أبيه، وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضي لوفرة عقله، ولكن ما ينفع العقل والفضل والأعمال منتقضة والدولة ذاهبة إلى الخراب، وفي أيامه قويت شوكة قبيلة المغول التتية (وعلا شأنها بظهور جنكيز خان سنة ٥٩٩هـ، وأصلها من جنوبي سيبيريا) فاستولوا على كثير من المملكة الإسلامية حتى أوشكوا يدخلون بغداد في عهده إلا أنهم دُفعوا عنها، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً وإقامته بغداد وفيها توفي ودفن.

المستنصر بالله

ولد سنة ٥٨٨هـ وتوفي سنة ٦٥٦هـ

أتى على الدولة العباسية حين من الدهر كان فيه الخليفة يقنع بامتلاك دار السلام عاصمة ملكه فلا يرى إلى تلك الأمنية من سبيل، ذلك بعد أن ملكوا البلاد وسادوا العباد وامتدت سلطتهم وعظمت سلطتهم، ولكن الدول في رأي بعض الباحثين من علماء الاجتماع كالأناسي إذا أدركها الهرم لم تنج في دائها الأدوية، قال ابن خلدون: «... وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية لا تتبدل... وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع

عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء».

انتهى أمر الخلفاء العباسيين إلى السابع والثلاثين منهم وهو آخرهم في القطر العراقي، أبو أحمد عبد الله ولقبه المستعصم بالله بن المستنصر بالله، بويع بعد وفاة أبيه باتفاق آراء رجال الدولة ووزرائها عليه (سنة ٦٤٠ هـ)، فلما ولي الخلافة كان مثال الضعف والوهن والانقياد إلى اللهو والعكوف على الدد فألقى زمام الملك إلى الأمراء والقواد واعتمد في أكثر الشؤون على وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي، وكان يتشيع للعلويين، وقد علمت من ترجمة المستنصر السابقة أن المغول عظم أمرهم وخيف شرهم فأشار بعض الناجمين على المستعصم أن يتخذ الحيلة لدرء هجماتهم وأن يُعد جيشاً يقوى به عليهم فغلبت عليه غفلته فقال: «إن هؤلاء لا يطمعون بإخراجي من دار ملكي وهم يكتفون مني بأن أترك لهم البلاد ويدعوا لي بغداد وهي تكفيني!».

واتفق أن فتنه حدثت في بغداد بين رجال السنة والشيعة العلويين وهذا مرض قديم في الإسلام وُلد منذ تَوَفَّى اللهُ نبيه محمداً (ﷺ) وانحاز فريق من أهل الإسلام يرون أن علياً أجدر بالخلافة بعد ابن عمه ثم اتسع ذلك الخرق بعد زَمَن فكان في المسلمين الداء الذي لا يُحسم والعلة التي لا تشفى وهو حتى اليوم سبب تأخر المسلمين الأعظم، وعلة تفرقهم، ومنشأ نزاعهم، وحكماء الفريقين دائبون على إصلاح ذات البين ولا أراهم يوفقون إليه إلا بعد أن لا يبقى غير الندم والأمل الأكبر بزوال تلك الشنينة معقود بناصية دور العلم الحديث والفنون فإذا اشتغل فيهما المسلمون وعرفوا حقائق الأديان وسبروا أغوار السياسة والاجتماع كان لهم من أنفسهم زاجر ولكنني أقول:

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وجارت السنة في هذه الفتنة على إخوانها من الشيعة فانتهدت بيوتها وسفكت دماءها وذلك بتحريض أبي بكر ابن الخليفة وبعض الأمراء الكارهين لابن العلقمي الوزير، وظهر من الخليفة ضعف أو إغضاء، آثار في قلب وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي مراجل حقد كانت كامنة وحزن لما أصاب إخوانه الشيعة من الكوارث فكتب إلى قائد المغول وهو هولاءكو حفيد جنكيزخان يُعلمه بضعف الخليفة ويهون عليه أمر احتلال بغداد ويَعِدُه بالإعانة على خليفته، فزحف هولاءكو بخيله ورحله يتوّد جيشًا عرمرمًا من التتر، وذلك سنة ٦٥٥ هـ، وخرجت إليه عساكر الخليفة ثم انهزمت ونزل هولاءكو على بغداد من الجانب الشرقي وانتشر عسكره في جميع جهاتها، فقدم عليه الوزير ابن العلقمي فتوثق منه لنفسه وعاد إلى الخليفة المستعصم، وقال: إن هولاءكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر وحسن له الخروج إلى هولاءكو فخرج إليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمته ثم استدعى الوزيرُ الفقهاء والأماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون والعلماء فلما تكاملوا أمر بهم هولاءكو فأحاطت فيه العساكر وقتلوا عن آخرهم، وأبقى الخليفة حيًا حتى دلّهم على مواضع الأموال والدفائن ثم قتلوه ودخلوا بغداد فأعملوا السيف فيها فدام القتل بها والنهب نحو أربعين يومًا وأحرق وأغرق ما فيها من كتب العلم والتاريخ وهدّم كثير من الأبنية الشامخة والقصور العامرة ثم نودي بالأمان.

وبموت الخليفة المستعصم بالله انقرضت الدولة العباسية في العراق وعدة خلفائها ٣٧ خليفة ومدة مُلكهم من سنة ١٣٢ هـ إلى موت المستعصم سنة ٦٥٦ هـ، ودام لهم المُلك يصفو ويكدر ٥٢٤ سنة، والمُلك لله يؤتیه من يشاء.

خاتمة

انقرضت دولة بني العباس في العراق وانمحت آثارها فلم يطل أمد احتجاجها غير نيف وثلاث سنين وظهرت في مصر بوفود أبي القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر بن المستضيء العباسيين على الملك الظاهر بيبرس البندقداري أحد ملوك دولة المماليك في مصر، وكان أبو القاسم هذا غائباً عند حدوث واقعة بغداد فنجا من شرها وأثبت نسبه العباسي لدى الملك الظاهر بمصر أمام جمع من العلماء وأركان الدولة ففرح به الظاهر؛ لأنه وجده قوةً جديدة لملكه، ولا يخفى أن المسلمين لا ينظرون أن الملوك بعين الرضى والخضوع إلا إذا قرنوا إلى ألقابهم السياسية لقباً دينياً كالخليفة أو أمير المؤمنين، وهذا اللقب لا يحرزه إلا أصحاب النسب الثابت كالعلويين والعباسيين وأشباههم، فلما ظفر الملك الظاهر بالخليفة العباسي جمع الناس وأعلن فيهم أن دولته أصبحت دولة ثابتة الأساس بانتسابها إلى دولة العباسيين وبايع أبا القاسم العباسي ولقب المستنصر، وكذلك بايعه أركان دولة الملك الظاهر وخطب باسمه على المنابر ونُقش على النقود وأقيمت له المظاهر وأنزل في دار فخمة، وذلك سنة ٦٥٩ هـ فهو أول الخلفاء العباسيين في الديار المصرية ولم يكن له ولا لمن بعده أثر يُذكر لأنهم إنما كان لهم من الخلافة الاسم والأبهة والخطبة ولا يحق لهم أن ينظروا في شيء من شؤون الدولة فهي خلافة كاذبة ومُلك وهمي ودام لهم ذلك بمصر ٢٥٥ هـ سنة تعاقب منهم خمسة عشر رجلاً على الإمارة، وهذه خلاصة أخبارهم، اعتمدت فيها على تاريخ ابن الوردي:

- ١ - المستنصر: أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر العباسي، بويح سنة ٦٥٩ هـ وجهز له الملك الظاهر البندقداري جيشاً زحف به إلى العراق لاسترداد بغداد فحارب التتر فانهزم جيشه، وفُقد هو ولم يُعلم خبره وذلك سنة ٦٦٠ هـ.

- ٢ - الحاكم بأمر الله: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن المسترشد بن المستظهر، ظهر في الديار المصرية بعد أن شاع خبر فقدان المستنصر فأثبت نسبه أمام الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ فبايعه الظاهر وجعل له ما كان للمستنصر وتوفي بمصر سنة ٧٠١هـ فدفن بها.
- ٣ - المستكفي بأمر الله: أبو الربيع سليمان بن أحمد الحاكم، بويغ بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ وتوفي بقوص سنة ٧٤٠هـ، ومولده سنة ٦٩٠هـ، وكان قد أخرج إلى الصعيد سنة ٧٣٨هـ وعلى لسانه يقول ابن الوردي في تاريخه: «مثلي يعيش بالموت، ويبلغ المنى بالفتوت، إلى كم لهم العيشة الرطبة، ولي مجرد الخطبة، فلهم الملك الصريح، وسليمان الريح!».
- ٤ - الواثق بالله: أبو إسحاق إبراهيم ابن أخي المستكفي، بويغ بعد موت المستكفي سنة ٧٤٠هـ عاشر السفلة فخلع بعد أن مكث سنة وأيامًا.
- ٥ - الحاكم بأمر الله (الثاني): أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله بن الحاكم (الأول)، بويغ في المحرم من سنة ٧٤٢هـ وتوفي سنة ٧٥٣هـ.
- ٦ - المعتضد بالله: أبو بكر بن المستكفي، بويغ بعهد من أخيه الحاكم الثاني سنة ٧٥٣هـ وتوفي سنة ٧٦٣هـ.
- ٧ - المتوكل على الله: أبو عبد الله محمد بن المعتضد، بويغ سنة ٧٦٣هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ، وخلف أولادًا كثيرين، قيل: إنهم نحو المئة.
- ٨ - المستعين بالله: أبو الفضل بن المتوكل، بويغ بعهد من أبيه سنة ٨٠٨هـ وتوفي سنة ٨٣٣هـ.
- ٩ - المعتضد بالله (الثاني): أبو الفتح داود بن المتوكل بن المعتضد (الأول)، بويغ بعد أخيه المستعين سنة ٨٣٣هـ، وتوفي سنة ٨٤٥هـ.

- ١٠ - المستكفي بالله (الثاني): أبو الربيع سليمان بن المتوكل، بويغ بعهد من أخيه المعتضد سنة ٨٤٥هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ.
- ١١ - القائم بأمر الله: أبو البقاء حمزة بن المتوكل، بويغ بعد أخيه المستكفي الثاني سنة ٨٥٥هـ، فأقام شهرًا واثني عشر يومًا ووقع خلاف بينه وبين الملك الأشرف سلطان مصر فذهب إلى الإسكندرية فأقام بها حتى مات سنة ٨٦٣هـ.
- ١٢ - المستنجد بالله: أبو المحاسن يوسف بن المتوكل، بويغ بعد انصراف أخيه القائم بالله إلى الإسكندرية سنة ٨٥٥هـ، ومات مفلوجًا سنة ٨٨٤هـ.
- ١٣ - المتوكل على الله (الثاني): أبو العز عبد العزيز بن يعقوب، بويغ سنة ٨٨٤هـ، وتوفي سنة ٩١٣هـ.
- ١٤ - المستمسك بالله: أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز، بويغ بعد أبيه المتوكل الثاني سنة ٩١٣هـ، وتوفي سنة ٩٢٧هـ.
- ١٥ - المتوكل على الله (الثالث): محمد بن يعقوب المستمسك، بويغ بعد أبيه سنة ٩٢٧هـ، وفي أيامه افتتح السلطان سليم أحد سلاطين آل عثمان، بلاد الشام ومصر سنة ٩٢٢هـ، فاستلم من المتوكل الآثار النبوية وهي الراية والسيف والبردة ومفاتيح الحرمين الشريفين، وأخذه معه إلى القسطنطينية بعد أن تنازل له المتوكل عن الخلافة، وأصبح كل سلطان عثماني يُلقب بالخلافة وإمارة المؤمنين منذ ذلك الحين فاجتمعت لهم السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وأقام المتوكل في القسطنطينية مدة ثم عاد إلى مصر؛ فمات سنة ٩٤٥هـ، وهو آخر الخلفاء العباسيين في العراق والديار المصرية وبه تم الكلام عليهم.

بنو أمية في الأندلس

دخول

علمت مما سبق من أخبار الدولة العباسية أن مؤسسها الخراساني أبا مسلم ضرب الأمويين في المشرق ضربةً تالعه بأشد منها الخليفة العباسي الأول انتقاماً من تلك الأسرة الحاكمة لما كان لبني هاشم عند معاوية وبنيه من الثأر القديم، وسعيًا وراء توطيد الخلافة العباسية بحيث لا تطلع الشمس على مزاحم لهم عليها من آل أمية أو مروان بعد ذلك، وقد تفرّق الناجون من القتل والحبس من الأمويين والمروانيين في أنحاء الأرض فكان منهم عبد الرحمن الأول المعروف بالداخل، وهو الذي ركب الأخطار وقصد بلاد الأندلس فأسس فيها دولة خفقت أعلامها ٢٧٦ عامًا وانتشرت مدنيّتها وعلومها وصناعاتها حتى كان ابن القارة الأوربية يسعى إليها بالأمس كما يسعى السوري، والأندلسي^(١)، والمصري إلى باريز [...]»^(٢) ولوزان وموينخ اليوم.

يبتدى تاريخ هذه الدولة في المغرب من سنة ١٣٨ هـ وهي سنة إمارة عبد الرحمن الأول على قرطبة، وينتهي سنة ٤٢٢ هـ، وهي السنة التي خلع فيها آخر خلفائهم هشام بن محمد وتفرقت البلاد من بعده فاستقل كل والٍ بما ولي على نسق ما أصاب دولة آل عباس في آخر أمرها.

وقد خرجت الإمارة من أيدي الأمويين في أثناء تملكهم مدة سبع سنين وثمانية أشهر حكم فيها رجال من الفاطميين (نذكرهم إن شاء الله بعد ترجمة

(١) يقصد المغربي.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

سليمان بن الحكم الأموي^(١)، ثم عادت إلى بني أمية فلم تطل أيامهم، وإنه ليؤلمني أن ألتزم جانب الإيجاز في البحث عن تراجم ملوك هذه الدولة ذات الحضارة العجيبة والذكر المجيد غير أن المجال يضيق عن الإسهاب والإطالة فأكتفي بانتداب مؤرخينا وأهل البحث والنظر الثاقب من علمائنا الأعلام إلى وضع كتاب كبير يضم أجزاء تاريخها ويجمع ما تفرق في الكتب العربية والإفرنجية من أخبارها فهي الخدمة الجليلة والعمل النافع أثاب الله من يقوم به خيرًا.



(١) ذكرت في مقدمة الكتاب أن الزركلي كان ينوي استكمال الكتاب لأكثر من ذلك، ولكنه عدل عن ذلك، وتوقف، فلم يترجم لرجال أشار إلى أنه سيجرم لهم لاحقًا، عله اكتفى بتراجمهم في كتابه الأعلام (المقدم).

عبد الرحمن الداخل

ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٧٢هـ

فتح المسلمون بلاد الأندلس وأخذت تتعاقب عليها ولائهم وأمرؤهم من قبل دولة الأمويين في الشام أولاً حتى ضعف شأنهم وتزلزل سلطانهم فاستبد الأندلسيون بأمر أنفسهم يعزلون ويولون من يشاؤون، وظهرت بينهم في أوائل القرن الثاني للهجرة ثورات واضطرابات كان أمرؤهم يعالجون منها ما يمكنهم علاجه إلى أن أصيب بنو أمية بتلك الرائعة التي شتت شملهم ومزقت ملكهم، ففترق من نجا منهم في بلاد الله وتملك بنو العباس (على ما تقدم بيانه) وكان فيمن فر من أيدي المسودة (آل عباس) أمير من سلالة ملوك بني أمية يدعى أبا المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أمه بربرية من المغرب، ولد بموضع يعرف بدير حُسيبة^(١) من دمشق، ومات أبوه وهو صغير السن فنشأ في جهات الشام ولما حلّ بقومه ما حلّ انهزم وأقام في قرية على الفرات فتبعته الخيل فأوى إلى بعض الأدغال حتى أمّن فقصده المغرب، فبلغ إفريقية فلجّ عاملها بطلبه حين علم به، وهو حينئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري.

وانصرف المترجم إلى مكناسة وقد لحقه مولاة بدر بنفقة وجواهر كان قد طلبها من أخت له تعرف بأما الأصبع، ولم تطب له الإقامة في مكناسة، فارتحل منها ونزل بآل نفزادة وهم جيل من البربر منهم أمه فأكرموا حين عرفوا صلته بهم ولبث مدة يكاتب الأمويين من أهل الأندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه ووجه بدرًا مولاة إليهم فأجابوه وسيروا إليه مركبًا فيه جماعة من

(١) كذا في البيان المغرب لابن عذاري، ج ٢، ص ٤٩، وفي تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي «دير حُسينا» ولم يذكرهما باقوت في معجمه.

كبرائهم فأبلغوه طاعتهم وأخذوه وعادوا إلى الأندلس فأرسل بهم المركب في المنكب (وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨ هـ)، ثم انتقلوا إلى إشبيلية ومنها إلى قرطبة فعلم بهم والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان غائباً عن قرطبة بنواحي طليطلة فأقبل ونشب قتال بين عسكره ومن التف حول عبد الرحمن بن معاوية انتهى بظفر عبد الرحمن فدخل قرطبة واستقر بها وبني فيها القصر والمسجد الجامع ومساجد للجماعات ووافاه عدد كبير من الأمويين، وكان يدعو للمنصور العباسي ويظهر أنه لا يميل إلى الخروج عن طاعة ملوك العباسيين في العراق فهدأت به نائرة الأندلس واطمأن الناس إليه وأحبوه لعدله ورأفته ثم قطع خطبة العباسيين وجهر بالاستقلال.

وكان من أهل العلم والمعرفة بالأدب وله شعر، ووصفه صاحب البيان المغرب فقال: «أظن صفته: طويل القد، أصهب، أعور، خفيف العارضين، بوجهه خال، له ضفirtان»، وكان المنصور يلقيه بصقر قریش، ولُقّب الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك بني أمية: قال ابن الأثير في نعتة:

«... وكان لسناً شاعراً حليماً عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ولا ينفرد في الأمور برأيه، شجاعاً مقداماً بعيد الغور شديد الحذر، سخياً جواداً، يكثر لبس البياض، يُقاس بالمنصور في حزمه وشدة ضبط المملكة، وبني الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام حيث بني الرصافة بالشام»، وعند أول نزوله بالرصافة رأى فيها نخلة منفردة فهاجت شجته، وتذكر وطنه فقال:

تبَدَّتْ لنا وسط الرصافة نخلةٌ	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرُّب والنوى	وطول التناهي عن بُني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبةٌ	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غواصي المزن من صوبها الذي	يسحُ ويستمرى السماكين بالوبل

توفي الداخلُ بقرطته ودُفن بقصرها، وكان دخوله على الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبويع بقرطبة يوم الأضحى من سنة ١٣٨ هـ ومدة خلافته ٣٣ سنة، وأربعة أشهر ونصف، وعقد العهد لابنيه هشام ثم سليمان، ومن شعره يتشوق إلى بلاد الشام:

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي
أن جسي كما علمت بأرضي وفؤادي ومالكه بأرضي
قُدِّرَ البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

هشام بن عبد الرحمن

ولد سنة ١٣٩ هـ وتوفي سنة ١٨٠ هـ

لم يكن هشام أكبر ولد عبد الرحمن فإن سليمان أكبر منه ولكن أباه كان يتوسم منه الشهامة والاضطلاع في أمر الملك فعهد إليه قبل أخيه، ولما توفي عبد الرحمن كان هشام بماردة متولياً لها، وأخوه سليمان بطليطلة، وكان يروم الأمر لنفسه ويحسد أخاه هشاماً على تقديم والده له ولهما أخ ثالث اسمه عبد الله ويعرف بالبلنسي كان بقرطبة عند موت والده فجدد البيعة لهشام وكتب إليه يخبره فحضر هشام بعد ستة أيام، فبويع سنة ١٧٢ هـ، وحشد أخوه سليمان أجناده وقصد قرطبة مخالفاً لأخيه فانضم إليه أخوهما عبد الله فخرج هشام إليهما بجيشه فالتقى الجيشان بجهة بلج، وانهمز سليمان وعبد الله بعد حرب شديدة [وقفل] هشام إلى قرطبة ظافراً، وكان يُكنى بأبي الوليد، وصفه ابن الأثير وابن عذارى فقالا: «كان أبيض، أشهل، مشرباً بحمرة، بعينه حول»، ومن محاسن سيرته أنه كان يبعث إلى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير

العُمَال، وكان ذا حزم ورأي وشجاعة وعدل محباً لأهل الخير والصلاح شديداً على الأعداء، راغباً في الجهاد.

ومن غريب ما يذكر عن أيامه من عز الإسلام أن رجلاً مات وأوصى أن يُفك أسير من أسرى المسلمين من تركته فطلب ورثته ذلك فلم يوجد في دار الأعداء أسير مسلم يُشترى أو يُفك لضعف العدو وقوة المسلمين، وأهل الأندلس يعدّون مناقبه ويبالغون فيها حتى قالوا: إنه كان يشبه في سيرته بعمر بن عبد العزيز..

خلافته سبع سنين وتسعة أشهر [وثمانية] أيام، بنى عدة مساجد، وتمم بناء جامع قرطبة الذي بدأ أبوه به.

الحكم بن هشام

ولد سنة ١٥٤هـ وتوفي سنة ٢٠٦هـ

أبو العاصي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي، أحد ملوك بني أمية العظام في الأندلس، قال المقرئ في نفخ الطيب: هو أول من جعل للملك أبهة بأرض الأندلس، وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابه، وكانت له عيون يأتونه بأخبار الناس، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين، وهو الذي مهد الملك لعقبه في تلك البلاد.

ولد بقرطبة مقر ملكه، وبها نشأ، وولي أمر المسلمين بعد أبيه هشام بعهد منه إليه سنة ١٨٠هـ، وكانت في أيامه حروب وفتن كثيرة أثارها عليه جماعات من الخوارج والثوار فاشتغل في حسم شرورهم فجاءه نيا مجاوريه من الفرنج، وأنهم أخذوا يعيشون فساداً في الثغور، فسار إليهم بنفسه سنة ١٩٦هـ، فافتتح

الحصون وخرَّب النواحي، وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد إلى قرطبة ظافراً، وأرسل سنة ٢٠٠ هـ فرقة من الجيش لصد غارات المعتدين على بلاده فأمن بذلك شرهم وتفرغ لسياسة الملك وتديره فنظَّم شؤونه واستقر له الأمر حتى توفي، فدفن في قرطبة، وكان أفحل بني أمية بالأندلس وأشدَّهم إقداماً ونجدة - قاله المقرئ.

وترك أولاداً كثيرين منهم عشرون ذكراً، عشرون أنثى، وكان أسمر طوالاً أشم نحيفاً لم يخضب ونظم الشعر الرقيق يتفكَّه به أورد بعضه صاحب البيان المغرب (ج ٢، ص ٧٠)، وفي نفع الطيب قوله وأنشده بعد واقعة:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً	وقدماً لأمتُ الشعب مذ كنتُ يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة	أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبئك أني لم أكن في قراعهم	بوانٍ وقدماً كنتُ بالسيف فارعا
وهل زدتُ إذ وفيتهم صاع قرضهم	فوافوا منايا قُدرت ومصارعا
فهذي بلادي إنني قد تركتها	مهاداً ولم أترك عليها منازعا

وعدَّد له صاحب الكامل صفات منها أنه تشبَّه بالجبابرة، وأنه أول من استكثر من المماليك بالأندلس، وأول من جند بها الأجناد المرتزقين..

وقال المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب في الكلام عليه: الحكم بن هشام الملقَّب بالرَّبَضِي كان طاغياً وله آثار سوء وهو الذي أوقع بأهل الرَّبَض فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم، والرَّبَض محلة متصلة بتصره اتهم أهلها بمكيدة يدبرونها للإيقاع به ففعل بهم ذلك فسُمي الحكم الربضي.

قال: وفي أيامه أحدث الفقهاء إنشاد أشعار الزهد والحض على قيام الليل في صوامع المساجد وأمروا أن يخلطوا مع ذلك شيئاً من التعريض به مثل أن

يقولوا: يا أيها المسرف المتماذي في طغيانه، المصّر على كبره، المتهاون بأمر ربه أفق من سكرتك، وتنبه من غفلتك، وما لنا هذا النحو، فكان هذا من جملة ما هاجه وأوغر صدره عليهم، وكان أشد الناس عليه في أمر فتنة الرّبض الفقهاء هم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم إلى أن أوقع بهم..

وجملة ما يتحصل من أقوال المؤرخين فيه أنه كان شديدًا جبارًا ضابطًا لأمر مملكته يقظًا، إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه، لا يردّه عن سبيله رادّ قويّ الإرادة، وأكثر خلاله تدل على رجل كبير.

وإن شئت التوسع في أخباره فارجع إلى نفع الطيب، وكامل التواريخ، والبيان المغرب، والمعجب وأشباهها.

عبد الرحمن بن الحكم

ولد سنة ١٧٦هـ وتوفي سنة ٢٣٨هـ

بعد موت الحكم بن هشام، استطاع ولده عبد الرحمن أن يقوم بالملك حق القيام، وكنيته أبو المطرف، وله بطليطة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لأبيه لهشام، وبويع بعد وفاة والده بيوم واحد، كان جسيمًا طويلًا أسمر، حسن الوجه أفتى أغين أكحل، عظيم اللحية، يخضب بالحناء والكتم.

قال صاحب البيان المغرب في وصفه: «هو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة أبهة الجلالة، فشيّد القصور وأجلب الماء العذب إلى قرطبة وبنى له مصنعًا كبيرًا يرده الناس، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف وبنى المساجد بالأندلس وعمل السقاية على الرصيف واتخذ السكة بقرطبة وفخم ملكه».

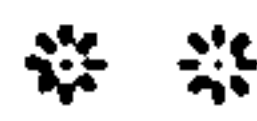
وزاد عليه غيره من المؤرخين فقالوا: إنه علا عن التبذل للعامة، وكانت أيامه

أيام سكون وعافية وكثرت عنده الأموال، وكان عالي الهمة له غزوات كثيرة، وكان أديباً ينظم الشعر للهو به في بعض أوقات خلوه، عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة، وهو معدود في جملة من عشق جواريه كان يأنس بهنَّ ويداعبهن كلما فرغ من عناء غزوة أو انتهى من نصب حرب، وكان يميل إلى جارية له اسمها طروب ونظم بها شعراً فشهر بها وأغدق عليها الأموال وله أخبار معها، ولم يكن في بطشه كآبيه بل خالفه في كثير من أخلاقه فاستعاض باللين عن الشدة وبتهذئة الفتن عن اقتحام حروبها، وشعره جيد، منه قوله يصف حالة المعزول:

أرى المرء بعد العزل يرجع عقله وقد كان في سلطانه ليس يعقل
فتلفيه جهنم الوجه ما كان والياً ويسهل منه ذاك ساعة يُعزلُ

ومن كلامه ما وقع به إلى بعض عماله وقد كتب إليه يسأله عملاً لم يكن أهلاً له فذيله بقوله: «من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به».

ولد له نحو مئة ولد أكثرهم ذكور وخلف خمسة وأربعين ولداً ذكوراً^(١)، وكان ممدوح السيرة، مدة ولايته ٣١ سنة وثلاثة أشهر [وستة أيام]، وتوفي بقرطبة، وكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في سياسته وتأنقه.



ولما مات عبد الرحمن بن الحكم ملك ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، فجرى على سيرته عدلاً وإحساناً للرعية ورأى الملك ثابت الأساس هادئاً مطمئناً فصفت له أيامه، مولده في قرطبة سنة ٢٠٧ هـ، ووفاته سنة ٢٧٣ هـ وحكم خمساً وثلاثين سنة إلا شهراً، كان أبيض مشرباً بحمرة ربعة أوقص وافر اللحية يخضب بالحناء، خلف ٣٣ ولداً ذكراً و٢١ بنتاً، وكان

(١) قال ابن عذاري: بنوه الذكور خمسة وأربعون، وبناته: اثنتان وأربعون (المقدم).

مُثَبَّتًا فِي شُؤُونِهِ وَفِيًّا لِمَوَالِيهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْقَابِهِمْ لَا يَكْذَحُ عِنْدَهُ كَادِحٌ فِي شَيْءٍ عَنْ أَحَدِهِمْ فَيَسْمَعُهُ أَوْ يُسْمَعَهُ، أَحَبَّهُ أَهْلُ الْبِلْدَانِ الْمُسْتَقْلَةِ فِي عَصْرِهِ حَتَّى كَانَ بَنُو مَدْرَارٍ بِسَجْلَمَاسَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحٍ صَاحِبُ تَاهَرْتِ لَا يَقْدَمُونَ وَلَا يُؤَخَّرُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَمَعْضَلَاتِهِمْ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَمَا يُحْفَظُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَحَدِ وَزَرَائِهِ وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عَدَمِ التَّثَبُّتِ: يَا هَاشِمُ مِنْ آثَرِ السَّرْعَةِ أَفْضَتْ بِهِ إِلَيَّ الْهَفْوَةُ، وَلَوْ أَنَا أَصْغَيْنَا نَحْوَ زِلَاتِكَ وَأَصْخْنَا إِلَيَّ هَفْوَاتِكَ لَكُنَّا شُرَكَاءَكَ فِي الزَّلَّةِ وَقِسْمَاءَكَ فِي الْعَجَلَةِ، فَمَهْلًا عَلَيْكَ رَوِيدًا بِكَ فَإِنَّكَ إِنْ تَعَجَّلَ يَعْجَلُ بِكَ... وَدَفِنَ بِقَرْطَبَةِ، وَكَانَ ذَكِيًّا فَطْنًا.



وَلِي بَعْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَبُو الْحَكَمِ الْمَنْذَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلِدُ سَنَةِ ٢٢٩ هـ، اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُ مَوْتِ أَبِيهِ وَهُوَ يَحَارِبُ الْفَرَنْجَ مُحَاصِرًا الْفَرِيقَ مِنْهُمْ فِي حِصْنٍ يَعْرِفُ بِحِصْنِ الْحَمَامَةِ فَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى قَرْطَبَةِ فَجُدَّتْ لَهُ الْبَيْعَةُ، وَفَرَّقَ الْعَطَاءَ فِي الْجُنْدِ وَتَحَبَّبَ إِلَى أَهْلِ قَرْطَبَةِ وَالرَّعَايَا بِأَنَّهُ اسْقَطَ عَنْهُمْ عُشْرَ ذَلِكَ الْعَامِ وَمَا يُلْزِمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْغَرَمِ، وَكَانَ أَسْمَرَ، طَوِيلًا، جَعْدَ الشَّعْرِ، كَثَّ اللَّحْيَةِ، بَوَاجُهُ أَثَرُ جَدْرِي يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَكَانَ جَوَادًا يَصِلُ الشَّعْرَاءَ وَيَحِبُّ الشَّعْرَ، وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ فَتَوَفَّى وَهُوَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ عَلَى بَرِيشتَرِ سَنَةِ ٢٧٥ هـ فَكَانَ مُلْكُهُ سِتِينَ إِلَّا عَشْرِينَ يَوْمًا.

عبد الله بن محمد

وُلِدَ سَنَةِ ٢٢٩ هـ وَتَوَفَّى سَنَةِ ٣٠٠ هـ

خَالَفَ عَبْدُ اللَّهِ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فِي سِيرَتِهِمَا إِذْ ظَهَرَ بِالْمَلِكِ فِي مَظْهَرٍ جَدِيدٍ وَأَعَادَ لِلدَّوْلَةِ مَا كَادَ يَذْهَبَانُ بِهِ مِنْ رَوْنَقِهَا وَنَضْرَتِهَا، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، بُويعَ يَوْمَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْمَنْذَرِ، وَأَرَادَ النَّهْوضَ

بالمملكة فاضطرب أمرها حتى كانت أيامه كلها أيام ثورات تفرقت بها القلوب بعد ائتلافها وكثر عدد الخارجين عن سلطته حتى صار في كل جهة متغلب أو مستقل وليس ذلك بيدع فإن الجسم إذا طال فيه أمر العلة حتى أوشكت تَـزْمِنُ وجنته بالإصلاح والعلاج ثارت فيه ثائرة ربما خيف منها على سائر الأضلاع ذلك مثل عبد الله بن محمد في ملكه إذ فجأ أهل الدولة وهم بين مسيطر وسلاب ونهَاب فنزع عن نفسه حُجُب الجلالة والعظمة وأمر ببناء سبابط بين قصره والجامع في قرطبة فكان يتعد فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها فيرى الناس ويُشرف على أخبارهم وحركاتهم ويُسرُّ بجماعاتهم ويسمع قول المتظلم ولا يخشى عليه شيء من أمورهم وأخذ يتعد أيضًا على بعض أبواب قصره (سرايه) أيامًا معلومة فترفع إليه الظلامات وتصل إليه الكتب على باب حديد صُنع لذلك فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقة بيده ولا إنهاء مظلمة على لسانه.

قال صاحب البيان المُغرب: وكان أهل المكنات والمترَبون منه يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى منهم.. وكانت اللذات مهجورة في أيامه واللهو غيرَ مقترَف من أكثر الأمة، ويسمَّى أحد أبواب القصر «باب العدل» يباشر فيه أحوال الناس بنفسه ولا يجعل بينه وبين المظلوم سترًا، وربما عيب علي كرهه للسرف وميله إلى الاقتصاد في النفقة والعطايا إلا ما كان منها في سبيل الصدقات والمبرات فإنه لم يكن يرى بأسًا بالإنفاق الغزير فيها مما يدل على أن اقتصاده الأول لا يسمَّى بخلاً كما عرّفه به بعض المؤرخين، فالبخيل الشحيح يتعلق بالدرهم والدينار فيحجبهما عن كل سبيل لا يفرق بين الصدقة والجائزة، ولا بين الإكرام والإحسان، وكان موصوفًا بالورع وصلاح القلب، متفتنًا بضروب العلوم، بصيرًا بلغات قبائل العرب، فصيح اللسان، حسن البيان؛ أما صورته فأبيض مشرب بالحمرة أصهب أزرق، أفتى الأنف، ربعة إلى الطول، يخضب بالسواد، عظيم الكراديس، وكان أديبًا حافظًا لأشعار العرب وأيامهم، وسيرَ

الخلفاء، راويةً للشعر يُحسن نظمه، وكانوا يعدونه من أصلح خلفاء بني أمية في الأندلس وأمثلهم طريقةً، وأتمهم معرفةً لولا ما كان ينغصه من دوام الفتن التي أُجبر معها على إظهار القوة والإرهاب بالبطش حتى وصفه ابن حزم بأنه كان قتلاً تهون عليه الدماء مع كثرة إقباله على الخيرات وإعراضه عن المنكرات.

ويُذكر أنه احتال على أخيه المنذر فقتله بأن سمَّ له المِبضع الذي فُصد به بمواطاة حجامه وهو نازل بمعسكره على ابن حفصون الناصر.

وقُتل للمترجم ولدان وأخوان أيضاً، فولداه محمدٌ والد الناصر لدين الله ومطرّف اختصما في ولاية عهده فقتل مطرّف محمداً، ثم قتل الأمير عبد الله مطرّفًا وأخواه أحدهما يدعى هشامًا قتله بالسيف والثاني القاسم قتله بالسم.

ولم أجد فيما بين يديّ من كتب التاريخ ما يصح أن يكون سبباً حقيقياً لفعلته هذه إلا أن يكونا قد زاحماه على الإمرة أو حاولا إيقاظ فتنة جديدة عليه فصنع ما صنع، وتوفي في قرطبة فدفن في مدافن آبائه.

وولايته اثنتان وعشرون سنة إلا شهراً، وخلف أحد عشر ولداً ذكرًا أحدهم محمد المقتول والد عبد الرحمن الناصر الآتي ذكره.

أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

ولد سنة ٢٧٧هـ وتوفي سنة ٣٥٠هـ

بدأ الأمير عبد الله (صاحب الترجمة السالفة) بإصلاح بلاد الأندلس بعدما كادت تؤول إليه من استبداد الوزراء والأمراء بالحكم دون أهل الملك والسلطان؛ فكان عمله داعيةً لثورة المتحكمين وغضبهم فاشتعلت نار الفتنة في أيامه على ما تقدم ذكره ومات ولم يوفق إلى إخمادها.

وتولى حفيده هذا والمملكة جمره تلتهب فكان لها كالمهرم الحاسم طلي به

الجرح الناغل ولم يصفُ له المُلْك إلا بعد نحو عشرين سنة من تملكه أمضاها في قتال المخالفين واسترضاء النافرين حتى أذعنوا له واستقام أمر الدولة فعُذِب له موردها وابتسمت أيامه فكانت أزهى وأزهر ما عرفه الأندلسيون من أزمان الأمراء والخلفاء والملوك.

أوردتُ في الترجمة السابقة أن الأمير عبد الله كان قد عهد بولاية الأمر من بعده إلى ولده محمد، وأن مطرّفًا أخا محمد حسده فقتله ثم قتله أبوه عبد الله به، وكان لمحمد طفل وُلِدَ قبل قتله بأحد وعشرين يومًا سماه عبد الرحمن نشأ بين يدي جده عبد الله فربّاه التربية الصالحة، وتفرس فيه النجابة فلما شبَّ قرّبه واعتمد عليه في أموره حتى كان كثيرًا ما يتعده في بعض الأيام والأعياد متعده نفسه ويأمر الجند بالتسليم عليه بالإمارة فتعلقت آمال أهل الدولة به، ولم يشكّوا في مصير الأمر إليه، ولما مات جده عبد الله أجلسوه مكانه دون ولده لصلبه، وكان يسكن القصر مع جده دونهم فتهيأ أجلاسه دونهم مكانه.

ولي الأندلس وهو ابن ثلاث وعشرين سنةً وحوله أعمامه فكانوا أول من بايعه ولم يعترضه أحد.

كنيته أبو المطرّف وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأمير عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم الرّبضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولي سنة ٣٠٠هـ، وانصرف إلى تهدئة الثورات وإسكان القلاقل حتى صفاه المُلْك، ولما كانت سنة ٣١٦هـ رأي ضعف الخليفة العباسي «المقتدر» في العراق وعرف بما هنالك من الانحلال فجمع الناس وخطب فيهم ذاكرًا لهم حق بني أمية بالخلافة وأنهم أسبق إليها من بني العباس فأمر أن ينادوه أمير المؤمنين وأن يُخطب باسمه بالخلافة وتلقّب بلقب سلطاني وهو «الناصر لدين الله» فجرى ذلك سنةً لمن بعده، وكان أسلافه يُسمّون بني الخلائف ويُخطب لهم بالإمارة فقط.

قال ابن شفة في المنتخب: عبد الرحمن الناصر أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، كان كبير القدر، كثير المحاسن، محباً للعمران، مولعاً بالفتح وتخليد الآثار، أنشأ مدينة الزهراء وهي عديمة النظير في الحسن وبنى بها قصر الزهراء المتناهي في الجلالة، وقال المؤرخ المقرئ في وصف القصر: أطبق الناس على أنه لم يُبن مثله في الإسلام البتة، بل لم يُسمع بمثله، بل لم يُتوهم كون مثله! والمؤرخون يبالغون في مقدار ما أنفق على الزهراء. قال ياقوت:

مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس اختطها الناصر.. وعملها متزخراً له وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز فيه حد الإسراف وجلب إليها الرخام من أقطار البلاد وأهدى إليه ملوك بلاده من آلاتها ما لا يقدر قدره وكان الناصر هذا قد قسّم جباية بلاده أثلاثاً: ثلث لجنده، وثلث لبيت ماله، وثلث لنفقة الزهراء وعمارتها.. بدأ فيها سنة ٣٢٥هـ، ومات سنة ٣٥٠هـ وهو لا يزال ينفق على تحسينها وتزيينها.

كان الناصر أبيض أشهل حسن الوجه ربعة عظيم الجسم، قصير الساقين، ركاب سرجه يقارب الشبر، طويل الظهر جميلاً بهياً يخضب بالسواد، طالت أيامه فحكم خمسين سنة وستة أشهر، وكان حريصاً على الملك يقظاً ومن عجيب أمره في هذا الشأن ما رأيته في كتاب الطبقات للسبكي (ج ٢، ص ٢٣٠)، قال في ترجمته عبد الله ابنه: عبد الله.. هو ابن الخليفة الناصر صاحب الأندلس كان فقيهاً شافعياً أديباً متنسكاً شهماً سمت نفسه إلى طلب الخلافة في حياة أبيه وتابعه قوم وأخفوا أمرهم وبيتوا على اغتيال والده وأخيه المستنصر ولي عهد أبيه، فبلغ أباه، فما لبث أن سجنه وسجن من اطلع على أمره من متابعيه، ثم أخرجه وأخرجهم يوم عيد الأضحى سنة ٣٣٩هـ من الحبس وأحضره وأحضرهم بين يديه وقال لخواصه: هذا ضحيتي في هذا العيد، ثم اضطجع له ولده وذبحه بيده، وقال لأتباعه: ليذبح كلُّ أضحيتي، فاقسموا أصحاب ولده

عبد الله فذبحوهم عن آخرهم...!!

ومن غريب ما يؤثر عن الناصر ما قرأته في شذرات الذهب أنه كان يكتب في دفتر خاص أيام السرور التي كانت تصفو له من غير تكدير فيذكر تاريخها وما كان بها وقد اطلع كثيرون عليه بعد وفاته فإذا هي أربعة عشر يومًا!! فيا لله ما أعجب ما نرى! ملك كالناصر صفا له الملك خمسين عامًا وضرب به المثل في ارتقاء ملكه في أيامه وخدمه السعد، لا يرى من أيام السرور غير ذلك العدد اليسير؟!

ومن لطيف ما يُذكر في أخباره أنه استدعى الطبيب يومًا ليفصده فأخذ الآلة وحبس يد الملك وإذا بزرزور أشرف على المجلس، وارتقى إناء ذهب وجعل يكرر هذين البيتين:

أيها الفاصد رفقًا بأمير المؤمنين
إنمات فصد عرقًا فيه محيى العالمينا
فسرَّ الناصر به وسأل عن علمه، فقل له عن أم ولده الحكم، فوهب لها ثلاثين ألف دينار.

توفي الناصر وهو في قرطبة، وخلف أحد عشر ولدًا ذكرًا فيهم ولي عهده، الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر.

المستنصر بن الناصر

ولد سنة ٢٠٣هـ وتوفي سنة ٢٦٦هـ

ولي بعد الناصر لدين الله ولده الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، ولقب المستنصر بالله، وكانت البلاد ساكنة مطمئنة إلا أن ملك الأسبان في عهده «أردون بن الفونس» طمع به بعد موت أبيه فهاجأ جيشًا وأراد الإغارة

على ما تملكه المسلمون من البلاد ولا سيما في عهد الناصر، فعلم المستنصر بعزم أردون فكتب كتابه وغزا الأسبانيين بنفسه، فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم وكثرت فتوحاته واتصلت الصداقة بينه وبين «أردون»، حتى إنه زار الخليفة المستنصر في قرطبة وأظهر خضوعه بين يديه.

وكان الحكم محباً للعلوم مكرماً لأهلها، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم، جماعاً للكتب في أنواعها، جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله حتى قيل: إنها كانت أربع مئة ألف مجلد، وكان عالماً نبيها صافي السريرة عارفاً بالأدب، يُروى عنه شعرٌ، ضليعاً بالعلم بالأنساب مُلمّاً بالتاريخ. ولي سنة ٣٥٠هـ، ومدة حكمه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان أصهب أعين أقرن عظيم الصوت ضخيم الجسم أققم قصير الساقين غليظ العنق عظيم السواعد، وسيرته حسنة، وليس فيما رأيت من أخباره ما يبعث على الإطالة، توفي في قرطبة.

المؤيد بن الحكم

ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٠٣هـ

ما في ترجمة هذا الخليفة ما يجعله في عداد كبراء الأمراء إلا أن أخباره كانت عجيبة في شأنها طويلة في إيرادها لا يستغنى المؤرخ عن إشارة إليها فوجب أفراد ترجمة له ينتهي بها الكلام على رجال هذه الدولة.

المؤيد أبو الوليد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، بويع يوم وفاة أبيه بعهد منه سنة ٣٦٦هـ وعمره ١١ سنة وثمانية أشهر، فتولى أموره وتدير مملكته الحاجب أبو عامر محمد بن عامر الملقب بالمنصور (انظر ترجمته في باب الأمراء والوزراء)، فحجبه عن الناس فلم يكن أحد يراه ولا يصل إليه فأحسن

أبو عامر المنصور سياسة الملك إلى أن توفي سنة ٣٩٢هـ فخلفه ولده عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر، وسار كسيرة أبيه وتوفي سنة ٣٩٩هـ فولى بعده أخوه عبد الرحمن بن محمد، ولُقّب بالناصر فسلك غير طريقهما وأخذ في المجون، وكان المؤيد قد ركن إلى المنصور ثم إلى ابنه المظفر فأقرهما على تدبير المملكة والتزم بيته مستريحاً من عنائها ولما رأى حال الناصر كرهه فدرس له الناصر جماعة خوّفوه منه إن لم يجعله وليّ عهده ففعل المؤيد ذلك مرغماً وشاع في الناس فحقدوا عليه، ولا سيما بني أمية، وأبغضوه، وغزا الناصر بعد توليته فأوغل في بلاد الجلالة، وبينما هو راجع بلغة أن محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله قد ظهر بقرطبة واستولى عليها وأخذ المؤيد أسيراً، وشاع الخبر في عسكر الناصر ففرقوا عنه ولم يبق معه إلا خاصته فسار إلى قرطبة ليتلافى الخطب فخرج إليه عسكر محمد بن هشام فقتلوه، وحملوا رأسه إلى قرطبة وطافوا به، وذلك سنة ٣٩٩هـ ثم صلبوه.

وكان محمد بن هشام هذا قد تلقب بالمهدي ودعا الناس إليه لما رأى من ضعف المؤيد وأعلن ذلك ومعه اثنا عشر رجلاً فبايعه الناس وملّكوه وأخذ المؤيد فحبسه معه في القصر ثم لما قتل الناصر أخرج المؤيد ودعاه أن يعهد إليه ففعل المؤيد ثم أخفاه وأظهر أنه مات، وكان قد مات إنسان نصراني يشبه المؤيد فأبرزه للناس وذكر لهم أنه المؤيد فلم يشكّوا في موته، وصلوا عليه ودفنوه في مقابر الخلفاء وبايع الناس ابن عبد الجبار الملقب (بالمهدي) ثم تقموا عليه أشياء منها أنه كان يعمل النبيذ في قصره فسموه نباداً، ومنها بغضه للبربر فضغنوا عليه، ومنها أنه كان متلونا سيئ الأخلاق فانقلبوا عليه.

ولما وقع في قلوب أهل الأندلس من المهدي (ابن عبد الجبار) ما وقع قصدوا هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر فأخرجوه من داره وبايعوه فتلقب (بالرشيد) وذلك في أواخر سنة ٣٩٩هـ واجتمعوا بظاهر قرطبة فخرج

إليه المهدي (ابن عبد الجبار) بأصحابه فقاتلهم، فانهزم أصحاب هشام (الرشيد) وأخذ هو أسيرًا فقتله المهدي ومن كان معه من القواد واستقر أمره، وكان هشام ابن أخيه.

وبعد هذه الواقعة بيومين انضم من انهزم من أصحاب هشام المقتول وكان معهم ابن أخ له اسمه سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر فبايعوه ولقبوه (المستعين بالله) ثم لقب (الظاهر بالله) وساروا إلى من جاورهم من النصاري الأسبانيين فصالحوهم واستنجدوهم فأنجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة فقاتلوا ابن عبد الجبار، فانهزم وتحصن بقصر قرطبة، ودخل سليمان (الظاهر بالله) البلد فحصره في القصر، وأغار البربر والروم على قرطبة فنهبوا وسبوا وقتلوا عددًا عظيمًا، ولما رأى ابن عبد الجبار ما نزل به أظهر المؤيد - وكان لا يزال محبوسًا عنده في القصر - وظن أن الناس متى رأوه يرجعوا إليه ويخلعوه هو وسليمان، ولكن الناس لم يسمعوا له لظنهم أن المؤيد قد مات، فهرب إذ ذاك، واختفى ودخل سليمان القصر فبايعه الناس بالخلافة (سنة ٤٠٠ هـ)، وكانت عدة القتلى في هذه الواقعة نحو خمسة وثلاثين ألفًا.

وسار ابن عبد الجبار سرًا إلى طليطلة فجاءه بعض أصحابه فجمعوا جمعًا من نهب الأسبان وسلبتهم وخرج بهم إلى سليمان فحدثت وقعة انهزم فيها سليمان إلى شاطبة ودخل ابن عبد الجبار (المهدي) قرطبة وجدد البيعة لنفسه وحجّب المؤيد الذي لم ينتبه له الناس.

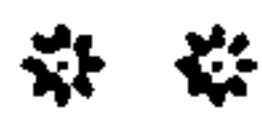
وكان مع سليمان جماعة من الفتيان وعدوه خيرًا، وانصرفوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم، وأن يجعلهم في جملة رجاله فأجابهم إلى ذلك، فلما كان تاسع ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ اجتمعوا في القصر فملكوه وأخذوا ابن عبد الجبار أسيرًا وأخرجوا المؤيد بالله فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه

وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه فعدّد ذنوبه عليه، ثم أمر بقتله، فقتل وطيف برأسه في قرطبة وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

عاد المؤيد إلى سرير الملك فسلم زمام تدبيره إلى رجل من العامرين، فتیان الوزير أبي عامر، يدعى واضحاً وأدخل أهل قرطبة إلى حضرته فوعدهم ومناهم وأحبّوه، وكتب إلى سليمان بن الحكم وأصحابه من البربر وهم في شاطبة يدعوهم إلى طاعته فلم يجيبوه فأمر أجناده بالحذر والاحتياط، ثم أن سليمان والبربر راسلوا ابن الفونس ملك الإفرنج أنهم يسلمون إليه حصوناً كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها، ويستمدونه فأرسل ملك الإفرنج إلى المؤيد يعرفه الحال ويطلب منه تسليم الحصون فسلمها إليه خيفة أن يعين عليه سليمان.

ولما أيس البربر من أنجاد الفرنج رحلوا فزلوا قريباً من قرطبة وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالاً، وخربوا البلاد فعمل المؤيد سوراً وخندقاً على قرطبة أمام السور الكبير، فانتقل سليمان إلى الزهراء فملكها عنوة، وطفى البربر في أهلها، ثم أن واضحاً كاتب سليمان يعرفه أنه يريد الانتقال عن قرطبة سرّاً ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها، ونما الخبر إلى المؤيد فقتله وحدثت وقائع كثيرة بين المؤيد وسليمان راسل في آخرها سليمان نائب المؤيد بسر قسطة وغيرها يدعوهم إليه فأجابوه واتفقوا معه وانتهى إلى قرطبة فملكها بعد حرب وحصار وشدائد وأخرج المؤيد من القصر محمولاً إلى سليمان ودخل سليمان قرطبة سنة ٤٠٣ هـ.

ثم حدثت للمؤيد مع سليمان أمور فخرج المؤيد إلى شرق الأندلس في قول حيث قضى نحبه، وفي آخر أمره غموض (راجع في [ذلك] ابن الأثير، ج ٩، بحث تفرق ممالك الأندلس، وبحث ابتداء الدولة العلوية).



واستقر الملك لسليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

المتلقب بالمستعين بالله أولاً، ثم أضاف إليه الظافر بحول الله آخرًا، وكان أديبًا شاعرًا بليغًا مولده سنة ٣٥٤هـ، وقد أريقت في أيامه دماء كثيرة كما تقدم، وكان البربر هم الحاكمون في دولة لا يقدر على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه.

ولا أرى بأسًا بإيراد هذه القصيدة من شعر سليمان (المستعين / الظافر) نقلًا عن كتاب المعجب في أخبار المغرب، تفكّهة، قال:

عجبًا يهاب الليث حدّ سناني	وأهاب لحظ فواتر الأجفان
وأقمار الأهوال لا متهيبًا	منها سوى الإعراض والهجران
وتملك نفسي ثلاث كالدمى	زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لُحْنٌ لناظر	من فوق أغصان على كُثبان
هذي الهلال تلك بنت المشتري	حسنًا وهذي أخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الصبي	فقضى بسلطان على سلطان
وأبحن من قلبي الحمى وثينتي	في عز ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكًا تذلل للهوى	ذل الهوى عزّ ومُلك ثاني
ما ضرّ أني عبدهن صباة	وبنو الزمان وهنّ من عبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى	كلفًا بهنّ فليست من مروان
وإذا الكريم أحبّ أمّن إلفه	خطبَ القلى وحوادث السلوان
وإذا تجارئ في الهوى أهل الهوى	عاش الهوى في غبطة وأمان

وهذه القصيدة إنما نظمها المستعين معارضًا بها الأبيات التي عملها العباس ابن الأحنف على لسان هارون الرشيد فنُسبت إليه وهي:

مَلَكُ الثَّلَاثُ الْأَنْسَاثُ عَنَّا فِي وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
 مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعْمَهُنَّ وَهْنٌ فِي عَصِيَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانُ الْهَوَى وَبِهِ قَوِينَ أَعَزَّ مِنْ سُلْطَانِي
 وهذه القطعة أرشق وأعذب، ومن لمثل المستعين وهو لا [...] ^(١) "مشتغلًا في
 ثورة يطفئها أو نار يوقدها ومُلْك يدبره أو عرش يحافظ عليه، فيجاري العباس
 ابن الأحنف وهو الشاعر الرقيق المطبوع ولا عمل له يشغل قلبه إلا ترقيق شعره
 وترويقه. انتهى.

وكان من جملة جند سليمان (المستعين / الظافر) عند دخوله قرطبة، رجلان
 من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون
 ابن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن
 الحسن بن علي بن أبي طالب، فجعلهما سليمان قائدَيْن على المغاربة ثم ولى
 أحدهما عليًّا وهو الأصغر منهما مدينتي سبته وطنجة، وولى القاسم الجزيرة
 الخضراء، ورأى عليٌّ ما صارت إليه حال خلافة الأمويين فتحركت في نفسه
 غيرة العلويين فكاتب بعض العصاة من العبيد والبربر يخبرهم أن المؤيد لما
 كان محصورًا في قرطبة كتب إليه يوليه عهده ويَعِدُّهم وعودًا طائلة فاستجابوا
 له وبابعوه فزحف بهم إلى مالقة فتملكها ثم إلى قرطبة فدخلها بعد قتال عنيف،
 وكان ناقدًا على سليمان أشياء يضرها له في نفسه فاستحضره إليه، وضرب
 عنقه بيده يوم الأحد لتسع بقين من المحرم (٢١ محرم) سنة ٤٠٧ هـ، وقتل أباه
 الحكم بن سليمان بن الناصر أيضًا في ذلك اليوم وهو شيخ كبير له ٧٢ سنة.

وكانت مدة ولاية سليمان منذ دخل قرطبة إلى أن قتل ثلاثة أعوام وثلاثة
 أشهر وأيامًا، وكان قد ملكها قبل ذلك ستة أشهر، وكانت مدته منذ قام مع البربر

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

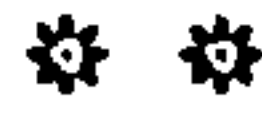
إلى أن قتل سبعة أعوام وثلاثة أشهر، وبمقتله أطفئ ذكر دولة بني أمية على المنابر في هذا الوقت في جميع أقطار الأندلس.

وولي علي بن حمود وتسمى بالخلافة وتلقب (بالناصر) وقد تقدم نسبه فاستمر له الأمر في قرطبة عامًا وعشرة أشهر إلى أن قتله صقالبة له في الحمام سنة ٤٠٨ هـ، وخلف من الولد يحيى وإدريس.

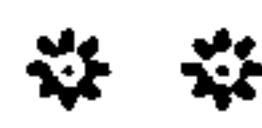
فولي بعده أخوه القاسم بن حمود، وكان أسنّ منه بعشرة أعوام، وكان وديعًا رقيقًا فلم يغير للناس عادة فأمنوا معه وبقي كذلك إلى شهر ربيع الأول سنة ٤١٢ هـ فقام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقة فهرب القاسم من قرطبة بلا قتال ورحل إلى إشبيلية وزحف ابن أخيه يحيى المذكور من مالقة بعسكره، ودخل قرطبة بلا قتال وتسمى بالخلافة، وتلقب بيحيى (المعتلي).

وبقي المعتلي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره واستمال البربر وزحف بهم إلى قرطبة فدخلها سنة ٤١٣ هـ وهرب يحيى (المعتلي) إلى مالقة، فبقي القاسم بقرطبة شهورًا ثم اضطرب أمره وغلب ابن أخيه يحيى على الجزيرة الخضراء وابن أخيه الثاني إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة، ورأى تغيرًا من أهل قرطبة عليه فخافهم وانتقل إلى إشبيلية وبها كان ابنه محمد والحسن، فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم طردوا ابنه ومن كان معهما من البربر، وضبطوا البلد؛ فلحق القاسم بشريش، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى فحصروه وأخذوه إلى يحيى أسيرًا حيث ظل عنده وعند أخيه إدريس بعده إلى أن مات إدريس فقتل قبيل موته القاسم خنقًا سنة ٤٣١ هـ، وحُمل إلى ابنه محمد بن القاسم وهو بالجزيرة فدفن هناك.

فكانت ولاية القاسم منذ تسمى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه يحيى وإدريس إلى أن قتل وعمره ثمانون سنة وله من الولد محمد والحسن.

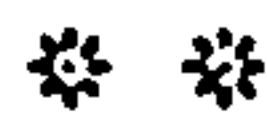


وأقام يحيى بن علي الفاطمي (المعتلي) نافذ الأمر في الولاية إلا أنه لم يدخل قرطبة، وإنما كان مقيماً بقرمونة، وبينما كان محاصراً لإشبيلية في أوائل سنة ٤٢٧ هـ خرجت عليه خيل كانت كامنة له فقتلته وانقطعت دعوته^(١).



وكان قد نقم أهل قرطبة على العلويين ميلهم إلى البرابرة وانقيادهم لهم فأزمعوا على رد الأمر إلى بني أمية فاخترأوا منهم عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولقبوه (المستظهر) وكان أديباً فهِماً رقيق النفس عارفاً بالبلاغة وأساليها، هكذا يصفه المؤرخون ولا أراهم ينعتونه بالخبرة في السياسة والمعرفة بشؤون الملك على أن الملوك لا يحسن البحث عن معرفتهم بالشعر والأدب والإغضاء عن بيان منزلتهم في السياسة والدهاء ولكن ما الحيلة وجل أصحاب توارخيخنا إنما يُعنون بالملك إذا كانت له أخبار مع جواريه حسان، أو كان له اشتغال بالأدب وعلم بالمنظوم والمثور!

ولد المستظهر سنة ٣٩٢ هـ وكنيته أبو المطرف وبويع بالخلافة في رمضان سنة ٤١٤ هـ وعمره ٢٢ سنة فلم تطل مدته غير ٧٤ يوماً، إذ ثار عليه محمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من أراذل العامة فقتلوه في آخر ذي القعدة سنة ٤١٤ هـ ولا عقب له.



(١) أشار الزركلي في هامش الأصل إلى فترة أخرى بقوله: «نشير هنا إلى فترة السنين السبع بين سليمان بن الحكم وصاحب هذه الترجمة» «المقدم».

وولي بعده محمد بن عبد الرحمن المذكور، ومولده سنة ٣٦٦ هـ وكنيته أبو عبد الرحمن، ولقب (المستكفي بالله) وكان في غاية السخف وركاكة العقل، وسوء التدبير، فاستوزر رجلاً حائكاً! اسمه أحمد بن خالد، كان المدير لأمره والمدير لدولته، فدامت خلافته ستة أشهر وأياماً وساء القرطبيين سيرة فدخلوا عليه فقتلوا وزيره الحائك وأخرجوه هو إلى ظاهر المدينة مخلوعاً مطروداً فلاحق بالثغور ومعه قائد ضجر منه فعمد دجاجة فسَمَّها وقدمها إليه فأكلها المستكفي فمات مكانه، وهو في قرية تعرف «بشمنت» بالقرب من مدينة سالم، وذلك سنة ٤١٨ هـ.

وبعد ذلك اجتمع رأي رؤساء القرطبيين على تولية أبي بكر هشام بن محمد ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وكان مقيماً بحصن يدعى البنت من ثغور قرطبة، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ وتلقب (المعتد بالله) وكان مولده في سنة ٣٦٤ هـ، وخاف إن دخل قرطبة أن يقتله أهلها فبقي يتنقل في الثغور ثلاثة أعوام والفتن قائمة في البلاد إلى أن اتفقوا على أن يسير إلى قرطبة عاصمة المُلْك فدخلها في ثامن ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ، ولكنه لم يقم بها إلا يسيراً حتى قامت عليه طائفة من الجند فخلعوه وأخرجوه من قصره هو ونساؤه وخدمه، فدخلوا الجامع الأعظم يُتعطف عليهم بالطعام والشراب أياماً، ثم أخرجوا عن قرطبة فقصد الثغور ولحق بابن هود، وكان متغلباً على مدينة لاردة وسرقسطة وإفراغة طرطوشة وتلك الجهات فأقام هشام عنده إلى أن مات في سنة ٤٢٧ هـ ولا عقب له.

وهشام هذا آخر ملوك بني أمية في الأندلس، وبخلعه انقطعت الدعوة لهم، وانقطع ذكرهم على المنابر بجميع الأقطار، وآل أمر البلاد إلى استقلال كل عامل بما يلي فاستمرت بينهم الفتن والإحن يستنصرون بالأسبانيين تارة،

وبالروم طورًا حتى سنة ٨٩٧ هـ حين انتزع الرئاسة منهم أهل البلاد من الأسبانيول وتفرقوا واضمححل شأنهم.

وهذا آخر ما يقال على ضيق المجال في الكلام على خلفاء بني أمية في المغرب اعتمدت فيه على عدة كتب يثق بها العارفون بالتاريخ منها: كتاب نفح الطيب للمقري، والكامل لابن الأثير، والشذرات لابن شفده، والبيان المغرب لابن عذارى، والمعجب للتميمي، والاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، وغيرها مما يطول شرحه تجدها في بيان الكتب، التي أخذت منها في آخر هذا الكتاب إن شاء الله^(١).



(١) لا يوجد بالأصل ثبت بهذه الكتب. وعله كان ينوي كتابة هذا الثبوت، ولكنه لم يكتبه لسبب ما (المقدم).

ملوك على غير تنسيق

كشف

قدمت الكلام في هذا المطلب، مطلب صدور الخلفاء والملوك، على دولة الراشدين في الحجاز فالأمويين في الشام، ثم العباسيين في العراق، فالأمويين في الأندلس، وأردت إكمال الشوط إلى زمننا هذا مترجمًا مشاهير كل دولة من دول الإسلام كالدولة الإدريسية بمراكش، والأغلبية بتونس، والطولونية بمصر، ودولة بني بويه بإيران، والمرابطين والموحدين بمراكش، والأيوبيين والخديويين بمصر وهلم جرا غير أني لم أجد في ذلك العمل كبير نفع؛ لأنه يشغل مكانًا رحيبًا من الكتاب أضطرّ فيه عند ذكر كل ملك إلى الإلمام بتاريخ دولته صعودها وانحطاطها، وقوتها وضعفها، وهذا يحتاج إلى كتاب كبير ينفرد له كما صنع أحد أدباء المعاصرين «رزق الله منقريوس الصدي» فإنه جمع كتابًا في ثلاثة مجلدات سماه «تاريخ دول الإسلام» تكلم فيه على سبع وستين دولة إسلامية، وبوّبه تبويبًا لم يسبق إليه، ولولا ما فيه من ضعف في الإنشاء وخلط في بعض المواضع لنال الحظوى عند الفضلاء.

على أن كتابي هذا إنما جئت به للكلام على كبار الرجال وأعاضهم لا لإحصاء أخبار الدول والبحث عن الممالك فرأيت أجدر بي أن أقف عند هذا الحد وأختتم باب الخلفاء والملوك بأشهرهم بعد عباسية العراق، وأموية المغرب مكتفيًا منهم بمن علا له صيت أو سار له ذكر.

والسلام.

الكتاب بخط المؤلف

لم أضع / في الكتاب أسما
 ولا مقدمة. وأظنني كتبت هذا
 سنة ١٩٢٨ أيام وضعت «فهم
 مالي في المعجم»، لقصاصات
 الصحف.

خالد

مقدمة

—

—

يا فتى لو اعترى بيت النبوة " كل من انقده شبه سبب النبي قري
 عليه افضل صلاوة واسليم : من تقدر من عهد عدنان ، او من تأخره ذى
 هذا الزمان . وذا كنت امر يقول على مثل هذا المعنى . واجر به ان يكون
 في يمينه رده . اما ما عولت على رد تناوبه في هذا الباب فهو اني
 كنت قد ذكر خدمته نرجمة رسول اعظم ثم الحقها بخبار شهر رجا
 في شهر رجب ثم بالخدم على انبه اعلم ذكره وارفهم قدره واخره
 بسبطين الاولين رضون مدحها ، وبقية لائمة الدني عشر واثباتهم
 انفضيلتين : الارتباط بالنسب النبوي الاخر . والنسب
 في من كان به علم ورياسة واستبابة وانما لها : صا
 فزت كما قصدت اشدت العلم فيه على ما اردت الايمان عليه .
 يتم له باب الوقوف على اخبارهم واثارهم في مظانهم من قصور الكتاب .
 في انشأ سيد خطاي الى وضع سبيل .

مقدمة

ولدت سنة ١٢٥١ م - ١٨٦٥ م . و
 بها جرحته سنة ١٢٦١ م - ١٨٧٦ م . و

بين العرب في ليلة ليدود، وجاهلية عيا، ٥١
 يا من قوتهم ضعيفهم، ويفضل غوثهم شريهم
 وانصاب الفتنة منصوبة، سيوف سلوة، واندود مندود
 ولا رادع، كنهه ولا حكم ولا صيلد، هم الى الغناء اقرب من
 بعيدون عن فضائل العلم والهدية، لا هم اهل الاقتل والنزال، على شهيد
 ما فيهم من ذوي العقول الرجيعة، والذلة الفصيحة، وما في اخلاقهم
 من الذلعة والنجدة، والبداء، والفيرة، وما في اجسامهم من
 القوة والمثانة والصدية، وما في عشارهم من التضامن، والامانة
 لا احرص واحقاد، تقواريل الاحقاد، عدا الآباء، عدا الزهاد، اريات
 في قلوبهم مكانا خاليا نتكت، فشغلتم عداية غيرهم
 الفرس والروم في حلبة الحضارة والعراة، والعلم والعرفا
 اراد الله بهم الخير فارسل لهم من انفسهم هاديا حليما
 ضم علمهم ووجد جميع راعات كاسه اضعافهم ووجعهم
 بياضا لا ينهدم واورع في ارفعهم نورا لا تطفئه العصور والامم
 انت هو: النبي الاعظم: محمد به عبادته به خلد الملب له هاتم به
 مناف به قصي به صلاب به مرة كبر لزي

ابن خديجة به صدقة به الياس به مضر به نزار به معد به عدنان . والى هنا ينتهي
نسبه الشريف وما وراء ذلك فالخلاف فيه كثير . ولد . صمداه عليه السلام . بمكة .
ومات أبوه بعد مولده شهر . فلفه جده عبدالمطلب . وماتت أمه آمنه بنت
وهب وعمره ست سنوات . ثم مات جده . وله من العمر ثمانية أعوام . فأتم تربيته
عند أبوطالب . فنشأ معروفا بالسياسة والهمة والامانة والصدقة والادب والفضل
والعقل وقوة الإدراك . . لقبه قوم بلدييه . وطالبه الخامسة والعشيرة زوج
عمه بنجد بن نوفل القرشي الأسدي . وكانت قد أرسلته بتجارة الاتام فأفلح
وربح . وفي العام الذي بع به مولده بعث الله إلى الناس بشرا ونذيرا
فجعل يدعوهم وبرسدهم خفية مدة ثلاث سنين . ثم أعلن الدعوة وقام قداسه
به جماعة من أهله وذوي قرابه . فذات به قرين وآذته . فعبد . وأقام بمكة
لثلاث عشرة عاما جريئة حتى استند إلى عتبة لمدة مات في اثنا عشر عمداً وأب
عاصم له من أهدائه: أبوطالب به عبدالمطلب . وأسلم في أواخرها عمره مئة به عبدالمطلب
نجدة له أخيه ونفدة له . وأسلم عمره الخطاب . وثلاثه عدد رعاياه وفيهم
أبوه عتي به أبي طالب . ومولاه زيد به عارث . وصدة يقا أبو بكر . وصاحبه
عثمان به عفاة . والزبير به العوام . وعبد الرحمن به عوف . وسعد به أبي وقاص .
وطلحة به عبيدة . فرأى النبي صمداه عليه السلام أنه يأذنه له ليس له غيره تحية به
شتر قريسه بالهجرة إلى أرض الحبشة . فهاجر جماعة من أصحابه . ثم أسلم ستة
من الأوس والخزرج من سكان المدينة وذهبوا إليها فنشروا الإسلام في اثنا عشر
فجاء منها اثنا عشر من الأنصار فأمنوا به فبعت لهم صعيب به عمير به هاشم
أبوه عبدمناف ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن . فلم يمه غير قليل حتى
لم تبعه وأرسله نذر الأنصار الأوبلا سلموه الدار بني اية به زيد . ثم ذهب
إلى مكة جماعة منهم فعرضوا على النبي وأصحابه الهجرة إليهم ومقامه في يثرب هي

ويعاهدونه
 المدينة المنورة . ~~فصل~~ ثم لما به اذموا عنه ~~فصل~~ فاستوثق منهم ، وأمر
 اصحابه بالزحف به مكة ثم لم يبق . وبلغ قريشا خبر رحلة فقصدوه . ليقتلوه فمها
 انه منهم . ودخل المدينة ^{بهاجها} بعد اقامة بمكة ثمانية عشر عاماً . ومعه ستة وخمسون
 المدينة يتدلي التاريخ الهجري . وكانت الدعوة الاسديّة لتخرج عن مكة
 والبرهان . وكنت ~~في~~ على طائفة في المدينة . وعلم انه اعداه غير تاركه
 بل لا بد لهم من قصد . ومحاولة اية الله . رأى انه السيف لا يدفعه الا السيف
 فأمر المسلمين باعداد القوة ومحاربة خصومهم وبغاة الشر بهم . فحدثت موقعة
 بسيرة ثم عظم أمرها فلما كانت السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان
 كانت غزوة بدر الكبرى . وفي هذه السنة كانت غزوة بني قينقاع ، والكدر ،
 والسويمية . وفي السنة الثالثة كانت غزوة احد ، وغزوة حمراء الماء
 وغزوة الجبيل . وفي الرابعة غزوة الربيع ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة
 بدر الثانية . وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق ، وغزوة بني قريظة ،
 وفي السادسة غزوة بني لحيان ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بني المصطلق ،
 وفيها بعث رسول الله الرسل الاكرى وقبيلهم والنجاشي وغيرهم من
 عظماء الملوك كالمقوقس بمصر والحارث الغساني بآثم . وفي السنة
 السابعة من هجرته كانت غزوة خيبر . وفي الثامنة غزوة ذات السلاسل ،
 وغزوة مؤتة ، وفيها فتح المسلمون مكة المكرمة ، وكانت غزوة هوازن
 بجنين . وفي التاسعة غزوة تبوك ، وغزوة طي . . . وكل هذه
 الغزوات كانت حروباً ~~مكينة~~ بين المسلمين وعرب الحجاز وكواكزها
 ثم به النصر للمسلمين حتى ارتفع شأنهم كوطائيات لهم العرب رؤوساً .
 فدعوا في الدية افواجا . وارسلت القبائل وفود الطاعة الى النبي صلى
 الله عليه وسلم . ومنه ~~ان~~ ~~الطواغيت~~ على اخبار الحروب من كل جهة فليصل
 الى

و لم يتوقفه الله إلا ليعزاه

إلى ما ألفنا من ختم المصنفات ككتاب جليل من حكمة الوحي وقابض الخبير
والسير والعبودية لله في غير ذلك ما بعد بالثبات وبالميلاد

~~الكتاب يسمونه كتاب الوحي~~ ففتت له بدود الجواز واليه وجميع

جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجميع له ما فما سرها

والجهد قاتلها وجزيرتها ما لا يجبي للملك إلا بعضه وهاداه جماعة من ملوك

الدقايم فلم يستأزروني مما ورد عليه ولا أسد من درهما بل صرفه

مصارفه وأغنى به غيره وقوي به المسلمية .. ~~ما لا يجبي له~~ ما لا يجبي له

تجاء مقدماً خطيباً ~~أول ما جوامع العلم~~ استصفاً بصفات التماس

قال إنس به ملك : فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشجع الناس وأسمى

الناس وأحس الناس : وتقم في المدينة فزع فرب فساداً ورياءً

فبينهم الناس إليه وهو يقول : إياها الناس لم تراعوا لم تراعوا ! . وقال

علي به أي طاب أكلنا إذا اشتد البأس اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكانه أقربنا إلى العدو . ~~ومن كتابه وأما ما جوامع العلم~~ ~~دروست~~ ~~دروست~~

~~فانتهى~~ ~~فانتهى~~ ~~فانتهى~~ . قال صلى الله عليه وسلم : أوتيت جوامع العلم

ما اختصر لي الكلام اختصاراً . وهذه نبذة من أقواله في الاجتماع والسياسة

آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان .

— أحب الجهاد إلى الله : كلمة حقه تعالى لإمام جابر .

— أحب حبيبك هو أنا ، لعلي أن يكون بينك وبيننا ، وإنه بينك وبيننا ما عسى أن يكون بينك وبيننا .

المعبوا الهوانج بعزة النفس فان الأمور تجري بالمقادير .

أمسك عليك بعضة منك فهو خير لك .

— أريد أنكم مع مشدكم ؟ - أملككم لقف عند الغيب .

- الاقتصار نصف العيشه ، وحسن القدره نصف الدين
- الجنة تحت اقدام الدلائل !
- الجنة تحت ظلال السيوف !
- الحزم سوء الظن .
- السلم مع سلم المكون من لسانه و يده
- خير الناس أنفعهم للناس .
- دعوا الحناد العاقر وتزوجوا السوراء الولود فاني اكاثر بكم يوم القيامة .
- الربى خير ما لهوتم به .
- زُر غيبا تزدد حبا .
- الصبر عند العسرة الاولى .
- عرانة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره .
- ليس المؤمن بالذي يسبح و جاره جائع الاجنب .
- من استعمل رجلا مع عصابة وفيهم من هو ارضى له منه فقد خاه الله ورسوله والمؤمنين .
- من شئ مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد فرج من اسلام .
- التشار مؤثمن فاذا استشير فليشرب بما هو صالح لنفسه .
- وما اثبت رجلا الحديث وثقة الرواة من نعمته وادعائه صدق عليه وسلم :
- كان اذا خطب احمرت عيناه ودموعه واشتد غضبه كأنه منتد جيش .
- وكان اذا خطب في الرب خطب على قوس واداه خطب في الجمعة خطب على عصا .
- كان لمويل الصمت قليل الضحك ، واذا تكلم تبسم .
- كانه يمشي مع الارضه وياكل على الارضه ويحبيب دعوة الملوك على خبز الشعير .
- كانه يخطب ثوبه ويخسف نعله ويحلب المسكليه
- كانه اذا شئ لم يلتفت ، واذا التفت التفت جميعا . يتكلم في ربه كانه يخطب .
- كان

- كان اذا ضحك وضع يده على فيه .
- كان اذا اهتم اكثر به نسي لحيته .
- كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها = وهو القائل : الرب خدعة .
- كان اسد مباحا = العذراء في صدرها .
- كان خنم الرأس واليدية والقدمين ، ليس بالطويل ولا القصير ، سبيل الشعر .
- كان فيه دعاية قليلة ، واذا مزح غفيرا مهره .
- كان في خدمه ترتيب وترسيل .
- ... كان لونه اسمر . وخلقته ثامة . عيناه سوداوان . وفي خديه حمرة .
- كان متواضعا في غير مذلة .
- كان ياخذ المسك فيمسح به رأسه وحيته .
- كان يرسل شعره الى انصاف اذنيه .
- كان يلبس قفصوة بيضا .

وكتب الحديث مفرقة بدرر الفاظه مشحونة بحاسن اوصافه . واما معجزاته
 فحسبنا من المعجزة الخالدة التي هي القرآن الكريم المبكم بفصاحته بقاء
 الجاهلية المحتز بأحكامه حكماء الناس اجمعيه وهو الذي اجمع عقوده الدم
 كانت على انه افضل اللب السادية واجدها ببقاء وأصلها للبشر
 وانفلا للناس .. وكان رسول الله . صمداه عليه . كثير الزوجات . قال ابن
 الكلبي النشابة : تزوج النبي خمس عشرة امرأة ، دخل بثلث عشرة منهن ، وجمع
 بيدها عشرين ، وتوفي وعنده تسع نسوة . وولد له سبعة اولاد :
 ثمانية ذكور . واربع بنات . فأما الذكور فالقاسم - ربه كانه يكنى - ، وعبد الله ،
 وابراهيم . وكلهم ماتوا سفارا لم يتجاوز احدهم الستين . واما البنات : فزينة
 ورقية وام كلثوم وفاطمة . وكهن عشت مع كبرن وتزوجن . ولم يكن لرسوله

نزل الله به آية فاطمة . تزوجها ابيه عمه علي به ابي طالب . فولدت له الحسن
والحسين وابيها نسبة كل منسوب الى النبي المصطفى . صدقاته عليه . وولد له اولاد
ثلاث سنه . محسنات صغيرات . وكان رسول الله كتاب به تبعه بهم الله لم يعلم
الكتابة ، منهم : عثمان به عفاه ، وصفي به ابي طالب ، وزيد به ثابت . ومعاوية به ابي
نضير . وكان له يتامون يضربونه الدعاء به به يديه ، وعمر بن الخطاب
حتى نزل قوله تعالى . والله يعصمك من الناس . فتركهم ، ومؤذنون ، ورؤس ،
شعرا . وخطباء ، وخدم ، وخيل ، وبنك ، وراجل ، وحرار ، وبيع
لغيره سيف ودرع وقسي ورمح وحراب وخوذة ومجبة . وفي آخر
سنه من حياة الشريف حج حجة الوداع وخطب فيها فأتى الناس ما لهم وما عليهم
وهي ما أطول خطبه وأثره من استيعابا لأمور الدية والدنيا . وفي المدينة المنورة
بدأ به ألم في آخر صفر وحم . واستد به الصداع فتوفي يوم الاثنين ثاني عشر
ربيع الاول . وفي مثل هذا اليوم كان مولده . فدفن في مرقده الشريف في
المدينة المنورة ، بعد أن أسس للناس مدينة اشرفت شمس اليوم
في جميع أقطار الارض وديننا يمتد نيف ومئتا مليون من البشر . صل
الله تعالى عليه ولم تسبنا لغيره .

{ عدنان }
كان في نحو سنة ١٩٠٠ قبل الهجرة
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انتسب فبلغ عدنان يسكن ويقول :
كذب السابون . فلو تجا ورف . واجماع المؤرخيه ورجل الانساب على أن
عدنان من ابناء اسحاق بن ابراهيم عليه السلام . واسحاق بن عبد الله
القسم الثالث من اقسام العرب في جاهليتهم . وذلك أن المؤرخين يسمون الجليل

الاول من اجيال العرب ، العرب العاربة . وهم الذين انقطعت اخبارهم وبارت
 آثارهم وربما سوسهم العرب البائدة ، ومنهم قبائل عاد وحمور وطسم وجديس
 وجرهم ودول . والجيل الثاني يبتدئ بقحطان وسوسه . العرب المتعربة .
 يذهبون الى انه قحطان وابنه يعرب اخذ العربية عنه تقدمهم ولباني القدم
 مع قحطان وبنيه . والجيل الثالث العرب المستعربة . ويبدأ بالسجيل عليه
 السوم . وسوسهم مستعربة لان اسماهم لم يكن عربيا وانما هاجروا منه هاجر
 من ايام الجاهلية . وكان الحجاز وتزلات لما حينئذ نفرا العاقلة ، فاصابت
 مكانه اليه جماعة نساء عن قحطان اصحاب جودهم فاقبلوا راجعين فوكلوا
 بطيبره الماء والرعي . فاجتمع بهم اسماهم واداء فاقبلوا منهم . واحتسوا . فمضى
 مكة ثم هاجروا العاقلة مكانه الحجاز فاهلكوا آثارهم . واتيهم اليها بنو طيهاج
 في ربيع الحجاز وتزلات . وفيهم بقية من جرهم الثانية (وهم من العرب المتعربة)
 فتنازل اسماهم فيهم وتعلم منهم اللغة العربية وكان يتكلم بالعبرانية . ووزعوا
 من بناتهم فزوج فيهم نساء وكان من اصقاده عدنان . فالتحق بهم وادبه
 ينسب اليهم الفقيه من عرب الحجاز : وذلك انه ولد لامرأة وولد لأمه وولد لأمه
 نزار : ومنه نزار ~~بن مالك بن زيد بن ربيعة~~ ربيعة ومضر : وهذان هما اللذان
 كثرت بطونهما . فلهن من ربيعة قبائل كثيرة لا شهرة وذكر في تاريخ
 العرب اذ كانوا يناصرون مضر في الشرف والرفعة ومنهم كما ذكر الخوازم
 في السوم ، ومنهم ~~بن مالك بن زيد بن ربيعة~~ بنو أسد وبنو عبيد القيس
 وعذرة وبكر وتغلب ودائل والدارقم والدؤول وغيرهم ما يبطه علماء
 الانساب . انظر انساب العرب للفتقندي . وقسمت قبائل قحطان الى
 شعبتين : قيس بن عيلان به مضر ويطون الياس به مضر . فمضى
 قيس بن عيلان : ~~بنو غطفان~~ بنو غطفان ~~بنو غطفان~~ بنو غطفان بنو غطفان

وَمِنْ غُلْفَانِ بَنِيضٍ بِرَيْثَ ، وَعَبَسَ وَذِيانِ ابْنَا بَنِيضٍ ، وَمَا يَتَفَرَّعُ مِنْهَا . وَ
 سَلِمَ بِهِ نَفْسُهُ بَرْزَهْمَةً وَبَرْهَوَازَنَ . وَأَمَّا دَالِيَّاسُ : فَطَانٌ بِهِ بَنِيهِ
 تَمِيمٌ بِرُكُودِ هَذِيلَ بِهِ مَدْرَكَةُ ، وَبَنُو أَسَدَ بِهِ خَزِيمَةُ ، وَبَطُونُ كَنَانَةَ بِهِ خَزِيمَةُ ،
 وَمِنْ كَنَانَةَ : قَرِيشٌ . وَهَمُّ أَرْدُ وَرَقْرَبَ مَعَتَ بِهِ النَّظْرُ بِهِ كَنَانَةَ . .
 وَانْقَسَمَتْ قَرِيشٌ . فَطَانٌ مِّنَا يُجْمَعُ تَوْسَمُ ابْنَا هَصِيصٍ بِهِ أَعْبُ ، وَغَدِيَّةُ
 بِهِ كَعْبُ ، وَمِنْ رَمَ بِهِ يَقْلَةُ بِهِ رَمَ ، وَتَمِيمٌ بِهِ رَمَ ، وَزُهْرُ بِهِ كَلَابُ ، وَجَبَّةُ
 الدَّارِ بِهِ قَعِيَّةُ ، وَأَسَدُ بِهِ عَبْدِ الْغَزِيِّ بِهِ قَعِيَّةُ ، وَعَبِيدُ مَنَافَ بِهِ قَعِيَّةُ . . وَهَذَا
 مِنْ عِبْدِ مَنَافَ أَرْبَعُ فِصَالٍ : عَبْدُ شَمْسٍ ، وَنَوْفَلٌ ، وَالْمَطْلَبُ ، وَهَاشِمٌ .
 وَبَيْتُ هَاشِمٍ هُوَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ سَيِّدُ نَاكِمَةٍ بِهِ عَبْدُ مَرْثَمَ بِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بِهِ هَاشِمٌ .
 وَمِنْ الْعَبَّاسِيَّةِ أَرْدُ وَعَبَّاسُ بِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَرَبِيعُ عَبْدِ شَمْسٍ بِهِ عَبْدُ مَنَافَ
 بِنُورِ أَيْةِ الْخَفَاءِ . وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ

هَذِهِ خِدْمَةُ سَوَاجِرَةِ عَدْنَانَ وَقِبَائِلِهَا الَّتِي تَشْتَرِي فِيهَا
 الْحِجَازَ وَالْأَنْجِدَ وَالْعَرَاقَ ثُمَّ الْيَمَنَ . وَفِيهَا وَالْأَمْنَةُ فِي أَيْرَاهَا وَكُنْ
 الْبَيْتُ يَضُرُّنَا إِلَى زَكْرٍ أَكْثَرَ مَا ذَكَرْنَا . وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ
 وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ
 يَسْتَوِي فِيهِمْ خَلْقُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْكَيْدِ بِمَنْ خَلَقَهُمْ سَوَاحِلُ عَرَبِهِمْ
 فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ زَمَلٌ وَبَيْنَهُمْ هَجْرٌ وَالظُّلْمُ وَبَيْنَهُمْ مَوْتٌ وَبَيْنَهُمْ نَجَاةٌ . وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ
 وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ
 أَمَّا سَوَاحِلُ عَرَبِهِمْ . وَكَانُوا يَتَخَفُونَ فِي الْأَوَّلِ فَيُؤَلِّقُونَ بِرِجْلِ وَحْشِيٍّ فَتَحْسِبُ
 أَوَّلُ عَرَبِهِمْ مَوْتٌ . يَرْضَوْنَ مِنْهُ نَقْدَ نِيْلٍ فِيهِ عَيْنٌ لَدَى الْمَوْتِ . وَكَانُوا
 أَيْضًا كَلَامًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَهَذَا مِنْ خَلْقِهِ

الكتاب في القصة المذكورة ليستحسب على من أنكر من قتل علي بن أبي طالب
 قتل الحسين بن علي بن أبي طالب وهو من آل البيت من آل علي بن أبي طالب
 والله بخليقة أعلم .

{ مضر }

مات في نحو سنة ٩٥٠ قبل الهجرة

مضر بن نزار بن معد بن عدنان : أحد سادات قريش . وبنوه كما في العبر :
 أصل الكثرة والقبيلة بالحجاز من سائر بني عدنان . ولهم الرياسة بمكة والمزم .
 ومضر : أول من سرق الهدايا بدل . وكان من أحسن الناس صوتاً . وهو
 صاحب المشاعر « بعصبين » إذ حدين بالاذناب » قاله وكان في
 سفر فوقع فرس تحت يده فجهل يصيح له الله : يا يداه ! يا يداه ! . فأنته
 الابل القريبة منه وكانت ترعى فلما صبح ركب حداً . فأعجب ما رأى
 من الابل فقال بعصبين إلى . فذهبت شدة . ومات بمكة .

{ كعب بن لؤي }

مات في نحو سنة ١١٠٠ قبل الهجرة

ابو حصيص كعب بن لؤي بن غلب بن فهر بن مالك بن النضر : قرشي من كبار
 سادات العرب في الجاهلية وله أعمال مشهورة وذكر في تاريخ الجاهليين
 مروى . قال القلقشندي : كان كعب عظيم القدر عند العرب فلما مات ارتخوا
 بهوته إلى عام الفيل (وهو عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم) . ثم ارتخوا بالفيل إلى أن
 ظهر مرسوم فكانوا يدرخون بالوقائع العظيمة إلى أن قرأ رأي عمر بن الخطاب عن

مات في حجة الرسول الأعظم تاريخاً بحسبه . . وهو أول من سجد الاجتماع
في الجمعة وكانت العرب تسميه يوم الدروبة . كانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم
فيطلبهم ويطلبهم وقبل كان يذكر لهم أنه سيكون له ولد نبي يبعث الله .
وهو الذي سمي يوم الدروبة يوم الجمعة . وقال ابن الأثير المؤرخ : كان كعب
يطلب الناس أيام الحج . فهو المطباء والمراو . وهو مؤدب الناس للنبي
الإمامي المختار . وكانت إقامة بكة وفيلامات .

قصبة

مات في ثور سنة . . قبل الهجرة

ابن المنيرة قصبي ، واسمه زيد ، بن ملوب به مرة به كعب به لؤي : كان سيد
قريش ورئيسهم والشارع بينهم . مات أبوه وهو طفل صغير . فتزوج
أمه فاطمة بنت سعد ، رجل من بني غنزة يدعى ربيعة به مرام . ومار
بلا التمام فاخذت قصياً معلماً . فثبت في حجر ربيعة . وشتمت قصياً لبعده
عنه وارقوه . فكان قصبي ينتهي إلى ربيعة إلى أن كبر فكان بينه وبينه رجل من
قضاة بني فخيرته القضاء بانتسابه لغيره . فعاد إلى أمه فصار فاضلاً
فما كان شهر المرام فرج مع الحاج حتى قدم مكة فتعرف إلى قوم به قريش فعرفوه
فأقام بينهم وكثر ماله وكان موصوفاً بالدهاء والعقل ومعرفة الطرقات الموصلة
للاسيادة والرياسة . فعظم شرفه . وولي الكعبة . ثم كانت له مع
القبائل حروب ووقائع رفعت ذكره واضطرت أن يجمع قومه إلى مكة من
الشباب والودية ومجابهة فسموه مجتاً . ومكثوا معهم فكان أول
قرشي معه ولد كعب به لؤي أصاب ملكاً الطاعة به قومه . وقسم مكة أرباعاً
ومنازل بين قومه فبنوا بها المساكن . وكان إليه الحجابة والسقاية والرفاة
والندوة

والندوة والمواء فحاز شرف قريش كله . قال في كامل التواريخ : وتيمنت
قريسه بامرءه ورأيه فكانت لا تعقد نكاحاً الا في داره ولديتها ورواه
في امرئ يزل بهم الا في داره ولا يعقدونه لواء الحرب الا في داره يعقد به
ولده . وكان امرءه في قومه كالدين المسح في حياته وبعد موته . ومن
بكرة براء ساهى العجول وهي اول بنو حفرة قريش بكرة . ولما كبر وبلغ سن
الهرم جلس في دار الندوة . وهي دار في مكة كانت قريش تجتمع بها في قضاء
امورها . وجمع بينه وكانوا قد شبرا وسادوا فرأى اكبرهم شأنا عظيماً
شأناً وهو ولد عبد الدار . فأستغف عليه فقال له : والله لأحقتك بهم .
فأعطاه رياسته دار الندوة ؛ ومجاورة الكعبة ؛ والمواء . فلما يعقد
لقريش الويتهم في الحرب . والسقاية . فلما يسقي الحاج . والرفادة
وهي سنة سنه قضي في قريش وذكمت أنهم كانوا يأتونه في كل موسم بشيء
من أموالهم يصنع منه طعاماً للحاج يأخذ الفقراء . قال ابنه موثراً في صوم
مع الرفادة : وكان قضي قد قال لقومه : انكم جيران الله واهل بيته وان الحاج
ضيف الله وزر أربيته وهم اهل الضيف بكمراة فاجعلوا لهم طعاماً وزياداً
ايام الحج ففعلوا فكانوا يترجون من أموالهم فيصنع به الطعام ايام منى . قال :
وجرى الاسرع ذكمت في الجاهلية والاسودم الى الآن فهو الطعام الذي يصنع
المطعماء كل عام بمنى . ثم مات قضي بكرة فخلد بالسيارة ابناءؤه ودفن
بالجبلون فكانوا يزورونه قبره ويعلمونه . وهو مؤدب الناس من آباء بني
صلى الله عليه وسلم . وفي جملة القبائل بقول الله عز وجل :
ابوكم قضي كان بدعي مجتهد به جمع الله القبائل من نهر

{ عبد مناف }

مات في ثمان مئة ١٤٠ قبل الهجرة

عبد مناف به قُصِّي به مَكُوب به مرة : سيدة سادات الجاهلية كانت له الشوكة
في قريش . ساد في أيام أبيه قصي وترأس بعد أبيه . وعبد مناف
لقب له وانما اسمه المفيدة . ويكنى أيضاً بأبجد شمس . وكان يقال له القمر
لجمله . وكانت أمه حبه ولدت له دفعة الامناف وهو صنم بمكة تدعى
فنب عليه عبد مناف . وكان دون أبيه السقف ذكره بالحكمة والتدبير
فلم يُجدد جديداً في قومه بعده . وانقاوت له قريش لما ناله من غنمهم
ولسنة تعقدتهم به وصبرهم له ولبنيه . قال الجوهري : والنسبة الى عبد
مناف منافي . قال : وكله والقياس عبيد عدلوا عنه لوزالة اللبس .
وهو ادب الراج رسول الله . وفي آله يقول الشاعر :

قل للذي طلب الساحة والندى هذ مرت بآل عبد مناف
الرائثون وليس يورثوا رائث والقائمون هلم بدو ضياف

هاشم بن عبد مناف

ولد سنة ١٠٥ ومات سنة ١٤٧ قبل الهجرة

هاشم به عبد مناف به قُصِّي : احده انتهت اليهم سيادة قريش في الجاهلية . اسمه
عمر وكنيته ابو نضلة ولقب هاشماً لانه اول من هشم التزيه لقومه بمكة . وذلك
انه كان احده الجوار الذي يخدمهم التل في مكة واستجاره بشرا فيه قصائد وبيات
مأثورة . وانتفع له صاحب الناس فمحل فخرج هاشم الى انهم فاشدوا وقبفا وكفلا وقدم
به مكة فهاشم الخبز ومكث ونحو الجزر وجعه ثريدا وأطعم الناس حتى اشبع الياع
فهاشم
نستبي

نسيها شئاً . قال الشاعر :

عمر العبد هاشم التريه لقومه ورجل ملة مستنون محاف
وكان هاشم قد بلغ السيادة وهو صغير فعرف شأنه في حياة أبيه عبد مناف
ولامات أبوه قولي سقاية الحاج ورفارته (وهي الطعام الفقراء من الحاج كما قدنا)
فسد به أخ له اسمامية به عبثي (وهو جد بني أمية ملوك الأمم) فتكلف
أن يقتله في ثمره فعمز وظهر عليه أنه يصنع قومه طبعه فسمت به ناسه فربى فغيب
ورعاها شئاً من نارة فكره هاشم زكى له وقدره فالتفت عليه قريب حتى رضي
فتأخر إلى كاهن به بني فزاعة بعصفان واتفقا على أن ينخر المفضل حسين
ناقة بمكة يطعمها الناس ويرحمه عمة عشرين . فانصرفا إلى الكاهن فقال:
والفرايهر والكنوكب الزاهر والغمام الحاط وما بالجورمه طائر وما اهتدي
بهم سافر من منبه وغائر لقد سببه هاشم أمية إلى المغافر .
فقضى بتفضيل هاشم واخذ هاشم بدل فترها وأطعمها وغاب أمية عتبه بهم
عشرينه فكننت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه . ثم توارى بنوها .
وسينا كان هاشم في سفر إلى الشام مرض فتحوّل إلى غزة فمات بها وهو
في عمر الشباب لم يتجاوز سنه ثمان وعشرين . وكان موصوفاً بالجمال وكرم
الخلد . وهو جد أبي القاسم محمد صمد الله عليه وسلم . نسيها شئاً بقول الشاعر :

عمر العبد ذوالندي من لا سابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجرابي للوفود إذا لبوا بمكة نارا هم مناريه
أولاً محلاً اخصبوا من رقد ملتح قوتاً لخاصره منهم باريد

عبد المطلب بن هاشم

ولدت ١٤٧ و مات سنة ١٠ قبل الهجرة

ابوالمبارك شيبه الحمد بن هاشم بن عبد مناف : أحد عظماء قرين وسيد
من كبار سادات العرب . اسمه شيبه الحمد : قيل لانه ولد وف
رأسه شيبه فسموه بها . وغلب عليه لقبه عبد المطلب : وذلك
أن ابيه هاشم سافر في تجارة الإقليم فربما المدينة فتزول مع عمرو
ابن لبيد الخزرجي من بني النجار فراه ابنة سلمى فأعجبته فتزوجها ولما عاد
من سفره أخذها معه إلى مكة ثم أراد السفر إلى الشام فأخذها إلى المدينة
على أنه يعيدها عند رجوعه وكانت حبلى . فلما بلغ حرة مات . (وكما
تقدم في ترجمة) وولدت سلمى غلاماً شيبه (أو شيبه الحمد)
نسباً في المدينة . وبعد نحو سبع سنين مرباً بالمدينة رجل من بني الحارث
فاذا غلامه ينتقلون (يتبارون في حرب السلام) وشيبه بينهم كلها
أصاب قال : أنا ابيه هاشم أنا ابيه سيد البطحاء . فقال له : الحارثي
مدينت ؟ قل : أنا ابيه هاشم به عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة
فمن المطلب به عبد مناف (أخياهاشم) بما رأى وما سمع فسر المطلب
وركب وارتحل إلى المدينة فرأى غلاماً يفرحون كرة ف عرف ابيه أخيه
فأخذه واستأذن أمه واركبه مع عمة أناقته حتى قدم مكة ضومة
والناس في مجالسهم فسألوه : من هذا وراك ؟ وكانت بركة
غير صفة فحمل أمه إليه لم فقال : عبد لي . ثم السحرة تسميه
به واخرجه للناس فخدمهم بخبزه فكان بعضهم إذا ذكروه قالوا عبد المطلب
فغلب عليه . ثم شبة بينهم فكانت للسقاية والرفادة ولدت

عليه امارات السيادة والامارة وكان عاقبة ذائنا ونجدة وخبرة
فأجبه قومه فرفضوا مد شانه وطلوا عمره . وحفر برز زمزم . وهي البئر
التي اصفرها اسمعيل بابا هيم عليها الدم ودقتل جرحهم . فأعادها
وطهر ماؤها . وكان فصيح اللسان حاضرا الجنان . وقد جماعة من
تريش على ملك الين سيف به ذي بزك ^{المهدي} أخيه ادرك ملك آباءه بهشونه
ببنيا به اهل الحجاز ، فلما دخلوا عليه ، استأذنه عبد المطلب في ان يخدم فقال :
انه كنت محببتكم بيه يدي الملوك أذنا . فقال عبد المطلب :
« ان الله قد اصدق ابا المصطفى محمد ربي . مصبا نبيا . باذنا شامنا .
وانت لك منبت طابت ارومة . وعزت جرثومة . وبنت اصدق . وبه فرعه .
في اكرم منه . واطيب موطن . فانت ثابت للين ، رأس العرب . وريسا
الذي به تخصبه . ومكرا الذي لا تقار . وعمودها الذي عليه العباد .
ومعقلا الذي اليه يلجأ البباد . فسلطه خير سلف . وانت لكاتبهم خير
خلف . فمن يهدي من انت خلفه . ولم يخل من انت سلفه . فله ابر
الملك اهل حرم الله وذمة وسنة بينه أخصنا اليه به
أنه يدي لكشف الكرب الذي قد حنا . فمن وفه الزينة . لا وفه
المرزقة . لا زلت ناعم ابا . رهنا في كل حال . »
فقال سيف المصطفى : من انت ابر المصطفى ؟ قال : انا عبد
المطلب به حاتم . قال : ايه اختنا ؟ قال : نعم . فأقبل عليه به
به القوم وقال : مرحبا واحمدوا ^{ومناحا} . وناقته ورحلو . وملا
رحله . يعطى عطا جزلا . قد سمعت مقالتكم وعرفت قرايتكم
بتم اهل الشرف والنباهة ونكم الكرامة ما اقمتم والباء
أذا لمستم . » ثم امر بهم الى دار الضيافة فاقاموا شهرا لا يؤذن

في مقابلة ولاني هو فخراف . ثم دعا بعبد المطلب فاخبره انه كتبهم مساوية
تبشر بني رطله من ذرية . وارر . انه يكتب ذمت . واجزال له المطايا
والكرم مد جاء معه وادان لهم فصاروا . (وكان عبد المطلب اذا دخل شهر رمضان
صعد راد فتحت) (اي تعبد) والطعم الكاية جميع الشهر . وهو اول من
غلب بالسوار ^{من العرب} مات وعمره ٨٤ سنة . كان في عيون التواريخ - وفي الكمال
ان عاصه ٨٤ سنة . وفي سبائك الذهب ٨٤ . وخلف اثني عشر ولدا
وهم : عبدالله ، وابوطالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ، والعباس ، وضرار ، ومرة ،
والمقوم ، ~~والمهم~~ وابواب ، وقثم ، والفيداق ، والحارث . ~~والمهم~~
وبعده الناصبه بعدهم عشرة ؛ يامل عبد الكعبة وقثم . ^{ويزيد بنات} وانا اذكر فيها
هي تراجم اشهر هؤلاء . وفي لب البيرة النبوية انه يرلاه كما اذا انتهى في الحرب يقول :
يا النبي لا كذب ، انا به وبه المطلب !

عبد بن عبد المطلب

ولد سنة ٨١ ومات سنة ٥٤ قبل الهجرة

ابو قثم عبدالله النزيح بن عبد المطلب بن هاشم : والد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد
في مكة ونشأ بها وهو أصغر ولده عبد المطلب واخوه هم عمر . وكان عبد
المطلب ابوه قد تذر : لهن ولد له عشرة ابناء وشبوا في حياته وكانوا
اعوانا له على اعدائه لينزعهم عن الكعبة لله تعالى ! . فزال يله
حتى بلغ ابناءؤه عشرة اشداء . نذهبهم الهميل ، هو ابل اصنام الكعبة
فصربت القدام (يفعلون ذلك كالقرعة) فخرجت عن عبدالله . وهو أحب بنيه
اليه وامهم . وكان عبد المطلب واقفا يدعو فلما خرج ليقدم على عمه ابيه
اليه فاخذه وذهب به الى اساف ونائلة (وهما صلمان كانوا اذا ارادوا
ذبح شيئ نردوه عندها) فقامت قرينته اندبها فتمسوه من ذبحه . فأصره
فقالوا

فقالوا: هلم فانطلقوا الى كاهنة الحضر فسلها، فان امرتك بذبح فافعل. فذهب
معهم اليها وهي بنير. فقهرت عيلا عبدالمطلب خبره. فقالت: ارجعوا اليوم حتى
ياثني تابعي فاسأل. فرجعوا غللا. ولا اصبروا غدا اليها. فقالت: نعم قد
جاء في المنبر. فكم الدية عندكم يا قالوا: عشرة ابدل. قالت: ارجعوا
الى بلادكم فخر بوا عشرة ابدل واخربوا عيلا وعم عبدالمطلب بالقراع فان
خرج عم صاحبكم فزيدوا عشرة حتى يرضى ربكم وان خرجت مع ابدل
فاخروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم. فخرجوا حتى اتوا مكة فاجتمعوا ثم قربوا
عبدالمطلب وعشرا معه ابدل فخرجت القراع عم عبدالمطلب فادوا عشرا فخرجت عيلا
فما برحوا يزيدونه عشرة وتخرج القراع عليه حتى بلغت ابدل مئة ثم ضربوا
فخرجت القراع عم ابدل. فقال له حضر: قد رضى ربك يا عبدالمطلب.
فقال عبدالمطلب: لا والله! حتى اضرب ثوب رات. فضربوا ثوبا. فخرجت
القراع عم ابدل. فنرت. وتركت لاديعد عنز انسا ولا سبع. وانظر
عبدالمطلب بابنه فريضا به. فزوج به بآمنة بنت وهب (ام رسول الله صلى
عليه وسلم). ثم ارسله الى المدينة يبتار لهم ثرا. فمرض بالمدينة. وثا
بها ودفن في دار النابتة الجعدي السامر. وببعضهم يقول: انه سافر الى
الاستم في تجارة فلما عاد نزل في المدينة وهو ريفي فتوفي بها. وله من
ثمان وعشرون سنة. وكانت وفاته قبل رسودة سيد الخلق وهادي
الهداة محمد به عبدالمطلب عليه الصلوة والسلام. واهل هذه الترجمة
عن ابن عبدالمجد الثاني من الناصب لوجه الزير. وفي كتاب السيرة خبره على رسول الله

عليه السلام في الخبر يقول:

«انا ابنا عبدالمطلب»

ابوطالب بن عبدالمطلب

ولد سنة ٥٨ هـ - وتوفي سنة ٤٠ قبل الهجرة

ابوطالب واسمه عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم : والد علي بن ابي طالب الرسول . وعم النبي الامين وناصره وعافله ورعيته . وهو من ابطال بني هاشم والطاعين منهم . قال رسول الله ص : ما نالت قريش مني شيئا ارحم حتى مات ابوطالب . وذلك : انه لما اعلن الدعوة ثارت عليه بنو قريش وازادوا قتله . فاستصر له عمه ابوطالب . فصنعهم عن اذية . فلما مات اخرجوه فاضطجوا الا البرة به بعد كما قدمت في الترجمة الاولى . وكان ابوطالب خطيبا عاقل حارس الروية طهر القلب اليق النفس . وعرض عليه ابنه اخيه ابراهيم بدينه فوعده بنصرته وحمايته ولكنه امتنع عن قبوله خوفا من ان تعيده الرب وتعيبه . فذلت آية انك لا تهدي من احببت . فتركه واكتفى منه بصدقة اعدائه

عنه . واورد الفاضل السهيلي في كتابه اروض الانف نقد عهدهم بالساجدين خليفة قالوا ابوطالب حبه حفرة الوفاة ، واجتمعت عليه وجوه قريش تذكرها عنه قال : يا بني قريش ! انكم صفوة من خلق الله . وقلب العرب . وفيكم اية الطاع .

والمقدم الشجاع . والواثق الباع . لم تتزلوا للعرب في الحاضر زحيفا الا عزيموا . ولا شرفا الا اذركم . فكم علم الناس بهت الفضيلة . واهم به انكم الوسيلة . واناسكم عرب . وعلمكم الب . واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية : فان فيها رضا للرب ، وقواما للناس ، ونباتا للوطاة . صلوا ارحاكم ولا تغفلوا : فان في صلة الرحم مناة في اوجس ، وزيارة في بعد . وانزلوا النبي والعقوة : ففيها هكنت القدر قبلكم . واجيبوا الداعي را اعطوا السائل : فان فيها شرف الحياة والمات . وفيكم بعده الحديث واداء الومانة : فان فيها محبة في الناس ،

وكرامة

ومكره في العام . وانا اوصيكم بمحمد خيرا : فانه اومين في قرأين ، والصديق في
 العرب ، وهو جامع لكل ما اوصيتم به ، وقد جاء بأمر : قبله الجنان والكره
 امن من مخافة الرستاقان ، وأيم الله كافي اقل الى صميم العرب واهل البر
 في اطراف والمستضعفين من الناس : قد اجابوا دعوتهم وصلة قواطة وظلم
 ارمه فني من بهم فمات ~~معه~~ فمات رؤساء قریش وصناديدها اذنا با .
 وودورها خرابا ، وضمها لها اربابا ، وادنا اظلمهم عليه احوالهم اليه والعم
 منه اخطاهم عنه . قد محضت العرب وادها واصفت له فوارها وأعطته
 قيادها . وونكم يا معاشر قریش ابن ابيكم : كونوا له ولادة ولزبه حمة
 ورواه لا يسلط احدكنم سبيل الدار شه ، ولديا خذ احديهم الى السعة
 ولو كان لنفسي مده ولا يصح تأخير تلفيت عنه الزاهر ولدفت عنه الدواهي .
 ومه خطبه ما ذكره الامام المبرر قال : خطب ابو طالب لرسوله ص . في
 تزويجه خديجة بنت خويلد فقال : . الحمد لله الذي جعلنا به ذرية ابراهيم وزرع
 اسماين وجعل لنا بلدا حراما ، ريتا محبوبا ، وجعلنا المظالم على الناس .
 ثم ان محمد به عباده ابن اخي : من لا يوازن به فني من قریش الدار فني عليه
 برأ وفضلا وكرما وعقد و مجدا ونبل . وان كان في المال قل فانا
 المال ظل زائل وعارية مسترجعة . ولد في خديجة بنت خويلد رغبة ولا
 فيه مثل زكي وما احببتم به الصداق فعلي . قال المبرر : وهذه الخلية
 مه اقصد خطب الجاهلية . وكان ابو طالب صاحب تجارة كباشي قرأين
 ومولده في مولده مكة وبلدش و زلمات وذن . وأعقب اربعة
 واثنتين ؛ وهم : علي ، وجعفر ، وعقيل ، وطالب ، وموستان ها .
 ارمهاني ، واسرا فاخته ، وجماعة . واهم فاطمة بنت اسد بهائم به عينا .

حمزة بن عبد المطلب

ولدت له قبل الهجرة وتوفي سنة ٤٠ للهجرة

ابو حمزة حمزة بن عبد المطلب به هاشم : عم رسول الله ، وأحد صناديد قریش
وسراةم وساداتهم في جاهلية وأسلم . ولد بكة بنت أبر . قال
صاحب السدة الغاية : كان أعز قریش ~~ولم~~ ^{المختار} وأشد هاشمية . واول
أخباره في الإسلام أن أبا جهل القرشي (عدو النبي وول شدة أعدائه عليه)
نرضى رسول الله فتمته وأهان رسول الله صامت لم يجبه . وكان حمزة
غالباً في الصيد فلما عاد أخبر بما صنع أبو جهل . فقصده . وآواه في كلبته .
فقر به بقوس كانت في يده فتمتج رأسه شجرة شدة وقال : أشتته
وانا مع دينه أقول ما يقول بما فاردو علياً إن استطعت . فحدث ضجة
عظيمة وقامت رجال بني مخزوم على حمزة فمنعهم أبو جهل وخافوا تساع
الفتنة فقالوا : ما زال يا حمزة الوجود صبات . فقد حمة : وما ينبغي ؟
فقاتل العرب : اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنه . فلفوا حمة
بعدها آتاهم المألمية . وثبت حمزة على أسد . وكان زهد
قبل موت أبي طالب . ثم جهر حمزة مع النبي ص . المألمية وحضر
وقعة بدر وعزها وأبدى له البأس ما هو معروف عنه . قال المحدثي :
اول لواء عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان لحمزة بن عبد المطلب .
وكان حمزة يُعرف في الحرب بريشة نعامه يضرب في صدره . وكان
في وقعة بدر قاتل بسيفه . فقد أمة به خلف وهو سير في المألمية :
له الرجل المعلم بريشة ؟ فقبل له حمزة . فقد : ذاك فضلنا أرفاعه !
وقتل

وقتل رضي الله عنه في وقعة أحد بعد أن قتل أحداً وثلاثين نفياً ثم عثر فرجع
على ظهره فراه أحد العبيد فأدركه وضربه بحربة ذهبية برؤوسه . واخذوا المشركون
قتلوا به وشهدوا عليه . فلما رآه النبي عليه السلام صممه وبكى . ثم قال :
« رحمك الله أبي غرهم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات »
واخذوا المسلمون فدفنوه في المدينة . قال ابن عزم وغيره : ما رجع من قتله
أنه انقضت عقبة . فلا يثبت انتساب بعض الأوسر إليه رضي الله عنه .

العباس بن عبد المطلب

ولد سنة ١٥ قبل الهجرة - وتوفي سنة ٤٤ هجرية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا العباس به عبد المطلب : أجود قرين لفا واهلها ؛ هذا
بقية آبائي .. كان العباس أحد عظماء قريش : رئيساً في جهينة عظيماً في الإسلام
وصولاً لدرعهم قريش محمداً اليهم ذارأي سديد وعقل قدير ؛ مولعاً
باعتاد العبيد ، لارها للروة : قال صاحب السد القابة : اشترى العباس
سبعين عبداً واعتقهم جميعاً . وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام (وهي أنه لا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد ولا يقول فيه كبراً) .
ولد بمكة بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واسلم قبل الهجرة ولتم اسدته واقام بمكة
يكتب المراسل الى صهره محمد بن عبد الله . أخبر الشكبة . وبعد الهجرة اراد ان يصل الى مكة
فاجرا فقال له النبي : مقامت بمكة خير . ثم هجر بعد زومه وشهد وقعة حنين
فثبت مع رسول الله لما انهزم الناس . وشهد فتح مكة ايضاً . وكان طويلاً
جيداً ابيضه بضعاً له صغيرتان . وعاش نيفاً وثمانين عاماً . أصيب في
آخر عمره برصه في عينيه فعميتا . وهو ابن الملقب العباسيين يتصل نسبهم

« عام الجماعة » لا اجتماع كلمة الا سلام فيه واتفاقها على حقبة الرماء بعد ذلك الحرب
والفتن بين علي ومعاوية . ثم قصد معاوية أنكوفة ووصل حسن الى المدينة
فأقام بلا حتى توفي . سموا في قول بعضهم . ودفن بالبقيع عليه الرحمة والرضوان
وسدة خدقته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة .
هذا ما يتعلق بغيره . وأما فصاحته وبهاهته فكان معاوية يومئذ
حاشيته باجتناب من وراءه . عليه هما : الحسن وعبد الله بن عباس . القوة
بهاهتهما . قال البيهقي : قدم الحسن على معاوية . عنده عروبة العاص وروان
ابن مكرم والغيرة به شجبة . صناديد قومه ووجوه اليمن والاثم . فأجلس
معاوية على سريرته أراماً له فحده مروان فقال : يا حسن لو لم أير المولى به
ما أقدمك هذا المقعد وأقعدك وانت له مستوجب بقودك الباهير
فما أحسست بنا . علمت أن لإطاعة لك بفرسان اصل الهم وصناديد
بنيناية أزعجت بالجماعة وبعثت أطلب الامان . أما والله لو لم أزلت
لأؤريه دمك ولعلت أنا نعلي السيف حقلاً وفيه الوغى فأهداه أذابتك
بمعاوية فمفا عندك بجله ثم صنع بدك ما ترى . . فنظر اليه الحسن . وقال :
ويحك يا مروان ! لقد فقدت مقاييد لعار في الحرب عند هذة المخازك
عند مخالطتها . غمه ، صبيحتك الهوايل ، لنا الحجج البوالغ والنعم السرايع
تفر بينناية وتزعم أنهم مهبر في الحرب أسد عند اللقاء ؟ فقلت أنت !
أولئك الببال السارة ، والحياة الذادة ، وهدام القادة ، بنه طلب اللباب .
أما والله لقد أيتهم وجميع من في هذا البيت ما حالهم الا هوال ولم يجدوا من
الأبطال كالليث الضارية الباسلة الحنقة فعندها رليت هاربا وأخذت
أسيراً فقددت قومتك العار . أبراءه دمي زعمت ؟ أندارت دم
مه وثب عم عثمان في الدار فذبحه كما يُذبح جمل رات تنقوتها نسجعة
وتنادي بالويل والثبور كالامة اللكعاء . ألا رفعت عن جيد اوناخذت

عنه سهم ؟ لقد ارتعدت زرائعك وغشي بهرك فاستغثت بكاستغث
العبد بربه فابقيتك من القتل ومنعتك من ثم تمت معاوية على قتلي ؟ لا
ولورام ذلك منك لفرج كافر فاجابه عفان ! انت مع اتهم حذيرا واضيقه
باعا واجبه قبل ما تمسرا على ذلك . ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية ؟ أما
وامه لهو اوف بشاره وأشكر لما وثقنا به هذا هو . فتى بدال فلو يُفغنين
حقة على القذى منك ، فوامه لا عُقْبَن أَهْلَانِمْ بِمِشْرِ يَضِيحُهُ عَنْ فُضَاؤُهَا
ويشأصل فسانا ثم لا ينفعك عند ذلك الارب والروغاه ولدير دُحْنُكَ
الطلب تدريجك الكلام . لا نطوه انه كنت صادقا ! . فانتصروا معاوية
لمحس وشتموا رواه فانصرف مغضبا مغمضا . . وسأله ابو علي رضي الله عنهما
ليتم بدهة : يا بني ما السداد ؟ قال : دفع المنكر بالمعروف . قال : فالعرف ؟
قال : اصطناع العيرة وموعدة للبرية . قال : فما السامح ؟ قال : البذل
في العسر واليسر . قال : فما اللؤم ؟ قال : اهازيل الرواد وبذله عرضه . قال :
فما المنعة ؟ قال : سدة بها سر ومنازعة الناس . قال : فما الجبن ؟ قال :
الجرأة على الصديقه والكره العدة . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بقسم
ام لها . قال : فما ^{النذل} ~~الغنى~~ ؟ قال : الفرع عند الصدمة . قال فما المجد ؟ قال :
أن تعطي في الغرم وتعفو في الجرم . . وتجد ترجمته باطول ما هنا في
تاريخ النعم لادبه عاكر واسلاف الراغبين للصبان وأمثالها من كتب ^{التاريخ}
والسير والخبار . . والله آخر كلامي رضي الله عنه . لاخيه محسن
وهو يهود بنفسي : . يا اخي اوصيك أن لا تطلب الخنوة فاني وامي ما
ارأ أن يجمع الله فينا النبوة والخنوة فإياك أن يستفك سفرها و
الخنوة ويخبروك فتندم به حيث لا ينفعك الندم . .
والحسن عليه الرضوان " ثاني الائمة الاثني عشر عند الامامية : وذلك

أن السادة السامية . وهم فرقة من فرق المسلمين تقول بإمامة علي رضي الله عنه بعد
النبي صلى الله عليه وسلم (انظر كتاب الحس والنحل للشهرستاني) . يذهبون إلى أن
إمامة المسلمين يتوارثها أبناؤه علي عنه . وهم منتفون في تسببتهم ~~في~~
أسماء بعضهم وندبتهم متفقون على عددهم وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر
وهو الإمام الثاني عشر والاشهر في تسببتهم انهم : الإمام علي ، الحسن ،
والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، والجواد ،
والإمام الهادي ، والعسكري ، والمهدي . رضوان الله عليهم أجمعين . ولكل
من هؤلاء مائة سنة من شأن معروف ومكان محفوظ وأما آت على تراجمهم فيما
يلي إن شاء الله . وأما إمام الأول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسيذكر في فصل الخلفاء الراشدين .

الحسين بن علي

- ولدت سنة ٤ - وتوفي سنة ٦١ -

السيد الشريف أبو عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب . وأمه فاطمة الزهراء
بنت رسول الله : ولدت في المدينة المنورة . وثالث بيده عظماء المسلمين وعقودهم :
أولها عاتق مفكر . قال رسول الله ، صلوات الله عليه : الحسن والحسين سيدا
شباب أهل الجنة . وهو صاحب الفاجعة التي أدت القلوب وفرحت
الوجفات وانزلت الناس أعز انهم وابقت في قلوب بني هاشم وشاهدين
ضفيئة لنبينا أبيه لأشنى أبد الدهر وحبك انزلها عازالت تنفي في الصدور
حتى حذبوا آل أمية وروان تلك الفربة القاضية فموا دولتهم وأزالوا
صورتهم حتى لم يجره منهم في بلاد المشرق ديار . ~~عليه السلام~~
للمنكر لهم ~~في~~ وخلاصة الحادثة أنه لما مات معاوية به أبي بنيان
دولي مندفق ابن يزيد تخلف الحسين له مبايعة ووصل الأمكة في مجاعة
من أصحابه وافقوه على رأيه فقام بكلمة اشهر فبلغ أهل مكوفة ذلك وكان

منه

لديه علي وأخيه الحسن فيلما نضاروا أعوانا فكتبوا إليه كتابا يطلبون به صفوه
ليبايعوه على نيوفته ويذكرون له أنهم في جيش منتهين للوثوب فوعدهم السيد
الهم ثم رجع جماعة به عقوده فوجد أن لديه هبة فأصدر على ما ارتأى . وخرج
في أسرتهم ومواليه ورجالهم نحو الثمانين ، قاصدا الكوفة . وبلغ يزيد
بمعاوية خبره فأرسل إليه جيشا اعتدوا في كربلاء . وبعد قتال عنيف
انقلب به الفريقيه أصيب الحسين بجراح شديدة فسقط عثره فقتلوه .
فيلقوا نفيه سنا به أنس النخعي وقيل السمري به ذي الجوشن . وأرسل
رأسه ونسائه وذراريه إلى يزيد به معاوية في الشام . فظهر يزيد عزه
عليه ولكنه ما ينفعه من رده سببه السيف القتل . ونفذ القضاء ونفذ
واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس الحسين فيه فقاتل في الشام وقائل بن دفن
مع الجثة في كربلاء وقائل بجزيرة حارثة إلا تعدد مراقده وضباع ضريح
الحقيني بينا . وكان مقتله ، سقاؤه شأيب رضوانه ، يوم الجمعة عاشر
محرّم . ولما زال هذا اليوم يوم عزه وكآبة عند جميع المسلمين اللهم
الجماعة به جهلة أهل السنة يتباركون به لتبوت صيام النبي المكرم في
يوم عاشوراء . وفي طائفة الشيعة أيضا رجال يتجاوزون حد الحزن يقيمون
له المآتم ويضربون أنفسهم بالسوم وبعضهم يملكون حادث مقتله
كما تمثل الحوادث التاريخية والحديثة على سائر النواحي . وعقدوا
الطائفتين غير راضين عما يفعله هؤلاء الجماعات منهم . أصلنا به !
أما خروج الحسين بريد مكوفة بنساء والحفالة فقد فسره الفيلسوف الطائي
« عاربه » في كتاب له سماه « السياسة الموسوية » بما لا أرى بليغا من
التفكير فيه . قال « عاربه » : « مات الرصدون العظيم علي ومعاوية وتركا في
العدرا ضغانا وجادولاهما : الحسين به علي ، ويزيد به معاوية ؛ والاول طامح
للمنورة

والثاني يراقبه ولا يستطيع البطش به . اما الحسين فدا علم في احوال الديانات من
اختار سياسة المؤثرة فانه لما وجد قوته وقوة قومه ضعيفة بجانب قوى يزيد
فكر في عمل كبير صريح به لقومه وهو ان يريد الحسيد الى الموت . . . ومع ان ذلك جمع
لهماء و اطفال وعرض من المدينة فلكم به عدو من اقرباى واحدا قائم . . . ليس
اختياره اخذ اطفاله الى حلة كانه يعلم ان ربيهم اير . ايقن انه لا بد ليزيد من قتل
فما رآه تنويع الحيلة عامة . فاستحب صفاره ~~منطوقه~~ وهو معتقد ان يزيد سيفك
بها جميعا . راقه ذلك لانه علم ان الثورة الالهية لا يمكن ان يديرها مع بني
امية الدافع مؤثر يثب بلونة الكسوية صفاء وثبة الحنة وهو صفاه ، وثبة التالم
والفضية . وهي الامنية التي كان يسعى اليها الحية باخذ اطفاله وصفاره . ولذا
كان . فانها لم تقع الواقعة حتى نفرت من يزيد قلوب اخصائه ، وما بلغت سبابا محية
مدينة وشعه حتى نهيات الثورة على يزيد . وما هي الا عوام تدور تزلزلت آل يزيد
طعن لسيف وشيدت على اثرها دعائم الحضرة الاشعية القبلية . . لم يذر
ان التاريخ رجلا القى بنفسه وابناه واحب الناس اليه ، في ملاوي اليهود والفداء
احياء لدولة سلبت منه الالهيين : ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل
ملك مدعويين الراعي و يقتل اركان سلطتهم . « واستلموا الباصت
الا اعلام على الشيعة ما لا دخل له في بحثنا . وقد نقت بعض مباحث كتابه
الا الفارسية والعربية وكان لا فخر به مناصرون ومؤيدون . وهو رأي حسن
مع عدوته : فان الحية انما قصد الكوفة وهو دأبه بنصرة اهله واخذ اطفاله ونساء
للكنى بل والله مع تفكير محبة يندى ليلونن وايضا تابنا على ما كان يهدف
به من سعة العقل وجودة الرواية . ولتتم ترجمته بشي من علوم العذب .
قال ان ترجمته : خطبه محبة به علي بن ابي طالب :

يا ايها الناس ! ناضوا في الكارم وسادعوا الى الفانم ولا تحسبوا المعروف
لم تعبوا . واكتبوا الحمد بالنج ولا تحسبوا بالطل زما . واعلموا انه حوايج
الناس اياكم من نعم الله عليكم فادعوا انعم . واعلموا انه المعروف يثب حدا

ويكسب اجراً فلو رأيت المذوف رجلاً رأيتوه حسناً جيداً يسهل الناظر به ويفوقه
العالم به ولو رأيت اللوام رأيتوه سيئاً مستوراً تنفر منه القلوب وتغفر ذنوبه
الذي صار ، اي الناس : من جاد يسار . ومن غل عاقل . وله اجود الناس
من اعطى من لا يرجوه . وان اعطى الناس من عفا عنه قدره . وان افضل الناس
من وصل من قطعه . والاصول على مفارستها فروعها تنمو . من احسن احسن
الله اليه . والله يحب المحسنين . « . ومن عاونه : الملم زينة والوفاء
مروءة والعجدة سفه والرفق ضعف والقلوة ورطة ومجالة اهل الذل
شر ومجالة اهل الفسوة ريبة . .

زين العابدين بن الحسين

— ولد سنة ٤٨ — وتوفي سنة ٩٤ هـ —

ابو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب : رابع الائمة هو ثمان عشرة سنة ولد له
واحد من يقرب بهم الثمن في علم والورع . ولد بالمدينة وقتاً بلا فقاؤه اهلها تقى
وصدوقاً وكان من معلم واكثم مع جانب عظيم : فاما علمه فله فيه حكايات عجيبة
خرج يوماً من المسجد فلقبه رجل فسه وباعه واخرط فبادر اليه العبيد والموالي ،
فكفهم واقبل عليه وقال : ما ستر عندك من امرنا اكثر ! انك حاجة نبيك
عديلاً ؟ فاستمر الرجل وتحنى فامر له بنحو خمسة آلاف درهم . ولقيه آخر فناداه .
فقال : يا هذا بيني وبينه جهنم عتبة ان انا جزئنا فما ابالي بما قلت والله لم
أجزها فانا اكثر مما تقول ! انك حاجة ؟ فحمد الرجل . واما ورعه وقائه :
قال ابيه الحسين : ما رأيت اورع منه . وكانه كثير الصدقة منهما في العباد فلقب
زيه العابدين . وقرب اليه الاماء ليلته ليتوضأ فوضع يده في مونا وليبدأ ثم رفع
رأسه فنظر الى السماء والقر والكلاب فجعل يتفكر في خلقها حتى أصبح واذا ن الموزن وبه
فقد

في موثاق لا يفكر بها . واما امره فقال ابيه عائشة : ~~محمد~~ سمعت بعلمه اهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر الا بعد موتنا علي بن ابي طالب . وقال محمد بن اسحق : كانا من اهل المدينة يعمسون لولا يد ربه به اياه معايشهم وقاكلهم فلما مات علي بن ابي طالب فقدوا ما كانوا يؤثرون به ليموا الى منازلهم . ولما مات احمي به كانه يقولونهم فاذا هم نومة بيت . ونقل كثير من المصنفين ان القصيدة التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحا وطاته ~~هذا الذي تعرف البطحا وطاته~~ والبيت يعرفه اهل الحرم

قيمت في مدح زينة العابدين وانه قائم الفزود ارتجلا ارتجلا في البيت هوام . ولا قصة معروفة في كتب الاخبار والقصيدة في طبقة عالية من شعر وتبليغ ابوتهم في اشعار الخاصة للزينة مبدئي قال : قبلنا الفزود . ومنه كسوم زينة العابدين : كانه اذا بلغه الى احد ذكره بسوء يقول : اللهم انه كانه ضارقا غافرا وانه كانه كادبا غافرا . وكانه يقول : فقد الالهة غربة . ومات في المدينة المنورة فدفن في البقيع .

الباقر بن زين العابدين

ولد سنة ٥٧ هـ - وتوفي سنة ١١٧ هـ

الامام ابو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين : رضي الله عنهم . هو خامس الائمة الاثني عشر . وكان ناسفا عابدا وله في العلم وتفسير القرآن اراء وتواويل : سأل العبد ابيه عروبه عبيد عنه قوله تعالى : اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما . ما معنى هذا الرتق والفتق ؟ فقد ابو جعفر : كانت السماء رتقا لا تنزل مطرا وكانت الارض رتقا لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وفروع النبات . وهذا رأي حسن في تفسير الآية لموافقة درجة علم العبد . في عصر نزول القرآن الكريم ~~ولما ما يفسرهم~~ ولما سبب تقيبه بباقر فلم يذكر

له غيوجه واحد ^{شتمل} وهو أنه ^{مشتبه} به مادة ^{بقر} قالوا : لأنه ^{بقر} العلم أي
 شقة ^{فرف} أحمد ^{وضفه} . و ^{به} كذا : ^{بقر} لا يخ ^{يراعيت} غنياً ^{ويقطعك}
 فقيراً . وقال : ليس في الدنيا شيء ^{الموت} به الا ^{الوصان} الا ^{الوصان} . وقال : ما دخل
 قلب امرئ ^{شيئاً} به ^{الكبر} الا ^{النقص} به ^{عقله} مثل ذلك ^{قل} او كثر . وقال : سدد
 السلام ^{تبيع} ^{لكرم} . وقال : لفته ^{عالم} ^{احب} الى ^{السطوة} به ^{موت} ^{سعيه} عابداً .
 وقال : ^{سبقتنا} به ^{اطاع} ^{به} . وقال : اعرف ^{المودة} في ^{قلب} ^{اضحك} بما ^{لا} في ^{قلبك}
 . وتوفي ببلدية ودفن بقبة العباس في البقيع « رضي الله عنه » .

جعفر الصادق

— وله سنة ٨٠ — وتوفي سنة ١١٨ هـ —

البريد جعفر الصادق به محمد الباقر بن زين العابدين : عليهم رضوان الله : فعورس
 الائمة الاثني عشر ، وكان من اجلاء ^{التابعين} وله منزلة في العلم معروفة واخذ
 عنه جماعة به ائمة ^{المسلمة} كابي حنيفة ^{ومحمد} وابيه جريج ^{وسجستان} وابيه
 به ^{منتسب} اليه به ^{القاري} ^{عليه} جابر به ^{حياته} ^{الكيميائي} ^{المدونة} ^{المشهور}
 قال ابوه خذكان : ^{والف} جابر ^{كتاباً} ^{يشتمل} مع ^{الف} ^{ورقة} ^{يتضمن} ^{سأل} ^{جعفر}
 الصادق وهي ^{فمائة} ^{رسالة} . ~~وهذه هي الرسالة~~ ^{جده} .
 والشعبة ^{تذكر} ^{أن} ^{جعفر} ^{كتاباً} ^{يدعونه} ^{الجفر} ^{ذكر} فيه ^{كل} ما ^{يتعلق} ^{بالعلم} ^{الى}
 علم ^{اليوم} ^{القيامة} . وهذا الوصف ^{بالعلم} . ولقب جعفر « رضي الله عنه » ^{بالصادق}
 لأنه لم يعرف ^{الكذب} قط . و ^{به} كذا : ^{لا} يتم ^{المعروف} ^{الاثبات} : ^{تعيده}
 وتصغيره ^{وسره} . اربعة اشياء ^{والفضل} ^{منها} ^{كثير} : النار ^{والعداوة} ^{والفقر}
 والفقر ^{والمرء} . صحة ^{عشر} ^{به} ^{يوماً} ^{ثلاثة} . به ^{لم} ^{يسبح} ^{عند} ^{العبه} ^{ويرحمه}
 عند ^{التيب} ^{ونحو} ^{به} ^{نظر} ^{الغيب} ^{فدخير} ^{فيه} . ايا ^{لم} ^{ومدحاة} ^{الشراء}
 فانهم ^{يصفونه} ^{بالمدح} ^{ويجودونه} ^{بالاجاء} . به ^{اكرمك} ^{فاكرم} ^{وهو} ^{استخف}
 به .

بك فأكرم نفسك عنه . ودخل عليه بعبه شيعته فرآه يومئذ ولده موسى .
 يومئذ حفظنا قولك : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان
 حفظتها لنفسك - حياً وتمت حميداً . يا بني انه قد قنع بما قسم الله له استغنى
 عنه مد عينيه الى ما في يده غيره مات فقيراً . ومن لم يرعه بما قسم الله لهم
 ربه في قضاؤه . ومن استعصر زلة نفسه استعصر زلة غيره . يا بني
 من سل سيف البغي قتل به . ومن كلف حجاب غيره اكتف ستره . من
 راض مملوكاً حقر . ومن خلط العلماء وقر . ومن دخل داخل السوء
 أثم . يا بني قد كرهت اوعيتك ؛ واياك والنية فانها تزرع
 الشئ في قلب الرجل . يا بني اذا زرت فزُر الاخيار وتذر المشركين
 فانهم صنعة لا يتغير ماؤها وشجرة لا يغير ورقها . ومن لا يظلم عثراً
 وكان جريئاً قوي البيرة : يذكر أنه طار عند المنصور فوقعت ذبابة على
 وجهه المنصور فذبحها فصادت حتى اضربت في فمها فالتفت الى جعفر فقال له :
 يا ابا عبد الله لم خلعه الله الذباب ؟ قال : ليذلل به الجبابرة فانك
 المنصور . . توفي صاحب الترجمة في المدينة ودفن في البقيع في قريته .

موسى الكاظم

— ولد سنة ١٢٨ - وتوفي سنة ١٨٢ هـ —
 الامام ابو الحسن موسى الكاظم به جعفر الصادق به ابا القاسم عليه السلام :
 صاحب الائمة . واحد رات بني هاشم . ومن اخدم اهل البيت . ولد
 بهدباء . وسكن المدينة المنورة . ولما أجد اهل زمانه
 قوم كبار عظامهم واستخائهم : هذا هو جده زين العابدين في تفقد الفقراء
 ليدهم ومناسيتهم وقيل فيه ما قيل بجده . انه كان يحمل النقعات الى منازل الفقراء

في المدينة فمد يعرفون به انه انت حتى مات فانقطعت معرفته . وكانت له سيادة
 ورياسة معروفة فوشى به بعهده اهل المدينة العباسي وقالوا له : ان الاموال
 تحمل لموسى به جميع الخيرات والزكاة والخراجات وفعاهو قد اشتد ضيقه
 ساها السيرة بمائة ألف دينار . ورجع الرشيد في تلك السنة وفي
 نفسه ثمة فبدأ بالمدينة فدخلها فاستقبله موسى ^{عليه السلام} فسلم في جماعة من الأشراف
 ثم خدوه الرشيد فقال له : انت الذي يبايعك الناس سرّاً ؟ قال : انا
 امام القلوب وانت امام الجسوم . ثم انفعوه اجتماعاً عند القبر الشريف فقال
 الرشيد : سلامٌ عليك يا ابن عمي . وقال موسى : السلام عليك يا أبا عبد الله .
 فلم يحتلوا الرشيد فحمد الله ^{الصلوة} وأمر بالبراءة عيسى به جعفر به منصور أن
 يحبه عنده . فلبس ثوباً فكتب اليه الرشيد في سفك ربه وراحته منه
 فاستغفاه عيسى به ذلك ورجاه انه يكون ^{بالحسن} فقدم على غريبه . فابى
 الى الهند به شاكراً في بغداد بأمره بشئ وقتله . فجهل ساء
 في طعم قد مر اليه فاقام متروكاً ثمانية ايام ومات . ودفن في مقابر
 فرس بين ابنتيه في بغداد . وانه انشأ له رسالة بعث بها الى الرشيد ^{عنه} فسلم
 بقوله فلهذا " وانه لم ينقل ^{عنه} يوم به البهلاء الا انقضى معهم عندك
 في الرضا حتى نفى جميعاً الى يوم ليس له انقضاء صلتهم بخير المخلوق .
 ولقبها ان ظم لعله وكلفه لفظة . واخبره شهيرة .

علي بن الرضا

— ولد سنة ١٥٤ — وتوفي سنة ٢٩٢ هـ —

ابو الحسن علي بن الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق : تاسع الأئمة عند الشيعة
 ومن اجتهاد والاهل البيت وفضلهم ^{وهو الذي} يذكر اصحاب التواريخ وكثيراً أن
 المؤمن

المؤمن العباسي عهده اليه بالخلافة بعده وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدنيا
 والدهم وغير من اجله الزوجة العتيق الذي هو السواد فاستعان عنه بمؤخر
 لونه فان شاعر اهل البيت فثار الغرامه منه ذلك البناء وقام اهل بغداد
 فحملوا المؤمن وباعوا عمه ابراهيم بن المهدي فوصل اليهم المؤمن بمشيه
 فاستخفى ابراهيم ثم استسلم فصفاهه المؤمن ومات علي الرضى
 في حياة المؤمن فلم تتم له الخلافة وعاد الى السواد فاستألف
 القلوب ورضي الناس عنه . وكان السيد علي الرضى أسود اللون
 لدنانه كانت سوداء . وولد بالمدينة . وكان موهوبا بطيب النفس
 وكرم الاخلاق والجود : حكى القرماني في تاريخه أنه دخل بها الحمام
 فبينما هو في مكانه من اذ دخل عليه جندي فاراه عن موضعه وقال : صب
 عم رأسي يا اسود ! فنهض علي واخذ يصب على رأس الجندي حتى وصل
 رجلي عرته فصاح : ويحك يا جندي هككت ! استندم اليه فنهض سريعا
 فانقلب الجندي يقبل قدميه ويقول : صد عصيتني اذ ارتدت ؟ فقال : انزل
 لثوبه وماردت أنه اعطيك ثوبا انا بئس ! . وراه ابو نواس ذات يوم
 وهو خارج من حفرة المؤمن على بقة فارقة فدنا منه وسلم وقال : يا ابا رسول الله
 قلت نبيك اياها احب أنه تسمع مني . قال : قل . فان ابو نواس يقول :
 لمجدوه نقيات ثيابا جهنم تجري الصدرة عليهم كلما ذكروا
 به لم يمه علموا يا حية تنسبه قال له في قديم الدهر مفتخر
 اولئك القوم اهل البيت عندهم علم الكتاب وما جارات بسور
 فقد : قد جئتنا بايات ما سبقك اليها أحد . ما عدك يا فؤاد ؟ قال :
 ثبوت مئة دينار . قال : ارفعوا اليه . وبعد انه افترقا ورس علي الاثر

قال له يستقلا : يا غلام سعة اليه البغلة . وكان يحمل الزايعي شعر
 اهل البيت ولد في علي وابيه مدائح كثيرة . . توفي رضي الله عنه . بمدينة طوس
 ودفع المأمون بجانب قبر ابيه السيد . وفي سبائك الذهب ان وفاته
 كانت سنة ٤٠٠ . والصحيح ما ذكرته واعتمده ابيه خلافاً وانتر المؤرخيه
~~مختلطة~~ لانهم جميعاً علم انه توفي في حياة المأمون . المتوفى سنة ٤١٨ هـ

محمد الجواز

- ولدت سنة ١٩٥ - وتوفي سنة ٤٠٠ هـ -

ابو جعفر محمد الجواز به علي الرضا به موسى الكاظم . وبقية النسب مرفوعة : وهو تاسع
 الائمة : كان ليبد القدر ربيع الذار فاستوفى راحم اهل البيت ولد في المدينة
 ثم انتقل مع والده الرضا الى بغداد ولما توفي ابوه كان صغيراً فاجتاز به
 المأمون يوماً فوفد واخذه معه واحداً من ابيه وتربى به وسمي عم صغيراً
 ذكي الفؤاد طلقه الناس تلوح عليه اثار النجابة فعني به المأمون وبلغ
 في الاحصان اليه ثم اراد ان يزوجها بنته ام الفضل فمنعه العباسيون
 ذلك خوفاً من انه يورثه اليه لما عرته الا ابيه فامر المأمون ببدا اليه وجهه بفقد
 وعلمه علم حدائقه فتنافسوه باحسانه بصفة العلم واستصفوه فارتل
 المايين به اكتم وامره ان يتحن سرّاً فلاحفر أمره بفرض حسن مجلس
 عليه ثم سألته يبي مسائل فاجاب عن اياها حسن جواب وسر الخليفة
 فقال : احسنت يا ابو جعفر ثم التفت اليه حفر فقال : الحمد لله علم مائة يبي علي
 مد السداد في الورد الشرف في الرأي . واقبل علم ابي جعفر فقال له : اني مزوجك
 ابنتي ام الفضل وان رُغمت لذكر النوف قوم ! فاحطبك لنفسك فقد
 رضيتك لنفسك وابنتي . فقال ابو جعفر : الحمد لله اقراراً بنعمته ولواله
 اخوضاً بواحدانية رضى الله عنه سيداً مكرماً سيداً بريئاً واهل بيتاً مكرماً

بعد فقد كان من فضل الله مع اناس انه اغنىهم بالهدول عذرهم فقال تعالى :
 « وَأَنْتُمْ أَلَا تَدْرُونَ » والصالحية من عبادكم واناسكم انه يكونوا فقراء بينهم
 من فضل الله واسع عليم « تم ان سره به عبي به موسى خطبة لابن المؤمنين
 عبيد الى امون ابنته أم الفضل وقد بذل اياه به عداوه من جهة فامة بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من سائمة ورحم جيار فهدل : وحبني بالبرانيين
 يا صاحبي هذا الصداق ؟ فقال المأمون : زوجتك ابنتي أم الفضل
 هذا الصداق المذكور . فقد ابو جعفر : قبت لك امر لنفسك مع هذا
 الصداق المذكور . تم امر المأمون : انواع الريب فتطلب انما فزون ووعى
 بالملوء فمذت موالدها واحلوا وفرقت عليهم الجوائز واخرجت
 الاموال للفقراء والمساكين . وبعد ذلك تم الزواج . واقام ابو جعفر
 محبة عند المأمون معظما مكرما حتى عزم على التوجه بزوجته ام الفضل
 الى المدينة المنورة . حتى مات المأمون وآلت الخليفة العباسية
 المعتصم فكتب اليه يستقدمه الى بغداد ومعه زوجته فمفر وذلك
 سنة ٢٢٠ هـ ومرض فمات ببغداد ^{شأنها} صوابه عليه ودفن في مقابر
 قريش في قبر حبه ابي الحسن موسى ان ظم وعادت امراته ام الفضل الى قصر المعتصم
 ببقعة مات مسرعا كما يقال في اثر الائمة المذكورين . ومن ملونه :
 ما عظمت نعمة الله على احد الا عظمت اليه هواج الناس فمن لم يتحمل تلك المنة
 من تلك النعمة للزوال . اهل المروف الى اصطناعه اخرج به اهل الى
 اليه اهلهم اجمع وعرفه وذكره فترها اصطنع الرجل من مروف فانما يتدلى
 به من نفسه . من اجل اننا هابه ؛ ووجه جيل نيا هابه ؛ والفرصة
 خدته . فذكرهم سقم جسمه . ملونه صحيفة العلم حسن خلة . من
 اتقني به افتقر الناس اليه . الجاهل في الله . والاهل في العقل . العفاف

زينة الفقر ؛ والشكر زينة البهوء ؛ والتواضع زينة الكسب ؛ والعفاجة
 زينة العلم ؛ وخفف الجناح زينة العلم . العاقل بالعلم والمُطيع عليه
 والراضي به شجاع . العاقل وفاء بكثرة الجهاد بينهم . - اخذ ابو الصعود
 فقال : اول الفضل في اوطانهم عزاء . ثم تناهى عنهم القرباء . -
 وروى ابو جعفر : الصبر على المعية معية عمالات . لو كنت الجاهل
 ما اختلف الناس . اراي مع المأناة . مد وعظ اخاه سرا فقدزانه وروى
 وعظه عدوية فقدزانه .

عليّ الرضائي

- ولد سنة ٤١٤ - وتوفي سنة ٤٥٤ -

ابو الحسن العسكري عليّ الرضائي بن محمد الجواد بن عليّ الرضا : عاشروا سنة
 اثني عشر : كان مدونا بقتل الصدوق . ولد في المدينة المنورة وولد له
 فلما بلغ سن الشباب واصل في منزلة ينظر بها اليه توارثت الوشائيات به المتوكل
 العباسي الخليفة في بغداد فاسل اليه فاستقدمه به المدينة وأنزله في سره رأى
 (سائر) وكانت تسمى مدينة العسكر . لده المعتصم لما بناها فنقل اليها
 بكرة فثبت العسكر . ولذا لقب ابو الحسن عليّ المترجم بالعسكري .
 فقام بها . فسمي بعه اعدائه المتوكل واخبروه أنه في منزل عليّ سعدا وكتبا
 وغيرها شيعته وادهم أن يطلب دعوة لنفس فوجه اليه عدد أمه حنة التراك
 ليؤذيهم عليه وهو في منزل علم الارض وعليه مدعة مد مشر وعلم رأسه ملحق
 مصوف وهو مستقبل القبة يزعم بآيات من القرآن . لا يفصل بينه وبينه الدهر
 فاصغر الالامال وهي . فأخذوه المتوكل ووصفوا له حاله وكما المتوكل
 جلا يتحل الشراب فأجله ا جانب وروى عليه كاسا فاعتذر بأنه لم يذق
 فغافه منلا ثم قال : أنشدني شعرا أستمنه فقال : اني نقيل الرواية للمشم
 قال :

قال: لا بد أنه قد أتى به في فأرشد:

باتوا على قتل الأجيال تمسهم
غلب الرجال فما أغتتهم القتل
واشتهزوا بعد عزه معاقهم
فأدعوا حفرا يا بني ما نزلوا
ناداهم صاخر مبعثا قبروا
إيه الذريرة وتبجابه وتخل
من روضه أتمر يا بني ما نزل
فأفصح القبر عنهم حياء لهم
تبع الوجوه عليها الذريرة تقتل
قد طأ ما أطلوا دهرأ وعثروا
فأصبروا بعد طول الكمل قد أطلوا

وهذه الأبيات من ديوانه

فهاجت أرويات وشفاه المتوكل قبلي وأمر برفع الشراب ثم قال: يا
أبا الحسن عديك دين يا قال: نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه
ورده الأئمة له مدرسا... أقول: هذه أبيات التي أزيد صاحب الترجمة نقلها

وهي مؤلف رابع الملوك انزل ترجمته عن لثابة بالجندية فديته قبل
الرسوم كانت منقوشة على سيف قصير ملكهم حمير، وعبارته:
قال وجهه به ضبه: أصبت مع غمدان وهو قهر سيف به أي يزن
بأرعه صنعا واليمه وكان به الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسند
مترجما بالعربية وأراهي هذه أبيات... وهي المنز المدفون وجاءت أبيات
أكثر مما تقدم في زيادة أبيات الآتية في أول:

انظر لما زادت ي يا أيلا الرجل
ولم على حذر به قبل تنتقل
وقدم الزاومة خير تشر به
فصل شانه دارسوف يرتحل
وانظر المعتبر باتوا على ردة
فأصبروا في امري هذا بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيانه وارفوا
من فلم ينفهم لا انقضى الاجل
باتوا على قتل الأجيال... الخ... قال: ووجدت مخرجا على

قمر غمده ايها هذه الدييات :

مه فانه لا يطأ التراب برجله ولحمي التراب يصفره الخد
مه فانه يندح في التراب وبينه شبران كانه بغاية البعد
لو بعث الناس النرى وأولم لم يعرفوا المولى مه كعبد !

وتوفي الامام علي الهادي عليه الرحمة والرضى بمدينة سار او فدفن في بيته
وخلف ثلثة ابناء وابنة .

الحسن خالص

وله سنة ٤٤٤ - وتوفي سنة ٤٤٤ هـ

ابو محمد الحسن الخالص بن علي الهادي به كرمه الجواد : حادى عشر الأئمة عند طائفة الرواية
وله في المدينة المنورة وانتقل مع ابيه الهادي الى سار (او سره رأى او سر)
مه او مدينة العكر = هذا اسما بلدة واحدة في العراق وولي الموامعة بعد وفاة
ابيه وكان على سنة سلفه الصالح في التقى والنسك والعبادة يحمله الناس
ويحترمونه . قال صاحب الفصول المهمة : لما ذاع خبر وفاة الحسن اتجبت سره أى
وقامت صبيحة واحدة وتطلعت الى سار وتخلقت له كآبيه ورأيت بنو هاشم
والقوار والقبائل والقضاة والمعتلون وسائر الناس الى جنازته وصلى
عليه ابو عيسى ابن المتوكل بارافخيفة ودفن في البيت الذي دفن فيه ابو هاشم
واصحاب القمصين والاشجار ينقلونه عنه وعمه تقدمه مه اهل البيت من سار
عليهم كرامات وحكايات كثيرة اضربت عن ذكرها لاني لا اقول بلا
ولاسيما وجلها ملود بالودهم التي لا يتصل منها للقاري ما يفيد واما التايغ
فأصنعه صدرا من أن يتسع لانيك الاخبار والواقعيه وهو انما يكتم الرجل
الذي يشترنوا باعمالهم وسعوا بانفسهم وما اجد اوثق بالجدول وهو عظام
اذا هم جمعوا بيه التاليد والطارف والنسب والملتبس ذكهم خيرة ائمة صفوة البشر .

محمد المزيدي

ولد سنة ١٠٠٠ هـ - و... سنة ١٠٢٠ هـ

ابو القاسم محمد المزيدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي : آخر الأئمة الاثني عشر نيا قمته . اومامية . وهو المعروف عندهم بالمزيدي وصاحب الزمان المنتظر والحجة . والذي يُحقق المؤرخون الثقات انه ولد بآراء ومات ابوه وعمره خمس سنين . ولما بلغ التاسعة او العاشرة فقد علم يُعرف له أثر . هذا ما عُرِف به خبره اما الشيعة فيروون انه دخل سردياً كما في دار أبيه ثم لم يخرج منه . وهم ينتظرون فرده ويأتون بالادلة الثابتة عندهم على انه حي يُرْزقه وأنه سيعود الى هذا الوجود فينبؤ اومرته رحمة وعدلاً وسدوما . وهناك اقوال وآراء لديه خل ابرارها والمناقشة في بحث هذا الكتاب . حسي من الاشارة الى . وأمر خروج المزيدي المنتظر لدخول فيه عند الشيعة ولكنه بعضهم يرى انه غير صاحب هذه الترجمة ويؤكد انه محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب والقول بكونه هو الذي اُخبر عنه . قال ابن بطرطة الرحالة في حديث رحلته ما لفظ : ثم وصلت الى مدينة المدية وهي مستطيلة مع القنات وأهلها طهر امانية اثنا عشرية وبها مسجد مع باب ستة ممرير يقولونه انه محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الامام المزيدي المنتظر فيهم صل بهم ليلة آتت الحرب سنة ثمانم وياترونه باب المسجد ومعهما دابة فخرجة معلقة ومعهم الطبول والبوقات والقرود : أخرج يا صاحب الزمان فقد كثرت الظلم والفساد وهذا الزمان فوجدك ليفرقه الله بك بينه الله والباطل ؛ ويقفون الاميل ثم يعودون ؛ لذلك رأيتهم ابداً . واما من السنة فأنزلهم على اعتقاد ظهور رجل من نسل النبي صلى الله عليه وسلم تصلي به اومرته بعد فسادها وتشرع بعبادتها وفيهم من يأخذ بالحديث الشريف : انه يزاد

الامم والاشدة ولد الى نيا الاراد باراً ولد الى الناس الاشياء ولد تقوم
 الى شرار الناس ولد بهدي اليعسى له ربيهم . وفيهم من يتكلم في هذا الحديث
 وهذا بحث بطول فاطلب انه شئت فيما ألف له خاصة من الاسفار وتصانيف
 او في المصنفات النبوية ما له عذوقه باسم المهدية وظهوره . ومن هو . وتامل
 فيه ظهر في الاسلام حتى يوم ياتي انك ذلك الرجل المصلح الذي وما اخرجنا
 مع شر المسية الا ونبينا الاعظم صلوات الله عليه قد اغمى الله به باب
 النبوة وكفى الناس ظهور نبي جديد في كل حين وقيل فابينا نعمة الوان
 نوجه تلك الشئنة حية خالدة كلمه عرفنا الاسم وبه لنا مادة
 النبوة بمادة المهدي فلان القائم لا يمدح البشر قبل خاتم الانبياء عليه
 السلام نبياً رسولاً فنبينا نعمة ~~الله~~ ندعوه مهدياً ومنظراً . اقمه
 ابناء القردة مدول وموجيل مخلية قيام كذبة وجاليم تسربوا رداء النبوة
 وظهروا بظلال الرسل فأكت انه تلك النامة بافر انبيائه . ونبينا نعمة
 السيل له فاندك انمو وانتج ذاك النهج فأوجدنا له سرباً من سربيل الدعوة
 الى الله والهداية اليه فعدوا يعادون الكدة ويرزون في هذه الاجيال المرة بعد
 المرة . ذلك بما جئت ايدينا واقتدت انفسنا فدهول ورفوة الوباء مرشمو
 خليقة الطريقه . وعلهم كل قلب ما يستقل به عما سواه .

كِتَابُ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ

- بَاب -

امضينا الكلام في مطلب الدول من مطالب الكتاب على ما يتعلق بالنسب
النسبي الطهر والسادة من اهل البيت الكرام . وها أنا ذا أفتح الباب الثاني
منه وفيه الكلام على الملوك والامراء والخلفاء والوزراء جاهليتهم واسديتهم
مقدمهم ومثاقيرهم ورتبت على فصول اربعة : الاول في ملوك الجاهليين
كهمر وسيف وتبع وجذيمة ، وامرائهم كقيس بن زهير وزهير بن جناب . والثاني
في الخلفاء الراشدين الاربعة واوراهم ابو بكر . والثالث : في صدور الخلفاء
واعيان الملوك بعد الجاهلية وفيه أشهر ملوك بني امية ومروان وآل عباس
وغيرهم ثم الرابع : وهو فصل الامراء والوزراء في الاسلام كالبراءة وضرهم
وانما أنا متعجب اولئك الرجال الذين بنوا مجدهم بسواعدهم وقلوبهم غير المتكلمين
على آباءهم وجدورهم . وهذا الباب من اجل ابواب الكتاب لا تتناول علماء اخبار الجاهليين
في باديتهم والاسديين في حاضرهم وتري فيه حكاية كثيرة عن المدينة العجبية في
العراق والفسادة المووية في موندلس ما يعرض في خلدنهم محابلا والله الموفق للخير والمرشد للصواب

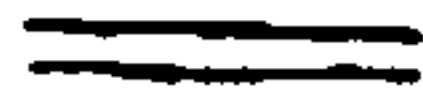
ملوك الجاهلية وامراؤهم

(كلمة تهجدية)

جهية الرب لم تنل امرأ غافلاً مستوراً الحقيقة في سترها واساء مكرها وأخبار قبائلها
وأخبار رجالها ولديها ما سلف منها وانما اندفع مؤرخوها المتقدرون بآثارهم
حباً لمطوع فجموا ونقبوا فيما وصلت اليه يعلم به اساطير دوله وآفريه
وكنه كانه جل ما أتوا به من الأرقام التاريخية تتركنا وتقديراً وربياً في الغيب
ولقد تدير علينا انه نضع منهم فلم نكنه نتيجة بحثنا غير علم بانهم يفتقرون ما لا
يتحققونه ويدعوهم علم ما لا يعرفون وأعظم ما استندوا اليه في أخبارهم وعولوا اليه
في أرقامهم أمراءه : الاول علم النسب في الجاهلية : يسلموه الرجل متى
يبلغوا بهم أبا البشر آدم (عم) مع ما يعتد منهم من العقبات وما يفلو
الى سلوكه من وعالمهم وفي هذا ما فيه من التصدي بلا لا يدرك حسناً
استند في الوقوف على الاخذ بأقوالهم ما صرح به النبي مفرشي صميمهم ولم يورثوا
حول النسب ورواياتهم والثراء ودهاة الحجاز واليه من كراهية مؤرخه
في نسبة نفسه الى ما يتجاوز عدناه وقوله عند جوفه وارادة اجتنابه : كذب
النسبون ! . فمثل هذا تسقط عنه دعوى الوثوق به يعلم منساب في جهالة
الاولى ؛ اي ما وراء عدنان ؛ وفي ذلك اختدفتنا . . . وأما مؤرخ الثاني الذي
عول عليه مؤرخنا لبعده منساب فهو التوراة في أخبارها عده بدء الخلق وأزمانه
آدم ونوح وغيره (ص ١١٩) وقد أظهرت المكتشفات الجيولوجية وتنقيب
عما رعايات والآثار ما خالف كثيراً ما أخبار التوراة وأرقامها وأخبارها .
٥٠ انظر سفر متكويه .

والثروة انما هو كتاب فيه يوضح قدرة الله في خلقه من كونه وشرح شريعة موسى
التي سنّها الله لكتاب تاريخ وعلم يبحث عن الحقائق الطبيعية^(١) والعلمية^(٢) فانه كثيرا
ما تخذ البشرية في مباحث في الطبيعة والتاريخ^(٣) ولديهم لذلك دفاع علماءهم
عاجابهم والتدبيرهم له الوجه البعيدة: فالكاتب مساهمة وفي مقدّمات القرائات
الكريم: اذا تعرضت للبحث الغامض في التاريخ او العلم الطبي توخى فيه وتزيره
بيانا عما يعلمه اهل ذلك العصر المرسل اليهم ذلك الكتاب.

فاذا سقطت هاتان الدعويان: دعوى منسأب ودعوى الوثوق بالثروة، تنهش
ما يقال من حكم مع الزم الذي حكم فيه المحوريسون صفة بابل والرواح؛ والذي
كانت فيه قبائل طسم وجديس وعاد وثمود ذوات الذكروا^(٤)؛ وراخذنا الشك
في عصر القوطانية حكام اليهود اليمانية وبرهسية وأضرابهم، صواغتنا
ترك ارادة التقيوه في ذلك حتى تنبت ايدي الباحثيه في اطراف العواصم
واليمه والجاز بعناية قوية وفيرة مع العلم كبيرة. فاذا بدت لهم آثارا وثقفت
الاستار زالت الودعاصم وقام البت والقلم في حكم مقام الوهم وتكرار والتقدير.
فلما كان هذا المصنف رتباً على السنية في أكثر ابوابه وفصوله اضطلعت لأن
الماضي فيه الأقرب الى الحق واليقين مما ذهبت اليه جماعة المؤرخيه بينما يظهر
ما ثبته او يُعَدُّ له من عادات الآثار وربك يفعل ما يشاء ويختار.



(١) و(٢) انظر تفسير الكتاب المقدس المطبوع في مطبعة امريكا ص ٢٢١ و ٢٢٢ -

محموري

— طان في خمسة ٢٢٠٠ قبل الهجرة —

عازلت أربعة محوري ومؤسستها موضع غناية الباحثين وتنقيب المنقبين حتى
قضيت بها مرقوا واختلفت الماطن آتاهم رجال الرجال . والذي أنشئ
لهم بعد البحث أن مقر الملك الدولة المحورية طان في مقل المراتي وأنه عاصم
مدينة بابل : دأبهم على ذلك ما وجد . رآهم المائدة طباحت فيا فيما به
الهرية حيث ظهرت القاصد من ابته صافية (في مدينة زيار)
يرجع عهد بناءها إلى ما يقارب ثمانية آلاف سنة قبل الهجرة . وعندها ~~بجانبها~~ على
كثيره ~~التي~~ المجر المشوي . الحجارة المنبلة منقوشة على نصوص
تأنيبه . صلوات وعقود وسائر دأعية دينية كتبت بالحروف المسارية
عازلت من العلماء الجيولوجيون على أنه ملك الدولة يرجع عهد تأسيسها
لأفوالقرن ~~التي~~ والتأنيبه قبل الهجرة وهو رأي القائمين بأنه محوري ~~لأنه~~
معاصر لإبراهيم خليل وأنه هو الذي تور في سفر مثوية من التوراة باسم
أرافل موحدة الملة البابلية . ^{قاله أبو بكر الدينكي} وجب هذا الرأي لعدم الأدب الاستسا
الذي قال في لغة العرب : أنه الرأي القائل بأنه محوري وأرافل اسم طسمي
واحد قريب الاحتمال لولا ختلف مبناهما . وأرافل لفظة سنكرتية من
أرافل *Amrapala* ومعناها حامى المخلدين . ومحوري آرامية
تفيد ما يقارب هذا المعنى وهو رب الأرباب .
ودولة محوري دولة مجتمعة بعدة نصوص المؤرخية لصاحب العرب قبل الإسلام
ونيزم بابا غربية أصل والسان فانه جل علماء الآثار والعاديات طابرها
في ذلك من ذلك : فيهم من يقول : أن محوري عربي لدولته . وفيهم القائل
بأنه الدولة الحديثة البنية ما لا يؤيد ما ينطقوه بالسان العربية المتداولة
في

في نقد المصدر . هي تختلف عما ساء عرب اليوم ، وأثمة لغة أم شوية . كان
 نينوى وما جاورها ، وكانوا معا صريهم ومجايرهم ، ويتفقون معهم في ليزمه
 أنزياتهم وعاداتهم وطرائق بنائهم . والمهمربو . أثبتت عربيتهم ببلتشف
 المنقبوه به آثارهم يملونوه أول دولة عربية عرفت برأت ، في البسرو وصف
 حضارتها وسنيتها بما افضحت عنه الاطلال الباقية برأت . وفي الوب قبل يوم
 ان بعده الباحية ظفر في بلاد السور ؟ (فما واد النهر) بمسلة "مجرى السور"
 الصلح قد فقتت عديا شريعة صوري مؤلفة من ٤١ مادة ثبتت في
 طبقات دمة : حقوق المرأة ، واجباتها والزواج ، الدين . وعثر آفرون
 عم كتابات تدل على معرفتهم بجنون الجرامة والطب . وبالجملة فان الامة
 المروية وانه ظلم التاريخ باغفل ذرها واهمال امرها فتظلمها آثارها
 الخالدة وتفتيح منها بنائيا ، وانما هذا حتى تكون في عداد الدول القديمة
 المعروفة ذات المكانة الرفيعة والمنزلة الساتية والمجد والكرام .

قطعات

١ - توفي في نهر - قبل بحيرة - (هذه مات برنج مغلط)

سبقت الإشارة الاصحاب هذه الترجمة في التهام مع عدنان وقتلنا بأية الجبل
 اثني مديال العرب الثمينة ولعمري الحسن . العرب المتعربة . يستدعي لقطعات
 وأنه رابن يعرب اخذ العربية عنه تقديرها في قبائل العرب العاربة . وقوم
 هو : ابن عابريه شالح بهاء فحشد به اسم به نزع . ذلك ما يذره علماء الحساب
 ويقدمونه مع ما عداه . واسم قومه في التوراة يقطان . وابوه عابر هو
 نبيهم هوود (عم) . ولما اقامه ابيه هوود في حضريته . هوذا رايان قومه
 (١) المسلة في اصطلاح التزييه اليوم : اعمدة طويلة مربعة ممددة الرأس . ومثل

في نقد المصدر . هي تختلف عما ساء عرب اليوم ، وأثمة لغة أم شوية . كان
 نينوى وما جاورها ، وكانوا معا صريهم ومجايرهم ، ويتفقون معهم في ليزمه
 أنزياتهم وعاداتهم وطرائق بنائهم . والمهمربو . أثبتت عربيتهم ببلتشف
 المنقبوه به آثارهم يملونوه أول دولة عربية عرفت برأت ، في البسرو وصف
 حضارتها وسنيتها بما افضحت عنه الاطلال الباقية برأت . وفي الوب قبل يوم
 ان بعده الباحية ظفر في بلاد السور ؟ (فما واد النهر) بمسلة "مجرى السور"
 الصلح قد فقتت عديا شريعة صوري مؤلفة من ٤١ مادة ثبتت في
 طبقات دمة : حقوق المرأة ، واجباتها والزواج ، الدين . وعثر آفرون
 عم كتابات تدل على معرفتهم بجنون الجرامة والطب . وبالجملة فان الامة
 المروية وانه ظلم التاريخ باغفل ذرها واهمال امرها فتظلمها آثارها
 الخالدة وتفتيح منها بنائيا ، وانما هذا حتى تكون في عداد الدول القديمة
 المعروفة ذات المكانة الرفيعة والمنزلة الساتية والمجد والكرام .

ورجوعهم وبلا تروني وفيما قبره . واما ابنه قومه : فمؤله وشتاء . امول في
 حفرة . ثم انتقل بجماة من قبيلة (الهد) مدينة صفاء ولانت انا
 خالية فاجتني بزا . اقتدى به من جاء معه فمقدروها وصيروها مدينة تسمى
 آ . صاحب مزلوف من الرنين . وكثرت جماعة المستقلية (الصفاء)
 لما وجدوا بزا من نوصب ولطيب الهواء فنادوا بقومه من امير عليهم (الهد)
 واما لما قد منا من ابناء قومه والبره ذواته الرفيع ~~بوجاهة~~
 بينهم ونشرت فيهم . واما من قومه السبعة فاصبوه وكرهوه . ورأى
 نفسه في قوة سلطان فجمع حيث رجع الى العراق . ولما قد بلغه انه شدد
 ابنه عاد (احد امراء العرب العاربة) جاور العراقيين واستولى في نحو سنة ٩٢٧ هـ
 مدينته بابل قاعدة مملكة الفلانية والممورية . ولما كانت سنة ٩٦٠ هـ
 وذلك في ايام قومه . وتب الملك الاشوري بعلون مع من كان في بلاد العرب
 فطردهم وجعلها عامة لمملكة الاشورية . فزحف اليه قومه من اجتمع اليه
 من المقاتلة ونزلت بينه الفريقين حرب هائلة طالت اياما ومات في انذارا
 قومه سنة ٩٦٩ هـ . ثم ان ابنه يعرب بمقد الصبح مع بعلون وعاد اليه
 صفاء مفرقة . بذلك اية رتبة . اما قومه فيقال انه اول من لبس التاج
 ولعل لما قدم العراق ورأى صفاء بابل ونيوه في ذلك العهد قد مولاكم
 بلبس التاج فكانه اول من لبس من ملوك اليمه وجزيرة العرب . وهو
 وهو ابنه يعرب اول من اطلق اللغة العربية ولانت لغتهم اللغة الفلانية وهي
 من اصل العراق الفلانية . واستبعد ابنه خلدوه ما ينقله المؤرخون
 من انه قومه اول من تعلم بالعربية وانه الى ان اخترعا من ذات نفسه ؛ فقد
 وقومه تعلم العربية ~~منهم~~ اوله من العرب العاربة (الباق) . وولد
 لقومه من ثلثة عشر ولدا وثلثة عشر من استلوت به اليهود اليمنية بعد مدينته
 واما

حمير

عانت حمير خمسة قرون . ٥٠٤ قبل الهجرة

الحميريون : ملوك عظام كانت منازلهم في اليمن ودام لهم الملك زمانا طويلا . هم
يتسببون الى صاحب هذه الترجمة : حمير به سببا به يشجب به يعرب به قحط به . وكان
ملكا شجاعا مظهرًا . حكم بعد موت ابيه سبأ . ولم تزل عاصمة ملكه صنعاء .
وعزا وافتتح حاذيا جدو آباءه في توسيع رايه بينهم حتى قيل ان غزاه بلغوا
الصين . وحمير : لقب عليه لاختياره التيا بالمر وكثرة سطر لب لا واسه
المرنجج : وهو شقيقه قولهم : امر مرنجج في امر : اذا جده فيه . واتخذ من الذهب
الوصاح تاجا فان اول من تنوع بالذهب . وله وقائع مشهورة هذا انه
قاتل قبائل حمور وكانه مقارلا في اليمن ففر قولا فارتكبت الى الحجاز . والدولة
المهيدية ذات ذكر وشانه في تاريخ جاهدية العرب . واصحاب الاخبار لا يسمون له في
مدتلا مع رأي ولكنهم يثقفونه اقتدافا عريضا بهم في مثلها فلو غداة فيه .
وضمفت في منتهى ارضها في غرهار الدول الكبيبة فاستعانت على انقاذها
دولة حبشية : اشهرها ارباط الحبشي الذين اغار جيش كبيره ابناء
جلده على آخر الملوك الحميريه ذي نواس ، وهو واحد الملوك البانينيه
المعرونيه بالوزوار (١) فقاتله وامتدك اليه سنة ٨٥ هـ . فدام
لارباط الملك وتوارثه عنه بعده ابناءه . والعرب البانينيه يتخذون
لا الوثوب بهم ولكنهم لا يستطيعونه لاستتار الحبشة بالقوة دونهم . حتى انهم
فيهم شائخ كانه من سدة الافدوا الحميريه واسه : سيف به ذي يزنه فانه وهم
الاحباشه جيشا الى به من القرس : مع نحو مائتيه مائة في ترجمة سيف
الذكر : فاعاد الملك الى اهلهم واستقر به سنة ٤١ هـ . والحميريين
(١) جمع ذو : وهم ملوك اليمن الحميريه المبدودة اسماءهم بذو : منهم : لغة
ذو يزنه و ذو عذابه و ذو جدبه و ذو سلميه وغيرهم .

أما انفردت بل قبائل اليه تختلف عن العربية المجازية بفردية كثيرة في ألتا بتر
 وعلما لا رابا الفاظ لا يبرز إلا غير البهاينة : فما اختصوا به من الفاظ :
 البهاينة ، وموقيل ، والدرواع ، والناسيب ، وللملحطة ، وفردية
 ما ورد في لغة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم التي بعث بها إليهم ولما يطلب
 من قبيلة بلجيتا ولغتها . ورسالة مفصلة في أكثر كتب الأدب والتاريخ . وما
 خالفوا فيه غيرهم من قبائل العرب : الوثوب : يعنونه به القعود . وإبدال لهم
 التعريف بالميم : يقولون : طاب امرؤاؤ ، وجاد امتأؤ ، وصفا فنجوا ؛
 يريدونه الرها ، والثناء ، الجوى ، ويحفظونه رسولا له من : انه جماعة من
 الحميرية سألوه عن الصيام في السفر فاجابهم بمقتهم : ليس من شأننا
 الصيام في السفر . يعني : ليس من أعر الصيام في السفر . والعامه
 في معروفتهم منهم يقولون : ابارح . إذا ارادوا ابارح . . وصلا : الوشم
 وهو ابدالهم السين تاء يقولون : ألتا بنتا . يعنونه : الناس
 بنتا . والسنينة : وهي ابدالهم الكاف سينا : سمي أحدهم في وقت
 يقول : لبست الله لبست . أي : لبست الله لبست . وهذه
 اليوم في كثير من القرى والبوادي . ويقفونه على الألفاء : يقولون :
 حرييت ، ولغويت ، ونجديت . وهم يريدونه : ربية ، ولغوية . وهذه
 أيضا لغة اليوم في المدارس المسيحية في بلادهم . والبت في هذا
 بطون . ولغتهم علماء العربية لا يعتبره كلهم في لغة لغاتهم
 الهند (الزهر : للسيوطي) . وعلماء الآثار اليوم يرونه بونا بعيدا
 بينا وفيه العربية المجازية ، ورسالة فيما عرنا عليه من كلهم ، حتى شك بعضهم
 في أنزاعه من العربية وعدها لغة قائمة بنفسها . قال البستاني في
 دائرة المعارف (٧٤ ص ٤٤) : وزعم بعضهم أن لغة الحميرية تختلف جدا
 (١) البهاينة في لغتهم : الذية استقرار لغتهم . وموقيل : جمع قنيل وهو دور الملك

والشامية : الدزلية . والدرواع : الدزلية .

على العربية حتى أنه لم يميز بينها معاً . وأول من بين لدور زباد وجود الكتب
 الحميرية في المقاطعات الجنوبية من بلاد العرب كقول العالم نيبور . وذلك سنة
 ١٨٠٩ م (١٨٧٧ هـ) ثم كثرت عدة لتأليف آثار في ظفار
 وصنعا والخرية وما رُبَّ حرم بقيس وحفصوت . وفي المتحف
 الانكليزي بلونده . نموذج من نسخة الواح نحاسية باللغة الحميرية ووجه
 في حفصوت ؛ وجوهتان عليها كتابة حميرية هيى بها ما بل . واكتشف
 ابحاث بلخير وكوغدون عدة الواح برززية عزرا عليها في القوب
 به صنعا والعدياها المرمية . قال البستاني : ووجد حديثاً كتاب
 كثيرة حتى صارت تعد بالمئات . والاعرف الحميرية اكتشف مسبو
 كهور في ابيه (جزء في ستة اجزاء) متقنة علم تلمذ من مبدع .
 والكتابة الحميرية تختلف عن غيرها من لغات القبائل العربية باختلافها
 وخطها يعرف بالمشند وهو قريب في صورته من الخط السرياني . ونقل
 صاحب المطالع النصرية عنه اياه في قوله : والحميرية ~~خط~~ خط اهل ابيه قوم
 هود وهم عاد اولى وكانت كتابتهم تسمى المسند الحميري وكانت عروضا
 كلاً منفصلة وكانوا يسمون العامة به تملأ فديو ~~خط~~ بنفاطها احد
 الدبازهم حتى صاروا ~~خط~~ خطهم وليس جميع ابيهم ~~خط~~ اهل
 . وعاشه حمير حميرية في تلكه بعد ابيه ودل له حمة ارود : ملك ،
 وعامر ، وعمرو ، وسعد ، وائله . كما في الحارث لاديه قتيبة . وبن بطوه
 حير علي بازر ~~خط~~ الفلقندي في كتاب الوساب : الكاسك ، والشعبيون ،
 وبنو الرتيان ، وقضاة ، ويطوه قضاة ، وبنو عبدة شمس ؛ وبنو ملك
 حير : اتيه ، والادواء ، والوقيل . وعلم ما في تاريخهم واجبا علم من
 النصوص تجد في كتب التاريخ انبيرة كتابه خلدوه واسماهم كلاً كثيراً
 عنهم وفيه ما تؤيده الآثار المتشقة في عصرنا هذا .

تَبَّعْ

مات في سنة ١٠٥٤ هـ

المعنى كبر من ملوك الدولة الثانية في بلاد اليمن كان يقبَّب تبَّع . كما كان
 الفرس يدعونه ملوك منهم كسرى (عرب حُشُرُو الفارسية) . والدم
 قيصر (عرب : ~~سيف~~) . والترك خاقان . والحبة النجاشي)
 عرب النجاشي في الحبشة ، وهي بالكاف المشمة بالميم بها في العبر . وانتاز
 تبَّع هكذا في ورد ذكره وذكرته كثيراً في مواضع يهودية وهو ذو الفتوح
 ومثان . واسمه حسان تبَّع وابوه تبَّع اسمه ابو كرب الحميري
 (قدم ابو الفداء) . كان له اعظم ملوك حمير ولعله اثرهم غارات واطفروهم
 قتائب . قال الامام ابيه جابر في تاريخه : سار تبَّع بجيش عظيم
 حتى انتهى الى سمرقند يفرز ويفتح وكلما دخل مدينة او قرية كبيرة
 اختار من حكمائها وذوي العقول الراجحة ما ينال عدواً لا يقل عن العشرة
 فاستصحبهم معه . ثم انصرف فاخذ طريقها ثم فاضلت ريشته
 واعتقل منها اصحاباً من اليهود معهم فيه سيرة معه من الحكماء وماكره
 راجعاً نحو اليمن الادوية يديه من الاخبار والكرهية والحكماء ما ينالهم
 اربعة آلاف رجل . وبينما هو يلجج سائر تلك اليمن كان الاخبار يفتون
 عن دور ياء واكتتب السادة حتى استمالوه اليهم . ولما قرب من مكة شاع
 في الناس انه يريد هدم كعبة نزع اليه اصحاب محمد ثوبه بشاة مكعبة وانما
 بيت (هم وما زالوا به) انه كانت لا في نفسه هيبة تمنع ثيابه من عار ملغى
 وفيه ابراهيم خليل ورضيها فقتل في مكة ركباً من اهل بيت النبوة فلهذا
 كسى لبيته . ثم سريقة يثرب (المدينة) وعاد الى اليمن فاستمرت بينه وبينه

ربيه فوه مناظرات في امر دينه الجديد و كانوا وثنسيه يعبدونه بيتا سيد و
 بزعموه أن به آتيا يحكمهم ربح في اليهم . و ثبت تبع . و تبع جماعات منهم
 و اخره كثيرا من الذين قادموه في نشر دينه . و اعتزل له جماعة بقواع دياتهم
 . فهدم تبع و اصحاب بيت عبادتهم . و اتخذ في اليمه مد يني . و ما رب
 و « ظفار » فجلها كئلا يقيم في ايامه و ساء بمنزل في ما رب
 مبني بالصفاغ الذهبية . و يقضي فصل الصيف في « ظفار » بمنزل النبي
 من الرغام . و جعل في ما رب مكانا بيتا ابناء الملوك من حيدر تلموه
 به اللغة و الاخذوه فزودوا في التعليم و التربية . ثم ثار عليه جمع من
 قوه فقتلوه . و قيل بن مات في « غسان » من بلاد الهند .

هذه اخبر تبع حسان اياما في الحضر كما ترى من بعده الكتب
 العربية الموثوقة بلا عند اصحاب هذه اللغة و اما آثار التباينة فحق
 ايضا الذي نعه فيه لم يكتف للباحثيه من ارضها فامعه و لا وضعت
 حقيقة و عاها تبنى المولد الدارسة بأقدار ثباتها و اهلها
 ادوليه و لوبه صلب . اما زنه صاحب الترجمة فلم أر ما انه
 به من اذقوال العربية و كتب التواريخ غير كاملة يستأنس بها من
 أرودها و حافظا به عاكر قال : و به تبع و موله رسول الله صلى الله عليه و سلم
 الف سنة . فأضفت ما بينه موله النبي و هجوت المؤلف فكان مجموعها
 الف سنة و ثمانا و خمسين سنة . و انما هو تقدير و تقريب : و قد يحسن
 ايرادها و يمتج بها عند فقده الحقيقة و امتناع التاكيد .

و ينسبوه لتبع هذا شعرا بزعموه انه ناظمه و اثبت شيئا منه ا به
 عاكر في تاريخه . اما عندى فقد ثبت من ذلك شيئا و نعه نرى المؤلف في
 اسما و ملوكهم قائما فكيف بالعزيز اليهم من الشعر مع كثرة ناظميه و المستغنية
 فيه . و هو غير ظاهر من المؤلف ما لوفى به قواعد اللغة العربية فليس بشيئا .

عمر بن لحي

— مات نحو سنة ٢٩٠ هـ —

كانت العرب حتى سنة ١٠٠ قبل الهجرة آخذة بدين ابراهيم خليل (ع) (الذي يسمونه
 اتبعوا ديانات مجاورينهم من الفرس والروم والوثنيين وغيرهم حتى نشأ في الجاهلية
 منهم يدعى عمرو بن لحي " به حارثة به عمرو " فبقيا من زوي من ولد كهنة به ساء.
 وكان من طاعتها شئ في الذكر داهية ضمت له الجاهلية وهو اول من ارضى الاصنام
 على تلك البقعة وحسب جعلها في مكة . وذلك انه اصاب بعدة شدة في عياله
 ستفادها فقيل له : لو قصدت البقاء من اهل مكة فانه بلا عنة لانه ائتيا برأت .
 فأتاها . فاستقم . فبرأ من مرضه . واخذت بيده اهلها وآلهم يبعدها عن
 فسألهم عن ذلك فقروا : هذه ارباب اتخذناها على شكل الالهة كل العلوية وموئنا من
 البشرية نستعيرها فنشعر ونستقي برافضهم . فأعجب ذلك . فطلب
 منهم منأ وبنل لهم ما يعولونه من النقر فذهبوا اليه فكبيل " واسم في اميرانية
 " صلب " وهو اسم اكبر اصنام الفينيقيين او مكنايينه ومن جاورهم من اسم
 قال النويري : وكبيل . صنم من فرز العقيدة على صورة انثى . فاحسنه عمرو بن
 لحي وسار به الامكة فوضعه على الكعبة واشترى صنميه احدهما امان . والثاني
 " نائلة " فعكف على عبادتها وارفعه وشيخته بعبادة اورثانه وتقليد عمه و
 العرب كافة لما رجع شائرا واحتراما والتقرب من افاضه السواد اعظم منهم
 رغبة اورهية . وشذ جماعة من عقودهم ونكديهم . ففرضوا الديانات
 المعروفة في ذلك العصر كالدراسيلية والنصرانية . ومنهم من اختار من هب
 المجوس او الزنادقة او الثنوية او عبارة الكواكب . وحبت فرجه مع رباته اول
 واستمر هو كثره مع عبادة الاصنام وتقريب اقاربه لا حتى جاء يوم فطرا
 وهو ل الناس عنه ابتغائها بعد انه كثر عدوها وقتل امرها واتخذ كل
 قبيلة من قبائل العرب صنما ابتدعت . ومنهم من بنى له بيتا ليكون كالكعبة ليحاف

حوله، حتى إذا ارتفع لصاحب ذلك الصنم شأنه أو كان له سلطان مع من جاوره به
 المتكبر، دعاهم إلى تعظيمه وعبارته وتماثل عنه بياسه وقوته . تشبهاً بقريسه
 في سائر الكعبة وسائر الأديان . وقد علم المسلمون نيفاً وثمناً من صنم
 وقين أنها كانت عمود أيام السنة . ومما شهدوا صنم العرب : جصبل . كائف
 ذكره . و « اساف » . وكاه مع الصفا . و « نائلة » . وكان عم المروة . و
 « مناة » . وكان عند ادوس والقرم في مدينة يثرب . و « اللوت » . وكان
 لتقيف في الطائف . و « الغزي » . وكاه لقريش وكنانة . و « ود » . لبني
 كعب بدومة الجندل . و « سواع » . لذييل . و « يغوث » . لذيحج . و «
 يعوجه » . لهندات . و « صنم نيرة » بضم ناء . بل هذا الكتاب .
 اما محروبه لحي المذموم : فقد كان في عصر سابور ملك العجم (قاله
 الشهرستاني) . وسوابير العجم ثلثة : سابور به اردشير (مائة سنة
 ٤٩٨ هـ) . وسابور به هرن الموفق بذي الكفاف (مائة سنة ٤٧٨ هـ)
 وسابور به ذي الكفاف (مائة سنة ٤٦٩ هـ) . واشهرهم عند كاه جزيرة العرب
 ذو الكفاف فانه غزاهم وكاه لهم حديث طويل . والذي ذهبت
 اليه في تاريخ صاحب الترجمة انه كان في عصر سابور الدول ورجحه
 عندي قديم المصنام في الكعبة ورجوعه إلى عهد ابيدوس عهد
 سابور الثاني او الثالث . وكذلك صنع السيد رفاعة الطهطاوي
 في كتابه بداية القديما وهداية الكلاء : اختار لعمرو معاوية
 سابور الدول . وهو متروك في انهم غير جازم .



— مات بسنة ٥٢٧ هـ م —

[illegible]

اضنى جذيمة في الوئيل منذ له قد عاز ما جمعت في عصرها عار
 مستعين خير لا تقنى زيادته في كل يوم واصل الخير دار
 وضايع له ابيه اخت يدعى عمراً وهو صفيه نرضى عليه زوجه ثم لقيه رجوعه
 اسم احد همامه والثاني عقيل . فأتياه به فقال لها جذيمة : تمنيا علي
 ما شئتما . فطلبا مناديه سابقا وبقيا . فلما آتاه اربعية سنة ورأى منها عقدا
 وأدباً فصيحاً حتى مات و فرقت بينها الايام . فقربت العرب بها الوئيل في
 تأكيد اللفة وطول العبة : قد ابو خراش الرئذلي يري اخاه عروة :

تقول اراء بعد عروة لاهيا و ذلك رزؤ لو علمت صبر
 فدم نفسي ان قد تناسيت عهدك وكمة صبري يا أيهم حيل
 ألم تعلمي أن قد تفرقه قبلنا خيل صفا : مدرك وعقيل

وكان بعد الجذيمة ، الدبرسة ، و الدبرسة ، لبرص كان فيه وكمة
 العرب هاجمته انه تنعم به فلقب بالوشاح . وقتل في تدمر كما ذكرنا و ختموا
 في مدة مئة سنة . سنة ٥٠٠

الفضل بن السلمي

— مات سنة ٤٠٠ هـ —

ما برحت الآثار الساطعة والاطول الهامة تذكر رائلا بيانها وتدل مشاهد
 علمت لها . فان علماء البصرة والاصحاب الرصدات المولعية بهو سفار وميث
 عه الآثار كلها مر واحد منهم بتلك الأخرية المبعثرة به في ذلك المكان
 المائل به الكوفة والقارسية استوقفهم بها فنقبوا وحققوا استوقفه
 منظرها طويلاً فنقب وبحث ثم كتب ما وجد . فاما يا فتى فثبت عنده ان
 مجاورى ذلك الموضع كانوا يسمونه في عصره « طيز / ناباذ » . وسبقه المبياه ذلك الموضع
 ابو زبي

البورزي . واقفقا على كنه اسمه دولة ضيزنا باز . وكلمه مجازيه الفرس عرفوا
 الصناد طاء لانه لغتهم خالجه من الفار . وقاله : ضيزنا باز : مؤلفه من كلمتيه "
 ضيزن . وهو اسم بانيز و " باز " ومعناها بالقافية العمارة فتكون زمناً
 عمارة ضيزن . " وعرفت العمارة في العهد البورزي فقلت " طعيريات " وهو
 اسمها التي اليوم على ما جاء في مجلة لغة العرب البغدادية ص ٤٩ . وربما تدعى العربيات
 كما جاء بها ايضا في مواضع مختلفة . وهي كما في معجم البداهة تبعد عن القافية في جارة
 الى ج صافته سيل . وكانت في صدر الكلام من أنزه المواضع مخفوفة بالكسرة والشكر
 والحانات والمعامر مقصودة للهو والبطالة وفي القديس كان قد كانت غرائباً ولم
 يسجد إلا الاثر قباب كما نوايسون . قباب الي نوايس " لذيبيات نظراً لبورزي نوايس
 اوردها يا قوت (ج ٦ ص ٧٩) . وهي اليوم آثار اجنية في تبول وهضاب .
 اما شيء دعائلاً والمنسوبة اليه فهو صاحب هذه الترجمة : الضيزن
 ابيه معاوية بن ابراهيم (او ابراهيم) به سعة به سبيع به طوان به طمان به طمان بن
 قضاة (كذا النسب في كتابي المعجم والفتوح رواية عن الكلب) . وكان ملكاً
 مذكوراً ببهايس والمنفة تحتاه اقبال العرب ومكولها . فكانوا يراؤونه
 ويسالمونه خوفاً من بلته . وكان قد سبقت الجزية الى الامم . والعرب في
 ذلك العهد ، كانت له كتب الثقة من مؤرخيهم ، كانوا يبه جاذبيه سيبه
 تويبه " احدهما دولة الفرس وهي لونا لوجهه ان في تقريبه من داناها من امراء
 القبائل ومولك العثر فتنم عليهم وتقس اليهم ثم تطلقهم في بلاد الروم
 يمشونه بلا فساداً ويقفونه سكاناً . والثاني : الروم . يصنعونه صنع
 الفرس ، حذوك النعل بالنعل ، وكان الضيزن من يافاً للروم تنزاً
 اليهم يغير رجاى مع المراه والسوار . وذلك في ايام كسرى سابورزي كتيه
 وهو من بناء موكاسرة واشدهم عداوة للعرب . فجميع حيث كبيراً وزحف
 به الى بلاد الجزيرة حتى بلغ " الحضر " وهو بناء بناء الضيزن ، ارمية كغيره من

فما الضيق المصلي واقام سا بور مدة لا يُرشد لما فتوحه . وزعموا انه كان
مضيقه بنت تدعى . النقية . رأت سا بور فأحبته ورأسه ثم رثت له سبل
ودخل حصن فدخله وقتل الضيقه . واسترجه وامر بهدمه . ولعله اخوانه
الذي اراده صاحب القسبة المشهورة وهو عدي به زيد بقوله :

ايه كرى كرى الملوك انوشروان ام اين قبله سا بور
وبنو وصفه كرام ملوك الروم لم يبعه منهم مذكور
واخوانه اخوه اذ بناء واذ وجلة يحيى اليه والاقا بور
شده مررا وجدد طساً فلتطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه ملاحور

النعمان الساج

— مات في نحو سنة ٤٤٠ هـ —

النعمان بن ابراهيم القيس بن عمرو بن ابي اسحاق : احد ملوك حميرة من قبل
ملوك الفرس : وكان شجاعاً كثير الفارات رفيع الذكر . غزاهم راراً
تجربته الفرس ، ثم سبغت في الترجمة الى لغة امة امة الى ، ففهم ورجع وظهر
واخذ كنيته مازها على جنده : احداها كانت مؤلفة من رجل الفرس ،
وساها الشهباء . والثانية مده تنوخي وساها دوسر وهذه يُفخر بالمثل
في (بلش) فيقول : ^{منقول} ~~صالح~~ مده دوسر . واجتمعت له في حربه اموال كثيرة وكان
موصوفاً بالعقل والدهاء منقوفاً بالزعم وبعد النظر . وكان له معاشر
ليزدهروا المعروف بالوئيم ، ملك الفرس . فدفع اليه ابنه بهرام (الذي
يُسمى بهرام جور) ليربي ويهذب . فانشاء مع غاية ما يكونه منه حبه وفضله
الشجاعة والفروسة . وطلعت ايام النعمان . وهو باني القصرية ببلخ
الغورية

المعدن والسدير . وفتنوا فيها كلهم كثير . ولا يخفى من الكثرة فخر في الحياة الدنيا
فلم يرها الا غورا . فذلك منك الشك والطمع . واستعاضه ردا
المكث ، بقاء الشك . وانصرف سائما في البدر . فانقطع خبره ، وخفي أثره .
وذلك بعد انه علم بتوحيده سنة وفيه يقول عدي به زيد وقصيدة تقدم بطلا :

وتدبر ربنا المودعة اذا اشرف لها وللهي تغلير
سره حاله وكثرة ما يمسك وأبهر فخرها والسدير
فأرعى قلبه وقول : فما غبطة حبي الالهات يصير

ومطعم هذه القصيدة :

ايالات المعيرة بده اأت الهذا الموقر
وفي ختام بعد ذكر الملوك وآثارهم :

ثم بعد الفروع والمكث والتمرة وارتم هذا القبور
ثم صاروا كأنهم ورده جف فأتوت به الصبا والابور

ولا غاب النعمان وتحدثت الناس بأمر عذرا على بيه آتاهم عرفوا منلا
ما صار اليه حاله فتولى مكانه المنذر الاول . وتعاقت الدنيا والموضع
من بني لخم حتى آل الامر الى المنذر به ما اسماء التي خبره .

المنذر بن ماء السماء

هو مات نحو سنة ٥٥ هـ -

المنذر بن ماء السماء : احد ملوك الجيرة وما بيلها من جهات الرواح . وهو
من اعظم رجال هذه الطائفة المحمية ومن كبار مشيرها ومنايرها . ينسب
الى ماء السماء وهي أخت كليب الملال التي ذكرها ، وكان يفتني بها اذا
هي القتال فيقول : يا أبا ماء السماء ! لم ويقال له المنذر الثالث

كليب وأهل

- ولدت ١٨٧٠ وتقرنت ١٨٧٤ م -

من أمراء العرب الذين تشبهوا بالملوك في سلطتهم وسعة ديارهم وإن لهم دخلهم
لكبرهم صاحب هذه الترجمة: كليب بن ربيعة بن الحارث بن ثروة التغلبي الوائلي
من أحفاد عدنان. سيد الميئين بكر وتغلب ابنه وأهل. ومن السبعين المذكورة
في الحمير. كانت منازلهم في نجد وأطرافها. ولما جئناهم قبالهم في دارهم
التي كانت في بني ربيعة بن تار كانت لهم دار فالدبر من ولد. وكلما ولي المارة
جاءهم اتخذ له شارة يعرف بها. فكان لو المارة بعد جدهم ربيعة في
بني هذه به أسد به ربيعة فجمعوا سنتهم التي يتنازرون بها أنهم يوفرون لهم ويصون
شواربهم ولديهم لغيرهم من قبائل ربيعة أن يفعل ذلك إلا ما أراد
محبهم وقتلهم فيفضل فرقا لهم من بنيهم ونبدأ لطاعتهم. ثم تولى اللواتي
بني عبد القيس به أفصى به دعوى به جديدة به أسد: فكانت سنتهم أنهم إذا شتم
أحدهم ظلم به شتمه وإذا ظلم قتل به لظلم يرون ذلك حقا لهم لا يمدون به.
وانتقل اللواتي لا يبريه وأهل: فكانوا يوتقون فرخ طائر ويضعونه في قارعة
الطريق فإذا ظلم بكاه لم يسد أحد ذلك الطريق وإنما يتنهي عنه بعيدا
ومنه دنا منه أو حازاه فقد خرد ~~حصة~~ الأسرة المحكة وجازقته. ومنهم
تولى اللواتي لا تغلب فوليه كليب بن ربيعة: فأتخذ جرأ كان إذا جلس في روضة
أو مكان يضرب ويثقبه فيموي فحيثما بلغ صوته كاه في حمايته فلو يرى كذا
منه ولديهم فيه ولديهم أي أحدا له. رتلوا أن اسمه وأهل وكذلك لما اتخذ
الجر وكان إذا عوى هابتعد الناس يكره بعضهم بعضا ويقولونه: هنا كليب
وأهل فغلب ذلك عليه. وزار في منزلة كليب أنضام قبائل معبلة وقيادته
لمجوعهم يوم خزاز وهو من أبام العرب المشهورة كان بينه معد واليمن فأظهر
كليب شجاعته وبسالته ففزع جموع اليمن وهزمهم وأطاعته معد فوثقه برأ
ودخله

ودخله زهو شديد وبني عمر قره حتى بلغ منه بغيه انه كان يحس مواقع السحاب
فيقول: ما اظلمت هذه السحابة في محاري، فلو جرت ما تظلم. وكان يقول: وحس
ارعه كذا في جوارى، فلو تصاد. ولا يورد احد مع ابيه. ولا توقد نار
مع ناره. ولا يمر احد به بيوت. ولا يجتبي احد في مجلس. وهي ارضا
من العالية في اول الربيع فكان لا يفر إلا احد. وبه يُغرب الحقل يقال: هو في
حس كليب. لمه كانه آتيا. ومنه اجده تارت حرب البسوس التي هي اطول حرب
نشبت في ابراهيمية: قيل: دامت اربعيه سنة. وسبيل انه رأى ناقة تترعى في ارضه
العية التي هي في حاه فرماها باسم فقتلها. وكانت الناقة لرجل يلقه له سبعة
الجرمي نزل ضيفا عند البسوس بنت منقذ النعينة خالة جاس به مرة وهو اخو
زوجة كليب. فوقع الشقاق به جاس وكليب على ما هو مطور في كتب امثال
وانظر كتاب الصيبي المثل «لصاحب هذا الكتاب» وجعل جاس يترقب كليباً
حتى انفرده يوماً فقتله. ونشبت الحرب به التضييعة رهط كليب والبركتين
رهط جاس. وكان بطن تلك المواقف مهلل به ربيعة اخو كليب، وسأله
ذكره في دليان الشراء. وفي كامل التواريخ كلوم طويل عم يرم البسوس كما في
اكثر كتب التاريخ والمؤرخ. وجاء في سمر مبدان (ج ١ ص ١٤٤): قوله: وروى
الذنايب قرية دونه زبيد من ارضه اليه وبه قبر كليب وائل... قال مهلل يريه:

اليلتا بندي حُسم أنزيب	اذا انت القيت فلو تورد
فانه بك بالذنايب طال سلب	فقد اكبي رهيل القيد
ولو نشئ المقابر عه كليب	لجبر بالذنايب اي زير
فلولا الريح أسمع اهل حجر	صليل البيه تقزع بالذور

والزير لقب كان يدعوه به كليب لونه مهلل كان في صباه يكثره عتق افاء
فسيح اخوه، زير النساء، فلما قتل حجر مهلل ذاك النسيم وعطف على السبع
وكفاج... البيت لا خير يقال انه لول كذب ورد في سمر مبدان لونه به الذنايب

وجرى سبع ليال . وله في كليب مرات كثيرة يأتيه بعضا في ترجمة ابي شاربه .

ذو نواس الحميري

— ولد سنة ١٧٥ ومات سنة ١٠٩ هـ —

اشرف في بعه ما تقدم اليه من الملوك الحميريين وما ترحم في القطر الباني . وصاحب هذه الكلمة هو اذ رفته به كعب الحميري . احدى ملوكهم وروعة فيهم . ولقبه ذو نواس لانه كان له صغيرتان تنوسان (اي تضطبان) على عاتقه . وهو صاحب الخلافة المذكورة في نفاة الكرم . وكان من حديثه انه جفده ان رجلاً من الرعاة الى النمرانية والمشرية بلا بعثة آل جفنة ملوك غسان الا اهل غزاة فقتلوا وكان بين اليهودية فقاظه ذلك وسار اليهم فقبضه فامر باخاريد حفرت ومداهاجين . وجمع من في المدينة فحبس بعضهم على النار من تبعه نجاباً ومنه ابي هو . حتى قتل منهم جماعة كثيراً . وانفت رحى بنهم احسن . ودوس ذو نعباه . فركب اسير وقرأ الى النجاشي ملك الحبشة وكان مع النمرانية فحدثه بما حدث . فكتب النجاشي الى قبيصة يعلم ذلك ويستأذنه لي اتوجه الى ابيه فأتاه بمواب بالديكاب فبرز جيشاً عدته سبعون الف مقاتل وزحفهم يريد صنعاء فاستقبله ذو نواس بجيشه على سهل البحر الأحمر عند معسكر فقتل النجاشي وشعر ذو نواس بالهزيمة ورأى انه الموت قد كمن له به شفار اسيف العبيد فركض جوارده برجله ركضته ابغترها اسير ودعى ذو نواس الحياة وهو يوطم الموح وبعارك اكيثان فقتلوا بطون اسماك وهو عزيز كريم علم الوقوع في اسر السودان واعتلواهم واذلواهم له : فمات شريفاً !

زهير بن جناد الطائي

- مات سنة ٦٤ هـ -

زهير بن جناد بن كهل بن عبيدة (وعبدت) به كنانة به بمر به فوف به عذرة الطائي
 مه اصلايمه : احدا العرب المشهور به وشراهم وزوي الراي فيهم : وكان
 يدعي الكاهن الصمة رايه . ولا ينبغي عا ظفرا بيوم النقية . عاسه
 طويو : ومؤرخونا يذكرون عهدهم ما يقولونه عهسا المجرية . وهو
 احد الذين شربرا الزمرقا حتى ماتوا (انظر ترجمة مديب الدولة) . وفيه
 اخباره انه لما بلغه ان بني بغيض به ريت به غطفاه بنوا حرنا كرم مكة ليقن
 صيده ولديها مع عائده قال : والله لا يكونه ذلك وانما هي با . فنادى في قومه
 ففرا بني بغيضه فلفف بهم واخذ قارضا منهم في حرهم فقتله وعظمه ذلت لهم .
 ثم رجع مع غطفاه ورد الساء واخذ مطوايا وقال في ذلك حبايات :
 فم تصبر لنا غطفات لما تنوقينا واحرزت النساء
 فمروا القملنا ما رجعتم الا عذرا وشيئا الحياء
 نفينا نكف موعدا وعنا بارماح اشرا ظلو
 واشتهرت واقعة مع بكر وتغلب ابي وائل : وسبيل : ان ابرهة مشرم حبه طلع
 لا نجد اتاه زهير فاكرمه ونفقه علمه اتاهه العرب ثم اقره على بكر وتغلب
 فوليهم حتى اصابهم قحط فلم يوردوا الحاج فقاتلهم زهير فذقه ابه زياة ولله
 فالتك من نام فاعتمد بالسيف مع بله زهير حتى ظن انه قتله ولحقه اعداء زهير
 فلم يترك للبيهود اليه . فلما انصرف النبي الهم اخبرهم انه قتل زهيراً ولم يكن
 مع زهير الا نفر من قومه فارهم انه يظنوا انه ميت ورحلوا به مجدي به الزورهم
 فشفي رجع جميعاً مه اصلايمه فراجم بكرأ وتغلبه فالتك فيهم واسر كليباً وطلاط
 ابني ربيعة وجماعة مفرسانهم وقال في ذلك مديب :

اية اية العوار من حذر الموت اذا يتقون بالاسلوب
 اذا سرنا مهننا وأخاه وابه عمرو في القيد وابه شلاب
 وسبينا من قتل كل بيضاء رقوم الضمى برود الرضاب
 واستدارت رحى المنايا عليهم جيون من عامر وجناب
 فم به هارب ليس بالو وقتيل مغف في التراب
 فقتل الغز غزنا حيه سمو مثل نفس السماء فوقه سما
 وكابه زهير خليب قضاة تأسيدها وتسرعا ، ووافدها الملك ، وبلدا ،
 واجتمعت فيه فصل محمود لم تجتمع في غيره واحصى بعضهم ما خوف له القروات
 والمروب فبلغ مني واقعة واستى وطال مره حتى فاض صنف عقده مات
 مترا شرب الخمر مرغا عودا سيأتي بيانه .

المندرين ما السماء

— مات غرسة ٦٤ هـ —

المندرية اربى القيس النخبي : احد ملوك الحيرة وما يبرل من جلات العراق وهو من اعظم
 رجس هذه الطائفة الماكدة ومن كبار مشاهيرها ومفاويرها . انه ما السماء
 اخت كليب وائل ؛ ان به ذكره ؛ وكان المندر ينتهي بلا في حربه بعدد حربه فيقول
 : انا به ما السماء ؛ فشبلا . وقيل لولا كانت حميدة . وصاحب
 هذه الترجمة هو المندر الثالث : ولي تلك الحيرة بعد ابيه سنة ١٠٠ هـ
 وذلك من قبل ملوك الاعاجم ومنكم الما صر له كسرى قباذ : وفي ايام
 ظهر مزدك الفارسي ينشر مذهب الزندقة فاختره قباذ علم المجوسية ودعا
 اليه المندرية ما السماء وهو نائب علم العرب فابى المندر متابعه . فاضمر له
 قباذ حقا . وها به قد اشتد في زنه ملك من ملوك العرب يدعى الحارث بن عروة
 ابيه حمر الكندب : عازله في نجد وهو من بشل الدمرار ودوي النجدة منهم
 وسياق

و - يأتي ذكره في ٨ هـ عم ابنه امرئ القيس الزحر . فدخل الحارث هذا ف
 مذهب ذلك وهو اوثان . وبلغ ذلك من العجم قباز فسّر ولقد
 المنذر به تلك العزاة وولّى مكانه الحارث . فدام للحارث الملك حتى مات
 قباز وتولى مكانه فارس كسرى النوشروان المعروف بالملك العادل وذلك
 سنة ٩٤ هـ . وكان كاهنًا للزندقة واشيا عرا فقتل من ذلك
 الزنديق واصحابه ولحق الحارث الكندي واعاد المنذر به ماء السماء . فدام
 من العزاة في بني لخم حتى جاء منسوم . والمنذر هذا هو بابي القريين
 وصاحب يومئذ البؤس والنعيم ، وذلك في رواية الاغانى ، واما في القالي ، وصاحب
 يا قوت ، وكامل ابنه لثيرة ، وقال الجاحظ في المحاسن ومختار ، وابنه قتيبة في
 الشعر والشعراء ، والمعارف ، والجوهري في الصحاح ، والزبيدي في التاج : بل هو
 النعمان به المنذر . يأتي ذكره في هذا خدوف الموارزية فاختار احد القوم
 والفرّيان : بنا آن في ظاهر الكوفة دفن فيها رجلان كانا بنا دما المنذر وهما :
 خالد بن المضلل وعمرو بن سمور الاسديان . غضب عليهما بونا وهم يشربون فامر
 بها فقتلا . فلما اصبح وصحا لعل عنهما فاحبر بما كان فندم وامر ان يُبنى
 عليهما طرّبانان ليقرأ عليهما . وجعل لنفسه في كل سنة يوميه احدهما لبؤس
 والآخر في النعيم : فكان يضع سريره بينهما فاذا لم يظهر له في يوم لبؤس يذهب ويذهب
 الفرّيين بدنه . واول من يراه في يوم النعيم ينحى عنه من اجل وينذر عليه
 احسانه . وظهر له في احدا يوم لبؤس فحسب به موبر من اسديان وعروا فدا
 عليه رجاء خيره ولم يكنه داريا بذات اليوم فتدور فيه المنذر ثم قتله لانظر
 ترجمته تحسيدا في ديوان الشعراء . وما زال على تلك الحال حتى اتاه في يوم لبؤس
 حقلته به الي عفرات فعرضه على القتل وكانت له عند الملك المنذر يد فساله
 انه يريد سنة يرجع بها الي اهله فينظر في ارحم ويعود في مثل هذا اليوم فاجاب
 وكفله شريفة به عمرو الشيباني فلما كان اليوم الموعد اتى منقلبه وقد كفّن ونظ

وحاد بنادبه فمعب المنذر به وفائه وسأله عما جابه به بعد أنه أفلت من القتل . فقال :
إني لي ديناً بمنعني من القدر قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . ووصفها له فزأها
المنذر احبته اليه ما كان عليه فقتله ودعا أهل المدينة إلى النصرانية وبني لاكنائس
وعفاة الطائي والبطرك القار . وعاسه إلا ان حدثت بينه وبين
الحارث به أبي شمر الفاي شؤن وتوقيا بجيشها في موضع يعرف بعينه أباغ :
وهو داء وراد المنابر على طريقه الفات إلى التيم . فقتل المنذر وانزله مع
وهذه الواقعة مذكورة في أيام العرب مشهورة باسم الموضع الذي كانت فيه .

الحارث الفاي

- ولد نحو سنة ١٢٤ ومات نحو سنة ٦٤ هـ -

الفاي هو من قبل مواسم ترجع إلى أصل يمانية تفرق
أهلها من اليمن عند الفجار من مارب . والمؤرخون يصفونه في أخبارهم على
ما سوره وانما يتفهم لنا انه الفايانية كانت لهم الولاية على جميع أطراف
الأمم من الجنوب والشرق وشمال الشرق : تمتد جنوباً إلى الحجاز وشرقاً
إلى حدود ملوك العراق من الفخيرية . ولم يصح ملكهم لدشعه وانما كانت لهم
الزعامة والولاية مع عباد التيم كافة . ولما كانت عاصمتهم بصرى (الكثير)
في حوران . اما دشمه فلما كان أكثر سكاناً من الروم يحكمها امراء من قبل القبا
أصبوا بالقسطنطينية : كانوا يقرّون امراء غسان منهم ويكرمونهم ليكونوا
لهم منجاً يدفعونه به غارة الموحدين لا جراً من حرب الحجاز والعراق .
وسموا غسانه لئلا يروا لهم عدوا يدعى غسان بالقرب من التيم وهم قادمون
من اليمن . ولما كانت الديانة التي تلت فيهم هي النصرانية وفيهم وثنيون
كثيرون . وطالت مدتهم نحواً من مئتي سنة . اولهم حقة به محمد
ابن ثعلبة به محمد بن زيفاء وآخهم جلد به إبراهيم الذي سلم وارثه .

والعبد مديار اثم فان لا علم لثمة ما تضمنه الآثار التواضع لآزال
موضع بحث الباحثيه من المستشرقيه و علماء العاديات و آثار والتاريخ . والهدف
مابرع قائما في ما يتعلقه بالفانسيه من وجوه اربعة :

اولها : هل تلك الفانسيه يهود اثم كهل ام يهود ؟

ثانيها : هل حملوا دسوسه ؟

ثالثها : لما ذا سُموا غانسيه ؟

رابعها : هل كانوا جسيم انساني ؟

فاما متداولهم الديارات مية فند دليل عليه فيما جاء في كتاب التبريد موسوم «
قد مؤلفه الفاضل (ج ٤ ص ٤٤) : «...والذي يترجم عنه تأل الفوس لما
وقوا الروديات الرومانية سنة ٦١١ م اقر واطوك فان علم ما كان لهم
واقاموهم موكلا علم اثم ولا استعداد قتلهم الفوس اليهود لم يثا ابرع
مديوك غسانه الروية لضعفه في حرب الفوس وخوفه به شغب القوم فاستمرت
بيهم ولاية دسوسه الاحيه الفتح مكسوبي . بن هناك دليل آخر علم انه سلة
بن غسان يوسند تجاوزت ولاية دسوسه وربما شملت سورية كلها فقد ذكر
المؤرخون انه جبلة به اويهم آخر موك غسانه ابنتي ييه اللوذقية وطابسة مدينة
سماها باسمه وهي جبلة التي لم تزل عامرة الى هذا العهد ... لوجوم ان
سلة العرب كانت يوسند بسلة علم اثم وكانت عاصمة موكهم دسوسه ولولا
ذلك لما تسمى لبللة انه يبتني تلك المدينة ويسمى باسمه . وهذا القول
لم يشاركه فيه غيره من اهل البحث والنقد فيما نعلم فيثبت او يسلط .

واما الهدف في حكمهم دسوسه فقوي جدا ولفرقتي المختلفيه اذ لا وجم
فه القائمييه بسبب التشبه الكبير لتلك صاحب تاريخ اراء غسان (ص ٤٧)

Möller: Die Ghassan. Fürsten,
T. ٤٦ .

كان الامام عاصم الفخري فانت الجانية في الجورية: وهي عبارة عن كبرية كان
 يكفلها قوم من كفر مع لواحقه تحمدهم يا ذوي البلا اهل التوبير واما مولد فسان
 ■ في وسطهم كثير في قبيلة يظنونهم قعدا ابتنوه في ظرايتهم « كذا نقلت المشرية
 وقد نقضهم هذا الحق قد هم لما ثبت في التاريخ من اعظام ملوك الروم لهم تقسيم
 عندهم ما لا يكونه شيوخ القبائل منه . رأيد احد الباحثين رأيك (راجع
 مجلة المشرية ج ١ ص ١٨٤ و ج ٢ ص ١٤٨) . وروا القاضية بابه الفاضلية
 حكوا وثلاثة اكدتور قانديك *De la Vie des Sultans* قاه في
 كتاب المرأة الروسية « ١ » وكانت - يعني وشه - قبل اسلام تحت آل جفنة ملوك
 غسان الذي يقول فيهم حاص به ثابت :

اراد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابيه مارية المعمر المتوكل
 يسقوه به ورد البريق عليهم بآدي يصقعه بالرصية لسل
 ومنه نقض هذا القول فحجة قول حاص في نفس القصيدة :

به ور عصابة تادتهم يوما بجلبه في الزمان الاول
 وعنده انه جله قرية من قري الفولة يربلا نهر بآدي ، لدوشه نقل ، ذهب الى
 هذا الرأي نلوك صاحب اراد غسان ودي يرشق ~~شبه~~ تاريخ الجاهلية :

(*E. de Tercaval: Hist. des Arabes* 223)

وفي اثرات عبد السلام (ج ١ ص ٦٠ و ج ٢ ص ٤٤٩) بحث حاد صاحب فيه اثبات
 حكم الفانية فيهم فراجع . فلم يكمه من الدور التي قد يربا الباصوة وكه
 واما سبب تسميتهم غسانية فلم يكمه من الدور التي قد يربا الباصوة وكه
 يا قوت في معجم (ج ١ ص ٤٩٠) اضطراب فيه فقال : « يجوز ان يكونه فعدوت
 من النفس وهو دخول الرجل في اليهود . . . وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازنه
 ابيه الازد به الفوت وهم الانصار (الدوس والخزرج) وبنو جفنة وغزاة فسموا
 به

به... ويقال: غسان ماء بالمثل قريب من الجففة - وهي قرية بين المدينة -
 .. وقال نصر: غسان ماء وباسمه بين ربيع وزبيد واليه تنسب القبائل المشهورة
 التي آخذت منه...

واما نصرانياتهم فالكثرة على انه الذي كان غلبا على تلك القبائل فهو
 النمراني لا أن جميعهم كانوا نصاري. وكتاب ~~الكتاب~~ انت من أكثر ما يثبت موجز
 مفيد يؤخذ منه هذا القول (راجع مجلة لغة العرب ج ٤ ص ١٩١).
 وهذه مقدمة يسيرة لدفعي بالراء وكذا ترشد الباحث المظان البحث،
 ومواضع الخدوف وعلى الآثار توضح لنا ما جهرهنا وتكشف ما ودونا.

اما صاحب هذه الترجمة فان الحارث الفاي « لقب يتناول كل من يثقف
 أو أثر في بني غسان، ولفظ الحارث فيهم مطلق فيهم في الروم وكسرى في الفرس،
 والذي اردناه هو ترجمة أشهر ملوك غسان ذكرا وابعدهم صيغ الحارث
 الخامس المعروف بالاعرج، بن ابي كسرة جيلة، به الحارث الرابع، به كسرة،
 صاحب الوقائع المشهورة في عرب الحجاز والعراق ومصر وحيث كان يثقف
 الانصارى الكثر. قال ابنه عتيبة في كتاب المعارف: وانه (اي الحارث)
 مارية ذات القرطية. وكان غزا خبير فسي ما هلا ثم اعتقرهم بيا
 قدم اسم وكان سار اليه ^{المنذر} المنذر بن ماء الساء في سنة الف نوبة اليهم
 سنة رجل نعيم لمبيد ~~المنذر~~ وهوهم. وأظن أنه انما بعث بهم لصالته
 فأحاطوا برأقه فقتلوه وقتلوا معه في الرواقه وركبوا خيلهم فنبأ
 بعضهم وقتل بعض. وقعدت خيل الفانيه على عكر المنذر فزدهم
 كما قدمنا في ترجمة المنذر. وكان الحارث بنت جميلة ^{المنذر} حليمة كانت
 قطيب أولئك القبايل الذي دخلوا على المنذر وأوقعوا به وهي التي ابستم
 الكفان وفوق الروع التي كانت تحمي الشيا في الظاهر. وهذه الرقعة

ذكرها به موثراً أيضاً وسماها يوم رجع حليمة (انظر الكامل ١٨٨ من ١٩٥)
 وفي هذه محادثة خدوف عند اصحاب الاخبار فبعضهم يقول: انه الذي قتل
 بلا هو المنذر به ما والساء وبعث يقول: بل مات المنذر في وقعة عليه اباغ
 - المذكورة في ترجمة المنذر - وفي الكامل تفصيل الخدوف فراجع في الكلام
 على يوم عليه اباغ ويوم رجع حليمة . وفي عليه اباغ يقول به الرعد الضباب:

كم تركنا باليمه عليه اباغ مه ملوك وسوقه اكفاء
 اطمتهم سحاب الموت تذي ان في الموت راحة او شقيا
 ليس مه مات فاستراح بيت انما الميت ميت الاحياء

سيف بن ذي يزن

— مات سنة ٤٩ هـ —

اسمه معد كرب ولقبه سيف به ذي يزنه المكنى بابي مرة الهجري : احد ملوك
 العرب الباطنية ودهاتهم المذكورية . ولد ونشأ في صنعاء . وكانت الحبشة
 قد تغلبت على اليهود اليمنية (سنة ١٠٧ هـ) ومكثوا بعد ان قتل ملكهم
 آل حمير (الاسم ذكرهم) . ثم اشبه ضغط الحبشة السور على الامة التي صنعتها
 وحاولوا بلا امورا لم تطفه الصبر على . فتوكت سواك الباطنية وهاجت اضعافهم
 واخذوا يشغلون وثبة تار يخفونه اليه . حتى نهض منهم احدا بناء ملوكهم
 سيف به ذي يزنه الهجري : وكانه شاباً عاقراً شجاعاً . فقصده قيسر ملك
 الروم وهو حينئذ في اناكبة . فمك اليه امرع وما صنعت الحبشة من اختصاب
 ملك آباءه وسوء حكمهم ببل اليهود وأطعمه بانه يملكه اليه اذا اخرج الحبشة
 من اقليم قيسر . فقصده النعمان به المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما
 يلا من ارض العراق . فمك اليه ما حل بهم . فقال له النعمان :
 (ان)

ان لي في كل عام رحلة الى كرى فانظر . فلبث سيفاً حتى كان الموعد ثم خرج
 معه فأرضع كرى . الفوشروان . ملك الفرس . فأتاه عدو شانه . فقال له :
 ايها الملك فبئس ما معك بدورنا الاغربة . فقال له كرى : اي مؤخر به الكبة ام السند ؟
 قال : بل الكبة . وقد جئت لتفري ويكون عندك بدوي لك . قال : بعدت
 بدوك مع قلعة فيها فلم اكنه لودر طبعاً مع فارسي بارضا الرب . ثم أمر له
 بعشرة آلاف درهم وصرفه . فلما قبض سيف الدارهم رأى خبر الامور ان يمتد
 فخرج وجعل يترقب تلك الدارهم للناس . فبلغ ذلك الملك . فقال : لو اني انا
 وامر باعادة فساد فقال له : عهدتني الاحياء الملك تنزه للناس به قال : وما
 اصنع بهذا وكل جبالنا مملوءة بالذهب والفضة ! فجمع كرى رازقة فاستأجرهم
 فقال لهم : ايها الملك ان في سموتك رجالاً قد حبستهم لقتل فلو بعثتهم مع
 فان يهلكوا كان عاتيد وان ظفروا ملكك بدوراً بدو شقة . فبعث كرى مع
 معه في سمونه درهم نحو ثمان مئة رجب وأثر عليهم رجلاً من اشراف العجم اسمه
 وفهر زين الكاجار وهو شيخ حسن . فاربهم حتى بلغوا الأبله فزلبوا
 البر في ثمان سقائن وخرجوا بصل عدن فاقبل عليهم رجال اليمه يناصرونهم
 فقتلوا ملك اليمه وهو سروده به ابرهة المكرم ودخلوا صنعاء ونزلوا
 البدر وكتبوا الى كرى بالفتح . فالتقت اليمه ببدر الفرس : علم ان
 يكونه ملك المتصرف في ارضهم سيف به ذي يزنه الحميري . واتخذ سيف
 غمده ان قهرأ له : وعاد الفارسيون الى بدرهم بار كرى . واستبقى
 سيفاً جماعة من السوران اشغوه عليهم وجعلهم خدماً له . ووفدت عليه
 وفود العرب ترسله . وجمع وكتب في الملك نيفاً وثماناً وعشرين سنة . فاشغوه
 عليه الذبه كانوا به بقايا الدولة الحبشية على قتله . فشدوا عليه بها وهم
 به يديه في موكبه بصنعاء ففر بوجه كراهم حتى قتلوه (سنة ١٩٠٥ هـ)

وبن كسرى خبر قتله فاسل اليه حيث آفر افنى به بلاد السوراث
وظلت اليه تابعة لمعوك فارس حتى جاء موسوم واقتتل المسلمون
سنة ٨٤٠ هـ .. وتجد اخبار الملك سيف في كتاب مروج الذهب لمعدي
والعادل . وتاريخ الطبري ، ربيعة لديهم ، واخبار الطوال لمعدي ، وتاريخ
الكتاب للعقابي ودائرة المعارف للبيهقي واكثر كتب التاريخ ، اخبار .

عمر بن هند

- قتل سنة ١٤٠ هـ -

اوردنا فيما تقدم ترجمته المنذرية ماء السماء من ملوك الحيرة الذي قتله الى
الغاني . وقد استولوا على ملك العرب من قبل الفرس بعد المنذر
ابن صاحب هذه الترجمة عمرو به المنذرية ماء السماء : واسم ام عمرو
هند الهندية **عليه** عمة امير القيس الكندي . واليها ينسب عمرو . كما
انساب ابوه الامه ماء السماء . ولما تملك عمرو وانتظم امره اكثر
الزور والظرف قوة وبأساً . فتأج خبره . وهابة العرب . والاطاعة
القبائل . وكان شجاعاً قاتلاً . واخباره كثيرة . وهو صاحب مدينة
الملك (انظر قصراً في ترجمة) . وقيل طرفه به العبد (انظر ترجمة) . ويلقب
بالحمرة : لشدة وبطشه وهو اولاده اخره سنة رجل به بني تميم وقسم
لدباس بالاشارة اليها : وذلك انه ملك ملوك العرب كانوا كثيراً ما يربون
اطفالهم اليهم القبائل المطيعة لهم ليتربوا بلا تربية بعيدة عنه وهو الملوك
وكبرياء ومراة قريبة من السذاجة ويتعلموا الفروانية والرماية ومهاجمة
الاربابل . وكان عمرو اخ اسعد اسعد : دفعه اليه بني تميم يتربى بينهم
فما ترعرع واخذ يتعلم الرماية مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرماها بهم
اصابها فقتلها . فغضب صاحب سويد الدارمي التميمي فغضب اسعد فقتله
هذا هذا قوله يا قوت في سحر البدان في كدوه عم اواراة (ج ١ ص ٢٤٨) واما ابنه
فقال في مكاس انه اسعد ابن عمرو به هند (ج ١ ص ٢٤٩) .

غيره فاخذ ففرب به رأس الملك عروبه صند فقتله وخرج فتبعه اصحابه فانتهبوا
ما في الخيام وانزله رجل عروبه صند . قال افنوه القلبي :

لنرك ما عروبه صند وقد دعا لنخدم يلى ائمه بموقعه
نقم ابيه كلثوم الالف صندا وأست به ندانة بالمختار
وجله عروبه الرأس صند به بذى شطبه صا في الحديدة رولعه

ولعروبه كلثوم قصيدة هي به افضل المملكات بناها مع قتله لعروبه صند
وسيا في ذكرها في ترجمته (انظر ديوان الشرا) . وبعد قتل الملك عرو
تولى مكانه اخوه قابوس به المنذر الذي تنوه المنذر الرابع الذي ولي بعده ولده
النعمان به المنذر في ذكره .

النعمان بن المنذر

- مائة سنة ١٨ هـ -

اشهر بكون الحيرة عم اهل طوس ابوقابوس النعمان بن المنذر القمي : واهية
ابيه في جماع صحو كثير من اخبار . تلك الحيرة ارضا عدايه . وكان قد
ضعف شأن دولتهم بعد قتل ابيه كلثوم لده صند . فلما ولي النعمان اعاها
سيرتها مولى وابغلا به الزحف فتراه وبه الغزة صا اقصاها . وهو
صاحب ايفاد الحب عم كسرى . والقصة مشهورة . نذكر خلاصتها : وذلك
أنه قدم النعمان عم كسرى فاذا عنده وفود من الروم والهند والحبية فذكر
ملوكهم وبلداتهم وشركهم النعمان في حديث فافتى بالحب وفقتهم مع جميع الملوك
لديستني فارس ولا غيرها فتألم كسرى فذم العرب واجابه النعمان بما كذب
ظنه في حديث طويل ثم عاد النعمان الى الحيرة فبعث الا عشرة رجال هم من خيار
العرب في ذلك العهد فخذوا وهم : اكثم به صيفي به بن تميم . وحاجبه
ابو زرارة . قبي . والحارث به ظالم . بكري . وقيس به سمور
بكري . . وحالك به جعفر . عامري . وعلقمة به عدوية . عامري .

وعامر

او عاصريه الطيف ، عاصري . . وعروبه الشريد ، سلمي . . وعروبه معديرب
 زبيدي . . والمارت به ظالم . . به بنجاسة . . فلما وفدوا عليه جميعهم في منزله
 وقال لهم : « قد عرفتم هذه اوعاجهم وقرب جوار الوهب مني . . وقد سمعت من
 كسرى مقالات تخوفت ان يكونه لا غور . . اذ يكونه انما اظهرها لدمر اعداء
 ان يتخذ به العرب فخورا كبعضه طماطته في ثأوتهم الخراج اليه كما يفعل
 مملوك الدمام الذي به حوله . . ثم صدتهم بما كان بينه وبينه كسرى . . ودعاهم الى
 اللجوء مع كسرى وان يطلبوا به يديه ليعلم ان في العرب رجلا ذي عقل كبيرة
 والسنة فصية . . فاجابوه الا ما انتدبهم اليه . . فرتبهم في الكلام بين يدي كسرى
 وقدم عليهم اكنم به صيفي . . وخلق عليهم الخلع وكتب موعودهم بكتابا الى كسرى
 يذكرهم فيه . . فارتحلوا حتى بلغوا المدائن . . فدفنوا اربعة الاحاد الحجاب فاوصلا
 الى كسرى . . فمقد لهم مجلس سماع اقوالهم ودعاهم . . فثلوا به يديه
 وألقى كل واحد منهم ما ترهبوا له من الكلام . . ولولا خوف البطالة لذكرت
 اقوالهم لا غير . . من الحكمة والبريداع . . وكان الترجمان يؤدي اليه معنى
 ما يقولونه . . فلما انتهوا قال كسرى : « قد زنت ما تكلم به فطباؤكم ولولا علمي
 بان الادب لم يتقف اودكم وان لم يكن بكم يديكم فتنطقوا به به يديه
 منطحة الرعية الى ضعة لم اجد بكم كثيرا ما تكلمتم به واني لا اكره ان اجبه
 وفودي ~~وحي~~ وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب وصفت اعمالا
 فيه مدخل فانصرفوا الى منكم فاحسنوا لظواهرته والتزموا طاعته وارادوا
 سفادكم واقبوا اودهم واحسنوا اديهم فان في ذلك صمدح العامة . .
 ثم اكرمهم واحسن اليهم فصاروا الى ديارهم . . وانه شئت البطالة في قعة الوفود
 فقد وردت في الحمد مدول من العقد الفريد لادبه عبده فاربع اليه . . ولما انتقل
 من كسرى الى كسرى ابرويز به هرن الرابع اراد صديق العرب فاسل الى
 النعمان يطلب منه بعضه بنات عمه لولوده . . فامنع النعمان وقال للرسول :

فلما في عيه السواد وفارس ما تملفونه به حاجتكم ؟ « وكتب الى كسرى يعقبنه بأنه
ليس في بنات عمه فايرضيه . وانصرف الرسول فاخاد ما قاله النعمان وخرجهم
لفظة العيه « بالبقر : وهي من الدواصف الحنة في العربية لتشبيه عيون النساء
بميوه البقر في السعة والهدوء . فلما كان كدوم : « ما في بقر السواد وفارس
ما تملفونه به حاجتكم » فاغضب هذا القول كسرى . وسكت أشدرا . ثم بعد
الاشعان يستقدم اليه . وعلم النعمان بما كان . فاخذ سلاحه وامواله ورجا
الابيه القبايل فلم يحسوه حتى نزل علم بني شيبان سرا فاودعهم اهل
وماله وقومه مستلوا كسرى . فقبض عليه وارسله ~~صليبا~~ متعبدا
الى خانقيه . فاقام بها حتى اصابها وباء فمات بالطاعون . وبسببه
كانت واقعة ذي قارب في الفرس هرب : فان كسرى لا علم اعتقل النعمان ارسل
الى بني شيبان يطلب ما اودع عندهم . فامنعوا منه تسليمه . فجزلهم بميوش
واجتمعوا في مكان يعرف بذي قار فثبت العرب واجلت بموتهم
ولم يزلت العرب واذنه بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة . وكان كسرى قد
مع الحيرة اياه به قبيلة الطائي فلما ضعف ارمهم عنه قتال العرب عاد بنو
لم الامم فقتلوا الاسود به المنذر اخو النعمان ثم المنذر الخامس به
النعمان وهو آخر ملوك العراق ~~هنا~~ وفي زنة استولى خالد بن الوليد
على الحيرة فصلى اهلا كما هو ملحور في كتب الفتوح .
وصاحب هذه الترجمة النعمان به المنذر ذهب جماعة من نقاة المؤرخين
الى انه صاحب الفزيين ويونج البؤس والمنيم وقاتل عبيد به الابرهم
وقد اوردنا الكلام على كل ذلك في ترجمة المنذر به ما ورسا والسلف
فارجع اليه . وانت تعلم ان مثل هذه الحوادث من وقائع الاجيال الخالية
لا يجد المؤرخ في اليوم ما يعول عليه في النقل وتري اصح الاقوال وقد
تعارضت في هذا الامر آراء وصحب الترجيح فانظر وتأمل واختر ما يقوى ليحك

قيس بن زهير

- مائة سنة ٨٠ ٩ -

الذي قيس بن زهير به مجزية به راحة العبي : امير عبي وداهية واحد
السادرة القارة في عرب العرامه . كان يلقب بقيس الراي لجودة رأيه
وهو معدود في الامراء ، والداة ، والشبان ، والحكام ، والطلباء ،
والشراء : فاما امارته فقد ورثها عن ابيه زهير به جذية امير عبي
من قبله . واما دهاؤه ففيه المثل السائر وادعى به قيس « واما ثباته
فخرو به مع بني قزارة وزيان شاهد صدقه على ما يقال . واما حكمته
فله في اقواله غرر تحفظه الشرو والنذر ؛ وهو خطيب مذكور ؛
ومن غرر مفلور ؛ عرفت بقيس تلك المثل بعد يوم ~~المرحان~~ ~~والج~~
~~فليس العوج وهو اليوم الذي قتل فيه زهير بن زهير بن زهير بن~~
~~قيس لم يكن ليقيم مع القذرة ولدت من زهير بن زهير بن زهير بن~~
بعد مقتل ابيه وذلك انه ابا زهير كان سيدا شريفا فتزوج من امرأة
انسية به امير القيس ابنة (وهو عبد النعمان به المنذر) واصل نعمانه
الزهير بن زهير به بعد امواره فبئر ابيه ابنة شاسا ، فامر به وحباه
ورده الابه . فلما له شاس في طريقه جاء بني غني اعترضه رباح
ابن هاشم الغنوي فقتله واخذ ماله . ثم علم زهير به يوم فاعاد على
بني غني وكانوا حلفاء بني عامر فقتل منهم عددا كثيرا ووقع التربة
بني عامر وبني عيسى . فترقب خالد به حلفاء بني غني فزعم بزهر حتى
قتله وانطلقه الا من الهيرة النعمان به امير القيس فاستجار به فاجام
فلحقه الى ربه ظالم المزي الفاتك المشهور فقتله في هيرة . واخذ قيس

بهز هذال عيسى بن جبرز لقتله بني عامر اخذوا بنار ابيه . فوق خدوفه بيت
 احشيو فم بني عيسى الربيع به زياد . فانهم الا الربيع اكثر القبيدة . فارتحل
 قيس بأهد ووه انما اذ اليه حتى نزل بموار هذيفة وعمل ابني بدر
 الغزاريين . وكاه لبني عيسى قرابة في بني خزاعة فأكرموه فاقام بينهم .
 وكان مع قيس اخرا سله ولوفوته رآها هذيفة فحده فملا . وجرى
 حديث النبل بها فقال هذيفة لقيس : فرسي الغبراء اسبهه من فرسه
 واحد . فخالفه قيس . فتراها هنا . وضمرا الفريسيه واختار كل منها
 فارسا لغرسه وارسلوها ورجع القبيدة وقوف يتكلمون ولانت
 مسافة السباه بعينه فاقام هذيفة رجلا في الطريقه وأمر اذا رأى
 واحدا سابقا فليعتزله حتى تجوز الغبراء . وشبهه واحد
 فخطه الرجل فحوله على السير وهو مع شفير وادبه فموى الفرس بفارسه
 فلما دأب له . ورثت الغبراء فسبقت . ثم اقبل رآلها واحد
 سير الهويين فقتلهم عليهم خبره فكذب به هذيفة فتشاه هذيفة
 وقيس واقترا فارس هذيفة بانه ندبة يطلب قيسا بلهات فرد
 قيس فاعطاه ندبة الكلام لقيس فلعنه فقتله . وناوى قيس بأهد
 فزكروا وابتعدوا . وبلغ هذيفة ما كاه بانه فطلب قيسا فلم يدركه .
 وكاه ماله به زيرا فموى قيس متزوجا في خزاعة وهو يقيم بينهم . فرآه
 هذيفة بعد ذلك فقتله . وشاع مقتل ماله فحزنت عليه عيسى وبنوه
 الى قيساه يا تيمم به ماله فموى قيس فلقه الربيع به زياد فتعالتقا
 وكبيا لمصاهم بماله . فقال قيس للربيع : «انه لم يهرب منك بل جاء اليك
 ولم يستغن عنك من استعانه بك وقد كاه لك شر يوقى فنيكه لي خيرا
 يوشيه وانما انا بقومي وقومي بك وقد اصاب القوم مالا ولست اهتم بسوء
 لوف

لاني انه حاربني بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وانه حاربني خذلني بنو عيسى
 واداه تجمعهم علي وانا والقوم في الدماء سواء قتلنا ابنهم وقتلوا اخي
 فان نصرتي طمعت فيهم وانه خذلني طمعا في . . فقال اربع . . فيه
 انه لا ينبغي انه ارى لك من الفضل ما لا اراه لي ولا ينبغي ان تهلك
 ما لا اراه لك . وقد صلي علي قتلهم . وانت ظالم وظلموم .
 ظلموك في جوارك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا اخاك بابنهم . فان
 يبوء الدم بالدم فمسي انه تلمع الرب اتمم مدد صاحب الامر
 اليك اهلهم وتعلمو بطلب نار ابيك . . رعم حذيفة باثقالها شه
 ذمت عليه واستعد للقتال . ثم حدثت الواقعة المعروفة بحروب داعي
 والفرار وعظم الشرا والبهود . وانضت ذبيحة الاثارة فكانت وقعة جفر
 الهبادة وبلا قتل حذيفة وحل ابنا بدر وعد كبيره فران وعيسى ومهت
 حذيفة واخيه انعم الشرا ودخل بوجه اراء القبائل في موصوع بينهم . فاذن
 قيس لقومه بجمع . وملكه وتنك وسار عنهم لدير يد اماره ولداية
 فنزل بني النمر به قاسط فقام ~~فقام~~ ثم دعاهم ليرأ فطلبهم فقال :
 " يا معاشر النمر انا قيس به زهير ا غريب غريب طريد يوتور
 فانظروا لي اراءة قد ادبها الفنى واذا لها الفقر . " فر وجوه بامارة منهم .
 فقال لهم : " اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقتي : انا فخور غير أنف .
 ولست انخر حتى ابنتي ولا اغار حتى ازي ولا آنف حتى اظلم . " ففعلوا
 اخلاقه . فاقام فيهم حتى ولد له . ثم اراد ان يتول عنهم . فقال : " يا معاشر
 النمر ان لكم حقا علي في معارتي فيكم ومقامي بيه اظلمكم واني حاكم
 بخصاله آمركم بلا وانزلكم عن خصاله : عليكم بهوناة : فان بلائكم
 الحاجة وتناال الفرقة . وتسويد به لا تغابون بشويده . والوفاء
 بالعهد : فان به يعيش الناس . واعطاء ما تريد به اعطاءه قبل المسألة .
 (١) ~~اجمع اهلهم في مكان واحد لئلا يفرقوا~~
 (٢) ~~هذه القصة اوردها ابنه كدي في شرح النزهة~~
 لم يبق

وضع ما تريد منه قبل الدفان . وإجابة الجار علم الدهر . وتنقيس
 البيت عن منازل الأيام . وخطب الضيف بالبيان . وأزاحكم عن القدر :
 فانه عار الدهر . طارعه الرهان : فانه به تعلق ما لا فاني . وعه البلي : فانه
 به صرع زهير أبي . وعه السرف في الدماء : فان قتلى اهل البهارة اوشق
 العار . ولد قتلوا في الفضول : فتبجروا عه الحقوه . وأكتموا هوى
 الانقاء : فانه لم تصبوا بهمة كلفاء فخير بيوتهم القبور . واعلموا اني
 اصبت ظاناً ظلمت : ظلمي بنو بدر بقتل ابي بكر . وظلمتم بقتل من
 لدونيه . ثم راحوا الامحان فتشربوا ^{تقتشف} وعف عه الحاكس حتى اكل
 المظن وما زال بلا الرأه مات .
 وقد روي له شرح جيد . من قوله بعد وقت جفر البهارة يري ^{معه} :

تسلم انه خير الناس ميت	علم جفر البهارة لا يريم
ولول ظلم حازلت اكبي	عنه الدهر ما طلع النجوم
كلمه الفتى محل به بدر	بني والبنى مرتقه وضيم
اطن اسم دل عبي قوم	وقد يستعمل الرجل المليم
ومارت الرجل وما سوي	نموج على مستقيم
فلو قش الظلم . له تراه	يشع بالفتى الرجل الظلم

وقوله :

ثقت النفس من قتل به بدر . وسيبقى له حذيفة قد شفاف
 ثقت بقتلهم لغيل صدره . ولكني قطعت بهم بنايب !
 وقوله :

اذا انت اقرت الظلمه لادري . رماك باخرى سبلا متفارق
 فلو سجد للوعده الاخشونه . فمات منهم انه مكنه راحم
 واخباره بشرة تجدها في كامل التواريخ (ج ١ ص ١٠٠) وفي ربح النج لادبه ايمديه (ج ١ ص ١٠٠)
 ويحيى واكثر مصنفات ابو خبار

الخلفاء

الخلفاء الراشدون

{ عِدْوَةٌ }

المُليفة لقب كل من شرعي من ملوك الإسلام وهو كقصر من الدوم والنخاشي
 عند الحبشة . وامتاز من خلفاء المسلمين أربعة هم سادة من ملوك بعدهم زهاء مناج
 الله صوابه علم والحمد لله رب العالمين اولهم أبو بكر ، والثاني عمر ، والثالث عثمان ، والرابع علي رضي الله
 عنهم والذين قاموا بجميع شئون المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والقوانين الإسلامية
 بأمرهم وأقوالهم وجعلوا القرآن أنزيم وكانوا قدوة من ملوكهم . ونفوذهم جمعت خاص بهم
 دونهما خلفاء الإسلام وهو لقب الراشدين . كما أنه ثانيهم عمر بن الخطاب عليه السلام له أحد في
 الإسلام لقب كل من ملوكهم بأمر المؤمنين ومرت سنة في الملوك مقتدته بقية الخلفاء فكل
 من ملوكهم جمعت فيه شرائط التأييد على المسلمين بحوله أنه يدعى « أمير المؤمنين الخليفة » .
 وهذا الفصل انما افردته لترجمة هؤلاء الأربعة أكرام وسبقهم إلى الله الصلوات على
 غيرهم كخلفاء الأمويين في المشرق والمغرب وخلفاء بني مروان وبني العباس وأتباعهم
 من ملوك البدو وسوا العباد وكان لهم القول والحول والطول والسيادة والقيادة
 والوفادة نقية من التقدم في عصره . ولما فرغ من عصره جرياً مع العصور
 والازمنة بحيث تتألف من هذه الفصل المبدء فصل الامراء والوزراء
 سلسلة محكمة منتظم بلا ذكر أشهر الخلفاء المسلمين من ملوكهم
 في ذلك جانب الاختصار والايجاز ما استطعت وما تضمنت اجزاء الفوائد
 التاريخية فديفوتني من اخبار المترجم الاما هو دون ما ذكرت واورث
 والله نعم العون

ابوبكر الصديق

- ولدت سنة ٥١ هـ وتوفي سنة ١٨ هـ -

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب المسلمون بعده في من يتولى أمرهم فهازوا
حتى اتفقت عليهم عبد الصمد بن الجليل أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عمه به عرو كعب
التي القريش أقرب الناس عودة من النبي وأول من آمن به من الرجال واحد عطاء
أصحابه الذين جاهدوا في الله صوة جواره وبذلوا النفس والنفيس في سبيل إعزاز
دينه : بويح بالحنوفة يوم وفاة النبي في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ فخطب في المنبر
خطبة طويلة يحفظ منها : « أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم وإني
أقوامكم عندي الضعيف حتى أخذ له حقهم وإن أضعفكم عندي القوي حتى
حتى أخذ الحق منه لا يدع أحد منكم الجراد فإنه لا يدع قوم الضربهم الله بذلك
أيها الناس إنما أنا مشيع لا بد مني الميعوني ما أطعته الله ورسوله فإذ عصى
الله ورسوله فلو طاعة لي عليكم . إن أصبت الحق فاعينوني عليه وإن زغت فقوموني
وحال في الجاهلية حال سيادة ورئاسة وكانت العرب تدعوا بعالم قريش « ول
ثروة طائلة وربما عالج تجارة البز وهو من علماء النساب المذكورية كان
عارفاً بأخبار القبائل وبطوالب العرب ومجاهديهم كارهاً للشيء من عادات الجاهلية
وشرم على نفسه الخمر فلم يشربها . ولما رأى المنوفة في الإسلام قام بشجوة الامة مع
القيام فخارب الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي وقاتل الذين استمروا به اعطاء
الزكاة ثم اتجه الى استعمار والفتح فافتتحت في أيامه الشام وقسم كبيره
العراق والتفوه له قواد أئساد كالكه به الوليد وعمر بن الخطاب وأبي جبير بن جراح
والمدونة الحفري وزيد بن أبي سفيان والمثنى بن حارثة وازدهرت أيام العالم
الإسلامي في زمانه وورد الناس لولاه ونكته المنية عاجلة فاصابه هم
مدينة فمعه بدمر من بعده لعمر بن الخطاب حذراً من اختلاف الامة
بعده كما اختلفت بعد رسول الله . ومات بعد حكم سنه وثلاثة أشهر ونصفه
وعشرون

وعرض ثبوت وتصوره سنة : وكان موصوفاً بالحلم والصبر والرافة بالعادة عاد لفظه
 في احكامه اثبت في الوقائع الاسيوية في حياة الرسول وبعده جاك عمياً ودولعاً
 غريباً بخير الامة ونفعهم واظهر شجاعة وبالة بدئت عليها ما اخرجهم ابزاز في
 مسنده يعمي انه قال : اخبروني به أشجع الناس . فقلوا انت . قال : أما اني ما
 بارزت احداً الا انتصفت منه وكنته اخبروني بأشجع الناس . قالوا : لانعم فهد؟
 قال : ابو بكر . انه لما كان يوم بدر فبعثنا رسول الله عيسى فقلنا مديونة مع الله
 لنديهي اليه احدهم المشركيه . فداه عاوناً ما احده الا بابكر شها سيفه
 عم رأس رسول الله صديقه ولم لاديهي اليه احد الا هوى اليه فهو أشجع الناس .
 الى آخر الحديث . وقد شهد مع النبي بصره به وسلم أكثر الغزوات وهو صاحب
 في الفار ساعة لانت لها الاله . وكان خطيباً لنا وله مقولات محفوظة
 وكلمات ماثورة . ومنه خيار ما يتقن عنه وصيته ليزيده اليه سفيانه لما ولده قيادة
 مهوره المسليه وسيره لفتح التام فانه شيعه ماثلاً وهو يقول :
 « اني قد وليت لك لا طوك واجربك . فان احنت ردوتك الى علك .
 وزوتك . وانه اسات عز لك . فحييت بتقوى الله فانه يرى به بالهيك
 من الذي يرى به ظاهر لك . واذا قدرت علم جندك فاحس صحتهم وابهم
 بالخير وعدهم اياه . واذا وعظمتهم فأرجز فانه كثير الكلام ينهي بعفه
 بعضاً . وأصلي نفسك يصلي لك الناس . واذا أقدم عليك رسل عدوك
 فأكرهم وأقتل بينهم حتى يزعجوا مدعرك وهم جاهلون به . وأتزلهم
 في ثروة عكرك . وامنع به قبيلك مدعركهم . وكنت انت المتولي
 لغدومهم . واذا استشرت فاصدقه الحديث ثقتك به المشورة ولا تكثره
 عن المشير خبرك فتوقى به قبل نفسك . واسهر الليل في اصحابك
 تأتتك الاخبار . وتكشف عندك المستار . واكثر عرسك وبتدعهم
 في عكرك . واكثر مفاجاتهم في محارسهم بغير علم منهم : فمنه وجبة

فصل عشرين - فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط . . أعقب بينهم بسبب
 واجل النوبة الأولى الطول من الأخيرة : فانها أيرها : لقربها من الزمان . .
 لا تجالس العباثية وحسب أهل الصدق والوفاء . واحصه اللقاء ولا تحبه
 فيعين الناس . ولا تغفل عن أصل عكرك فتفقد . ولا تجس
 عليهم فتفهمهم . ولا تكشف الناس عما سألهم والاتف بعد نيتهم . وتجد
 اقواما حبوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبوا أنفسهم له .
 ومنهم : « ثوب من ثوبه كنه عليه : البني والثنت والقد :
 فان له لقاء : يا ايها الناس انما بغيكم عن أنفسكم . وقول : ومن ثوب فانما
 نكت عم نفعه . وقول : ولا يبيع المكر السيئ الا بأهله . .
 وهو القائل لما به الوليد : « فرأى من الشرف ينبت الشرف . وأمر من
 مع الموت تروى لك الحياة . » يريد به شرف الرياسة والريادة .
 ولاعه بالخدمة لا العربية الخطاب كماه كتاب عهد ماري :
 « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عند آخر عهده بخدمنا واول عهده بآخرة في الحبال التي يؤمن
 فيها الكافر ويتقي الفاجر . انما استعملت عليكم عربية من عهد : فانه بر
 وعدك فذلك علي به ورأيي فيه . وانه جار وبنو فذل فذل علم لي بالحب والخير
 ابروت . ولكن امرئي ما اكتسبه . وسيعلم الذية ظلموا اي منقلب
 ينقلبون . » فانظر الى الاثاء والعذب الذي يثلك البوغة
 باوضح ما ينزل كما انت تراه في رضا عفيف كدوم وخطبه ووصايا .
 رضوانه الله عليه . وكاه اذا خطب يقول في مقام كدوم : « اللهم اجعل
 خير زمان في آخره وخير عملي خواتمه وخير ايامي يوم ألقاك » فيعرف
 انه انتهى . والجمع مع هذه النبذة مما تقدمه من المؤرخوه . قال لهم :
 كاه ابو بكر اذا سقط ففهم من ناقته ينزلها ويأخذ . نقبل له :
 هذا

هذه امرتنا يا فقي : انه رسول الله صلي الله عليه وسلم : امرني انه لا اسأل الناس شيئا
ومتقصد خطبه ما اورد له ابيه عليه السلام في العقد قوله :

يا ايها الناس اتقوا الله في سريركم وعدوئكم وأمرؤا بالمعروف والنهي
عن المنكر ولتكونوا مثل قوم كانوا في غيبة فاقبل احدكم على موضعه يخرقه .
فتظلم اليه اصابه فتمسوه . فقي : هو مضمي ولي انه اعلم فيه . فانه قدوا
عن يده سلم ولكوا . وانه تركوه صحت وصلوا معه وهذا مثل غلبةكم
رحنا الله واياكم . . . وقد جمع الفاضل صاحب كتاب اشهر شهاب الاسود
طائفة كبيرة من اخباره وآثاره بلغت ثلثه وخمسة صنفه فارجع الى الجزء
الاول منه انه شئت الاطول على اكثر ما قدمت لك . واما كتبه التاريخ
كتاريخي ابي جعفر الطبري وتاريخي ابيه ابو حنيفة وتاريخي ابيه خلدويه واسباها
فهناك الكثير من انبائه رضي الله عنه . ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في بحرة عكس .

عمر بن الخطاب

- ولد سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٦٤ هـ -

مضى الخليفة الراشد الاول لسببه بعد انه اخذ بسببه اماما كان له من الذكر
عالم بكيه لاحد من قبله ومن بعده : اعني ثاني الخلفاء الراشدين ابا حفص عمر
ابن الخطاب به نفي القرشي . ذلك الرجل الكبير . وما احبني الا عمر
من المرأة وقد همت بالشارة الى بعله بناء في مملكت كبيرة من هذا الكتاب
الذي رضى عنه موطاة وركنار من الاخبار . وكذا قال لا يستطيع كده لو ترك
قله هذا ليا انه اقول :

كان عمر رضي الله عنه من شرفاء العرب ووجههم في الجاهلية ومولاهم . اما في
الجاهلية فكانت له السفارة في قريته انهم اذا وقعت بينهم وبينه فريهم حرب بعثه
مستغرا . وانه تافهم حتى لفاخرة جعلوه شافرا ورأوا به .
واما في الاسلام فحسبك انه رسول الله كان به عوربه ان يفر به دينه .

وكان يرزعه من التجارة بين الشام والمجاز حتى ولي خديفة . اسلم قبل الهجرة بخمس
 سنين ونهر الاسدوم نهراً جديداً . وكان شجاعاً شجاعاً طويلاً القامة . اذا شق فكانه
 راكب والناس يشوه . وبويع بالخلافة سنة ١١ هـ يوم وفاة ابي بكر . فمذاخذ
 وسكت سبيله : فسبى البعث وجيش الجيوش : فأتى فتح الشام والعراق وفتح الكوفة
 والمدائن ومصر والجزيرة . وروى الدواوين على الطريقة الفارسية لاصحاب ارباب
 الأعطيات وتوزيع المرتبات المالية عليهم . ووضع لمسلمية التاريخ الهجري وكانوا يؤثرون
 بمواقف الشبهة كعام الفيل وعام الفجار . وكانوا يتناسونهم بالدراهم والدنانير
 الفارسية والرومية فغرب عمر الدراهم على نقوش كسروية وزاد في بعلها الحمد لله
 محمد رسول الله . واتخذ بيت مال مسلميه . وأمر ببناء مدينة بني امية الكوفة
 فبنيها . وهو اول من دعى بآيد المؤمنين وكانوا ينادونه يا خليفة خليفة
 رسول الله . فاستثقت . وضرب بعده الخيل : قال عليه اي طيب : والله
 جعل ابا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة فسبقا ومنه
 سبقا بعده . واتبعوا ومنه بعدهما اتباعاً شديداً فذكرها حزن لولا
 وطني مع الائمة .. » وكان يظف في اسواقه متفرداً ويقضي بين الناس
 حيث ادركه منهم . وقصة : اضرب ابيه بكرميه « من غريب اخباره : روى
 انسبه به ملك فقال : بينا كانه عرجاً انا رجل من اهل مصر فقال :
 يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بك . فقال عمر : لقد عذت بمجير فاشأنتك ؟
 فقال : ما بقت بفرسي ابناً لعروبة العاصي (وهو يومئذ امير مصر) فخص يعلوني
 بسوط ويقول : انا ابيه بكرميه . فبلغ ذلك اياه عمرأ فخصي أنه آتيتك
 فبني في السجن فانفتت منه حتى آتيتك . فكتب عمر به يذهب لا عروبة
 ابيه العاصي : اذا اناك كذا في هذا فاشهد الموسم انت وولدك فذوه . وقال
 للمهدي : اقم حتى يأتيتك . فاقام حتى قدم عمر وشهد موسم الحج وقعد عمر
 مع الناس وعروبة العاصي وابنه الاحانب . فقام المهدي . فرمى اليه عروبة بالدرية
 (وهي سوط) واشتار اليه انه يلزمه ابيه عمر وش . قال انس : فلقد ضرب به
 ونس

و قد نشتبه به فلهذا لم ينزع حتى اشتبهنا به ينزع مة لثة ما ضرب به وعمر يقول:
 اضرب به الدرميه! فقال له: يا امير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت . قال:
 ضربا على ضلع عمرو . قال: يا امير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني . قال: اما دمه لو
 فعلت ما صنعت احد حتى تكوم انت الذي تنزع . ثم اقبل على عمرو به لعل وقال:
 يا عمرو! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا به . فقبل عمرو
 يعتذر اليه ويقول: اني لم اشعر بهذا .. قال الفزالي في احياء علوم الدين: وثمة
 عند عرس احد فقال: انني بمه يعرفك . فأتاه برجل: فأتى عليه خيرا . فقال له
 عمر: انت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه به قال له . فقال: كنت
 رفيقه في الرفر الذي يستدل به علم كرام المصنوع به قال له . قال: فعالة
 بالدينار والدرهم الذي يستببه به ورع الرجل به قال له . قال: اظنك رأيت
 قائما في المسجد يهرم بالقرآن ينفض رأسه طورا ويرفعه اخرى به قال:
 نعم! فقال: اذهب فليست تعرف . وقال لرجل: اذهب فأتني بمه
 يعرفك .. وذكر عنه رجل فقيل: يا امير المؤمنين: فاضل لا يعرف
 من الشريفا . فقال: ذاك اوقع له فيه ..

وكتب الى ابي موسى المؤرخي كتابا بوصيه به: فقد ابه قتيبة في عيونه الاخبار . نه:
 « اما بعد فانه لما سئمت نفرة عن سلطانهم فاعوذ به انه تدركني اياك عيا وجوه
 وضغائنه محسوسة . اقم الحدود ولوساعة من الار . واذا امره بك امره: احدها
 به والاخر للدينار: فآثر نصيبك به انه: فانه الدنيا تنفذ ولا فرق تبقى . اقب
 الفساق واجعلهم يدأ يدأ ورجلا رجلا . وعنه مريضة الحكيم . واشبه
 جنازهم . وافتح لهم بابك . ويا بشر امورهم جفك: فانما انت رجل منهم
 غير انه انه جعلك انقلهم هذا . وقد بلغني انه فشا لك ولاصل بينك هيئة
 في لباسك وطعمك ومركبك ليس للمسلمية منها: فاياك يا عهده انه تكوم
 بمنزلة البهيمة: مرت بوار خصب فلم يكن لها هم الا السمن: وانما اعتفها
 في السمن . واعلم انه العاقل اذا زاغ زاعته رعيتة . واشتق الناس
 من شقي الناس به والعلوم . »

وهذه خطبة اوردها له ابو جعفر الطبري قال : قال عمر :

« ان الله عز وجل قد ورد في امركم وقد علمت انفع ما بغيركم لكم واني
اسأل الله ان يعطيني عليه وانه يمرسني عنه كما مرسني عند غيره وانه يرضي الله
في قسمكم كالذي امر به . وانه يغير الذي وليت به خلوftكم به خلق شيئا .
فد يقول احد منكم : وانه قد تغير منذ ولي : أعقل الله به نفسي واتقم
وابتن لكم امري فأيا رجل كانت له حاجة او ظلم مظلم او عتب عيبنا في
خلقهم فليؤذني فانما انا رجل منكم . فمعيكم بتقوى الله في سرهم وعدوئهم
ومراتهم واعراضهم . وأعطوا الله به انفسكم . ولا يحمل بعضكم بعضا
علم ان تتألموا اليّ فانه ليس بيني وبينه احد من الناس كقودة . وانا
حيث اليّ صدوكم . عزيز عليّ منكم . وانتم انا من عانتكم حفر
في بدو الله واهل بيده لا زرع فيه ولا زرع الا ما جاء به اليه
وان الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وانا مسؤول عما انتي
وما انا فيه . ومطلع على ما بغيري بنفي الله لا اكلد الا احد
ولا أستطيع ما بعد من الابد مناء واهل النصع منكم للامة
ولست اجعل امانتي الا احد سواهم الله الله . »

ومنه كلامه رضي الله عنه : لا تأوخر عن يديك الا فذك . لست
بجنب ولا يخذ عني . اتقوا به تبغضه قلوبكم . انا مثل العرب :
مثل رجل انفق اتبع قائده فليظل قائده حيث يقوده . لو ينبغي الي
هذا الامر لا رخص فيه ابرم خمول : اليه في غير ضعف والثدة في غير عطف وبيان
في غير ثقل والسماحة في غير سرف فانه سقطت واحدة منها فست السوت .
مكتم سره كانه الخبار في يده . ثم ذوي القربايات انه يتزاوروا ولا يتجاوزوا .
تعلوا المهنة : فانه يوشك احدكم انه يحتاج للمهنة . اياكم والمعاذير :
فانه كثيرا من الكذب .

ولما كان فجر يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقيه من ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ ووقف عمر بن عبد
 بالناس فاجأه فيروز أبو اللؤلؤة الفارسي فقدم الحفيدة به ^{بعضه} فطعمه في خاضعة
 بخنبر ذي رأسية مسوم فسقط من فائز الناس عم الفارسي ^{بعضه} فطعمه منهم
 ثمانية عشر رجلاً هلك - سبعة منهم ثم طعمه نفسه فمات منتراً . وأخذ
 أصحابه بخنبر في الدافع الحقيقي لذي اللؤلؤة عم عمه فقبل انه شاع لمرارتها ارتفاع المزاج
 الذي ضرب به عليه موداه الحفيدة فلم يره كثيراً فمقد عليه فضر به وفي فيروز
 وكلمه وهم وامور اتخذها الندوم الفارسي ليستر بلا مؤامرة - يمنية كانت
 بينه وبينه جفينة النهراني من اهل حميرة والاهزان الفارسي ولا يعلم انه كان
 ثمة غيرها فان عمر ابقى في قلب الفرس والروم جرحاً لا تأسوها
 اليوم : اولى الذي قوّض اركان دولة موكاسرة وزلازل حروبه القياصرة
 بحزمه وبأس رجاله بما كان فيروز الفارسي رجلاً غيوراً على امته اخذته
 الألام ما صنع امير المؤمنين بقمه فاراد الانتقام ففعل ما فعل . وأخذ
 عمر الى داره فدعا بعضي وعثمان والزبير ^{وعبد الرحمن بن الحوف} وأمرهم ان يبيتا وردا في امر
 الحفوفة وانه ينتظر الطمحة فانه ابطأ فليقتضوا بأعدائهم وانه يشهد لهم عبده
 ابيه عمر (ابن) وليس له ان يولي . وانما صنع ذلك ليتخذ به ثبته خلفه
 وليكون امر المسلبة شوري . وقيل له في ذلك فقال : انه تركنكم فقد ترككم
 من هو خير مني (يريد رسول الله) وانه استخلفت فقد استخلف عليكم وهو
 خير مني (يعني ابا بكر) . وكأنه بهذا القول يشير الى حبة عرته في الامر
 فاختار سنة النبي اوميه ولم يعهد الى احد . وعاشه ثوباً ليل ثم بقي به .
 هذا ما اتسع المجال لادراجه من اخبار اعدائهم فلفاء وابرهم وادار رضوانه
 انه ورعته عليه وانه شئت الزيادة فعصيت بكتاب اثره هو يسوم فنهال في ثوب
 من صفته جمعت من اخباره ما لا تراه في غيرها .

عثمان بن عفان

— ولدت له في سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ —

توفي انه عزيه خطاب وترك الامر شورى في ستة من كبار المسلمين وبعد بحث وبحث
طويل تجده في تاريخ الطبري قرأ رأيهم مع انه يكونه انك خلفاء الراشدين ذو
النورية عثمان به ففانه به اي العاصم به امية : فودي به خليفة في الحلية بعد وفاة
عمر بن الخطاب ايم . وهو احد الرضى الذين اعزهم بهم رسولهم من السابقين اليه
وله في سبيل الحق مسوية ايا د بيضاء . وهو صاحب حبس العسرة : وذلك
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقف في القوم فقال : يا
يوسف اليوم نفقة متقدمة : فلم يكرهه عثمان الا انه جاز نصف الجيش معه
فبذل ثلث مئة بغير باقتا بل واحد سلا وتبرع بألف دينار . فقال رسول الله :
ما ضرت عثمان ما عمل بعد اليوم . ولما ولي فمودة كتب الامراء امرهم يقول :
« اما بعد فانه امر المؤمنين ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان يكونوا
جباة وانه صدر هذه الدعوة خلقتوا رعاة ولم يخلقوا جباة ولو كنتم
انتم ان يبيدوا جباة ولا يصيروا رعاة ، فاذا دعا دواكذ بك انقطع
الحيا والامانة والوفاء . الادوان اعدا ليرة ان تنظروا في امور المسلمين
ونما عليهم فتعطلهم ما لم وتأخذوهم باعديهم ثم تعتوا بالذمة فتعلمهم
الذين لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدة تنابون فاستفتوا عليهم
بالوفاء . . . » . وكتب الامراء الجنود في السطور :
« اما بعد فانكم حاة رسولهم وذا انهم وقد وضع لكم عن عالمهم
على كانه عدو منا ولا يفتني عداه منكم تغير ولا تبدل فيغير الله
بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فان انظروا اني
انه انظروا في انقيام عليه . . . » . وكتب الامراء الخراج :
« اما بعد فان الله خلق الخلق بالحق فليقبل الحق . خذوا
الحق

الحق وأعطوا الحق به ، والامانة الامانة : قودا عبرا ولا تكونوا اول
 من يبدل فتكونوا شركاء به بعدكم الى ما آتسبتم : والوفاء الوفاء ولا
 تظلموا انفسكم ولا اطعاهد : فانه من خصم له ظلمهم . . . وكتب
 الى العامة من المسلمين بالوصار :

« اما بعد فانما بلغتم ما بلغتم بالوقتاء والاتباع فمدتكم الدنيا
 اركم فانه امر هذه الامنة صار الى الابتداع بعد اجتماع ثلث فكم :
 خاص النعم وبعوغي اولادكم من الببايا ووزارة العرب والاعاجم القرآن
 فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اكثف في العجة : فاذا استعجم عليهم
 امر تطفوا او ابتدعوا . . »

وسار غماره في بادئ الامر - يرة من تقدره ثم ما لبث انه جعل يتبع
 لوقاربه من بني امية فيفضل عنه البهادر الالفاء ويولوا به يوصلح لاشهم وقد
 كان عريتموف ذمت منه . قال العبد من ابي الحديد في شرح النهج من فصل عقده
 لذكر ما تقدم مع عثمان في خدمته :

« لما دلي عثمان صحت فيه زاسة عن فانه او طائفي امية رقاب الناس وورهم
 الروديات واقطعهم القصة ثم وافقت اريسية في ايامه فاخذ الحسن طه فوجه لاداه
 ايه الحكم . وطلب منه عباده به خلد به اسيد صهنا فاعطاه اربع مئة الف درهم . واعاد
 الحكم به ابي العاص بعد ان سيرة روه الله . صلاه عليه وسلم . ولم يرده البربر ولا مرأطاه
 مئة الف درهم . ورضه رسول الله بموضع سوفه بالمدينة يعرف بتهدو زعم المسلمين
 فاقطع عثمان الحارث به الحكم اخام رانه . وحس الراعي حول المدينة كلها من موثي
 المسلمين لهم الامة بني امية . واعطى عباده به ابي سرح جميع ما افاء الله عليه من
 فتح افريقية بالمغرب - وهي من طائفي الزب الطغاة - من غير شركة فيه احد
 من المسلمين . واعطى ابا سفيان به حرب مئتي الف مئة بيت المال في اليوم الذي
 امر فيه لمروانه به الحكم بمئة الف مئة بيت المال وقد كان زوجه اجته ام ابات
 فجاو زيد به ارقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعا بيده في عثمان وبني فقال

للغناء شراً كثيراً استأري مبلغه من الصحة جاد فيه هذا البيت له لغتان :
 غنى النفس يُغني النفس حتى ينفرا وله عندها حتى يُفتر بها الفقر
 وما عسرة ذا صبرها اليقظة بكائنة إلا يتجلى سر
 وترجم في كثير من كتب التاريخ الاسدي وكتب تجميد ما ينفذ في اثره غير الاسدي

علي بن ابي طالب

- ولد سنة ٤٠ هـ وهو تلميذ سنة ٤٠ هـ -

امير المؤمنين وراي الخلفاء الراشدين ابو الحسن علي بن ابي طالب به عبة المطلب القرشي
 وسلم صغيراً وناصر ابن عمه كبراً فكان من اعظم اعمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 والذود عن حياض شريعة القرآن : وكان ممتازاً بشدة خدول : الجماعة
 في المروب : وهو ابن بجدراً وصاحب الصوت والصيت في المعارك والمسلم
 والفقه في الدين : وكان اعلم اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحكام وبه يُضرب المثل في
 حسن القضاء . والقضاة في المنطقه : وله المطلب الرنانة والاقوال
 المتناقلة والحكم السوار . تولى الخدوة بعد مقتل عثمان (عام ٤٥ هـ)
 فحدث في ايامه وقائع عظيمة استحدثها ما كان بينه وبينه معاوية من اجدد الكبر
 على الخدوة والداهية الاموي المشهور .

يفاد الباحث المزار في يوصل من ابداء رأيه في صاحب هذه الترجمة عليه
 الرضى والاسلام لا يراه من اختلف الناس فيه وادخل بعض العامة ودهط
 من الخاصة الحكم عليه في امور الدين : علم انه اعاقن النصف اذا وجد مجالاً لقول
 لم يره الا انه يجر بحقيقة ما يجب انه يُذكر به هذا الخليفة الراشد مما يكون
 له اوجبه . لترك اقوال الغالية في حبه والذين يبلغونه به تمام الربوبية او
 ما دونها ولندع الفرصه للمفاضلة بينه وبينه من تقدمه من خلفاء : فالاولوه
 فخره الغيا لا يُقاومونه بغير التهذيب والتعظيم فبرعت ان تنقش على قلوبهم
 تحت

تحت النّاية الرّائنة والفوائدة الطّائفة . واما الخلفاء والصّواب فطامع
 آسف للدين : لكل منهم مقام ومثلة لا ينبغي بل عنه آخر . ولما جاء المشاء
 في مثل هذا لا تجدي منه اولى بل الزائد فقط . اما ما تفل جاعات المؤرضيه
 من انه حكمه الا حصة بوجه خذوفه من ابي بكر وعثمان : مما يؤدي بفريدهم الى
 الخطأ لرأيتهم بنسبتهم الى الظلم ثم بان . يقال فيهم ما يقال في الظالم المقتصب . انها
 ايضا امر مغرور من : والذي نعتقه انه ابي بكر كما مضى به والناس به سواء
 لا يحد على روح الدين في رتبة الاولى والثانية : حبه كما ابي الحسن عليه بعد
 في القياس : يقوده الى الدين حبه رسول الله وشغفه بأخلاقه واتقائه طاعته
 وابوبكر به ترفع السليمه واصل الحكمة والدربة والعلم والرأي فيهم : فهو أولى
 به . واجتهد ابوبكر في السليمه فبعد الى عمر فلم يكنه دونه ضبطا للمور وقبانا
 بمصلحة الامة . وانتهى امر الامامة فهاه في عصره ما كانه . وجادت
 التوبة الاعلى والناس له مریدونه وعليه يجمعونه فهاه رضي الله عنه شيئا
 في الدين اذا رأى الرأي لم يردّه عنه راد . يصعد فيما يأمره به قلبه النقي
 وما يوصي اليه ضميره الظاهر غير ما وان ولد محاب . وانت ترى ان سبابة
 المنك بما قضت على القائم به انه يعطيه بصره على بعد القذى وأنه يمتنع
 الفرصة ويتربص للسواخ : فهذا ما يأخذه على عيني به آخذه : وبه دافع عنه
 عند تلك المداول سبابة خداع ودهانه . ورأى عينا عليه الضراء اجدر به . لا
 يتصف بل وأخرى به يتفرى من . ذلك ما يظهر لنا في امره يتجلى
 فيما سنده من الصلوم على اخذ به .

قتل عثمانه وولي علي بمبايعة الناس له . فلم يكنه لبطيخه العبر
 وهو يرى البهوت قد طوقت بني امية وفيهم الصالح والطالح فسيرة المودة
 الى الجرات وعنه بعده به ولا هم سلفه . وفانت بينه وبينه معاونة به
 اي سفياه شذات وحزازات ان راير العدة به اياهم في شغل النج
 حكاية عن معاونه اي جعفر نقيب البهرة قال (ج، ص ٥٧٩) : وكيف بنوهم

من هذا السيرة معاوية كانه يبايع علياً لو أقره على اسم وبينه وبينه ما لا تترك
 الدين عليه من الترات القديمة والاحقاد وهو - اي علي - الذي قتل اخاه
 حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في مقام واحد ثم ما جرى بينها في أيام عثمان
 حتى انظر كل واحد منها لصاحبه وحتى تهده معاوية وتقال: يا علي ما فعلت
 الاسم وتاركك عندك هكذا الشيخ - يعني عثمان - والله الله اني كنت من
 سيرة واحدة لا ضربت بمئة الف سيف . الخ . فلما بعث علي الرجل الى
 الامصار سيرة سهل به حنيف واليا على الشام : فصار حتى بلغ تبوك فاذا
 خيل من الشام فقهوا : ما انت ؟ قال : امير . فقلوا : علم اي شيء ؟ قال : علم انهم
 قالوا : انه كان بعثك عثمان فمجيء هدم بيتك وانه كان بعثك غيره فارجع فبيع
 الى علي وبلغ معاوية انهم فقام في الناس فأخبرهم بأنه عينا قتل عثمان ورضيهم
 عم القيام لقتل من اشترك في دمه فاتجهت اليه القلوب . وكان علي - (ع) لما
 اراد توجيه الامر بالذل الى معاوية واضرابه من محمد عثمان نراه اصحابه وأطالوا
 عليه ولا سيما المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عباس وهما من خيرة عقلاء المسلمين
 ودعاتهم فابى وامر ^(راجع لافضل ابيه بولس بن محمد بن علي) وهو يقول قال له المغيرة : اقرر معاوية وابنه عامر
 - والي البصرة - وعلى عثمان عم اعمالهم حتى تأنيك بيعتهم وبكسر الناس
 ثم اعزل من شئت . فله يقول : لا اداهه في ديني ولا اعطى الدنيا
 في امري . قال : فانه ابى فارتفع من شئت وارتك معاوية فانه فيه جراءة
 وهو في اهل الشام يستمع منه ذلك فجاء في اثباته : لانه عربي من عجم قد ورواه
 فقال : لا والله لا أستعمل معاوية يومئذ . ورض عليه ابن عباس فحدثه علي
 بقول المغيرة فقال انصت . قال : ولم نصغي ؟ قال : لانه معاوية واصحابه
 اهل دنيا حتى يبتهم لذيابهم من ولي هذا الامر ومنى عن لثام يقولونه اخذ هذا
 الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤثرون عليك فتستحق عبيد الشام واهل
 العامة مع اني لو آتاه طلبة والزبير انه يكره عليك وانا اشير عليك انه ثبت
 معاوية فانه بايعك فعلياً انه اقله من منزله . قال علي : والله لا اعطيه الا
 السيف

السيف « فقال له عباسي : يا امير المؤمنين انت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحرب خدعة ؟ » قال : بلى اقول انه والله لثمة اطفئت لاصد منهم بعد ورد ولأتركهم ينظرون في دبر الامور لا يعرفونه ما كان وجهه في غير نقصائه عبيث ولا اثم لك .. فانزع عني على ما ارتأى وبعك الرجل فلان لسهل به صنيف ما كان فيما عاد وأخبره اخذ يتجرز مزحف على انهم لقتل معاوية به اخذ اخذه . واذا هم بنبا جديد : جمع له المسلمين تاروا عليه في البصرة يرأسهم طلحة والزبير الصبيان جميعا وعاشته ام المؤمنين وكلهم يتهمونه بقتل عثمان . فمروا على قوته اليهم وتوجه نحوهم فكانت الواقعة المعروفة باسم « وقعة الجمل » حاربهم فيها علي بنصرته له من اصل مكرونة وجهاز فظفر بهم وفرقه جمعهم . فلم يطمئه حتى بلغه وهو في الكوفة انه معاوية يتربها لثوب . فكتب اليه كتابا يدعو فيه الى البيعة له ويؤكد له انه بريء من دم عثمان . فاجابه معاوية بانه : انه لم يكن هو قاتل عثمان فانه اغرى به وخذل عنه انصاره . وانه لا يبيع الا بعد ابرئنه أنه يدفع اليه ثلثة عثمان ينتقم منهم . وأنه يترك الامر شورى بين المسلمين كما تركه عمر . فانه اتفقوا عليه بايعه . فاغظ له علي في الجواب . وترادفت الرسل بينهما . ولم يشرع علي الا واهل انهم زاحفة يمشي عليها . فجهز اهل العراق ومعهما معه من رجال جهاز وفرح يريد القتل . فتدق الجعاه في موضع يقال له صفين (كسجين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات بين الجانب الغربي منه الرقة وبالس) قال ياقوت في معجم معجمه (ج ٥ ص ٤٧) : كانت وقعة صفيه في سنة ٤٧ في فرة صفر .. وكان علي في مئة وعشرين الفا ومعاوية في تسعة الفا .. وقتل في حرب بينهما سبعون الفا منهم من اصحاب علي خمسة وعشرون الفا ومن اصحاب معاوية خمسة واربعون الفا .. وكانه مدة المقام بصفيه مئة يوم ومئة ايام . وكانت الوقائع تسعة وقعة . واختمت تلك الحرب الاكلة في ذلك السبيل

حتى اتفقه الفريقان على تكليم رجليه منها والرضى بما يتفقاه عليه فاختر معاوية واصحابه
عمرو بن العاص القائد الداهية واختار اصحاب علي ابا موسى الكوفي احمد بن حنبل
وكان في سنن الشيوخ : فخذ عنه عمرو في حديث طويل (تراه في تاريخ الطبري وابنه
الدير) قتل اليهودي صاحب مدينا وأثبت عمر صاحب معاوية فبايعه ~~لهن~~ ^{لهم} ~~لهم~~
وعلي في مكوفة ومعاوية في ميثم فانصرف الناس كل فرقة الى صاحبها وسلم
اهل انهم مع معاوية بالخوفة. وأسف علي على ما كان ثم خرجت عليه الخوارج
فازال في حروب وخطوب حتى اختاره عبد الرحمن به ملجم المرادي في شهر رمضان
سبع عشرة خلت منه وهو واقف بباب مسجد مكوفة يصيح بالناس : «الصدقة»
الصدقة «فخر به سيفه فاصاب قرنه وفرقت عليه مناسخ فاصكوه»
وأخذ علي الى منزله فجمع بينه واصحابه بما يصلح به دينهم ودينهم وامرهم أنه
اذا مات فليقتلوا ابيه بلحم ولا يثلموا به . ففعلوا ذلك . ودفن ايرالمونيه
بالمكوفة عند سجد الجماعة في قصر ادمارة . وقال يفتقدون دفن بالنف .
ولم يسع اجل علي كرم الله وجهه فتكفونه له اوليات كبيرة وانما عرفه له
منذ انه اول من وضع بيت القصص . وهو غرفة يقيم بها الناس رعاهم
وشفاوهم : وتبعه بمئة خلفاء بني العباس . (ذكره ابي ابي حمزة)
واما خطبه واقواله فقد جمعت في كتاب يسمى «نهج الهدى» مؤرخا
بعده الناس في نسبة جميع الامم . وهو في اعم طبقة من طبقات البشر
يحسن لكل شغل في اللغة والادب والارشاد انه يكثر منه تدوينة . وقد
شرح احد كبار علماء المعتزلة ابيه ابي الحيد شرحا وافيا (انظر ترجمة
ابو ابي حمزة) وفي هذا الشرح الكبير تجد جميع اخبار ايرالمونيه وجانباً
عظيماً من اخبار صدر مرسوم والمباحث الجدلية والفلسفة النافعة .
ومنه قوله : المرء مخبر تحت لسانه . الناس اعداء ما جهلوا . لراحة
للسوء . لا مردودة ككذب . الراحة مع اليأس . نه كثر نزاعه
لم يخل منه عقد عليه او استغفان به . كفى ارباً لنفسك ما كرهته من
فبك

فذلك . منه أكثر منه شيء عُرف به . الناس به صرف الذل في الذل .
 خير أموالك ما كفاك . وخير أخوانك من دماك . من عذب لسانه
 كثر أهوانه . إليه يُستعبد المرء . إذا تم العقل نقص العلوم . النصح
 به الحمد تقريع . منه أكثر فكره في المواقب لم يشجع . منه أعجب برأيه
 ضل . ومنه استغنى بعقله زلات . . وجاء في إحدى خطبه بصيغة برص
 الجيش : « ~~لقد~~ لا تقا تلوم حتى يقاتلوكم : فإذا هزمتوهم فذقتوا
 مُدبراً ولا تُجربوا على مرج ولا تُكفوا عورة ولا تمشوا ولا
 تأخذوا مائد ولا تزيجوا امرأة وإن شئتم : فانهة ضفاف منفس
 والقوى . » ومنه عدمه : قضم ظهري رجوده عالم تهتك وجلتسك
 هذا ينقر الناس بتهتك وهذا يفضل الناس بتهتك . ما زبب على الأعراس
 كالصنم وهو خاصه . وقال لينة الحسن : يا بني ابدل لصديقك من المودة
 ولا تطعن إليه من الطائفة وأعطه من المراساة ولا تقش له من السرار .
 وقال : من كثر ذنبه لم تفر عينه . من فعل ما شاء لقي ما ساء . من
 استعاه بالرأي منك ومنه كابد الأمور هلك . من حنت سكة
 دامت رياسته . من ركب النجدة لم يأسه الكبرة . وعنه رضي الله عنه :
 الوحدة راحة والفلة جادة والقناعة غنى والاقتصاد بلفة العزيز
 بغيره زيل والفني السره فقير ولا تعرف الناس إلا بهد خبار فاختبر
 أهك وولدك في غيبك وصديقك في مصيبك وذا القرابة عند
 فاقك والتودد والمهبة عند عطفتك لتعلم بذلك منزلتك .

وجاء في خطبة ابتلا له الجاحظ في البياض والنبية :

إما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة في البهائم والبهائم الذل
 وشهد البهائم وألزم الصغار وسيم الحسف ومنع النصف الأولاني ته

وحرمت القتال هؤلاء القوم - يريد بني غامه - ليمنوا وزلا رزاً سرّاً واحداً
 وقتلتم اعدائهم قبل ان يقدروا فواءه ما غدي قتل في عقد درهم الـ
 ذلوا فتواكلمتم وتخاذلتم وتقلع عليكم قولي واتخذتموه دياركم ظهراً ^{هـ}
 شئت عليكم الفارات هذا اخو غامه قد وردت خيله الزنبار وقتل
 ابيه حماد البدرى وازال ضيكم عداً ^{بـ} وقتل منكم حماد صاليت
 وقد جفني امة الرجل منهم كانه يدخل عم المرأة المسلمة والى اخرى المعاهدة
 فينتزع ارجلهم رقبلاً ورعلاً ثم انصرفوا واقر به ما كلم رجل
 منهم فلما فلو انه امرأته ماتت به معها اسفاً ما كانه عندي بلواً
 بل كانه عندي جديراً ^{جـ} فيا عجبا به جد هؤلاء القوم في باطلهم فكم
 عندهم فقهياً لكم وترحاً حيه صدم غرضاً يرمى وفيثاً ينهب يفار
 عليكم ولا تغدوه وتغذوه ولا تغزوا وتبعثوا به وترضون
 فاذا امرتكم بالبر اليهم في المرقع حارة القبط ازلنا حتى يسلم عنا المـ
 واذا امرتكم بالبر في البر قتلنا ازلنا حتى يسلم عنا القر كل هذا فراراً
 من الحر والقر ؟ فاذا لستم من الحر والقر تفرون فانتم ومنه من السيفاء فر
 يا اسباب الرجال ولا رجال ! ويا اهدوم الاطفال وعقول ربات الرجال
 وددت انه اخبرني به به طهرانيكم وقبضني لارحمته به بينكم ومنه
 لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم والله حدت ندماً وورثتم صدي
 غيظاً وجرحتموني الموت انقاساً وانسدتم علي رأيي بالعصيان وتخذلوه
 حتى قالت قريته امة ابي طهلب شجاع ولكنه لا علم له بآرب الله ابوهم !
 وهول منهم اعداءه اشد الا مرأى وأطول لا تجربه بني ؟ لقد ما رست
 وما بلغت العشرية فيل وقد نيفت على الستين ولكنه لا رأي له لا
 يطاع . . . قال ~~محمد~~ الجاحظ : وهذه الخلة خطب علي بن الحسن وهو
 جالس على باب الكوفة . اقول : وذلك في الكوفة فانه كانه اتخذها دار
 اماره

امارة له . وروى له اصحاب الجامع والاقاصيص شراً جملوه في كتب
سموه ، ويوان عليه به ابي طيب « وجدُّ اوكده ما ينطقه براءته ربي لبعده
عنه بدوغة معاني اير المؤمنين وضامة الفاظ ذلك الجليل العربي المحض وما
يذكروه ويعزونه اليه اشبه بشعر الفقهاء والمؤدبين فابيه هو مدنا شروا
البدوغة عليه رضوان الله رسدوه . وقرأت في تاريخ النخلة لسبطي كلمة
نقلها عن المرزباني قال : ما صبح عندنا ولا بعثنا أنه علي به ابي طيب قال شراً
الاهذية البينية :

تمكم قربه تمتني لتقتلني فمؤدبك ما برؤوا ولا ظفروا
فانه هككت زهرة ذمتي امم بذات روقيه لا يعفوها أثر

بنو أمية في الشام

{ نوصة }

مضى لعدم في المصنف لغة على القسم الاول من كتاب الملوك وادرا، وكان هذا لعدم على خلفاء الرشدين
 مروان عليهم السلام. وهذه اهل القسم الثاني نورانية تراجم ملوك بني امية في الشام وهم الذين وردت في الفتحة الاموية
 عن حسن بن علي بن ابي طالب كما جاء في عدم عليه. وانما خص بالذين كان في انتم منهم اعداء بان يكون لانهم
 الذين هم من ملوك سوري سوري بحث عن جاههم في فصل ملوك السمرقند الذي جده سنجة رحمة الله عليه بن علي بن ابي طالب
 وقسمهم في الزمان عليهم. والدولة الاموية اسسها في الشام اول امراءها معاوية بن ابي سفيان وكان
 كاشري في ترجمته اميرا على الشام من قبل عمر بن الخطاب ثم اقره على وريته عثمان بن عفان واراد علي بن ابي
 طالب عزله عنها فوشب عليه وابسل ربه ثوبا دينيا فادعى انه لا يارب غير الله من اجل ذلك اوربته وانما
 هو يعتقد ان عليا قتل عثمان او اشترك بدمه فهو يريد قتلته ويطلب دمه على نحو ما اوردنا في ترجمته
 علي. وانتمى لهم بان في المسلمين خديتان في زمن واحد: راشدية في عراق وماصية
 علي بن ابي طالب واموية في الشام وماصية معاوية بن ابي سفيان. فلما طاع قتل علي بايع
 اصحابه ابنه الحسن فصالح الحسن معاوية ووراه اخذت فصفت ابن ابي سفيان بتوارها
 بنوه من بعده وبنو هشام في معزل عنها يتطاولون اليها ولا يطولونها حتى آلت
 الى بني مروان وهم فرع من بني امية وسند كرم في البيت القادم بعد الخدم على معاوية
 وبنية انتم واحد ولقوة الابه

— وله سنة ٤٠٠ و٢٠٠ سنة ٦٠٠ —

بنو أمية بطن من قرية بني هاشم وهم من ذوي السيادة والرياسة في هذه القبيلة وانا
قدّم عليهم الا شيوخه يقول انه من اهل بني هاشم فلما لقي ربه طمحووا نحو البصرة من بعده فتركها
ابوبكر فصاروا وعمر فالتفتوا وصارت الامم فاصبحوا وانفسهم آملهم وذرهم
ولادة رجلا في البصرة اما معاوية وهو صاحب هذه الامم فصار من بني هاشم
وكان من بني هاشم كوفي فصار فابوه ابو سفيان من بني هاشم فصار من بني هاشم
عبد شمس بن عبد مناف : ولد بمكة واسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ) وكان من ذوي
الرأي والهاء عارفا بكتابة وهي فضل كبير في ذلك الحية فبعد رسول الله في كتابه .
ولما ولي ابوبكر ولده قيادة حبيسة تحت ارمق اخيه يزيد بن ابي سفيان فكان من علمه فقيه
في فتح مدينة حبيسة وعرة ، وجبل ، وبيروت . وآل الامم في هذه المطالبات فلولاه
ولاية الامم . فرائ في معرفة وعزما : فقامات اخوه يزيد وكان والي دمشق
ولاه عمر بن لا منه . وجاء عماله وصلة النسب تربطها فجميع الدارات اية
من وجعل ولادة امصارها تابعيه له . فشرع معاوية يتجبا اهل الشام وبنو
رأسهم من حضرة حتى استألفهم واستألفهم اليه . ومات عماله فقام من بعده
وهو الامم الذي تكرر اية لعلها بانه الخليفة حتى توارثها قرية فمرت هي من
فأعد معاوية العدة واتخذ حيله قتل عماله وريفة له يستحق به الجمع على قتله
علي واصحابه وكان بينها ما أسلفنا ذكره في ترجمة علي بن الربيع والوقائع
بصيفيه وانتهى الامم بامانه على الشام وامانة علي بن الربيع . ثم قتل علي
وبويج بعده ابنه الحسن فسلم الخليفة الامم (انظر ترجمة الحسن بن علي)
وذلك في عام ٤١ هـ وهو المعروف بعام الجماعة لاجتماع المسلمين فيه بدأ
واحدة على امام واحد . ودامت له الخليفة حتى بلغ سنة الشجرة فله
بلا الا ابنه يزيد . ومات به سنة فدفن في مقبرة باب الصغير .

ذلك اجماع في سيرة معاوية مؤسس دولة بني امية ومنه عظماء منون الموب
 وخطائهم وهو احد كبار الفاتحيه بلغت فتوحاته المحيط الاثيري لطيفي و... واليه
 عم مع عروبه العاصي الذي ذكره) فافتتح السودان سنة ٤٤ هـ . وفي هذه السنة
 غزا عباده به سوار العبدي الفيقاه به بدور السند فاصاب مغنايم كثيرة عارلا
 لا معاوية ورجع الى الفز فقتل في بعله بدور السند . ولان عدد الفتن في ايام معاوية
 ٤٥٠٠ - سبعة فاعلم العدة . وهو اول مسلم ركب بحر الروم للغزو وذلك
 حينما كانه عامه عثماني في صفوة عثمانيه عظماء . وفي ايام فتح كثيره الخزار
 اليونانية والدرزيلي وما صرا القسطنطينية برا وبرا سنة ٤٨ هـ فلم تمكنه فترا
 واصبت - سبعة بخسائر فادحة فعاد ما بقي من... وهو اول من جعل دونه مفرضة
 واول من اتخذ القاصير (وهي الدور الواسعة الممتدة) والمرسى والمجاوب ولم يجه
 ذلك خلفاء الراشديه لانه ذررائهم تلك المظفر والزخارف وبعدهم منه
 آتية الملك وقناعتهم بما كانوا عليه قبل المخذولة من السذاجة والتقصيف
 واما معاوية فلم يتسرع له ذلك وهو ترتيب من الملوك في بدور الفت
 انظارها ما كانه عليه ملوكها ان يكون من الروم وربما سخرت به لانه
 دونهم وعدته رخيصة على الرياسة حديث عهد بالامارة . وهو
 اول من خطبه قاعدا لانه كانه رجليا بادنا . واول من قدم المظلة مع العدة
 في يوم الجمعة ولان المظلة بعد الصدرة فخاف معاوية انه يتفرد الناس عنه
 قبل ان يتم ما يريد ان يقول ففقه ملا : واما بعد المظلة من اليوم .
 وفي اسباب العرب لظلمة بني امية كانه طويلا ابيهم جهميز مريضا قال : وكانه
 من ينظر اليه فيقول : هذا كسرى العرب ! .
 وفي سنة ٥٠ هـ سار الى المدينة بمولب حائل فالتقى به عدة خطبه ومانه
 قوي النظره جيه البديرة سريخ الخالو ومنه احسن ما تمثل به سياسة قوله في
 بعض خطبه : « يا اهل المدينة اني لست احب ان تعلموا خلقا كقولكم العزله
 يعيرون

يعيبوه الشيء وهم فيه : هل امرئ منهم شيعته نفسه . فاقبلونا بما فينا : فان
ما راونا شرر كنم . وازن معروف زمانا هذا كمنكر زمانه قد مضى وننكر
زمانا معروف زمانه لم يأت ولو قد أتى فالرتوه خير من الفتوه وفيه من يقال
بدوخ ولد مقام مع الرزية . « ودخل دار عثمان به عفاة - في المدينة -
فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت اباها فقال معاوية : « يا ابنة اخي
اذا الناس اعطونا طاعة واعلمناهم امانا واظهرنا لهم علينا كفة غضب
واظهروا لنا ذلنا فنته حقد ومع كل انسا - سيفه ويرى موضع اصحابه فانه
نكثناهم نكثوا بنا ولدندري اعمينا ثلوه ام لنا ولله نكثوني ابنة عم اب
المؤمنيه خير من امة نكثوني امرأة من عرصة الناس . « فطلب في المدينة ارضا
فقال : « ايها الناس انه ابا بكر رضي الله عنه لم ير الدنيا ولم يتركها واما امر
فارادته الدنيا ولم يردّها واما عثمان ففان منّا ونلت منه واما انا ففعلت
بي وصمت بلا فانه لم يجدوني خيرا فانا خير كنم . « وكان يقرب المش
بكل معاوية ومنه اخباره فيه انه كان لعبد الله بن الزبير امره بمجاورة
لداره فيها عبيد لمعاوية من الانوج يعمرون فدخلوا في ارضه فبداه فكتب الى
معاوية : « اما بعد فانه يا معاوية انه لم تمنع عبيدك من الدخول في ارضي
كان لي ذلك ستان ! » فلما وقف معاوية على الكتاب رفعه الى ابنه
يزيد فلما قرأه قال له : ما ترى ؟ قال : ارى انه تنفذ اليه حيث اوله عنه
وآخره عندك يا قوك برأسه . فقال يا بني عندي خير من ذلك علي بدواة
وقطاس وكتب : « وقفت على كتابك يا اباي هواري رسول الله صوابه لم
وساوي واه ما ساوك والدنيا هيته عندي في جنب رضاك وقد
كتبته على نفسي برقا بكونه العبد واشهدت على فيه ولتصف لاه
لا ارضك والعبد العبد لك والاسلام . « فلما وقف عليه على
كتاب معاوية كتب اليه : « وقفت على كتاب امير المؤمنين اظن انه
بقاده فلو عدم الرأي الذي اعله من قريته هذا المحل والاسلام » فلما رآه

وعلم يزيد بما حدث فوجه مسلم به عقة في عشق آلاف مقاتل فاردوا المدينة
فاقتصرها وجعلها مسلمة مباحة لللب والنهب ثلثة ايام ثم رجع عنها
ثم فاعلم انه الزبير فلم يزل يلهي يريده فمات في طريقه بموضع يُعرف
بالمسل وقام نائباً عنه الحصبة به نير فقدم مكة فقاتله ابيه الزبير فلم
يزل يلهي حتى جاره خبر موت يزيد فعاد بيته الا انهم
هكذا تجد المسلمين بعد استغالهم بفتح البلدان وتوسيع سلطنة الدولة
الاسلامية وتوطيد اركانها عادوا فشقوا بانفسهم يقتل بعضهم بعضاً
ويحارب الرجل قريبه ونسيبه وجيبه: ثورات في ابيدود على كل مستخلف
فيهم وفروج وعصيان وخوف ستيرة:

كأنما القوم عادت جاهليتهم لهم فما خنت الآيات والندى
وفي ايام يزيد فتح المغرب الاقصى على يد الامير عقة به نافع ولاه قد
وجّه يزيد الى افريقية فلما بلغ القيروان جمع نهباً به الجند ورضى مدينة
باغاية فخربها وكنوا من الروم ثم اغلقوا ابوابها فاراد حصارهم
ولكن اختار قصده غيرها فاراد انزاب فاستدركه بغيره العظمى اربه
وسار الى طنجة ومنها عاد بقتانم وافرق
فانظر هذه امة الى المسلمين في ذلك حين لو وجهوا سيوفهم التي يفرزون
بلا وجوههم الى بلاد اعداء وامصار الروم وغيرهم محسوساً هلكوا
بغير اقامي ارض والاطاعهم الناس اجتمعوا وانت ترى ان
حيث قيل العذر قيل العذر يتوغل يحارب البرابرة والروم ويرجع
ولواؤه يخفقه بالفر والغم والرجع

وفات وفاة يزيد بمواريه مائة سنة واربعمائة سنة
ثم ربيع الاول سنة ثمان وثمانين سنة . وفاته في صيفة بني
امية تلك النقطة السوراء التي لن تزول . وقد سمع القول بانه يزيد
شراً مروياً فلو نرى بأن له ذكر شياً منه وانه كنت لوائه يعني كمن
ما ينقل عنه هذا النوع: انه ذلك قصيدة محمد بن ابي طالب قال:

خذوا بي ذات الموت فاني رأيت بعيني في اناسا ومحب
ولا تقفوها انه ظفرتم بقتلها على خبروها بعد موتي بما تحب
لها حكم لقمان ومصورة يوسف ونفثة داور وعفنة سليم
ولي حزنه يعقوب ووحشة يونس وآلوم ايوب وحسرة آدم
الى ان يقول :

ولما تدقينا وجدت بنا خرا مخضبة تحكي عصاة عندهم
نقلت : خضبت ابيدي ؟ هكذا يكون جزاء المستلزم المقيم
نقلت وابرت في الح حروركمي مقالة منه في القول لم يتبركم :
وعيشك ما هذا خضبا عرفت فداك بالبرهان والزور تهمني
ولكنني لما رأيتك تانيا وقد كنت لي كفي وزندي معصم
كبيت وما يوم النوى فسنة بغي وهذا اثره ذلك الدم
ولو قبل منكها كبيت صباة بعدى شفيقت النفس قبل التدم
ولله كنت قبدي فريحت لي ابكا بها فكاك الفطن للمتقدم

وتنكب له القصيدة المشهورة التي لم تلحق :

نلت على يدها عالم تنديدي نلتا على معلم اهت جدي
ويروي له هذا البيت :
دعوت بجا في انا، فجا في غدمم به فخرنا فاورعة زجرا
فقال : هو الاء القراع وانا تبدي به خدي فاوهلك الخرا
وهو صاحب المديات التامة قالها حيد جاره انبا بموت ابيه وانه غائبا عنه :
جاء البريد بقرطاس خبة به فاوحس القبيحة قرطاسه فرعا
~~فما دى هو حده او كادى تمينا~~ قاله الخبره اركا نرا
فما لك الويل ما زالا في صيفتم قالوا اخليفة امي مبيتا وجعا

فارت

فما دت امره او طادت تميد بنا كانه اغبره اركازا انقلعا
 ثم انبعثنا الاخصى من مية نرمي العجاج بها ما ناتي سرعا
 فما نبالي اذا يلغى ارحلنا مامات منهت بالحواة او طلعا
 او دوا به كنه وادى المجد يتبع كذا كن جميعاً قاطنيه معا
 اغداً ابج يستقى الغرم به لو قارع الناس عدوهم قرعا
 لا يرقع الناس ما اوهى ولو جهداً أنه يرفعوه ولا يوهوه سارقا
 قال الشافعي : والبيضا الاخيراه سرقها من عشي ~~فقد سرقها~~

معاوية بن يزيد

- ولبنه ٤١ ومات سنة ٦٤ هـ -

لما مات يزيد بايع اهل الشام ابنه معاوية بن يزيد به معاوية ثلث ملوك بني امية
 واصغفهم : فتولى الملك ثمانية اشهر بعد ابيه واصيب بمرض جالت
 بينه شؤون الخوفا والنظر في مصالح الناس فامر فنوري : « الصلاة جامعة »
 فاجتمع الناس فقم فيهم خطيباً فحمد الله وانى عليه ثم قال : « اما بعد فان
 حدي معاوية نازع امره كانه اولى به ثم تقدره الي : ولقد كان غير
 خليه به . وقد ضعفت عن امركم . ولا احب الي القواء عز وجل بتبعاتكم .
 فابتغيت لكم من عبيد الله استخلفه ابو بكر فلم اجده فابتغيت من عبيد
 الله الشورى فلم اجدهم . فانتم اولى بأمركم فاخترتوا له احببتم .
 فقد خلعت بيعتي له اعناقكم . » ثم دخل منزله واغلقه باباً واقام
 يعبد من حوائج ولم يبعده في الرواية كالحكماء المشهورة اثره انبعث بها .

ملوك بني مروان

[صِلَة]

رأيت في ترجمة معاوية بن يزيد . آخر ابنا معاوية بن أبي سفيان : كيف ترك فخرته لعن الله
 أن يعهد أريوصي وأعتد من نفسه بأنه لم يجد الرجل الذي يثق له أن يركن إليه ويعتد في مواسم عليه
 وانت ترى أن المسلمين كانوا على عهد والده في نقور واضطراب سخط فلما بلغهم موته
 وتولية ابنه معاوية المعروف بالضعف وقصر اليد قويت ثلثة الثأرين فبوج لابن الزبير
 بفدوته في أجازة وامتدت سعة إلى المدينة ومصر فسار إلى المدينة أخاه عليه
 ابن الزبير والامصر عبد الرحمن بن محمد الفهري : واليهين عليها وابعد بني ابنه حمزة ومروان
 ابن الحكم إلى شرم وانجنت العامة إلى ابن الزبير فبعض قنسرين فبعضين والعراق ولا سيما
 حينما انت معاوية من الملك وتركه لمن لا يربطه به . واختلف هو مثنى
 وفيهم مريدون لابن الزبير وبابيعون لمروان بن الحكم ثم انتهى الأمر باجتماع الثأرين
 على مروان وهو ابن الحكم بن العاص بن ابية : أموي . ولله غير معارفة فظان
 من من بيت من البيت . ثم أدت إلى أن يه من بعده وبوج ابن الزبير
 في الجاهل فاجتمع للمسلمين خليفتان حتى كان زمن عبد الملك بن مروان فوجه
 الحجاج إلى ابن الزبير فقتله وصلبه ثم ثارت الثورة العبيية على مكيد كراش ورجل

مروان بن الحكم

- ولد سنة ٤٠، وتوفي سنة ٦٥ هـ -

علمت ما كان في أيام معاوية بن يزيد من تركه للملك عمه ما تقدم بيانه وقتل اناس
 اتهم اتفقوا مع مروان بن الحكم بن العاصي به اية به عنده شمس به جدي صاف : وهو
 اموي قرشي وكان شئنا كير السن . وله بكعة وطان يسود وانتقل الى المدينة
 حتى كانت ايام عثمان به عثمان جامع سقات بني اية به جدي شمس فقر به عثمان
 اليه وجعلنا احدا صفة الذين يرجع الى اراهم ويعتمد عليهم في المعصيات ولما
 قتل عثمان انصرف الى مكة واقام يتزود به الهجاز والشم حتى طرده اياه الزبير
 به مكة فانصرف الى الشام وهي بوخليفة بعد انفصال معاوية به يزيد به الخوفا
 فبولج مروان به السنة وقر به عثمان وامويته فهدا اشم وخرج الى
 معن فصار له اهلا ولما كانت قد فشت في البصرة لاه الزبير فوثقه منهم مروان وولى
 عليهم اية عبد العزيز وعاد الى الشام . وجاءه تصفوا الخوفا لبني اوانه
 خاف ملكية خالد به يزيد به معاوية بلا شئ له ولما آتته صغيرا فرأى
 انه يستحيل فتزوج امه . وبقي مروان به الملك تسعة اشهر وثمانية عشر يوما
 حتى وضع عليه بن خالد به يزيد به شانه فقتله مروان به وسبه امه فانصرف
 اليها ونقلها الى الشام فانتظرت حتى اقبل فوضعت على وجهه وسادة
 ضمة بعد ان اصحح اضطجع وامرت الجواري فقصوا عليها قصصا واستجبه
 فلم يفتنه فمات مخنوقا (قال اية الاثير) وقال القلقندي : توفي بالطاعنة به سنة .

عبد الملك بن مروان

- ولد سنة ٤٦، وتوفي سنة ٨٦ هـ -

ما انفلت خوقة الامويين في اضطراب وتزلزل منه غادر حياة معاوية المول حتى
 انقلب الموت في ايدي الرجال فقارون لاه زاهدا وشلقف لاه لاه

ومشرباً إلى طامع بانتقالها إليه حيث لم تستقر على حال واحدة إلا في زمن
صاحب هذه الغلبة وهو : أبو الوليد عبد الملك بن مروان - به الحكم الأموي القوي :
انتقلت إليه المكنوفة بموت أبي مروان سنة ١٥٠ هـ فبيع في دمشق والعظم ما بهد
منه استفحل امر عبده به الزبير في الحجاز والعراق : فلما بيع قلم في الناس خطباً
فقال : « إيا الناس إني والله ما أنا بالخليفة المستخفاف - يعني عماله - ولا
بالخليفة المداخن - يريد معاوية المدول - ولا بالخليفة الأثفون - يريد يزيد
أبى معاوية - فمنه قال برأسه كذا - أي استخ - قلنا له بسيفنا كذا - أي
ضربناه - ثم نزل ... » وعلم عبد الملك أنه أبى الزبير وقبح المختار الثقفي
إلى مكنوفة أمير أعيان فجز عبد الملك حيث فيه عبيد به زياد ورجل من
كبار القادة عنده فأسل المختار حيث لقتل عبيده بقيادة أباهم
أبى الزبير فالتقى المختار بالجزيرة (قرية من نواحي نهضة بلاد الشام) فقتل عبيده به
زياد وأصحابه وأخذت رؤوسهم إلى أبى الزبير . فلما بلغ عبد الملك ذلك عظم عليه
فنادى أهواناً لم فلم يجبه . وكان في رجل شريطة الحاجج به يوسف وهذا
أول ما انتدبه : فتقدم إلى عبد الملك فسأله أنه يسقط عليهم . فقال قد سلمت .
فانصرف منه مجده لا يرجع مع رجل من أهوانهم قد تكلف عن القيام الأخرى عليه واره .
فخرج الناس واتبعوا إليه فجزهم عبد الملك . يريد العراق وخرج إليه
مصعب بن الزبير بأهل البصرة ومكنوفة فالتقوا بيهانم والعراق : وكان عبد الملك
كتب كتاباً إلى رجل من وجهه أهل العراق يدعونهم إلى نفسه ويجعل لهم الأموال :
فلما تنقضى الفريقان انضم رجل مصعب إلى عبد الملك وبقي مصعب في
تفليس من أصحابه فأتاه غموم لعبيده به فلبى به فاعانه عليه مولاه عبيده به
فقتلوه (وستانه ترجمه مصعب في القوادح) ودخل عبد الملك مكنوفة فبايع
الناس بخاءه الحاجج فقال : رأيت في المنام كأنني أسلم إلى أبى الزبير من رأسه فقدم .
وكان عبد الملك قد رأى به الحاجج عزاً وسدة بأس فقتل له . فخرج
الحجاج بميش كسيف يريد عبيده به الزبير . وفي سنة ٧٤ هـ كانه في منى ثم
حضر أبى الزبير في مكة ونصب الجانيه مع جبلاً ونواحيه برمي أهلها بالحجارة
رأته

القتال بقتل عبده به الزبير امير المؤمنين في العراق والحجاز . فارس الحجاز رأسه العبد
المحك به رواه في مشقه . ونصب للناس راية ايمان فجمعوا يفتدونه عليه . فلم
ينصرف عنه الحجاز الا وهي مبايعة لعبد الملك وبهذا سكنت الفتنة واجتمع
المسلمون مع عبد الملك واستتب له الامر فيهم . وراى له المدة العانة
بعد مقتل ابيه الزبير ثمان عشرة سنة وثلاثة اشهر . وكان يقال : معاوية
يحكم وعبد الملك يوزم : وكان مدركا جبارا عزمه عانده قوي الية شديدا
السياسة حسن التدبير : جمع بين العلم والعقل : قال الشعبي : ما ذكرت
احدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فاني ما ذكرت حديثا ولا
شعرا الا زادني فيه . وقال نافع وهو من شيوخ القراء : لقد رأيت اهل
المدينة وما لا يتجاوزون شيدا ولا فقه ولا انك ولا اقر الكتاب
اله به عبد الملك به مرويات . وفي ايامه كانت تكتب الدواوين باللغتين
الفارسية والرومية فأمر بترجمتها ونقلت الى العربية : وهي باقية تذكروا .
وكانت الرعية كما علمت به ترجمته طرية فيهم وفيهم تنكلم بصفة خلفاء
وترجع اليهم في جميع امورها : فنزلهم عبد الملك عن ذلك وجعل الكلام خاصة
وسه اراد به علماء والامراء . وهو اول من سلك الدناير في مرسوم :
وكانه عمر قد سلك الداهم كما سلفنا : وكان به عبد الملك اتخذ امير المؤمنين
عمر بن الخطاب اما ما له يقتدي به في سياسته واعماله فانه اتم شروعيه عليه
بدا برها عمر : وهما الدواوين : وضعا عمر في نسخة النورس بقتهم ونفلا
عبد الملك الى العربية . والدرهم : نفلا عمر فتابع عبد الملك بنقصة النازير
ولعل هذا كان له صفاء مورا له وخلوه من الملك رات وفي راسه
ولته تجد عقد كبيراً وخبا للخير جتاً : كتب على اليه الحجاج به يفتق في شانه
عروة به الزبير على اليه وكان قد لجأ الى عبد الملك :
« بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فانه لو كان المعترض بهك وحول

كذا (د) فقل البيضا (أخضر علف) . . . المجدد الأخيرة التي ترجمه
له مرتبة فيه ولي وحيد ولي : طارأت . . . ومان في سنفة : فذخر خارج باب الحاية .
لخصت هذه الترجمة من الطال لآلة الأثير (المجدد الثالث) . . . و . . . ان الذهب
في اخباره ذهب لولي الفدح . . . والعقد الفريد لولي : (ج) . . . وفوات الزينات
(ج) . . . والمعارف لولي : قينة . . . جره .

الوليدين عبد الملك

- ولد سنة ١٨ في وروني سنة ٩٩٦ هـ -

اتصف التملوك به بن مروان بصفات جعلت لهم فضاء كبيرا على العالم العربي
فقيم الزاهد الثالث في غير ضعف والمؤيد الثالث في غير ضعف والعراقي
الصالح الفاتح والجل الصالح : مما لا ينكره المنكر ولا يحجده الجاحد . وكان
عمرانهم الأكبر وصاحب آثارهم مترجما هذا وهو : ابو العباس الوليد بن
عبد الملك بن مروان بن الحزم : الاموي القرشي : ولي الخليفة بعهده به
عبد الملك : وابنه مطرقة والمسلمون كانوا . فوجه القواد لفتح البلاد
فكان به جده موسى به نصير ومولاه : به به زياد : فبيرة الوليد الامير والمؤيد
وموسى : به طاقا : فاجتاز طاقا جبال البيرة (Pyrenees) وطاقا
وهي سلسلة جبال تفصل بين مملكة اسبانيا (اندلس) وفرنسا . وطاقا
الجانب الجنوبي به فرنسا وارستك يتوغل في اوروبا . والداه موسى حده
ولحده به واهانه واقفه على السير وقبل انه سجنه فبلغ الوليد ذلك فطلب موسى
لا التهم وضربه ولطرداه بالأملة حيث كانت وفاته ~~والمكانة~~ وامين
جبال البيرة (او البريات) حدها بين العرب والعجم . وامتنعت في زمنه
المملكة العربية شرقا الامير والهند فتركسناه فحدودهم حيث بلغت مسافتها
سنة اثني عشر الف الف والفرس والشمال والجنوب . قال احمد المؤيد : فتح
المسلمون في ثمانية عاما عالم تقفه الرومان في ثمان سنة . . . ان داود الوليد بنا .

والعراق فكان غريباً جداً : فبالدائرة في حوادث سنة ٨٨ هـ : وفي هذه السنة كتب الوليد
 للأمير عبد العزيز - والي المدينة - يأمره بتسريع الثأب وحفر آبار وأن
 يعمم الفؤارة بالمدينة فعملوا وأجرى ماءها فيها مع الوليد وآهاتها عجة
 فأسرلاً بقواهم يقومون بعملهم وأمر أهل السجد أنه يستقوا منلاً وتنب
 لا البلدان جميعاً بأصديق الطرق وعمل آبار. ومنع المجذومين من
 الخروج على الناس وأجرى لهم الأرزاق ١٠ هـ. والوليد ازل به أحدث
 الم... تشفيات في موسوم أمريتها مؤانسة للمرض والمصابية بمقولاتهم.
 وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ولعمله الرقباته وتظهر
 في ثمانه . وأقام لكل مقعد خارماً . ورتب القراء المتفلية بفظ
 القراء الذين قصص لهم أموالاً تكفيهم وتمنعهم من أن يكونوا عالة على
 الناس أو يتخذوا القرآن حرفة يعيشون به كما هو حال اليوم في بلاد
 السليمة من كتب القراء بالقراءة : حتى رقت عينا بدنة من سوا البيع
 في الموسوم وهي بيع الخنثة بقيمة مكتومة وهم يتناولون مع الله فيجعلون
 الدارهم هبة ويهبون الخنثة لأرواح الميت ولو امتنعت به بذل المقابل
 من الدجعة أو الجمل كما لفتوا على رفينك بكلمة يتلون في الحرف
 بمردونه . وهذا بحث يبرأ سواه فليتركه إلا الباحث به مع الله .
 وأقام هوليد بيوتاً ومنازل تأوي إليها الغرباء وتهوي عليها الضيفات
 كما هو الحال في قبائل العرب والآخذين إرثهم . وهدم سجد المدينة
 والبيوت التي حولها الميعة به ثم بناه بناء جديداً فجعل ما حته سجن ذراع
 في سجنين (ذراعاً هاتمين) . هو فخره بصفاته الخاتمين . فمع اتمام البيوت
 من بيت من السليمة . وصنع النعبة واليزاب وهو ساطع في مكة .
 وبنا السجد الأقصى في القدس : أرسل إليه الصناع وهدمته من تمام . والمأثرة
 إلى الأبد

الخالدة للوليد بن زور مسجده وشقه المعروف بالجامع الأموي وهو من أشهر مساجد
 البصرة وسبوتية وفيه قبر عماريونا ^(الذي كان يلقب بالملك) وكان كنيته
 أنصارى التميمي فلما فتح خالد بن الوليد دمشق ودخلها غنوة من جانبها الشرقي
 ودخل الكنية وقد علم أنه أبا عبيدة بن الجراح ودخلها صلى من الجانب الغربي
 فالتفت المسلمون مع الروم على أنه يجعلوا النصف الشرقي مسجداً وينقل النصف
 الغربي كنيته . فلما استخلف الوليد الأموي دعا أنصارى التميمي إلى بيوتهم على
 ذلك الجانب الغربي الذي بأيديهم مكاناً غيره في دمشق فأبوا فالتفتهم قهراً فوضه
 إلى النصف الأول وكتب الملك الروم بالقسطنطينية أنه يوجه إليه اثني
 عشر ألفاً من صناعات يورده فابى فهدده فأذعن وبعث بهم وأنفق على بناءه
 كما نقل به جبير في حلة ^{في المسمى بهذا} (١١, ٤٠٠, ٠٠٠) أي نحو ستة آلاف مائة
 ليرة أنطونية من نقود زماننا . وعلقه فيه ست مئة مئة ذهبية
 للمصاييح . ومد جدرانها كلها بفصوص الفسيفساء مزودة جدرانها النوع من
 الصبغة الغريبة تمثل أشجاراً وأغصاناً بديعة الصنع ^{رائحة مبهجة ولم يبد لها ثمة أخرى مما به} . وقد وصف به
 جبير هذا المسجد وصفاً شامداً فارجع إليه أنه ست ولد بأسى بنقل النبذة
 التاريخية الآتية عنه قال : « ولد - أي الجامع الأموي - أربعة أبواب : باب
 قبلي : ويُعرف بباب الزيارة ولد دهليز كبير منسج له أعمدة عظام وفيه
 هوائيت للزريين وسواهم .. وعديداً الخارج منه ساطع الصغارين - على
 المعروف بالصاغة اليوم - وهي كانت دار معاوية رضي الله عنه وتعرف
 بالخضراء . وباب شرقي : وهو أعظم الأبواب ويُعرف بباب جبرون .
 وباب غربي : ويُعرف بباب البريد . وباب شمالي : ويُعرف بباب النافين .
 وللشرقي والغربي والشمالي أيضاً هذه الأبواب دهاليز متعة ينفذ
 كل دهليز منها إلى باب عظيم كانت كلها مداخل لكنية فبقيت مع
 حوائجها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جبرون يخرج منه الباب

الى طول طويل عريضة قد قامت أمام خمسة ابواب مقوّية لانه اربعة اعمدة
طوال وفي وجه اليسار منه مشهد لبيد حفيظ كما به فيه أسن حسين علي رضي
الله عنهما ثم نقل الى القبة و بازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز ... الخ
وبالمجدة فقد كان هذا المسجد من مفاخر المدينة المسموعة وطاويي عمر بن عبد العزيز
معه اثناء مجيئه النصارى وأوردوه عهده في ايامهم من الصلاة با بقا وجانبه الغربي
لم يهتم باعادة ابراهيم ثم عوضهم منه بمال عظيم ارضاهم به فقبلوه .
وأمره هذا اجماع مرات متواليات آخرها في عهدها هذا و بناؤه اليوم
يختلف كثيرا عنه في المدة الاولى ~~والاخرى~~ فان اتون مسجد شمس عمارة
لانه يدعى عمارة غيره من المساجد العظيمة المبنية في المدينة المتأخرة وفيه
نير من آتاه لانه ان كان هذا المسجد وبعده الدعوى ويحيط به الفسيفساء في
الجانب الشمالي منه داخله : وقد أطلعنا في الهدم عليه حتى لا نرى من موصوفنا
وامتدت الحفرة للوليد تسع نية وثمانية اشهر ابقى فيها آثارا جديدة
وذرا حنا ولا سيما للنفاء لغير الزوجات : قيل ان عدد اللواقي
تزوج بنت نيف على اليمين . ولا لغير الصدقات والمبرات والخبرات .
وماتت وفاته ببرهان في غرطة وشعه ودفن في قبر في خارج الباب الصغير
~~من حائطه~~ ~~والجوهرة~~ ~~من حائطه~~ . وهذه الزوجة لم تكن ربة كثيرة
او ثقرا : الناس (ج. و ه) و سنة ان الذهب والقوي لوجه الطقطقي .
وبعد ابيه جدير . وتاريخ ان لم لا يشار . وفيها .

سليمان بن عبد الملك

- ولد سنة ٥٤ هـ وتوفي سنة ٩٩ هـ -

لم يمه صاحب هذه النجمة ما دللنا الرجل الذي حاله التوفيق فسادوا
وسادوا ولكنه قصرت مدته وحاول القيام بعمل عظيم فلم يفلح وكان
الناس قد استبشروا بتوليده بعد ابيه : واذت انه بويج يوم وفاة اخيه الوليد
وهو بالرملة سنة ٩٦ هـ فلم يتخلف له ما بينه احد لرسوخه فيهم هذه النجمة

في منصب اخلافة ونزله الناس المشايخ بعد ما قاسوا وما عانوا في ايام مروان
 وانه تقدمه . وكان الجاهل به يوسف قد توفي سنة ٩٥ أي قبل تولية سليمان
 بسنة والناس له طارئون ومنه شدة مشكلته فسرهم موتته ثم استخف
 سليمان فأتوا به خيرا : فانه الحلو الكرى وامر باخلاء السيرة والمفوعة
 المجرية واحسن الناس بما علقهم بحبه وعمره اولاد الخلفاء الابناء ايوب
 فمات في حياته فمره الامار بوزر وشيرة ابيه عمره عمره عبد العزيز الملك الصالح
 وكان الناس يعرفونه صديقه وحسن دينه وفضله فسلمهم السرور وسماوا
 سليمان : مفتاح الخير : وهو ابو ايوب سليمان به عبد الملك به مروان بن محمد
 الاموي القرشي . وكان موصوف بالفصاحة وجودة الفهم والفطنة وجب
 المنز والعدل والميل الى فتح البلدان والنزول . وفي سنة ٩٨ هـ اثار ان
 يقره اسمه باسماء كبار الفاتحيه فبرز اليوسه والفض وسيرة هاتقيا
 اخيه سلمة به عبد الملك الحصار القبطانية فلما بلغه خدعة الروم
 واصاب الجيوش جوع شديد ومحنة وبدود ولم يزل بلا حتى بلغه موت اخيه سليمان
 وتولية عمره عبد العزيز فكتب اليه عمر انه يعود فعاد ولم يصب نجاها . وفي ايام
 سليمان فتحت جرجانه ولجده شانه مبدود الترك ولم تكنه ارضا . ابن يحيى جيل
 ومخارم وابواب يقوم الرجل على باب منها فدون يقدم عليه احد . ولانت عاصمة
 دمشق عاصمة آباءه واما اقامة مدة خدعة فانه هاهنا في دابجه به
 ارمه قنصرية وبلعات ودفن ~~وكانت له شجرة~~ . ولم يعلم غير
 سنتيه وثمانية اشهر الاياما . وطاه شجيا بنفسه : لبس يواحدة
 خضرار وعامة خضرار وتل في المرأة فقال : انا الملك الفتي ! فمات
 قبل تمضي عليه جمعة . وانظرت اليه جارية فقال : ما تنظريه يا فتاة :
 انت نعم القناع لو كنت تبقي غدا لوبقاء دونك
 ليس نيا علمه فيك عيب طاه في الناس غداك فان

فان تقوى الله خلت عنه ذنوبه وليست به تقوى الله خلت واعلموا لا فرتم فان
 من لا فرته كفاه الله امر دنياه وآفرته وأصلها سراركم يصلى الله عدوئكم
 والله اني لراعي احد باطله ولا يمنع احد حقاً من اطاع الله وحبته طاعة
 ومن عصى الله من طاعة له الطيعوني ما اطعت الله فانه عصيته فمولاة لي عليكم
 ولا تزل آتي براكب الخنوة ولن دابة سائس . فقال ما هذا ؟ فقيل اركب
 الخنوة . قال : دابتي اوفعه لي . وركب دابته وصرفت تلك الدابة . فقيل له :
 امثل الخنوة نبي ؟ قال : لا : فان فيه عيال الي ايوب - يعني سليمان به عيال -
 وفي فسطاطي كفاية حتى يتموا . ولما - تقر به بلسه دعا بكتاب واحد فبعل
 يمين عليه الرب ان الله في كتابه كتاب لا عيب الرحمن به نعيم :
 «... اما بعد فاعلم من يعلم انه لو جعل عمل المفدين »
 والى سليمان به اي الرى :

«... واعلم خانات من ربك المسبية فاقروه يثا وليك وتعهدا
 دوايتهم ومن كانت به علة فاقروه يمينه ويطعنه والله كانه منقطاً به فاجله
 بده . » وكتب الامام محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن به زيه به عيال :

«... اما بعد فانه اصل الكوفة قد اصابهم بوء رثية وجور في احكام الله
 وانه ضيعة منها عليهم على السوء وادع قوام الدين العدل والحياء فلهذا
 يكون شئ اهم اليك من نفسك فدا عتلتها فبئس من موثم ولا تميل فرنا
 مع عامر - يريد في امر حياية - وخذ منه ما اطاعه وأصله حتى يفر ولا يؤخذ
 من العار الا وظيفته الخارج في رفعة وتكفيه لصل الارض ولا تأخذ من اجور
 الفراسية ولا هدية النوروز والمهرجاء ولا ثمة الصف ولا اجور الفتوح ولا
 اجور البيوت ولا درهم الكاخ ولا فراخ على ما - لم من اصل الارض فاتب في ذلك
 امري فاني قد ابتدي من ذلك ما نؤي به ولا تفعل وولي بقطع ولا صلب حتى تراهم
 فيه وانظر من اراد من الذرية انه يحج فعمل له منة ليحج به والمسلم »
 وقال في احدى خطبه وقيل في خطبة الاول :
 «... اننا من صلبنا فليصحبنا بنسبنا والافند يفرنا : يرفع البنا عابة

قد بايعوه وعاهدوه على قتلى جيوشهم وبنائهم من ملوك بني امية
 فاجتمع عليهم قتل ابيه فخلدوا في العبر : ظهر زيد به غير بموتة خارجا على
 هثم : داعيا للكتاب والسنه والامجاد الظالمية والدفع على المستضعفه ،
 واعطاء المردية ، والعدل في قسمة الفيا ، ورر النظام ، واطفال نجر ،
 ونظر اصل البيت . اه . وكما هو العاقل عن العوانه يوسف به عمر الثقي وهو
 حينذاك في الحيرة فكتب اليه هثم ، بعد ان علم يوسف به ، يا مرفان
 يقاقل زيدا ، فكتب يوسف لا اظلم به الصلت وهو في مكونة ، فطلب محكم
 زيدا ، ثم اجتمع الثائرون من اصحاب زيد ، والعاكر من جنود هثم ،
 فكتب قتلى اظهر فيه زيد به علي شجاعة خارقة وحجدا على الحرب عجيبا
 واصابه سهم في جبهته فلما عاد الى منزله في المساء نزع عليه وقد بلغ ريقه
 فترفده فمات من ساعته ودفنه اصحابه وفي اليوم الثاني تفرقه هثم
 وبحث عنه محكم فمعه عليه فقطع رأسه وارسله الى يوسف في الحيرة ويوسف
 بعث به الى هثم في اثم فكتبه على باب دونه وانطفأت الفتنة .
 وكما في ايامهم حروب كثيرة مع خاقان الترك استمرت بقنلة فقاموا
 بعده بؤره وفازوا بقتلهم وافرقة . وتمرت فريده من نواحي ريد
 الظهور فسلم بهم هثم فوجه اليهم جندا فلان قتلى هثم بقتل ثائرتهم
 وتخفيف شوكتهم واستناب الامر له . وكاله هثم محبا للجمع بين
 منقوت باليمن : تبنى ثم يجتمع في خزائن احد من ملوك بني امية من الملوك اجتمع
 في خزائنه . قال الثعالب في الامجاد والوجاز : قيل لصلواتهم - قبل انه
 على محمد المصنك - : اأطلع في اخوته وانت جبا به بنين ؟ فقال : كيف لا
 الجمع بـ ؟ وأنا عفيف حليم . . قال : وكتب اليه اخيه سلمة به عليه السلام :
 " طهر عكر من اصل الفار فان الله لا يصنع عمل المفدين ."
 وقل ابيه الدبير في الكمال على كبحه به يعقوب الانصار بن جندة تدل على علم
 هثم

هشم وحسن اخذوه قال: شتم هشم رخصته اشراف فوجي الرجل
وقال: اما تشتمني انه تشتمني وانت خليفة الله في امره ؟ فاستحي فقم منه .
وقال: اقتصر مني ! قال: اذا انا سفيه منك ! قال: فخذ مني عوضا
المال ! قال: ما كنت لدفع ! قال: فهبها له ! قال: هي لم تمسك ! فغش
هشم رأسه واستحي وقال: والله لا اعود الى مثلها ابدا !

ولما طالت سنة ١٤٥ هـ مرصدهم بهجده المحدث وهو في الرصافة
وقال يا فتى: رصافة هشم به عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ
على طرف البرية بناها هشم لما وقع الحاحونه بهم وكانه يسكن في الصيف .
ففي غير رصافة بغداد والبيعة) ففقد في امره يد مخدوفة بعده ولما به
اخره يزيد قد علمه بلا الا ابنه الوليد به يزيد : فرأى هشم انه الوليد لا يصح
الا ولده هو به رجلا فحول خلعهم وتولية به يكونه اولاه بلا فلم يستطع
ومات في الرصافة ومدة خدوفه تسع عشرة سنة وتسعة اشهر واثم .

الوليد بن يزيد

— ولد سنة ٨١ وقيل سنة ١٤٦ هـ —

قلت في آخرة هشم اب لي زكوة : ان هشم ما رأى الوليد لا يصح الخدوفة .
وزيتك لما كانوا يعنفونه به من حب المجنون والميل الى اللهو وايتار الله اند
على التفكير بشؤون المحدث . واوشكت ان اضرب صفحا عن الامة بظواهر
الرجال الذين عقدت النية على اثباتهم في هذا المصنف . ثم رأيت بعض المؤرخين
يذهبون الى التنازع على الوليد ويعتدون ما قيل فيه افتراء عليه وهم يرون
له شرا حسنا يصح لنا ان ندعوه به شرا الملوكة الامويين . وعلماء
ادب يذكرون ان كثيرا من الشعراء الكبار كابن نواس وطبقته يرفقون باني
الوليد ويدمجون في اشعارهم . فقلت : اذا لم يكن الوليد مدحا هاما
فوشع غريب لم ار اصدوا الكتاب من وصفه . وهو : الوليد بن

وهو الذي قتل خالد به عبدة القسري وقال في ذلك قصيدة الملك يوحنا الصليبي
 وكانوا قد حاولوا نفرة خالد ثم تخلوا عنه وقيل انه القصة لاحد سواد اسمه
 جبريل مع ساء الوليد وداراه حقيقة . قال الوليد :

الم ترهتج فتذكر الوصال وحيداً كان متعدياً غزاً الى
 على فالد مع منك الامام كاد المزن يسجل اسما
 فدع عنك اذا كارك آل سعد فغن الاثرون حصن ومال
 ونحن الماكرون الناس قسراً نسوهم لمذلة والنكال
 ولحننا الاشرى يا هجر قبس فيا لك ولطافة لستقا لا
 ولقد اخالد فينا اسير اذ منقوه ان كانوا رجال
 عظيمهم وسيدهم قديماً جعلنا المخرجات له طلال
 فلو كانت قبائل ذات عر لما ذهبت منائعهم ضد
 ولا نزلوه سوباً اسيراً يعالج من سكون القالا
 ولكن الوقائع ضعفتهم وجهتهم وردتهم شلال
 واثرت هذه القصيدة في البمانية فاخذوا يسعون في قتله وقال عرق به
 بيده التخرج يرد على الوليد في ابياته السابقة :

وصلت سماء الفر بالفر بعدا زعت سماء الفر عنا سقيلج
 فليت هت ما كان حيا يسونا ولنا كما كنا نرجي ونطمع
 ثم اتوا يزيد به الوليد به عبدة الملك فارادوه مع البيعة فأطاعهم فبايعوه
 وانفقدت له البيعة سرّاً وفشت الدعوة اليه في الناس واستفحل
 امره وشعر بهم الوليد فاراد قهره في حبيبه فرأى الناس عنه راغبه
 فنهض برجاله يقاتل يزيد واشياهم فنشب القتال ثم انهزم الوليد
 فدخل قصر النخاعة به بشير في ايجزاء بظاهر دمشق واغتمه مباب ثم الحار

البحر وقال: اما نعلم رجل شريف له حسب وجاه اهل ؟ فاجابه رجل
 من اصحاب يزيد . فقال لهم: الم ائذ في اعطيتكم الم ارفع المؤنة عنكم
 الم اعطيتكم فقراكم الم اخدم زناكم . قلوا: بلى ! وكنت انتزعت
 حرمة شراب الخمر واستخففت بامر الله . فعلم انه لا سبيل لارتدادهم
 فدار فاخذ مصحفا وحلوس بنو . ودعوا عليه . فقد : يوم كيوم عثمان !
 نقتلوه وذلك سنة ١٢٦ هـ سنة خروقة سنة وستة اشهر . وله
 الصلوات ما هو غاية في بدوغة : يذكر انه لما مات سلمة به عبد الملك فقد
 حتم لمزاد فاته الوليد ~~وهو شقيق~~ مطرف فز عليه فوقف على
 حتم فقال : يا ابا المؤمنين ان فقي مد بقي ~~لله~~ لكونه نه
 مفي وقد اتفر بعد سلمة الصبي لمه رمي واقتل التفر فزوى وعسى
 اثر نه سلف يحضي نه خلف فتزودوا فانه خير ازاد التقوى . فأنهم
 حتم ولم يجبه . ومه شره قوله في نمرانية اسرا سقرا :

اضحى فؤادك يا وليد عميدا صبا قد يالسان سيودا
 به حب وارضى العوارض لطفلة برزت لنا نحو انسية عيدا
 ما زلت ارفعها بعيني راسه حتى بعثت بلا تقتل عودا
 عود الصليب فوج قبي به اى نكم صعبا منذ معبودا
 فقلت رب ايه اكونه فانه واكون في اهب الجيم وفودا

زيد بن مولى / لا قتل الوليد ولي ممدونة بزيد به الوليد به عبد الملك فانت اياه عم قهرها
 ايام شرور وفته وتورات واحن وليس له ما يدل على عظمة اولى نفس
 او فضل الا قوله به ولي : فانه خطبه الناس بعد انه قتل الوليد فذكر لهم بيه
 ما له عليه ايه عه به الخدعة والفسق ثم قال :
 " ايها الناس ايه لكم علي ايه واضع جوا على عجب ولا ~~يكون~~ ابنة
 ولا

ولداً كثرياً ولداً كثيراً ولداً عظيماً زوجة وولداً ولداً نقل من ذمته بعد
 حتى استغفره وخصاهته الهدى بما يفتنهم فأنزل عنهم نقلة البلد الذي
 فيه ولداً جركم في نفوسكم فافتنكم ولداً عظيماً يديرونكم ولداً عظيماً
 أصل جديتم ولكم أعطيتكم كل سنة وارزاقكم في كل شهر حتى يكونوا أقصاكم
 كما وثاكن : فانه وثيت لكم بما فلت فمكم السبع والاعانة وحسن الزمان
 وانه لم أف فكم انه تخلصوا ولداً له اتوب وانه علمكم احد اسمه يعرف
 بصريح يعطيتكم من نفسه مثل ما اعطيتكم وارزاقكم انه ثبا يبعوه فانا اول
 من يبايعه اي الناس لا طاعة لمخلوكة في معصية الله . وكان الوليد
 قد زاد في اعطيات الناس (اي رواتبهم) عشرة عشرة من الدراهم فلما
 ولي يزيد نقلاً فقبوه . يزيد الثاني « وكان مولده سنة ٨٦ هـ
 وتولى الخدوة سنة ١٠٦ هـ فقام خليفة ختم أسره . ثمانية ايام ومات
 في هذه السنة وليس في تاريخ حياته ما يجلده في العطاء اما اخبار ايامه
 فكثيرة كما قلنا وهذه ليست من خصائص هذا الكتاب فارجع اليها في
 تواريخ الزمنة والعصور .

// ولما مات يزيد به الوليد به عبد الملك قام بعده به الامراء اخوه ابراهيم به
 به الوليد به عبد الملك : وكانه ضعيفاً مغلوباً على امره مغلول اليد
 به فازدراه اتباعه فلما نوا تارة يسلموه عليه بالخدوة وتارة بهرمانه
 وتارة لا يسلم عليه بواحدة منها فمكث سبعة (او ذبك سنة ١٠٦ هـ
 - ١٠٧ هـ) فتأرجع به مروان به محمد به مروان وكانه والي اذربيجان ودعا
 لانفسه بالخدوة وسار اليهم فانفسه امواتاً . فقال به الجند اليه
 وعرف ابراهيم عمه به دفع هذه الفائلة وكانه علم ما عرفت به الضعف
 فقرأ واختفى فاستولى مروان على الشام ثم امش مروان ابراهيم فظهر سنة
 الخدوة لمروان ~~سنة ١٠٧ هـ~~ سنة ١٠٧ هـ

مروان بن محمد

— ولدت سنة ٧٤٠ وفتنة سنة ٩٤٤ —

قد منا أن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وثب على إبراهيم بن الوليد فاعتصب الحث
منه وزى له مروان هذا ذكر أكثر الحورود في التاريخ فندى شبنم افقه
رأه لم يكن قد أبقي له الآثار ما يذكر به فأياه ليست به أيام ابقاء الآثار
وتقليد الذكر : وثقه همام بن عبد المثلث عم ارمينية (سنة ٩١٤) فسار
إلى رافتح بدمشق وقدموا واستولى على رويات كثيرة من ارمينية إلى لبرستانه
وفي سنة ٩٤٧ كانه عاصم على اذربيجان فبلغه ما اصاب الدولة العويمة
وهي على ما رأيت من ضعف الحكمه وتفرق مندهم واضطرابها فدعا الناس
إلى البيعة له فبايعوه وقدم جيش كثير إلى أنهم فخرج إبراهيم واستولى
على عوسه بن مروان . فكثرت في أيامه فتنة التارية والمخالفين لما اثبت
بهم من روح الشقاق والخروج عن طاعة هذه الطائفة الحاكمة فكان
رأب مدحاً انصاع رأب وكما راوى جرحاً على جرح وشرى في الحكم
على خلفاء بني العباس ما صنعوه به بت الدعوة اليهم وتخويله الناس على نزع بيعة
بني امية والناس في حيد القوف فلما راوا انه باع الخراسان وهو قائد
المعظم الذي اقام العباسية في خراسان اولاً ثم بمرور وفوها من بلاد فارس
والعراق يدعوا إلى بني العباس به عبد المطلب الراشدين القرشي انضموا اليه ولففوا
عليه وكثرت في عهده رواه ومنه وابلاه فجمع ما استعج فعهده من الجيوش
وذلك سنة ٩٤٤ م وفقد قتال قوطبة بن شبيب ^{طبيب} ولما ابرهن الخراسان
قد ستره إلى طوس فلما عظم شأنه سار إليه مروان بمكة فترك بالزباب
وهناك حبيسه من فكر قوطبة عليه عهده به فعاشتعت بينهما نار
الوب فانهزم جنود مروان ثم وفر مروان إلى الموصل ثم إلى حران ومنها
إلى حمص فقتله وانتهى إلى بصرى من أعمال مصر . ولما رفع (أول

المدفون

المنفا والمبايعة) قد كتب لا عبده به على يأمره بأنه يتعقب مروان فلمقه
 حتى أدركه ببوصير فقتله وبعث برأسه إلى السفاح وهو في الكوفة سنة ٩٤٠
 وهو آخر ملوك بني مروان وبه انقضت دولتنا بني أمية: العارضية والمروانية؛
 في مشهم. وصفنا الملك لبني العباس على ما سنده أمية شامه.
 ورواه مروان: كثرنا المنوز فما وجدنا كثرنا أنفع من كثر معروف
 في قلبه: أيام القدرة وانه طمت وانه طمت نصيب والمنفعة
 بل وانه كثر من قبيلة.
 ولله مروان حازماً مدبراً فلم ينفذ عزمه وتدبيره عند أرباب الملك
 وانفعل السوء.

الدولة العباسية

أتمهده

قتل الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي والأبصار حادثة على شخصه المحبوب فانقلب القلوب
تلكه والاس تنفاه وترثه وانخذ بنوها ثم تقتله ومات من كثر عليه ذرية لبث الضعيفة في المسلمين
على بني امية واحذرهم ومحقاً يثرون به نار الحقد والبغضاء فكانوا كل آتوا من أنفسهم قوة
هتجوا فرقة من بني امية فثار محمد بن علي بن عمره من خلفا بني امية فلم يظفروا بدأة ذي بدو لما
كان اولئك قد كذوه لانفسهم من الوقاية وما عتدوه من لعدة حتى كان العلم الاخير من القول
الاول لاهرة ففترت انصارهم ونبلت نابقتهم وتعددت ثالبا لدولة الماكنة وأحصيت
هفواتها وزلاتها وكان مرجع الهاشميين في ذلك حين الى حديد هي محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس ، وابوهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . ثم مات ابوهاشم مسموماً قبل سنة ثمان
ابن عبد الله وادى صحابه والدعاة اليه بتابعة محمد بن علي : وكان محمد ينزل ارض اشارة
من اعداء ابيهم فاقبلوا عليه فبايعوه سراً كما كانوا ~~يحبون~~ يبايعون من قبل
فاختار منهم رجلاً وثق بهم فسيرهم الى اوراق لبث الدعوة اليه ولتب لهم كتمان يكون
لهم مثلاً وكسيرة يسرون بها وهو شبه بنظام جمعية سرية تورية . فانهم فوا
وهم كما شك فيهم من رث من ولادة بني امية اظهروا انهم يشتغلون في التجارة
وفي سنة ١٠٠ هـ وثنى جماعة منهم في فراس واشى الى اميرها اسد بن عبد الله بن قيس
ابدى من طرف به منهم وصلهم فكتب بعضهم بذلك الى محمد بن علي فاجابه المريد الذي صدق
وقوتكم وحقق نقائكم وقد بقيت منكم قتل ستعد . ومن غريب ما روي ان اسد بن
عبد الله علم بدعاة منهم سنة ١٠٤ هـ فقبض على احد عشر رجلاً يرأسهم ازيد ابو
محمد مولى همدان فقتله اسد ورضى ابراراً منهم على امحاه فمن تبرأ حتى سبيله فتراثان
نتركا

فتركا وابى البرادة ثمانية فقتلوا عما كان الفد أنبل احد الاثنين الى اسد فقال: اسألت
أن تحققني بأصحابي إذ فقتله . سنة ١٤١ هـ احسن العصفان زيد بن علي بن الحسين
في الكوفة فكان من امره ما ذكرناه في ترجمة هاشم وقتل سنة ١٤٢ هـ وفي سنة
١٤٥ هـ توفي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى الابن ابراهيم بن محمد بالقيام
بأمر الدعوة . وفي سنة ١٤٦ هـ وجه ابراهيم بن محمد الدم ابا هاشم بكبره
ما صان وهو من أمثاله فرسان فقدم مرو وجع النقباء والدعاة ففتى
محمد بن علي ودعا الى ابنه ابراهيم فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من الاموال
وكانت الشيعة تدفع الى النقباء في كل سنة فمس اموالها يستعينون به على بيت
الدعاة في ابلود فعاد بكبر الى ابراهيم بابل . وفي سنة ١٤٨ هـ كان قد انفصل
ما ابراهيم بن محمد ابو مسلم الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم (الظاهر ترجمته) ورأى منه
ما جعله يثق به فوجه الخراسان وكتب الى من بها من الشيعة أن ياتروا بابل
ويطعموه فابوا ذلك واستصغروا سنة وكان في التاسعة عشرة ثم شافهم
به ابراهيم فاطعوه . وفي شهر شعبان سنة ١٤٩ هـ نزل ابو مسلم قرية من قرى
مرو يقال في فنين فجمع حوله النقباء ورؤسا الشيعة وفرقهم في ابلود
وأمرهم أن يظهروا الدعوة في البلدة افسنة وعشرة من شهر رمضان في جميع اوقاف
يوم واحد ومن خالفهم قاتلوه . وذلك بعد أن اعتقد صنف ضلوا وبني ابي
ونفرة الناس منهم وكثرة عد الشيعة في الارتداد فتفرق اصحابه في طارستان
ومرو والروز والطالقان وخوارزم ثم انصرف هو الى نزل قرية سفيدخ من
قرى مرو في البلدة الثانية من رمضان فبث الدعوة في الناس واظهر امره فانه
اهل سنين قرية من قرى خراسان : وابر فرسان نفر بيار مستغل في قتال جماعة
فرجوا عليه . ولما كانت ليلة الخميس في ٥ رمضان سنة ١٤٩ هـ وهو اليوم
الموعود المتفق عليه عقد ابو مسلم لواء كان ابراهيم الايام قد بعث به
اليه يدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً ونشر راية تدعى السحاب

وسبرهوا محي به سواد واوقد النيران في الليل ولانت عدوتهم فاجتمعت اليه شيعة وقيمت
 عليه الرجال وكتب كتاباً الى نهر بن سيار فوجه اليه نهر بن سيار عليه مودة يزيد
 وعلم به ابو مسلم فسبر اليه حيث عليه مالت بن ابيهم ~~فصل~~ الخراساني فتدنيا
 بقوة تعرف بالدين فاسر يزيد وانهزم معه ووجهي به الى ابي مسلم فاحسن
 ابو مسلم اليه وعالجته حتى اندملت جراحه وحيرته به ابقاء مواعيد اوارجوع الى نهر
 عن ان يعاهدكم انه يويارهم ويؤيد عليهم من يقول فيهم ما راى فعاذه واد
 فليهم ابو مسلم مع تركه فقال: ان هذا سيرد عظم اهل الورع والصلاح فما غنم
 على ابن ابيهم . وكان الامر له في خانهم ما يوازيهفون بانهم يعبون اودنان
 ويحملون الدماء والموال . فلي انصرف ابراهيم يزيد فغنى عنهم ما يقال فيهم فيهم درگسته
 ثم اجتمع الناس على قتال ابي مسلم فقاتلهم وفي سنة ١٤٠ هـ دخل مرو وخرج نهر بن
 سيار الى سرخس وخص وخص بور وانشى له سادة مرقى اري نرضى
 فمات بلاء . وبعث ابو مسلم الرجال الى الجزات حتى امتلئت كل دابة فرس
 وسبر الجيوشه الاثني عشر والعراق . وكان مروان بن محمد بن مروان قد فرغ من كتابته ابراهيم
 الوم الى ابي مسلم عرف فيه ما بينها فكتب الى عله بالبقاء اليه بوثة ابراهيم
 وبرسد اليه فاتي به فحب مروان في عراق . وارسل ابراهيم الى اهل بيته يا ابراهيم
 بالجامعة اخيه ابي العباس عبدالله بن محمد وان يجلوا المكوفة في رحل بهم بوليسا
 ١١ ولما علم مروان بما صنع ابو مسلم في عراق ~~فصل~~ الى ابراهيم فقتله سنة ١٤٠ هـ
 وفي هذه السنة عظم امر ابي مسلم ووصل الى المكوفة ابو العباس اخو ابراهيم
 فبوج بالخدوة جهراً . وامر ابو العباس في عبد الله به علم اهل بيته مروان
 فقتله وقاتله بالزاب فانهزم مروان الى بوسير كما قدنا في الكلام عليه
 وشبهه عبدالله فقتله في بوسير . وصفت الخدوة الاسدية لابي العباس عبد
 الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس به عظيم المطلب به هزم فتناج ابناء العباس على ما يلي .

ابوالعباس السفاح

— ولد سنة ١٠٤ هـ ونفي سنة ٢١٤ هـ —

اصبح الملك بعد بني امية ثابت مؤسس لبني العباس واولهم: ابوالعباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك مع ما بيناه في التمهيد للسفاح: توفي بمكوفة سنة ١٤٠ هـ بعد انه قتل رواه به محمد بن آفر سواد بن رواف وكاه ابوالعباس هذا شهيد العقوبة حازماً مفترأ . لم يأل جهداً في انتقام من بني امية بل اخذ يقتل ويصلب ويرفد كل من ظفر به منهم حتى تشقت منهم واخفت آثامهم ولم يسم منهم غير ابوطفال وسه زاهد الا اوندلس . ونسبه قبرهم فرأى معادية به الي سفياه قد فني وانه يريده لم يوجه له عجمته ووجدتهم به جسد الملك لا يزال عليه لحم فاخرجه وصلبه وضربه بالسياط حتى تناثر لحمه ثم امر به فاخرجه وذر رماحه في الفضاء . ولم يفر ابوالعباس بعد من كاه جميع امرائه ودولته الذرية وهو وجوههم في اموالهم وصنوفه لا كان الامويون قد جعلوه في قلوبهم من الاضداد الكافية فانه عبد الله بن عبد الله بن ابي امية نسبه ربه الا الطعم فلما كانوا عنده اشد غشوا به عبد الله بن ابي حاتم اياتاً حرة فخره برى عن قديم وذكروا باصناف فثارت ضيقته واور بهم فخر بوابهم ووطئت عليهم اوزنه فلبس هو واصحابه عليهم بالكلية وهم يسمونه انيهم من ختمهم حتى ماتوا جميعاً . ولما به عبد الله بن عبد الله بن عباس قتل منهم ببيعة جفاً واقرأ القاصم بالكوب فاكلتهم . وامدت اليهم اليدي من كل ناحية وصوب حتى فني اثرهم ونجاة فرأى الاوندلس حيث أسست الدولة الاموية الثانية هناك وسنكلم في الفصل الآتي عن رجاله . ولقب ابوالعباس « السفاح » لكثرة ما سفح به دماوي امية . ونفي في مونبار مدينة ساهار الااسمية . وجعلها مقره في

واتخذ لوزراء وهو اول من احدث هذا المسمى في الوزارة في مرسوم خاتمه يومه
لم يكن له به الحق فيه هذه الايام وانما كانوا يقرّون به منهم رجلاً
يستبدونهم في بعض شؤدهم ويحولونهم على آرائهم . وكان السفايح
من اهل الناس يدان لا بعد دعاء ويؤخر عنه وقتاً وهو اول خليفة في المسم
وصل مبلغ مليوني درهم . وكان يسمى خاتمه باليمية : وذلك انه رسول الله صلى
كانه يتنم في يمينه وكذلك الخلفاء بعده ولما ولي معاوية جعله في يمينه واتفق
به بنو امية فلما استولى السفايح اعادوا اليه واثابه الكثيره : وبقي يستعمل
في اليمية حتى كانت ايام الرشيد فنقله الى اليسار وتبعه الناس حتى اتوا
وكانه قصياً متادباً وبعدهم :
« لا عملت اليه حتى لا ينفخ الاشارة ولا كرم من الخاصة ما اشتهرهم
مع العامة ولا غبطة سيفي حتى يسهل محه ولا عطية حتى لا ارى
للعلمية موضعاً . »

« ما اقبلت بنا ان تقوى الدنيا لنا واولياؤنا خالوهم من حسن آثارنا »
« اذا عظمت القدرة قُتت الشهوة . »

مرمه بالجدري وهو شاب في الثانية واشهرته مد عمره ومات بمؤثره
في دفعه بالخدنة الاخيه الى جعفر المنصور . وكانت في ايام خوارن
فتمت القوة وشدة اجدة ونشأ بفتوة المنصور .

ابو جعفر المنصور

- ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي سنة ١٥٨ هـ -

قد صاعد المندلسي في طبقات الامم : « اول من عُني بالعلوم من ملوك العرب خليفة
الثاني ابو جعفر المنصور عليه السلام به محمد به علي به عبد الله به العباس به عبد الله به
صالحه وكان مع براعته في الفقه ، وتقدم في علم الفقه ، وخاصة في علم
صناعة النجوم كلفاً بل وبأهلها . » وكان مولده بالبراءة (كما في المعارف)
ودي الخليفة بعد اخيه السفايح : بوليع يوم وفاته ^{بمصر} سنة ١٥٦ هـ تقدم
عليه

عليه أبو سلم الخراساني ولما انتفع قد ورواه عم فراسه و... فمادى النصور
~~في سنة ١٠٢٠ هـ~~ كانه عاقبة أعم إلى سلم فأنقا
 منه ثم لما رآه من يد الناس إليه والتفانهم حوله فاستدعاه فاستمع أبو سلم ثم طاع
 وجاء الهدائه محمد وعائى بحسب انه المنصور يكرهه ويكره فلما تدهنه أبو جعفر قتله
 شرفقتة (انظر ترجمته إلى سلم) وذلك مع ١٠٢٠ هـ . وهو لعمر الله بشي الخراء
 جزى به آل عباس مشيد دولتهم ورافع لوائهم ومؤسس مملكتهم ونكرهم الله
 المتنبئ اذ يقول :

والظلم به شيم النفوس فانه تجد زاعقة فلعنة لا يظلم !
 وكانه أبو جعفر يتهم بالجهل لحرصه ولانه لم يكمه بوضع الاموال في غير موضع وروى
 يبدل الا في منفعة فجميع ما ذكره وفدا . وكانت في ايامه امور كثيرة لا عدوت
 لها بموضوع كتابنا هذا لانه لا يكتب فيه الا ما يتعلق به ترجمته صاحب الترجمة
 واما ما كانه في زمنه من الاحداث وهو في طلب فرج من كتب الاخبار وتواريخ
 الا عصار . وهو بانى بغداد سنة ١٠٢٠ هـ لجهل مقرا
 ملكه بدلا من الا شية التي لم تكنه من الحصانة على ما يروى . وفي عصر
 شرع العرب يطبونه علىهم اليونانية والفرس وبنو جهنم العربية . وفي
 زمنه عمل اول اسطرلاب في مرسوم صنفه محمد بن ابراهيم الفزاري . وكان
 أبو جعفر بعيدا عن الله والعبادة كثير اجرة والتفكير في امور . وله نوافع هي
 بغاية في ابدا غلة من : انه رجب رفق اليه شكاية على بعضه محمد فوقع نيل
 الحال : « الكفى امره والكفى امرك » . ووقع الاعمال آخر : « قد
 كثرت كوك وفلح كرك فاما اعتدلت واما اعتدلت » . وكتبها
 اليه سوار به عبدالله القاضي : « انا عندنا رجب شدي الترفعه ليدعى السيد
 المحمدي » فوقع في كتابه : « انا بعثناك قاضيا لسايبا » . ووقع
 في كتابه جيفي استامه : « انا ابدا غلة والفنى اذا اجتماعا في رجب
 اطنياه وقد رزقت احدا لها فاكثفلا واقصره » . ووقع اليه

في بناء مسجد فوقه : « وانه شرط الامة انه تكثر المساجد فزد في
خطاك يزود في اجرك » .

وادعى ابن المهدى قبل وفاته فقال :
« لقد جمعت لك هذه الاموال ما اياه كسر عليك الخراج عشرين
لثاق لا رزاقه كجند والتفقات والذرية وصلة البعوت فاياك
وموثة والتبذير بابوال الرعية واستحقاق الثغور واضبط اطراف
رأيت السبل العاتية وأدخل المرافعة عليهم وادفع المكارة منهم وأعد
الاموال واخذ نرا فاة النوائب غير مأثورة وهي مه شيم الزمان
وأعد الكراع والرجل واجند ما استطعت واياك وتاخير عن اليوم
لا الفه فتدارك عليه الامور وتضيق وأعد رجلا في الميل لمعرفته
ما يكون في النهار ورجل في النهار لمعرفته ليكون في الميل وبشر الامور
بنفسك ولا تقهر ولا تكسر واستعمل فيه الظلة وأسي
الظلم بملكك ولتأبى وحذ نفسك باليقظ .

وفي سنة ١٥٨ هـ اراد المنصور الحج فارسا لما له في الكوفة ورض
مات ببرميمون له راحة منه تدرت له ولانت منه صدقة اثنيه وعشيه
عاما .
قال يفتنه وادع بالخير

هارون الرشيد

— ولد سنة ١٤٦ وتوفي سنة ١٨٢ هـ —

مات ابو جعفر المنصور وتولى له بعده جده ابنه ابو عبد الله محمد المهدى فكانت صدقة عشرين
سنيه لم يأت فيها بعض يدل على ما يجمعنا نفرة في قرن مع عظماء الرجال .
ولما مولاه سنة ١٤٩ وخدفته سنة ١٥٨ وموته سنة ١٦٩ هـ بما سيدان
وبعد المهدى تولى ابنه الهادي موسى به محمد المهدى ولما ضعيفا فاستبدت له
الحيزان بنو مور فلم يشعروا بالقواد والرؤساء بغدوه ويرضوه بالباب لا فزها
عه الدخول في شؤونه وقال لها فلما هذه المراكب التي تقود وتروح اليها ببيت اما ستر
مفضل

مَنْزِلَ يَنْفَعُ اَرْصَفَ بَذَرِكِ اَوْجِيَتْ يَصُونُكُ اِيَّاكَ اَنْ تَقْتَنِي بَابُكَ لِسْمِ
اَوْ ذَمِّي فَاِنْ ضَارِبٌ عَنَقٌ وَقَابِلَةٌ مَالٌ . فَاَنْفَرْتُ وَعَمِي مَنَفَةٌ وَامْرَأَتِي جَوَارِي
اَنْ يَقْتَنِي : فَنَبَسَ عَلَيَّ وَجْهَهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَمَاتَ . وَكَانَ مَوْلَاهُ سَنَةَ ١٤٤ وَخَدَفَتْهُ سَنَةَ
١٤٩ وَمَوْتُهُ سَنَةَ ١٥٠ هـ وَلَيْسَ بِنَدِي بَالٍ .

اما الرجل الذي امتدات باحاديه صحائف الاخبار وشملت بآثاره
الآثار فهو صاحب هذه الترجمة : ابو جعفر هارون الرشيد به المدي كره المنصور
خاصة خلفاء العباسية واشهرهم علم الاطهر : خدم العلم وقرَّب العلماء
مدحهم رافعا مدستانهم وموسفا عليهم في العلم . وكان عالما بالادب واخبار
العرب والحديث والفقه وله محاضرات مع علماء عصره : شجاعا مقدما كبيرا
الغزوات : حازما كريما متواضعا لدولي العلم والفن ، وكان يحج سنة ويفرد
سنة حتى قال فيه بعضهم :

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ اَوْ يَرِدُهُ فَنِي الْمَرْصِيَةِ اَرَأَيْتَ الْقَصْرِ الْمُنُورِ

ولي قبل منقذة أعمال دُوبيه واخيه وغزا الروم في القسطنطينية فصالحه الملكة
ايريني (Irene : ٨٥٣-٨٨٠) على أنه تفتدي به الملكة الرومانية
بسبب الفادينار تدفعا اليه في كل عام . ولما بويو بالندوة وله من العرايج
وخر وبنه سنة قام باعباء الملك احسن قيام وتب في افعاله بالمنصور الى في بذكر
الله : فانه لم يُرْ خليفه اجدوده الرشيد . وكان لا يفسر عنده احسان حسن
ولديؤخر . وكان يحب الثراء والشراء ويوزل لهم الذهب . وكانت دولته
به احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا وخيرا : ولم يجتمع علم باب خليفة
منها ومنشور ، وكُتِّبَ بالنداء ما اجتمع علم باب . جاءته البيعة ليلة
وفاة اخيه الاردي وفي تلك الليلة ولد ابنه المأمون : فكانت ليلة : ولد في خليفة
ودي خليفة ومات خليفة . وكانت بينه وبينه ملك زان كارلوس الكبير
الملقب بشارلمان (Charlemagne : ٨٠٠-٨٤٣) صلة وثيقة
الدي وكثيرا ما كان الرشيد يحفه بالهدايا وله جملة ما اهداه : ساعة شمسية

رقائه و شطرنج ثميه وارسل اليه مفتاح كنيسة القمامة في القدس
 مع امر لنوابه بانه يعاملوا زائري الداراضي المقدسة احسن معاملة . وكان
 الرشيد يطوف في ارض الديار مستتر باللبسة العامة في اسواق بغداد وشوارعها
 فيعلم من امر رعيته ما يفي عنه من ظلم يزجج اورطهم بنصره او عالم بقرته .
 ولما دنا من خليفته عوي لعب بكثرة والصلوحيات . وهو صاحب وقعة ابركة
 وكانوا طائفة فارسية اصل استولت على الملك اوارته سياسته وباله
 ورجله تخاف الرشيد باورة تبتد منهم نحو ففتحت بهم تلك الفتنة
 الا انهم قتل بعضهم وشرد بعضا وسجده آخريه في ليلة واحدة لم يبقوا
 بها من اهل عرصة يقومون به لا علم قوتهم وتعرفهم في الدولة واموالهم وال
 وذلك سنة ١٨٧ هـ وسبب في العلوم عليهم ايضا في اخذهم . وكانه خرج
 يحمل اليه من القسطنطينية من غزاها في ايام ابيه فلما كانت سنة ١٨٧ هـ خلع
 الرومانيون ملكهم ايريني ودلوا عليهم ملكا يدعى نيقفور .
 فكتب نيقفور الى الرشيد كتابا ترجمته : . . . نيقفور ملك الروم الهارونية طبع العرب
 اما بعد فانه الملك ايريني حملت اليك من امواله ما كنت حقيقا بان تحمل اصنافه الى
 لكه ذلك ضيف ^{منه} وحققت فاذا قرأت كتابي هذا فارود ما اخذت والذ
 فالسيف بينا رجبك . . . فقرأ الرشيد الكتاب فغضب واجاب على ظهر كتابه
 « مهكارونه امير المؤمنين الى نيقفور ملك الروم : قد قرأت كتابك والجواب
 عاتراه دونه ما نسعه . . . وجهذ جيشا جارا وسار يكره المدة ويدمر
 المعائن حتى قرب من القسطنطينية فارناع ملك الروم والنهي السبع فغضب عليه الرشيد
 الكربة وعاد فلم يبلغ بغداد حتى بلغ انه نيقفور نكت عهده فوجه اليه ولم يبال
 ببرد تلك البود وتلوا فذكر واغرب حتى بلغ البوسفور فتدلى نيقفور لم يفتح
 عنه ثم اضلف وغدر ثالثة فغضب الرشيد فغضب كاد ان تكونه قاضية قتل بلا عصبية
 الروم اربعون الفا في وقعة واحدة وخرج نيقفور فانتهب الرشيد ماله وسلبه
 ثم جعل عليهم مائة يعقوبه به في كل سنة فاذا عوا واقبل الرشيد على بغداد فظن
 قاعرا

قاهراً . واخبار الرشيد مع مدو باء والشرا كثيرة تجدها في مظانها من كتب الادب
وله كلم ماثورة منها : اتيك والدالة فانما لنفسه المنة . وقد يغالبني :
ما ضد احدكم لو تعلم من العربية ما يصح به لسانه ايسر احدكم انه يجوز لسانه
كسائه عبده وامنحه . . وسال جلاءه : من ارغى الناس عيشاً ؟
قالوا : امير المؤمنين . فقال لهم : صدقاً . اني لأعواد المنابر لايمة ، واني
لنقمة الهم لفرقة ، وانه اهنى الناس عيشاً : رجل له دار يكتفيها ، وزوجة
ياوي ايها ، في كفاف من العيشه ، لا يعرفنا ولا نعرفه : فانه قد عرفنا
وعرفناه : افسدنا عليه دينه وديناه .

وكانه قد ارسل رافع به حيث عاصد على خراسان فلما اطلأ به بركه على
واظله العصيان وتبعه كثير من فاغار على مدينة سرقند فمكها وقتل على
فبلغ الرشيد ذلك فاعضبه فكتب في عكر ضم فرسه في طريقه ولما وصل
الى مدينة طوس مدأ على خراسان فان برأقه من هناك . وادع
بالخندق من بعده لادبائه الاية ثم الامور ثم المؤتمه . ومدة خدمته
توت وشرهنة . وكانت عاصمة ملكه بغداد .

ولما توفي الرشيد بطوس بالبحر الناس ابنه محمد الاية وهو ببغداد
سنة ١٩٤ هـ وكانه ضعيف الرأي منهمكاً بالملذات والشهوات . حتى
له بعده وزراء خلع الامور اخيه من ولاية العهد وتولية ابنه موسى وفي سنة
١٩٤ هـ امر به عاء على المنابر لابنه موسى وابطال الدعاء للامور . وكانه
الامور بمرور ففاظه ما صنع اخوه وجاءته رسالة من ابيه يدعوه بالالسبر
اليه فاستشار الامور اخصاؤه فخذروه شر الزهاب . فزج الرسول
بخدمته . فحبسه الاية حيث اراد توجيهه الى مرو فقتل الحامون
وكانت للامور عيون ببغداد تأتبه باخبار ابيه فلما جاءه انباء جهز حيث
منه كانوا قد انصرفوا اليه بعد اعدائه العصيان على اخيه وسيره بقيادة ظاهر
ابن محبته : فالتقى حيثما به بقرب الري فانهم جميعه ابيه وقتل قائمه

مع به عيس به ماصه . وسارده هجوه بحيه حتى بلغ بغداد فصارها ثم افتتح
وفرا لدميه فقبه عليه بعبه بنود هه ففتحه واخذوا اليه رأسه فنبث به الى
الموت . وابتدأت خدوثة المأموره مع ماسيا في . وكان مولد الامير
سنة ١٧٠ وتولى الخدوثة سنة ١٩٢ وتوفي سنة ١٩٨ هـ .

المأمون

- ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ١٩٨ هـ -

سعدت الدولة بولوية في ازمانه رجل كانوا خير منه اخبرتهم بطوبه الامرات ظفرت بهم
الامة بافقيت انزا وشبدي ذكرها ومؤسسي مجدها وكان له الطراز الاول فيهم صاحب
هذه الصحيفة الذي كانه قصارى الملوك بعده انه يشبهوا به ويتخذوه قدوة
في احياء وارس المعارف وشربوا العلوم واکرام النابغية بما ينشط المستقلين
بدرس المنطقية والبحث والتقيب والتأليف والتصنيف على متابعة السير في ذلك
السبل الحميد والمزاج الرشيد .

قال صاعده بونه لسي في طبقات الامم : لما افضت الخدوثة الى الخليفة السابع - من الخلفاء
العباسية - عبدالله المأموره به هارونه رشيد به محمد المهدي به الجعفر المنصور ثم
عابده به جده المنصور فأقبل على طبه العلم في مواضعه واستراجه به معادنه بفعل
هذه الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فدخل ملوك الروم واتفقهم بالارباب فطرة وأهم
صلته بالديم به كتب الفلاسفة فبعثوا اليه بما عرفهم به كتب افلاطون واربطة طاليس
وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس ، وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخاروا
مهرق الترجمة ، وطغفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما امكنه ، ثم حفوا الناس
على قرائتها ، ورقبهم في تعلمها ، فنشفت سواد العلم في زمانه ، وقامت دولة محكمة في
علمه ، وتنافس اولو النباهة في العلم ، ما كانوا يروونه من حظائره لتعليمها ،
واختصاصه لتعليمها ، فكانه يملوهم ، ويأمنس بمناظرتهم ، ويمتد بمذاكرتهم ،
فيالوده هذه المنازل رفيعة ، والراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر
العلماء والفقهاء والمحدثين والمعلمين واهل اللغة والادب والمعرفة
بالشعر

الشعر والنسب ، فأثقفه جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيراً من اجزاء
الفلسفة ، ودرسوا له بعدهم مناجح الطب ، ودرسه وأصول الأدب ، حتى كادت
الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومانية أيام أكتالا ، وزمانه اجتماع شملها ..
تولى أبو العباس المأمون الخلافة سنة ٨١٣ هـ وصفت له بعد مقتل أخيه
المؤمن عشرين سنة خدم بلا الالة الإسلامية والعالم العربي خدمة لا تنسى على
وجه الدهر . وطامه أفضل بني العباس على الإطلاق ، وأثره عم حزناً وفطنة وإيماناً
بشعر العلوم والتفكير في الفنون . وأطلقه في أيامه حراية المصنوع بمباحثه
والصناعات والفنون ونشر الامانة لكل باحث برأيه فعمله لمذهبه وأبه خالف
الجمهور أو كلفه أو زنده فكانت بغداد في أيامه أشبه بمدينة راقية من بلاد الغرب
اليوم تقام فيها الاجتماعات كونه الباحت المتلفة دونه سيطر أورقيته . وعلى
ذلك آخذه امام الحرمين الجويني قال في كتابه : غياث المم :

« وقد اتفقه المأمون وكاتبه من أبي الخلف ودا تصدم خطبة ظهرت هفوة فيها
وعسر مع من بعده تدويراً فانه رأى تقرير كل ذي مذهبه على رأيه فنبغ الناجون
من الأغنياء والفقراء وتفاقم دور ونطقه خطباً هائلاً واشتهى زلله وظلمه (٩)
الأنه سوغ للمطلدة أنه يلهوا آرائهم ورتبته من جميع ليردوا كته دوراً
الأنه العرب وهم جراً إلى احوال يقرر الوصف عدائنا هاد لوقته انه
طلب منجات البدع والاضداد في الموقف الموهول في العرشه
لم انه مجازفاً .. »

وقد جمعت اخبار المأمون في مجلد كامل (صفحات ٢٨١) من تاريخ بغداد
لدي الفضل لمينفرد (انظر ترجمته في المصنوع على تاريخه) . قال طيفه وكان
المأمون قد همم بجمع معاوية وابنه كيتب بذلك كتاباً فشقاه له ذلك حتى به اكتم فالتوا
يا امير المؤمنين انه العامة لا تتحمل هذا ردياً هو فرسانه ولواتامه انه تمويه لهم بفرقه وانه
كانت لم تدرك ما عاقبتهم والرائي انه شيع الناس على حكم عليه ولدتهم اهم انك تمل
الفرقة من الفردية فانه ذلك اصلي في السياسة واحسن في التدين . فزجهم لأمون
عنه رأيه . وكانه شعار العباسية السواد فأراد الامانه ان يستبدل بشعار العلوية

سَابِقُكُمْ لَأَسْرَارِكُمْ وَدَمْعِي نَمُومُ لَسَرِّي مُنْذِرُكُمْ

فلولا دموعی نمت اہوی دلولا اہوی لم تنکھ ی دموع

وفي سنة ٢١٨ هـ مرضه فمُنع أخاه المؤتمنه من ريادة العهد وأخذ البيعة لأخيه
إبي اسكو المعتم ومات رحمه الله بطرسوس فدفن بلا في دار خاقانه خادما رشيد

المقتصر بالـ

- ولدته سنة ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨٤٧ -

لم يمه أبو اسحق محمد المتصم به صار و به الرشيد به المهدي من قحلة العلم او ثكري
لواء الرغان ولكنه كان في ملكه اشهر ملوك بني العباس بما عوزه به قوة بها سوسنة
و هو قد ام فقد حانه خارقة زمته في قوة الساعد ومثانة الاضداد : يكسر
زند الرجل به اصبعيه ، ويحمل عشرة فناطير ، ولا تعمل في جسمه انسان . وكان
في صفوه يكره التعلم وضع والده الرشيد مع ملوك له صنفه عند الخوارجية فبات
ملوكه فلما رأى اياه تأذاه فجعل ابوه يسليه على الملوك وهو يحب ان يحذبه عليه
فقال : لا يا ابي اتأذاه لموته ولكني سررت له لانه استراح به تنعيم ! فعلم ابوه
ان انه يكون به رجل العلم فأعفاه منه شيئاً ضميماً لقراءة يكاد يكونه ابناً . وهو
فاتح عمورية (*Mosul*) به حدود الروم في غوطية . وذلك ان كانه
في احد ايام سنة ٤٢٢ هـ جلس يتناول كأساً له الزاب واذا برجل رذل
عليه قميص انه امرأة ~~الملك~~ ساجداً احد ملوك الروم ودخلها في عمورية
منظرها يوماً فصاحت : وامتنعوا ! فهذه بي اله الردى وقال : دعي يا آية علي فرس
ابنه . فتدفع المعتقم فتمت الكأس وقال : والله لا شربته الا بعد الطلاق والزوج
على ونادي به حاله انه يريد ان يقول بطله فار في سبعين الف فارس حتى بلغ عمورية

فمنع نفسه امام الناس واقربهم عما أسند اليه وبأرففة في تسليم الامارة الوائقة
فبايعه العامة والعامة : مولده ^{الشيخ القاطول} ٤٤٤ هـ وحذفت سنة ٤٥٥ هـ
فكانه فأسدته واقرب خلفاء همدان ولكنه اخذته في آخر أيام حياة القوي
الضعيف فخرج لقتال جمع من الترك كان قد اعلمه العصيان فمات قتال
الفرقة فانه ما كان معه من الترك وانضموا الى اصحابهم فبقى المهندي وحده
مؤثراً عنه انصاره فوئى منزلاً وبيع السيف وهو ينادي بأمر المسلمين انا امير
المؤمنين فالتواي ضيفتم نلم يبايعة العامة وأصيب بطعنة فمات على اثرها
سنة ٤٥٦ هـ في بغداد ومدة خلافته احدى عشر شهراً واثني عشر يوماً
محمود اميرة ياخذ اخذ محرمه عبد العزيز في همدان واطراح السلطان رزيم
القنار راثر ابيهم نفسه ومنع اصحابه وخاصة عمه النظم ومعه مائة فارس
على خير سلم ولا تؤذوه تندم .

وكان قتل المهندي يومئذ ببيع بالخندق ابو العباس احمد بن منصور وكان
محموداً بالجوسه في سمرقند فالتقت الترك سراعاً وبايعوه واثبتوا له
على انه فاستولى على مزارع الهند وخراف ارمارة وهو يعتقد ان
انه سيضلها ويخرج منها : لا عليه ولا له : آله تديرها قوة فتدار او متان يعظم
ويجئ ولا تين او تين . مولده سنة ٤٤٩ هـ وحذفت سنة ٤٥٦ هـ طالت
ايام حكمه وظهر فيه الضعف والعجز عن ادارة الشؤون والتفكير في امورها فاجتهد
اخوه ابو احمد الموحث بهم وراحته على بعثه العصاة وكففت يد المعتد به كل
قول وعمل حتى انه احتاج في بعثه الدونات المثلثة دية فلم ينلها ، فقال
في ذلك :

يرى ما قل مستنفاً عليه

البيد به العجايب انه سليم

وما به ذلك شيء في يده

وتؤخذ باسم الدنيا جميعاً

ويمنع بعثه ما يبي ابيه

اليه من الاموال طراً

وكانه خلفاءه من قبله يقيمونه في سمرقند فالتقت اليه من قبله لم يعد ولم يعد

احد من بعده . وكانت في ايامه ~~مجدد~~ شؤره ونجوه تخدمه عديدا في تصانيف
الاضمار . ومات المتقد سنة ٤٧٩ هـ ومدة خدمته ثمان وعشرة سنة
وسنة اشهر . ومات اخوه الموفق في سنة التي قبلها ٥٠٠ هـ وكانت ولادة امره
للمتقد اذ في خبره .

المعتقد باب

- ولد سنة ٤٤٣ هـ وتوفي سنة ٤١٩ هـ -

مضى الخدم فيما سلفنا مع عدد كثير من خلفاء بني العباس لم يكونوا امة نباهة الذكر
وجودة القدر وارتفاع الشأن بحيث يُقَرَّبون مع اسدوزم اودليه كالنصور ورئيس
والأسيوس . وجاء في غزوة خدمنا اشارات واضحة الى انه اولئك خلفاء كانوا
~~مستفيضة~~ ^{مستفيضة} على غير مطلقه ، ومسيره غير مثيرية . لعبت بهم طوائف الغلاة
والحماسية ~~حتى استولت~~ على عقولهم ثم على اموالهم وانتهت الى التكم
بهم واحتياز تدبير المملكة دونهم فاذا الى في خزانهم والرجل طوع ابيهم
والبرد منقادهم فاستراج صفاء الخلفاء بحيث يتعب العظام . واستمر
الامر جاريا في مناجاة حتى قضى على هذه الدولة العباسية بمز سكونها وقصور
عزائمهم وهو الذي ~~كسره~~ قوض بعد ذلك اركانها وهدم بنيانها
وزلزل سلطانها وفرقه احوالها . وكانه خضب الرجل العظيم منهم انه يستعمل
بعده اولئك الخدم اليه ويجعل كلمة بعده النفوذ ~~والمعنى~~ ولقوته بعده
التأثير كما كانه . صاحب هذه الترجمة رايه من قبله واريك حقائقه
مبينها :

ما تولى المعتد (٤٦٥ هـ) وهو الخليفة المتقدم ذكره اراد انه يرفع باعلاء الله
فأثقت فني الى اخيه ابي احمد طمحه به التوصل فعه اليه بالخدمة ولقبه الموفق به
واستعان به على اعدائه فكانه الموفق من كبار ارجال صفة اخيه المعتد فارتان
الطامية بكمه ولكنه اختص به بامور المملكة نفسه وجر على المعتد
حتى كانه ~~المعتمد~~ يتنى الشيعي كسير فلا يمانه وكانه الموفق شجاعا كثير المروءة ومنا

رعد فذهن السيرة يجلس للمظالم. عنده القضاة، غيرهم فيستصفى الناس عنهم بعض
 في جميع أعماله. نعم عالم بالادب والنسب والفقه وسياسة الحديث وأخباره
 مستطابة (راجع المجلد ٧). ولم تخدم الموقعة السعادية سيتولى الموقعة
 اسما لا تولد لها فخذ فان توفي في أيام أخيه المعتد بعلة المتدين: ^{والمعتد}
 سنة ٤٧٨ هـ. ولما مات الموقعة بايع القواد ^{ببرية الوفا بعد الموقعة} ~~المعتد~~ للمعتد ^{ببرية}
 أحمد به ~~المعتد~~ الموقعة ~~بالموت~~: ~~وكان~~ وفي مبدأ سنة ٤٧٩ هـ
 خلع المعتد عمه ابنه جعفر الملقب بالمفوض إليه ^{به} رداً لرسالة العهد وعهد
 بالخدمة له بعده للمعتد ابن أخيه الموقعة. فأسقط اسم المفوض ^{بالموت} مكانة
 وخليفة وأثبت اسم المعتد وهو صاحب هذه الترجمة:
 أبو العباس المعتد بالله أحمد به ^{ببرية} إلى عهد الموقعة ^{بالموت} به ^{بالموت} المتوكل:
 ولد ببغداد ونشأ في المكان عقد أبيه الموقعة وبه ^{ببرية} في حياته أيام
 خدمة المعتد وأظهر بباله ودراية في عروبه مع الإيج والادب وهو
 في سن الشباب وبوج بالخدمة بعد وفاة عمه المعتد سنة ٤٧٩ هـ: فخلعه
 بنو العباس عقدة المتغلبين وظهر بظهور خلفاء السلاجقة ثم جعل يتوجه
 بنفسه إلى المفسدية في بغداد وأصحاب السقبة فيقع مأثرتهم ويفرض
 عصبيتهم ويعود ظاهراً فافراً. قال ابن الأثير: وكان المعتد سراً شجاعاً
 مقداماً وكان ذا لزم ربهياً عند أصحابه يتقوه لموته ويتقوه به ^{بالموت} المظلم
 خوفاً منه. وكانوا يقولون: قامت الدولة بأبي العباس وحجرت بأبي العباس
 يريدونه بهول السباع وبالنار المعتد: قال ابن الرومي:

ههنا بني العباس ان اباكم امام الهدى واجود الناس احمدا
كما بابي العباس انشيء عليكم كذا بابي العباس ايضا رجب و
وكانه المتفقد عارفا بالادب والشعر : قال ابيه خلجان في وفيات معجابه
(ج ١ ص ٢٠٠ مة لطيفة ياريس) : كانه ابو بكر المعروف بابيه العتوف النهر دانه
ان لم ينارم الامام المتفقد بانه قال : بنت ليلة في دار المتفقد مع جماعته
مندهما فانانا خادوم ليد فقال : اميد المومنين يقول : ابرقت الميلة بعد
انه انكر

انظر انكم نقلت :

ولما اشبهنا للخيال الذي سرى اذا الدار قفري والزار بعيد
وقد اُرتج عليّ تمامه فنه اجازته بما يوافقه غرضي امرت له جائزة . قال :
فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتهرت ونقلت :
فقلت لعيني عاودي النوم والهمي لعل خيالاً طارقاً — سيمود
فرجع الخادم اليه ثم عار فقال : امير المؤمنين يقول : قد أحسنت وامررت
بجائزة . . . والمتخذ من انصف بالعلم العجيب : نقول صاحب تاريخ دول
الموسوم (ج ١ ص ٨٤) عن احد وزراء المتخذ عباده به اسمه قال : كنت
عند المتخذ يوماً ، وخادم بيده المذبة (المروحة) ، اذ ضربت قنطرة
المتخذ ، فسقطت ، فكدت اُختلط باخطامها لئلا ، ولم يتغير المتخذ ،
وقال : هذا الخدم قد نفس ، ولم ينكر عليه ، فقلت الدار قد نقلت :
والله يا امير المؤمنين ما سمعت بشئ هذا ولا ظننت انه علمه ليم ، فقال :
وهل يجوز غير هذا ؟ انا أعلم انه هذا الصبي البائس لو دار في
خلده ما جرى لذهاب عقله وتلف والادب ان لا يكونه الا على المتخذ
دوره السلي الخاطي . . . ولم يمه علمه فيما يحس به الحكم دوره شدة
فيما تجب به الشدة فانه كانه صارم العقوبة اتخذ للموسم والمأزوي
المفاسد لها يد تحت الدار : وهي صفائر كانت تخبأ في الجيوب .
فجعل يزقهم في صحف ولطامات وولي ابنه المكتفي امر بهدرا . دوره
المتخذ في بغداد فجدد البيعة لانه المكتفي بالله ومات به دوره
خليفة تسع سنين وتسعة اشهر ونصف شهر الايوبيه .

مات المتخذ وابنه ابو محمد علي الملقب بالمكتفي بالله في الرقة خلافاً للخبر
اخذه البيعة عنه به عنده من ارجناد وقدم بغداد فاستلم زمام الملك فقام به
قياماً حسناً وظفر في أكثر ما كان به بينه وبينه العداة والتأثير به من الوقائع . برادة

٢٩٤ وخنوفة سنة ١٨٩ ووفاته سنة ٤٩٥ هـ . جامعة بغداد سنة ١٣٠٠ وهو
المتقي به المعتضد به الخوف به المتوكل . مرضه وصرته في الثانية والثلاثين من عمره
وطال مرضه فنهى بالخوف الاخيه جعفر المقدر . ومات سنة حكمته سنة سنيته سنة
اشهر وتسعة عشر يوماً . ولم يكنه كأي به .

وبويع ابراهيم الفضل جعفر به المعتضد بالخوف ولقبه المقدر به . بعد وفاته
اخيه المتقي . وكانه صغير السن لا يتجاوز الثالثة عشرة فاستنصر ونظم
الناس في امره فخلعوه ودلوا حجة ابا العباس عليه به المعتضد به ولقب
بالمترقى به . ثم خذله اصحابه وهجم عليه ببيعة غلامه المقدر . فانزلهم واحتفى
ثم عثر عليه فقتل . وبنات في ترجمته في ديوانه السرا . وصفا المثلث للمقدر
وطالت ايامه علم ما ضمت به الفتنة والحقن به وكاه يستعجه في اكثر شؤون
خادم له يدعى مؤنساً لم يبلغ هذا الخادم الى الخليفة يريد به الشر فاعطاه
عصيانه فارسل اليه المقدر بيلف له ان ما بغيره كذب فناداه الله علة ثم شئت
رسمي انصاره ودخل بهم دار المقدر فاخرجوا المقدر وامه وابوه وبنوه
جواربه من دار خنوفة الى دار مؤنس فاعتقلوا به وبابيو اخاه المقدر
ولحقوا القاهر بابيه محمد به المعتضد فاستخلف ليوبه . ثم تارت فرقة من الجيش
تعرف بالرجال فقتل ببيعة رؤساء الغلاة ودعت بالخوف للمقدر فاعطاه
المثلث ثانية وفرج مؤنس له بغداد وقد علم انه لقب بالخليفة له يصف عليه فاجتمعت
عليه الكار والفتنة وقصد الموصل فاحتلها ثم سار به معه يريد بغداد فخرج
له المقدر بعسكره فانزله اصحاب المقدر وبقي منفرداً فرآه جماعة من
المغاربة فقتلوه وسلبوه ثيابه وزينته ~~فقتلوه~~ ثم دفن في موضع . واه
مولده سنة ٤٨٤ وخنوفة سنة ٤٩٥ وخلق بابيه المعتضد سنة ٤٩٦
وأعيد به ثم خلق ثانية بالقاهر سنة ٤٩٧ وأعيد فقتل ببيعة اصحاب خادم
مؤنس الملقب بالنظر سنة ٤٩٠ هـ وكانه المقدر ضعيفاً في الارادة
وقوة

قوته وسياسة فاستولى على الملك خرمه ولساؤه وخاصة وكانه من
 ليد موثقاه على البذخ وجمواري والذماء مضيا على طامه والجمه ستارج
 بينه وبينه وبيده المستضد : ذلك اعاد للدولة العباسية شأنها وهذا
 بعدكم زلزالا . وقد اطلقنا في هذه القصة عليه وكانه يجدر بنا ان نخالفه لانه لو قيل
 في رجب هذا الكتاب بضعفاء الرجال وصفاءهم .

قرأ الرضي بعد المقتدر على العادة محمد بن المعتضد القلق بالظاهر فنادى بال
 السياسة فاحضرهم المقتدر وطبعا من الاموال ابنا فاقسمته ان لا تملك في ما
 في منزلا من متاع الرينة والسياب ومونات فخر بلا وعذرا وصار جميع صاحب
 المقتدر وباع املاكهم واوقافهم وجمعته انه بعضه وزرته ساءهم فاصنع لهم تآمر
 عليه فقتل مؤنسا دمه على به بليعه واباه وطب ابيه مقتله وكلامه خاصة فاختفى
 وخرج عليه الجند فزحفوا الى دار الخلافة بفسطاط فاستيقظ القاهر وفر الى قبة خضراء عليه
 وحسبه الى انه مات : ومولده سنة ٤٨٧ وخدمته الثانية سنة ٤٩٠ وخدمه
 سنة ٤٩٢ وخدمة ختمه سنة وسبعة اشهر ووفاته سنة ٤٩٥ هـ .

الراضي بالله

- ولده سنة ٤٩٧ وتوفي سنة ٤٩٩ هـ -

علمت ما اسلفناه ما صارت اليه حال الدولة العباسية من الضعف ونعمت التي عين عماري
 بلا الى عصيان امراء البدو واستفقد كثير من العمال بما كانوا يملكون . وانتهى امرها الى
 صاحب هذه القصة وهو : ابو العباس احمد بن المقتدر بالله وكان محبوبا مع والده
 في ايام القاهر فلما تولى اخذ من رجونج بالمدونة سنة ٤٩٢ هـ ولقب بالراضي بالله
 وكان فاضلا اريا سمى يجب مما دونه الارباب والفقهاء والبلوس معهم وختم
 اللغات في سورة عدة منها : انه آخر خليفة له شعر يدركه وآخر خليفة كان
 يجيد القصة على المنبر ويطلبها وآخر خليفة جالس الملك ووصل اليه الله ما
 وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزته وعطاياه وجراياته وعزائه ومطامحه ومكا

وخذله وحجابه ومو... من زينة الخلفاء المتقدمة . وشعره . فبه جيد من قوله :

يعصف وجهي اذا تأمل طرقي ويحمر وجهي فجد

حتى لانه لذي بوجته من دم حبيبي ليه قد نقلا

وقوله في رثاء ابيه المستند :

ولو ان حيا كانه قبرا لميت لصيرت احثا في لعن قبرا

ولو انه عمر في دار طوع صابتي وساعد في التقدير قاسم العرا

بنفسه ترى فتاجعت في تبة بني قد فربان اغيث اثبت

روى في خلاصة فحول رثاه ما فقه اسد فقه فلم يستطع ومنه البود : ان اسطر

واتسع فخرها قلب المحرم به رائه عامد علم راسط والبصرة والاهواز يستقدم

الابعد وقنده اماره جيسه وجعد امير الامراء وولده الخراج والداووديه وذك

سنة ٤٤٠ فاستولى ابيه رائه على جميع ما ذكر واصبح الحاكم المظفر فتصرف بالمرور

والاموال والخليفة الراضي راضي بما وقع لا يملك لنفس قوة يدفع بها ما صابه

وتغاثم امره على فلم يبعه اسم للخليفة في غير بغداد والاعمال فكانت بلاد فارس

في ايدي بني بويه والموصل وديار بكر وبلخ وريقة في يد بني حمدان وحماد في يد

محمد بن طنج والمغرب وقرية في يد امير المؤمنين القائم بامر العلوي والاندلس في

يد الناصر من ملوك بني امية وخراسان وماوراء النهر في يد نصر بن احمد ما

خبرستان وخراسان في يد الديلم . وهكذا تفوت هذه المملكة وانفتحت ابوابها

وانفرط عقد لها . ولت الخليفة الراضي ينشئ بمكة كاثرا بمرورن وملايا ومونه من

رجال العرب والعيان البيان حتى كانت سنة ٤٤٩ هـ فتوفي في بغداد ودفن ببارقة

وخلفه سنة ست وستين وعشرة ايام

ونودي من بعده باسم اخيه اي كنه برصم بن المقدر ولقبه المنقبي له : مولد

سنة ٤٤٧ وخلفه سنة ٤٤٩ ودامت خلافته اربع سنين الاثره وديارا

فلم يصنع شيئا الا انه تغيرت في ايامه بعد اساء توارة او بطلت جميع اساء

المسيطر به على الملك الذي كان هو واسباها آله صناد في ايديهم . وكان

موصولا

موصوفاً بصديق راسخ وفي أيامه قُتل محمد بن رانته قائد ناصر الدولة بن محمد (سنة ٥٤٤) وفي سنة ٤٤١ تولى إمارة تدراة تورون (أو طوزون) تركي ثم خافه استغني عن نفسه فزج في أهله مع عاصمته بغداد إلى الموصل ونزل إلى الرقة وتورون يار وفي سنة ٤٤٤ هـ بعث إلى تورون يستأمنه فأقسم له بولاءه فركب الخرافات حتى إذا وصل السندية قبضه عليه تورون وخلعه وسلم عليه فمضى وإلى بغداد ملكاً على خلافاً قام وهو أعمى حتى مات سنة ٤٥٥ هـ

وباج تورون دامى به يوم خلع المستفي لدي القاسم عليه المستفي بالله المستفي بالله به المستفي بالله به المعتضد وكان مستتراً فلم يظهر له غير سنة وأربعة أشهر مات في حدود تورون (سنة ٤٤٦ هـ) وقدم عليه من الدولة به بويج فخلع عليه المستفي ولقبه منه ذلك اليوم من الدولة ولقبه أخاه علياً عماد الدولة وأخاه أحمد بن رانته الدولة وأمر أنه تكف بآل القاسم والناظر مع الدولة في ذلك كله القادر لشركم وخوفاته بطشهم به ثم تغير عليه من الدولة فبينما كان المستفي حالاً وحوله من الدولة وبعده الأعيان أقبل رجول من الديلم فتناووا به المستفي فظفروا به فقبضوا عليه فقبضوا عليه أسير وجعلوا له في رقبته ورضوا من الدولة فقادوا إلى منزل من الدولة ثم شبل فمضى وشبهه إلى ما مات. وكان موته سنة ٤٩٦ هـ وموته سنة ٤٤٤ هـ وخلفه سنة ٤٤٤ هـ وموته سنة ٤٤٨ هـ

وكان للمقتدر ابن آخر اسم الفضل وكنية أبو القاسم فلما خلع أخوه المستفي تولى عليه المستفي ودعى المستفي خاف الفضل واستتر فطلب المستفي ثم بلغه فلما قدم من الدولة بشاراً استقر إليه والمزاة بأشقي حتى فعل به ما فعل وقد منعه من الدولة للمنفقة فبايعه الناس ولقبه المطيع به وازداد أمر المنفقة العباسية أرباباً في توليته ولم يوجه للخفاء من الأمور شي إلا أنه وقد كانوا يراهم ويؤخذونهم فيما يفعلون ومرت قائدة بعينه شي فلما كانت أيام من الدولة زال ذلك جميعاً بحيث أنه لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدبر أفعاله وأفعاله لا غير وصارت الوزارة في الدولة يستمرز نفسه به يريد قال ابن الأثير (في حوادث سنة ٤٤٨ هـ) وكان له عظم سباب في ذلك أنه الديلم كانوا يتشيعون ويقولون في أشجع ويعتقدون أنه العباسي فمضوا

الموت وحفظها - فاقبل فلم يلبث في بيتهم مع الطاعة ... في . وكان
 مولد الطبع سنة ٤٠٨ وصدته سنة ٤٤٩ . وفي سنة ٤٥٦ مات مع الدولة
 فتمت له ابنة بتبار الملقب بغير الدولة فاما ابنة ابنة وزاد امر الدولة تقربا وضعفا
 ثم مر به الطبع في ربيع وثقل سنة وتعدت الزكاة عليه فدعاه - سبكتين وهو
 حاجب بتبار الاب - فبلغ نفسه في الدولة وبلغ الاموال ففعل ذلك واشهره
 على نفسه بالتمويل سنة ٤٦٤ بعد ان اقام يدعى لقب الخليفة تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر
 ومات بعد شهرين من استقالته ودفن سنة ٤٦٤ هـ .
 وبعث امر خلع الطبع بولي ولده ابو الفضل عبد الكريم ولقب الطابع سنة ٤٦٤ وفي
 ابنة تار الموزك بتبار لتبديده الاموال وتأخيره رتباتهم فكتب الاباء عنه
 عند الدولة به ركة الدولة به بولي يستقره فدخل عند الدولة بعد ان تم امره
 بتبار وابنة المزيان منلا وفي سنة ٤٦٧ طمع عند الدولة بتبار واثبت من
 فانهم بتبار منلا انكسرت فادركه عند الدولة بولي سره ثم قتلهم ودار الى بعد
 فمقر منلا ما خرجت من رزق ابنة طابع بوليها فكتبته في الدولة فقام
 مات عند الدولة سنة ٤٧٤ فقام مقام ابنة بولي الدولة . وفي سنة ٤٨٩ قتل
 بولي الدولة على الطابع وحبه في داره بولي عليه بالذبح وارب رانادفة .
 ومولد الطابع سنة ٤١٥ وولي سنة ٤٦٤ وخلق سنة ٤٨١ ومات سنة ٤٩٢ هـ

القادر بالله

ولد سنة ٤٤٦ وتوفي سنة ٤٤٤ هـ

لقد فعلت دولة بني العباس حتى استأمرها الديلم والترك وضعفت
 قوى ملوكها حتى طمع بولي المتغلبون وامتد اليها اليريد وانصرفت نحوها وجوه
 الطامعين واصبح بولي الدولة بن عضد الدولة ادهلي بعد ان خلع الخليفة
 الطامع حاكما ملحقا لا يد تدبره غير انه خاف ثورة الجند اذا علموا
 قد استقل بالملك فلم ير الا ان ينصب في مقام الدولة رجلا يكون له طمعا
 ولا مرمه

ولم يسمي في ذلك وقتاً في الامور فاتفقوا على : ابي العباس احمد بن ابي
 ابن المعتز بن المعتز وكان بالبطنية [وهي ارضه واسعة به واسط والبصرة]
 فاسل اليه برلاء الدولة خوادم اصحابه فقدموا عليه واجدوه فركبوا في بغداد فبايعهم
 الناس وخطب له في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٤٨١ ^{بلقب القادر به} فقام بصفة
 اشهر ينظر في امور الدولة ويبحث عن اسباب اصلاحها ثم لم يجد الخليفة المنصور الطامع
 له فسلم اليه برلاء الدولة وكان قد سجنه في منزل مستقر فأكرمه القادر به وارتل
 في حرفه افضل حرفة وكل به به يقوم بحسنه وحسن سياسته بحيث لم يختلف
 امره به خروجه وخلفه الا بالخليفة له . ولما مات ابي القادر وكان حازماً
 مطاعاً فألقى له هيبته في القلوب فاطاعه الذية كانت لهم السلطة وتغلبت على
 الكفء احسن الطاعة وكان موصوفاً بالحلم والكرم وجباة خير والسبعين
 الا فيما يتعلق بالامور السياسية فأحببه الناس وصفوا له الملك واصح من غيره
 الدولة ما استطاع الا اهدر دمه سبيد وحسب انه كف عن آمال الشربين
 باعناهم الى تسلط واتحدت مديرا . وكان مجتهداً للعلم فاضطرب في نفسه
 وقد ألف كتاباً في اعتقاد اهل السنة . فقد مع ما فقد من قديم الكتب
 وحديثها . وكان الخليفة القادر كبيراً ما يلجس لباس العامة ويرجع
 يتجول في دار السدم يزور قبر الصالحين ويتفقده امور الدولة . ودامت
 له الخدوة احدى واربعين سنة وتوفي ببغداد عن سبع وثمانين سنة الاكبرين .
 ومات في ايامه برلاء الدولة (سنة ٤٠١) وانتهى امر رئاسة الامراء الى ابنه
 ابي طاهر صاحب الدولة . وتوفي الخليفة في ايامه بعد ان عهد بالملك
 من بعده الى ولده الذي لقب القائم بأمره الاتي خبره

القائم بأمره

- ولد سنة ٤٩١ وتوفي سنة ٥٦٧ هـ -

كان الخليفة القادر بالله قد عهد بالخلافة الى ابنه ابي جعفر عبدالله ولقبه القائم بأمره سنة ٤٩١ ولما كانت سنة ٥٤٤ توفي القادر على ما تقدم ذكره فصل عبدالله القائم واتبع سنة في ادارة شؤون ما بقي له من مدت بغير عيب . وكان ورعاً دينا له فضل وعناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي اكثر ما يكتب من الديوان فكان يصح فيه استبداد . وكان مؤثرا للعدل والادب يري قضاء حاجات الناس ويرى منهم من شئ قهولهم ولا يضجر من الامور وتكاثرهم على بابه : قال ابن الاثير : قال محمد بن عيسى بن عامر الوكيل : دخلت يوما الى المنزل فلم يبق احد الا عطائي قصة (عرض حال) فاصدأت الكامي منها فقلت في نفسي : لو كان الخليفة اخي لارضى من هذه كلها فالتفت في بركة والقائم ينظر ولا يشعر فدخلت اليه مر الذم باخراج الرقاع من ابركة فافرجت ووقف عليها فوقع فيلها باغراض محابا قائم قال لي : يا عاتي ! ما حدث على هذا ؟ فقلت : خوف الضجر منها . فقال : لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من اموال شيئا انما نحن وكلنا . . . هذه ترجمة القائم بالله في نفسه واما ملكه فلم يزد على ما كان لديه ومن تقدمه . وقد طالع عمره وحدثت في ايامه امور ليست من امور هذا الكتاب فارجع اليها في تواريخ السامات والمؤلفات : ان اوترا . وكانت مدة خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر . وعهد بالخلافة الى ابنه ابي القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمره . وكلما ولم يكن للقائم من اعقابيه ذكر سواه لول ابنه ابا العباس محمد اُتُو في ايامه ولما عقب له الا ان احداً جواربه واسمها ارجوان كانت حاملاً فوضعت بعد

١ سنة اشهر من موت محمد بن القاسم ولد اسمي عبده وكُنِيَ ابا القاسم وبني
القدم عليه .

المقتدي بأمر الله

- ولد سنة ٤٤٩ وتوفي سنة ٥٤٨٧ -

مات القاسم بأمر الله بعد أن عمره ^{حفيده} ابي القاسم عبده بن محمد بن القاسم . وتقبه المقتدي
بأمر الله : وذلك سنة ٤٤٧ هـ . وعمره ثمان عشرة سنة . فانظر الى
عمران بغداد وخدمة الامة فكانت ايام ايام خير وسعة وعظمت في عهده
الخدمة اكثر مما كانت قبله وبني في بغداد عدة محال لا ينالها الا
عامر حتى اليوم ك
وامر بنفي المصناعات والمفردات من بغداد وبيع دورهم فنفين . وكان
المفتدون ~~يختصون~~ ربما دخل بعضهم المحرم غير مؤثر فامر بالانذار
والاستنار . و امر بقطع ابراج الطيور ومنع الناس من اللعب بها حفاظا لهم
المصونات في الحدور من الطلوع اوئلك عيدين . ومنع من اجراء ماء الخياض
الى دجلة والزم اربابها بحفر آبار المياه . ومنع المدحجين أن يحملوا في زوارهم
الرجال والنساء مجتمعين . وكان قوتي النفس عظيم الامة ~~مستظلمة~~
احبه الناس وودوا لوطان عمره فانه حكم تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر
ومات فجأة وهو مت بلم يبلغ الأربعين . ولادته وفاته ببغداد .

المستظهر بالله

- ولد سنة ٤٤٩ وتوفي سنة ٥١٤ هـ -

لما توفي المقتدي بأمر الله أخضر ولده ابو العباس احمد المستظهر بالله وهو ولي له
فأعلم بموته وبأبيه من حضر ولده من العمر ست عشرة سنة وشهران . وأثنى
له الامر على ما كان لديه وجده . اما اخذته فكان ممدوحا قال صاحب

الناس: كان المستظهر حين اصاب كريم الرضوق يجب اطلاق الناس ويفعل
 الخير ويأمر الى الامان ببر والاشويات مشكوراً سي لا يرد كرامة طلبه .
 وكان تثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قول
 واشي . ولم يعرف عنه التلون او انخدول العزم باقوال اصحاب الرغراض : وهذه
 من احسن خصال العزم فان الملك او الامر اذا ضعفت ثقته برجاله تولى
 فيه الناس وسلوكوا به كل مسلك ولم يتبق له ارادة يعزم بها على المرات وكيف
 يخص الوزير او المستشار في خدمة مولاه وهو يعتقد ان كلمة من عدو
 او وثاية من حاكم تزلزل منزلته وتذهب باخداصه وخدجه . على
 ان هذه الخسة ربما انقبت سيرة اذا لم تتخذ الحيلة في شأنها فان صاحب
 الامر لا ينبغي له اذا وثق ان يفرغ ثقته ويستسلم الى صاحبه بحيث لا ينظر
 في شيئا يرد عنه . بل لابد لمن ولي من امور الناس جانباً ان يكون شديد
 الثقة في غير طمئنان كثير الخذر في غير استقامة . والاولى ان يتم له امره .
 وكان المستظهر عارفاً بالادب والرشاد والشعر وله توقيعات لا يقاوم
 فيها احد تدن مع فضل عزيز راسم . وباسم ألف العروة الغزالي
 كناه في تاريخ اذربايجان . المستظهر ي
 بامانزا هنا لتعرف منزلة المترجم في الادب قال :

اوله عز الله في القبة عاجداً . لا تصدق الى رسم الوداع .
 وكيف اسندت نرج الاصطبار وقد ادى طرائق في مهوى الهوى قدوماً
 وكانت خدنة اربعاً وعشرين سنة وثلاثة اشهر وعشرين يوماً ومات بعد
 وله من العمر واحد واربعون عاماً وستة اشهر ودفن في حجرة له كان بالغزالي
 قد عهد بالدفن من بعده الى ولده الفضل الملقب بالمستتر بابه .
 وكان المندش به شهماً شجاعاً كثر بهو بعيد الهمه فصيحاً جليلاً
 جهه التوقيعات وهو واسمه الفضل وكنيته ابو منصور . والاداء ارتكب
 خطأ

فهو خطأ ذهب بيمانه وأخر دولته بعد تقدرا وذلك انه بلغ من رغبته
بمعاونهم مخطيا وحقنوا بسلاسلهم لعلهم يدعوا بمطالبة الخليفة منهم ويقرروا
بمسلمة اسم محمد الكبري وقوله الذي هو ايرام وداود وبقية جندك والارام
المستتر في علم المسترشد هو الخدوة العلية انه اصبح الحكم فينا لرجليه
احدهما الوازع السياسي وهو صاحب اكل والعقد والامر والنهي في ثوره
الدولة داخلها وخارجها وكما يسمى امير الامراء ثم صار منه أسندت اليه
هذه الامارة يعقب بمثلث اوسله . والثاني وهو صاحب الحكم
الديني يُبايع وتعرضه عليه الامور قبل عرضها على الاول فيرى فيها رأيه
وهو الخليفة . فكانت الدولة في ذلك العهد بيه سلطانية نظرية وتنفيذية
فالنظرية يتولاها الخليفة والتنفيذية يتولاها الملك اوالسلاطنة او امير
الامراء . وكما المعاصر للخليفة المسترشد به هو السلطنة مسعود
ابن مسعود به البارسلنة السلجوقي ومقره في همدان . زار بغداد
فاكرمه المسترشد ثم ان الخليفة شر بيمانه جماعة من الامراء فاراد عقابهم
فماؤوا الى السلطان مسعود فطلبهم الخليفة من فابل رد هم اليه فحدثت بينهما
الفتنة والوحشة وسافر السلطان مسعود الى همدان فلما استقر بيل علم
الخليفة ان مسعود يستعد لقتاله فتبرز هو ايضا وجاءته رسائل من الامراء
الذين انضموا الى مسعود يعرضون عليه طاعتهم ويسأون منه فأتاهم الخليفة وعفوا
فاكرمهم وفرج من بغداد جيش يريد فيه ابتداء السلطان مسعود بالقتال
وجعل اولئك الامراء في الجبهة وزحف عليه السلطان مسعود فتلاقيا
بوضع يقال له دايبرج فلما هم لقتال انما زوا الى السلطان مسعود واكثر
حول عاكر الخليفة المسترشد وهو ثابت في مقره وانهم عكزه فاخذ
هو اسيرا فأتزل في حمية وترددت بينه وبينه سلطنة ارسل
في مصي فاتفقا على ماله بؤدة الخليفة وانه لا يعود بجميع القطار

وأن لا يخرج من داره ورضي خليفته وعزم على الرجوع إلى بغداد فدخل عليه جماعة
 من فرقة تسمى بالبالية فقتلوه وشتموه به وذبح على باب مراغة لأبيه سمود
 سموداً لأنه قد أخذ معه منى انتهى إليها فذبحه أهل مراغة عندهم . ولما
 مولد المترش سنة ٤٨٥ وخدوثة سنة ٥١٢ وقتله سنة ٥٢٩ وهو خطيب
 الذي أورد به هو اعتماد على جماعة خانوه أولاً ثم ثانياً ثم فوجده ببغداد
 يقول حيث رآه هو جده به أنه يوجه قائداً يقتله عليه في مثل هذا المكان .
 ولما قتل المترش كتب السلطان سموداً إلى رئيس السجدة ببغداد أبي صالح
 أبي المترش وكانه ولي عهده وأمه المنصور وكلية أبو جعفر ولقبه
 الراشد . فبويج في بغداد على شروط كتبها للسلطان سمود
 بخط يده وحلف عليها وهي أنه متى جند جنداً أو يخرج للقاد واحد
 من أصحاب السجدة بالسيف فقد وجب خلع . فلم تطل أيامه حتى وقع
 نفور بينها فترها الراشد لقتله ~~فظهر~~ فعم سمود فرحف
 مع بغداد فمرضها حتى دخلها وفر خليفته الراشد إلى الموصل ومنها إلى
 أصفهان فقام بالإحتمال حتى قتل . مولد سنة ٥٠٤ وخدوثة سنة ٥٢٩
 وخلع سنة ٥٤٠ وقتله سنة ٥٤٢ هـ قتل بأصفهان بجمعه خدوثة لقتله
 منه لأنه لم يكن يستقر في مقامه ودفع بظواهرها في شيرستان .

المقتضى لأمر السجدة

- ولد سنة ٤٨٩ وتوفي سنة ٥٥٥ هـ -

لما خلع الراشد بأمر السلطان سمود جماعة من أعيان بغداد فبينما يصح
 أن يبي الندوة فاتفقوا على أبي عبد الله بن المستظهر فدعاه فحضر وأكرمهم
 واسترط عليه ما كان يشترطه على غيره فبايعه الناس ولقبه المقتضى لأمر السجدة
 وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر بأمر أحمد بن المقتدي . تولى الخدوثة وهي
 على ما علمت من الرهن والصف وذل سنة ٥٤٠ فبطل لا يترك
 سبياً

سبباً له اسباب تقوية نعمة الله عليه به ورواه ابن أبي هريرة عن سمرة
او غيره بعد اذ فجع نالوا اثراً وقرة وسوداً حتى كانت سنة ٤٧ هـ
وبلا توفي الله عن سمرة بلان ان فلم ينقل خبره بالخليفة المقتني حتى
تار ثورة همدان فاستولى على دار الله به سمود ببغداد وقبض على اعيان
واعوانه من السجوقيين وغيرهم وضبط اموالهم وارباه به براه في الطرق
ما في بيوتهم وبيت الله به الخمر فأربيه مقدار غير يسير وبه نفر الناس
ان خليفة منكرين على الله ~~الله~~ ما رآه . وشتر خليفة
من ساء به فاستقل بالملك وقر كل من احم له عليه . وكان من الرجال
ذوي الرأي والعقل والدهاء وهو اول من استبد به ملوك العراق منقراً
عده سنة يكونه به به اول ايام الديلم الا ايامه . واول خليفة نكته به
اخذتة وحكم على عسكه واهما به به به حكم المليك على خلفاء به
عنه المستنصر الا ايامه . والا به يكونه المعتقد - قال به الاير - . وكاه
المقتني شجاعاً مقداماً مباشراً بحروب نفسه وكاه يذل الاموال لليلة
لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كاه لا يفتة منها شيئاً . وهو معروف
بالعلم والكرم والعدل وحسن السيرة . وكانت مدة خلافته اربعاً
وعشرين سنة وثلاثة اشهر صفت له خلافته منها ثمانى سنين بعد وفاة
الله به سمور السجوقي . وعنه الا به يوسف الملقب المستنجد به .

المستنجد بالله

- ولد سنة ٥٨٠ هـ وتوفي سنة ٥٦٦ هـ -

ابوالمظفر يوسف المستنجد به بن المقتني لدر به بن المستنصر به . ولي الدولة على
اثر وفاة ابيه (سنة ٥٥٥ هـ) فسار سيرته وضبط الدولة ضبط الخادم
العادل واول ما بدا أنه ازال المكوس ورفع عن الناس الضرائب
حتى لم يترك في العراق شيئاً منها . وكاه به احسن خلفاء سيرة به

الرعية عادلاً فيهم كثيراً رفق بهم شديداً علم أهل الميت والفاد والسعاية
بالناس: يُذكر أنه سجن ابننا كان يسمى بالناس فاطماً حببته فشفع فيه
بعض أصحابه المحتجين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال: أنا أعطيتك
عشرة آلاف دينار وتخصرتني ابننا آخر مثله لا كفأ شره عن الناس ولم
يطلقه. وقبض على قاض يعرف بابن المرقم كان سيئ المسلك وقد جئت
له أنه أخذ أموالاً كثيرة من بعض الرعية فصادر أمواله ورد للناس ما أخذ.
منهم ولكنه استأجر العلم استأجره لا تغتفر لأنه لم يكتفِ بأن صادر
ذلك القاضي وحبه وسببه نعمة حتى أعتدت يده إلى كتبه فأحرق منها
في الرحمة ما كان من علوم الفلاسفة وفيها كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب
أخوان الصفا وما يشاكلها. فهي وصية في تاريخ حياته سواد. حكم إحدى
عشرة سنة ثم مرضه وكان قد خاف به بصره خاصة فأرغم طبيباً عليه بصفا
له المم فلم يوصف له فاشغ المستنجد لضعفه فما زالوا به حتى أرحلوه وأخلقوا
عليه الأبواب فصاح واستغاث فلم يلبوه حتى مات فاعلمنا وفاته.

وفي الليلة التي مات بها المستنجد بوبع ابنه أبو محمد الحسن ولقب
المستنجد بأمر الله ففروا أموالاً كثيرة وهذا في الحكم عند أبيه وكان
عليها جداً قبل المعاقبة مع الذنوب محباً للمنفعة والصفح عن المذنبين كريم
اليد صفت له بمؤلفاته سبع سنين وسبعة أشهر ولا يُذكر له فيها أثر
وله سنة ٥٤٦ وبوبع سنة ٥٤٦ وثوبغ سنة ٥٤٦

الناصر لدين الله

- ولد سنة ٥٥٤ وتوفي سنة ٦٤٤ -

وبوبع بالدفنة بعد موت المستنجد بأمر الله ولده أبو العباس أحمد بن المستنجد بن
المستنجد بن النقي بن المقدسي بن محمد بن القائم بن القادر بن المقدس بن
المستنجد بن الموفق بن المستنجد المتوكل بن المستنجد بن الرشيد بن المراد بن
ابن المنصور بن محمد بن عبد الله بن عباس. ولقب أحمد الناصر لدين الله
وذكر

وزيد سنة ٥٧٥ فلما تمت طاعت ابيه حتى انه لم يبق له من ايامه
 الطول منه مدة . وكان شديد السكينة راحية خيرا بشيئ من
 الا انه ربما تشدد في بعض الامور فنسب اليه الظلم والظفر يوتي
 يكتب عنه لانه لم يكن مستقيم الاطوار فبينما تراه مولعا بمصايد
 يفتح دور الضيافة للناس وللمهاجج ويطلق الكؤوس ويبيع مديون
 الفرائب والمظالم ويتفقد شؤونهم منتفيا في الكارسة اذ جنة نور
 المنازل ويجول في الشوارع العامة وموزقة مرتدبا جديبا سوني ورجل
 او غريب اذا بئس تراه قد اغلق تلك الدور واعاد تلك المسكن
 وانفرت همته الى اللهو واللعب برمي البندقة والاشتغال بزيور
 والعناية بسراويل الفتوة [~~المحب~~ المعروفة اليوم بهم الثبات بتمتع
 المصارفون واحدها ثبات وليس بغيري] ويقال انه هو الذي كان في
 وأطعمهم في اليهود بسبب ما كان بينه وبين خوارجهم ثم انصرف اليهم من
 العداوة ليستمن خوارجهم ثم بهم عن قصد العراق . ومن مع ذلك بكونه
 لظنة عار شوهت بلا مصيفة وقد شد فيه المؤرخون ورأوا ان عمره
 اليه . وكانت خلافته ستا واربعين سنة واحدها عشر شهرا وربعين . وفي
 آخر عمره ذهبت احدى عينيه وضعف بصر الثانية وفلج فبطلت حركته ثلث
 سنين ثم احصاه ودرستاريا فمات رحمه الله وله من العمر نحو سبعين سنة .

ودلي بعده ابنه ابو نصر محمد الملقب الظاهر بأمر الله وكانت ايامه في عظم ملوك
 ابن الاثير فذكره واثني عليه كثيرا حتى داخلني اشكر في انه ربما كان ملكا
 اليه فقابلته مع الاحسان احبنا لان المؤرخ مهاتمكن من الكربة وانفقوا
 انقم في الحق لا بد له من أن تأخذه مع معاصره ودلي ابره فاطمة فبني
 ويطري ويعدر الميامد ويستالمنا برفقا للشر او حيا للكر والله
 كبدنا ان نتقله من مؤرخنا ~~هذا~~ ما يتعلم به الخليفة انه كان

والعقوب على الدرد قال في زمام الملك الى الامراء والقواد واعتمد عليهم في اكراس التور
على وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي وكان يتشجع للعلويين . وقد علمت من ترجمته
استنصر اب بقة أن المفلول عظم امرهم وخيف شرهم فأتى ربهما النعمان
على المستعصم أن يتخذ الحيلة لدرء هجماتهم وأنه يُعَدَّ جيشاً يقوه به عليهم
فغلبت عليه غفلته فقال : «أهـ هؤلاء لا يطعمون بأفراحي من دار ملكي
وهم يكفون مني بأن أترك لهم البهادر ويدعووا لي بغداد وهي كغنيي !»
والغفلة به ففتنة حدثت في بغداد بين رجل السنة والشيعة العلويين وهذا
مرصه قديم في الاسلام ولما منذ توفي الله نبيه محمد عليه وسلم وانما زفرين
من اهل الاسلام برون ان علياً اجدر بالخلافة بعد ابن عمه ثم اتسع ذلك الحرق
بعد زمن فكان في المسلمين الداء الذي لا يبرأ والعلة التي لا تشفى
وهو حتى اليوم سبب ~~محنة~~ مسلمين الا عظم وعدة تفراقهم ومنشأ تراهم
وحماؤ الفرقيين راؤون على اصمد ذات البين وراهم يوفقون
اليه إلا بعد أن لا يبقى غير الندم والاصل الاكبر بزوال تلك الشبهة
معقود بنا صبة دور العلم الحديث والفنون فاذا استغل فيها المسلمون
وعرفوا حقائق الادب والسير ونور السيرة والاجتماع كان لهم من انفسهم
زاجر ولكنني اقول :

فيا راحداً بالخيف ان مزاج قريب دكن دون ذلك الهوال
وجارت السنة في هذه الفتنة على اخواننا من الشيعة فانتزعت بيوتهم
وسفكت دماءها وزنت بخرى اي بكر ابن الخليفة وبعض الامراء
الكارهية لابه العلقمي الوزير وظهر من الخليفة ضعف او اغضاء انما
في قلب وزيره مؤيد الدين ابيه العلقمي راجل حقد كانت كائنة وعزاه
لما اصاب اخوانه الشيعة من الكوارث فكتب الى قائد المفلول
ويهم

هو لأكو حفيد جنكيز خان . يُعلم بضعف الخليفة وريثون عليه امر احتدول بغداد وصحى وأعيد به باللعانة على خليفة . فرحف هو لأكو بجده وجده بقود حيث عرماة التتر و ذلك سنة ٦٥٥ هـ . وفرجت اليه عساكر الخليفة ثم انهزمت ونزل هو لأكو مع بغداد من الجانب الشرقي وانتشر عسكره في جميع جهات العراق . فقدم عليه الوزير ابي العلقمي فتو توده منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال انه هو لأكو يتقيك في الخدمة كما فعل بسطامه ارم ويريد انه يزوج ابنته به ابنت ابي بكر وحسنه له المزدوج اما هو لأكو فخرج اليه المستعصم في جمع من اكابر اصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والامامان فاجتمع هناك جميع السادات سادات بغداد والمدرسين وعلماهم فكانوا امر بهم هو لأكو فاحاطت فيه العسكر وقتلوا معه آفرهم وأبقى الخليفة حيا حتى دلهم مع مواضع الاموال والدفائن ثم قتلوه ودخلوا بغداد فاعلموا السيف فطر فدام القتل بلا القتل والتهب نحو اربع ميه يوميا وأمره ما فير لاه كتب العلم والتاريخ وهدم كثير من اربعة الساحة والقصور الملك ثم نودي بهومات . وموت الخليفة المستعصم به انقرضت الدولة العباسية في العراق و عدة علم ضفالا ٢٧ خليفة رمة ملكهم سنة ١٤٤ هـ لا عظم موت المستعصم سنة ٦٥٦ هـ ودام ايام الملك يصفو ويكر ٥٤٤ سنة والموت له يوانيه ويكر .

— خاتمة —

انقرضت دولة بني العباس في العراق وانحلت آثارها فلم يطل امة اعتبار غير نيف وثلاث سنين وظهرت في مصر بوغداد ابي القاسم احمد بن محمد بن الناصر بن المستفي العباسيين على الملك الظاهر سيرس البند قاري

احمد بن محمد دولة المايك في مصر . وكان ابو القاسم هذا غائباً عنه حدث
واقعة بغداد فجماعة شرها واثبت نسب العباسي له في المصنفين بغير امام
جميع العلماء واركاه الدولة ففرج به الظاهر لانه وجده قوة جديدة للملكة
ولا يخفى ان المسلمين لا يتقرون ان الملوك بعينه الرضى والخضوع الا اذا
قرنوا الى القاييم السببية لقباً وبنياً كالخليفة او امير المؤمنين وهذا لقب
لا يحرزه الا اصحاب النسب الثابت كالعباسية والعباسية واشبههم فلما
ظهر المصنف الظاهر بالخليفة العباسي جمع الناس واعلم فيهم ان دولته
اصبحت دولة ثابتة المراسم بانتها الى دولة العباسيين وبائع
ابا القاسم العباسي ولقب المستنصر وكذلك بايع اركان دولة
المصنف الظاهر وخطب باسمه على المنابر ونقش على النقود وخطب
واقعت له المظاهر وانزل في دار قنطرة وذلك سنة ٩٥٩ هـ هو اول
انقضاء العباسيين في الديار المصرية ولم يمهله ولا طه بعده اثر يذكر
لانهم انما كان لهم مدعى خلافة الاسم والبرية والخلعة ولا يجوز لهم ان
يتقروا في شئ من شؤون الدولة فله خلافة كاذبة ومثلك وهي ورام
اهم ذلك بمرور ٥٠ سنة تعاقبت منهم خمسة عشر رجلاً علم ما سرق
وهذه خدومة اخبارهم اعتمدت بلا علم تاريخي البردي :

- ١ المستنصر = ابو القاسم احمد بن امير المؤمنين الظاهر العباسي . بولج سنة ٩٥٩ هـ
وجاز له المصنف الظاهر البندقداري جيشاً زحف به الى العراق لاسترداد بغداد
فحارب التتر فانزهم جيشه وفقد هو ولم يعلم خبره وذلك سنة ٩٦٠ هـ
- ٢ الحاكم بأمر الله = ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن المسترشد بن المستظهر . ظهر
في الديار المصرية بعد انه شاع خبر نقضه للمستنصر فاجتبت له اهل المصنف
الظاهر بغير سن سنة ٩٦٠ هـ فبايعه الظاهر صاحب له ما كان المستنصر ونوف
بمر

نمبر سنه ۷۰۱ هـ فُضِّلَ بِهِ

٣ المتكفي بأمره = أبو الربيع سليمان بن أحمد الأكم . بويج بعد وفاة
أبيه سنة ٧٠١ و توفي بقوص سنة ٧٢٥ هـ ومولده سنة ٦٩٠ . وكان
~~مؤلف كتاب في تاريخ مصر~~
يقول أبوه الوردي في تاريخه : « مثني يعميه بالموت . ويبغض المني بالفتنة . إلى
كم لهم الميتة الرطبة . ولي مجرّد الخطبة . فدم الملك الصريح . وسليمان
البرج ! » .

٤ الرواية باب ٥ - ابو اسحاق ابراهيم بن اخي المستنفي . يبيع بعد موت
المستنفي سنة ٤٠٠ فتمتلك وعاش السبعة فخلصه بعد ايه مئت سنة
واياماً .

٥. الحاكم بأمره (ثاني) = أبو العباس أحمد بن المستنفي جده به الحاكم (موت).
 بولج في المحرم سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٧٥٢ هـ.

٦ المصنف به = البوكر به المستغني . بويج به به راجع محاكم متان ؟
سنة ٧٥٢ وتوفى سنة ٧٦٢ هـ .

٧ المتوكل عليه = ابو عبد الله محمد بن الحنفية . بولس سنة ٧٦٧ و توفي
سنة ٨٠٨ وخلف اولاداً كثيرين قبل انهم نحو المئة .

٨ المستعبد به = ابو الفضل به المتوكل . بويج بويه به به سنة ٨٨٨ هـ وتوفى ٧
سنة ٨٩٤ هـ .

۹. المتفد به (ثانی) = ابو الفتح داود به المتوکل به المتفد (مردی) . بوی
بعد از نیمه المستمیه سنه ۸۶۶ . و توفی سنه ۸۶۵ هـ .

نواميس في الاندلس

[دخول]

علت مكنت من اخبار له دولة العبيدية أن مؤسسها الخراساني اباسم ضرب الامويين في المشرق ضربته
 بعد ما شهد منها الخليفة العباسي الاول انتقاماً من بيت الأسرة الحاشية لما كان بني عماره
 معاوية وبنوه من الثار القديم وسيداً وراياً ولجيد كنفه محمد العبيدية بميت لا تطلع شمس على نراهم
 هم على من آل امية او مروان بعد ذلك . وقد تفرق النجسون من اقل والكس من بني الامويين
 والمروانيين في انحاء الارض فكان منهم عبد الرحمن الاول المعروف بالداخل وهو الذي كتب الاخطار
 وقصد بلاد الاندلس فأسس فيها ~~عظمته~~ دولة خفقت عدواً ٧٦٠ عاماً وانتشرت
 مدنتها وعلومها وصناعاتها حتى كان ابن القارة الوردية يسمى ليلاً بالباس كما يسمى لوردية واندلس
 والمصري الى باريز ولندره ولوزان وموتى ايوم . يستد في تاريخ هذه الدولة في الحرب مكنة
 ٧٦٨ هـ وهي سنة اماره عبد الرحمن الاول على قرطبة ويستد في سنة ١٠٠٠ هـ وهي السنة التي خلع
 فيها آخر خلفاء اهل البيت محمد وتفرقت البعوض من بعده فاستقل كل وال بما ولي عليه
 نسق ما اصاب دولة آل عبيس في آخر مرها . وقد فرجت الامارة من ايدي الامويين
 في اثناء تمكنهم مدة سبع سنين وثمانية اشهر حكم فيها رجال من الفاطميين تذكرهم
 ائمتهم واند بعد ترجمة سليمان بن الحكم الاموي . ثم عادت الى بني امية فلم تطل ايامهم
 وزنه ليولني أن اترزم جانب اليباز التي جئت من تراجم ملوك هذه الدولة ذات الحضارة
 العجيبة والذكر المجيد غير أن الجبال يفسق عن الاسلاب والاطالة في اكتفى بالنداب
 مؤرخنا واهل البيت وانظر اننا قد من على لنا العلم الى وضع كتاب كبير يضم
 اجزاء من تاريخ ~~السلطنة~~ ويجمع ما تفرده في الكتب العربية وهو فرعية من اخبارها
 نزي الخدمة ابيدلة ومحمد النافع اثناب الله به يقوم به خيراً

عبد الرحمن الداخل

- ولد سنة ١١٢ وتوفي سنة ١٧٢ هـ -

فتح المسلمون بلاد الهندس و أخذت تتعاقب عليها دولتهم و امرادهم
 من قبل دولة الامويين في الشام وروا حتى ضعفوا ثم و زال
 سلطانهم فاستبد الهنديون بأنفسهم و عزلوا و يولوا من
 بني دود و ظهرت بينهم في اوائل القرن الثاني للهجرة ثورات
 واضطرابات كان امرادهم يعالجون منها ما يمكنهم علوجه الى ان
 اصيب بنو أمية بفتك الرائحة التي شنت عليهم و منفت
 عليهم فتفرق من نخامتهم في بلادهم و تملك بنو العباس
 (على ما تقدم بيانه) و كان من فرقة من ايدي المستوردة
 (آل عباس) امير من سلاطة ملوك بني أمية يدعى ابا المظفر
 عبد الرحمن بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك بن مروان بن ولد
 بموضع يعرف بدير حسينة (١) من دمشق و مات ابيه
 وهو صغير السن و كان في قلات الشام و لا هلة بقية ما حل
 انزعم و اقام في قرية على الفرات تسعة الخيل فادى الى بعده
 الدغال حتى اُمن فقصه المغرب فبلغ افرقية فبلغ قلا
 بلده حيه علم به و هو حينئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري و انظر

(١) كذا في البياض المغرب لوجه هذا ري ج ، ص ٤٩ وفي تاريخ علماء
 الهندس لوجه الفرضي « دير حينا » ولم يذكرها ياقوت في معجمه .

المزمع الى مكناست و قد لقه مولود بدر بنفقة وجواهر فانه قد
 لم يزل به اختلاعه تعرف بأسم الوصع . ولم تطلب له الوقاية
 في مكناست فارتحل من بلاد نزل بال نغزادة وهم جيل من البربر
 منهم فاكروموه حيه عرفوا صلته بهم ولبت مدة يكاتب
 الاوسيين من اهل الوندلس يعلمهم بقدمه ويدعوهم اليهم وهم
 يدركوا مولاهم فاجابوه . شردوا اليه مركبا فيه جماعة من كبرائهم
 فاعطوه طاعتهم واخذوه . وعادوا الى الوندلس فارسل بهم المركب
 في المكيب (و ذلك في شهر ربيع الاول سنة ١٢٨٨ هـ) ثم انتقلوا
 الى سيلية و من الاقربة فسلم بهم والي الوندلس يوسف بن عبد
 الرحمن الغزالي و كان غائبا عن قرطبة بنواحي طليطلة فاقبل وكتب
 قتال بينه و بينه و من الاتفاق حول عبد الرحمن معاوية انتهى
 بنظر عبد الرحمن فدخل قرطبة واستقر في و بني في القصر
 و الى جميعه و ما يجد عجائبات و دافاه عدد كبير من اوسيين
 و كان يدعو للمنصور العباسي و يظهر انه لا يميل الى الخوارج
 الى عتة ملوك العباسيين في العراق فله ات بعين اربعة اوندلس
 و الحيات الناس اليه و احبوه لعدله و رافته و كان له اهل
 العلم و المعرفة بالادب و له شعر . و وصفه صاحب البياض المغرب
 فقال : « اظن صفة : طويل القدر ، أصهب ، الحور ، خفيف
 العارضيه ، بدوه خالي ، له صغيرتان . » و كان المنصور يلقبه
 بصقر قرشي . و لُقِبَ الداخل لانه ادخل من داخل الوندلس من دول

بإمينة . وقال ابن الأثير في فقهه : ... وكان له من عرا حله
 عالماً حازماً . سيع الزهفة في طب الخارجه عليه لا يخلد إلى راحة
 ولا يترك إلى دعة . ولا يكل الدمور إلا غيره . ولا يفر في
 الدمور برأيه . شجاعاً مقداماً . مسد الغور . شديد الكدر .
 غيا حادراً . يكثر لبس السباح . تقاسي بالمصير في
 حزن وشدة وضبط المسئلة . مع دني الرصافة بقرطبة
 تسمى بشراً بكده . هم ديت بني الرصافة بالانام . « وعنه
 اول ترد له بالرصافة . أي في أول تملكه مقررة فلاحت شجرة وتذكر له فقا

تبعته لنا و شاع الرصافة تملكه . تنادى بأرض الغرب عن بلد النمل
 بقدرت سبي في الغرب والنوى وطول التناهي عن نجا وعن اهل
 زعت بأرض أنت فيكم غريبه . فمستك في الرقصاء والتناهي سلب
 . ففقت غوايد المزن من صور الذي يستح ويسمري السماكين بالوبل
 توفي الداهل بقرطبة . ودفن بقورها . وكانه دخوله عم الوند لسى وهو
 ابن خمس عشرة سنة . وبيع بقرطبة يوم الاثنين سنة ١٢٨ هـ
 ومدة حفرته ٢٢ سنة . واربعة اشهر ونصف . وعقد
 العهد لا ينيه هـ . ثم
 الا الركب الميسم اركض
 ارضي مي لما عقلت بأرض
 قدر البية بيننا فافترقا
 قد قضى الله بالفراق علينا
 آفر من بعضي السدم لسعي
 وفؤادي وما لك في بأرض
 وطوى البية عده ففوي غطي
 فمسي باحتما سوي يقضي

اسير مسلم يُشتري أو يُفدك لصنف العدو وقوة المسلمين . وراه
الاندلس بعدد دون مناقبه ويبلغونه فرا حتى قالوا انه كان
يسب في سيرته لعمريه عبد العزيز . . خذفته سبع سنين
ولم يشهدوا ايام . ثم بنى عدة مساجد وتمم بناء جامع
قرطبة الذي بدأه به .

الحكم به هشم

— ولدت سنة ١٥٤٠ وتوفي سنة ١٥٩٠ هـ —

ابو العباس الحكم به هشم بن عبد الرحمن الداخل الاموي ، أحد ملوك بني
امية المصم في اندلس . قال المقرئ في فتح الملب : هو أول
من جعل الملك اربعة بارض الوندلس . وأول من جند بالوحدات
ومجمع الدولة والعدو وارتبط الخيول على بابيه . وكانت
له عيون يأتونه باخبار الناس . وكان ينشر الامور في
ويقرب الفقراء والمساكين . وهو الذي شهد الملك
لقبه في تلك البلاد . ولد بقرطبة مقرئاً ولا زناً
دولي امرا المسلمين بعد ابيه هشم مبرهنة الي سنة ١٨٠ هـ . وكانت
في ايامه حروب دفتة كثيرة اثارها على جامعاته الخوازم وثور
فاشتغل في فاشتمل في
وانهم اخذوا يميونه في الثغور فار
اليهم بنف سنة ١٩٦ هـ فافتتح حصونه وغرب النواحي
داثني

وأثنى في القل والسي والنهب ودار القلمة على فرا . وارسنة ...
 فرقة من بحيتي لحد غارات المقدي به علم بدور فامس بندهم
 وتفرغ لسياسة الحد وندبيرة فنظم شؤون واستقر له الامور
 قومي فدفن في قلمية . واهل اخل بني امية بالوندلس واسمهم
 اقدانا ونجدة - قاله المقرئ - وزرك او سورا كثيره منهم مزود
 زكرا وحشده اثنى . واهل اسر لمواذا اسم خيفا لم يخف
 ونظم الشعر الرقبي بتفكك به اورد بعضه صاحب الياه المغرب
 (ج ، ص ٧٠) وفي نفع الحبيب قوله وانشد بعد واقعة :

رأيت صديق الودع بالسيف راقنا وقدما لأمت الشعب كنت يا فافا
 ف اهل تغريمي هلا اسم نفرة ابارها ستغني السيف دارعا
 نبتك اني لم اكه في تراعم بوايه وقدما كنت بالسيف فارعا
 وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرفهم فوافوا ما يا قدرت رصاعا
 فهدى بيودي اثنى قد تركنا ملادا ولم اترك على منازعنا

وعدد له صاحب الكامل صفات ~~بعض~~ فل انه تشبه بالجبارة ،
 وانه اول من استكدره المالكين بالوندلس ، واول من جند لا
 الوجداد المرتزقيه ، ~~ولكنه عليه كسوف من الممالك~~
 للفتح وللحاصل والمليين - وقد المراكشي صاحب المعجب
 في تلميح اخبار المغرب في الكلام عليه : الحكم به هشم الملقب
 بالرفيع كانه طاعيا وله آثار سوء وهو الذي ادغم بأهل

الربضي فقتلهم وهم ديارهم دم مدمم والربضي محمد بن سعد
بقصره اثم اهلها بكيدة يدرون لا يذيقاع به فضل بهم وقد
فُسي الحكم الربضي . قال : وفي ايام احدث الفقه والفتن
استعار الزهد والكفر علم قديم الليل في صوامع المساجد
واعدوا انه يخلو مع زنديق شياؤه التعريف به مثل انه
يقولوا : يا ابا عبد الله سرف المتحادي في طغيانه الصراخ علم
كبره المتلاوه بامر ربه اخذه قد سكرتك وتنبه من
نفتك ... وما في هذا شئ . فانه هذا مهلة ما هاجبه
واذ غر صده عليهم ، وكان له الشدة الناس عليه في امر فتنه
الربضي الفقراء هم الذين كانوا يرضونه العامة ويجمعونهم
انه اوقع بهم ... وحلة ما يتصل به اقوال المؤرخين انه
كانه شديدا جبارا ضابطا لدم مملكة يقطر اذا هم
التقى به عينيه عزه ، لورده عن سبيله راد قوي
الارادة واكثر خلوه تدل على رجل كبير وانه شئت
انتزع في اخباره فاجع الا نفع الطيب وكامل التواريخ
والبياه المغرب والمحب واثبتهم

اولدنه ۷۶ روزه ۱۸۰۰ —

بعد موت الحكم عليه السلام . فطاع ولده عبد الرحمن ان يقوم بالمسك حق القيام
ولنيت ابو المظفر ولد بطيطة ايام كان ابوه اللهم يتروها لوبيه
افتم . وبيع بستم وفاة والده بيوم واحد . كان حبيبا لمؤيديه
حسن الوجه اتقى اعين الكل عظيم المحبة يغضب بالحناء والسم .
قال صاحب البيان المغرب في وصفه : « هو اول من جرى على بني الحلفاء
في الزينة والاكل وترتيب الثمينة وكسا الخدوشة اثرة البدرية
زينة القصور وأجلب الماء العذب الى قرلمته وبني له مصفا
كبيرا يريده الناس وبني الرصيف وعمل عليه السقا نف
وبني المساجد بالأندلس وعمل السقاية علم الرصيف واتخذ
الركلة بقرلمته ونظم مائة » وزاد عليه غيره من المؤرخين فقاروا
انه عدو عن التبذل للعامّة وكانت ايام ~~هذه~~
سكون وعافية وكثرت عنه الاموال وكان عالي الامة له غزوات
كثيرة . وكان ادبيا ينظم الشعر للهوى في بعض اوقات خلوة
عالميا بعلم الشريعة وغيرها من علوم الفوائد وهو معذود في
جملة من اعتنى جواربه كان يأنس بهت ديه امير كافرغ
من عباء غزوة او انتهى من نصب حرب وكان يعيل الجارية
له اسما طروب ونظم لا شرا فشيد لا وانفق عملا الاموال

وله اخبار مذكورة . ولم يمتد في بطشه كآبيه بل خالفه في كثير من احواله
فاستعاض بالدين عن الشهادة وبتهمة الفتنة عن اقام حروبها
وشعره جسد منه قوله يصف حالة المزدول :

ارى المرء بعد الزل يرجع عتده وقد كان في سلطان ليس يعقل
فتلفه جهنم الوجع ما كان والياً . ويحل منه ذلك ساعة يغزل
ومنه كده ما وقع به الابعده عما له وقد كتب اليه يسأل عنده لم يبع
اهتله فذيله بقوله : " لم يبع وجهه طلبة كانه الخزان اولى به " .
وله له خمسة وله اكثرهم ذلور . وخلفه خمسة واربعين
وله اذ ذلورا . وكان ممدوح اليرة . مدة ولايته ٢١ سنة
وثمثة اشهر . وفوقه ثمانية . وكان يشبه بالوليد بن عبد
المكث في - بيته وتافقه .

ولامعات عبط من بن الحكم تفت ابنه ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
ابن الحكم به هتم . فخرى الى بيته عددا واحدا للرعية
ورأى المندوب ثابت آتيا من هارثا ملطنا فصف له ايامه
مولده ^{في ليلة} سنة ٢٠٧ هـ . ودخله ^{في ليلة} سنة ٢٧٢ هـ . وعلمه
وثمته ثمانية الاشهر . كانه ابيه شربا بحمة ربيعة
ادقصر وافر الحية يخضب بالخناء . خلف ٢٢ ولدا ذكرا و
١١ بنتا . وكان مثبتا في شؤونه وفيا لمواليه انفسهم ولقبهم
لديهم عنه كادع في شيء عن ادهم فيسهم او يسهم
احبة اهل البلدان المستقلة في عصره حتى كان بنومد رار بجملة
ومن

ح لذت نفوتقد على ضعیف اصال بطاقتة بیده و لوازه
 لمة على لانه . قال صاحب البیان المأزب : وكان اهل
 کائنات والمفرشون منه يتفقون من كل امر يوجب شدي منهم
 . وكانت اللذات مزجوة في ايام واللهم خير تقترف من
 الثرا لمة . و سمي احد ابواب القهر «باب العدل» يكثر
 فيه احوال الناس من بقاء ولا يجعل بينه وبينه المعلوم تراء
 وربما عيب عليه لركهه لا سرف وميله الى الاقتصار في
 النفقة والعطايا الا ^{ما} كان من لا في سبل الصدقات
 والمبرات فانه لم ين يري باسا بل اتفاق التزير في
 ما يدل على أن اقتصاره الاول لا يستي بخمزا كما عرفه
 به بعض المؤرخين فابنيل اشبح يتعلق بالهم والدينار
 بحبرها عن كل سبل لا يفرق بين الصدقة والجائز
 سدين الارام والاحسان . وكان موصوفا بالوع
 صمدع القلب ، متقنا بفردب العلوم ، بصيرا ببلنات قبائل
 لرب ، فصيح اللسان ، حسن البیان ؛ اما صورته فأنيف
 شرب بالحرع اصهب أنزروه ، اقنى اللذف ، بعة الى الطول
 فضيب بالسواد ، عظيم انداديس ؛ . وكان ادنيا حادظ
 شمار العرب و ايامهم وسير الخلق رادنة تد

بن نطفه ، وكانوا يبدونه من اصلي خلفاء بني امية في
 الدنيس واسلمهم طريقة ، وأتتهم معرفة لولا ما كان ينفعه
 من دواعي الفتن التي أجبروا على ~~الظلم~~ الظلم والقوة والارهاب
 بالبطش حتى وصفه ابنه عزيم بأنه كان قتالا رهون عليه الدماء
 مع كثرة اقباله على الخراب واعراضه عن المنكرات ، ويذكر
 انه احتال على اخيه المنذر فقتله بأن سم له الموضع الذي
 قصد به بمواظفة حمايه وهو نازل بمكة على ابن
 حفص بن النضر . ~~قتل~~ ^{قتل} المنذر بم ولده ان واخوانه ^{ايضا}
 جميعا فولداه محمد والدان حر لدية له ومطرف اختما
 في دليمة عرهد وقتل لمطرف محمد ثم قتل الامير عبد الله
 ومطرفا واخوانا احدهما يدعى هاشما قتله بالسيف ومثاني
 القاسم قتله بالسهم ، ولم احد فيما بينه وبينه كتب التاريخ
 ما يمنع ان يكون سببا حقيقيا لفعله هذه الا ان يلونا
 قد زاعماه مع ابراهيم او حوالا ^{ايضا} ~~قتل~~ ^{ايضا} فتنه عليه فصنع
 ما صنع . وتوفي في حر قرطبة فدفن في مدافن آباءه
 ودليمة اثنتان وعشرون سنة الاكبراً وخلفه احد
 عشر ولداً ذكر اأحمد محمد المقتول والد عبد الرحمن
 التامر الذي ذكره .

أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

— ولدت سنة ٤٧٧ ووفيت سنة ٥٢٥ —

بدأ الأمير عبد الله (صاحب الترجمة) بالفتح باسمه مع بدو الوندس
 له ما كادت تقول إليه ما استبداد الونداء والوراء بالمسلم دون أهل
 البيت واليهان فكان عمله داعية للثورة المتكلمين وخصمهم فاستغفرت
 فارقتة في أيامه على ما تقدم ذكره ومات ولم يوفوه إلى أخاه
 وقوى حفيده هذا والمسكة جمة تلتبب وكان لا كالمهم
 إلى اسم طليح الجرم النافل ولم يصف له الميت الابن
 نحو من سنة من تملكه أمضاها في قتلى المخالفين
 وانصرنا، النافرية حتى ازعنوا له واستقام امر
 الدولة فعذب له موردها وابستت أيامه وكانت أهي
 وانه حاد في الونداء من الزمان الامري والخلفاء

والمولد
 اورث في الترجمة إلى بقية أن الأمير عبد الله كان قد تولى
 بولاية الامر بعده المولود محمد وأن الميراثاً أخاه محمد
 هذه وقتله ثم قتله ابره عبد الله به . وكان لمحمد
 طعن كفن ولد قبل قتله بأحد عشر يوماً . ما عبد الله
 زاع من يدي جده عبد الله فرأه التربية الصالحة وأقر به

النجابة فلما آتت قرشاً واعتمد عليه في اموره حتى كان كثيراً ما يقصده
في بيعة الدير والوعيد ومقعد نفسه ويأمر الجند بالمسلم
عليه بالامارة فتعلقت آمال اهل الدولة به ولم يشكروا
في صغير الامر اليه . ولما مات جده عبدالله اجلسوه مكانه
ذون ولده صلبه . وكان يكنى القصر مع جده ذونهم
قترياً اجنوا . ذونهم مكانه . ولي الونداس وهو ابيه
ثبوت وحشية سنة . وحوله اعمام فلما فوا اوله بايعه
ولم يعترفه احد .

كنيته ابو المطيرف وهو عبد الرحمن به محمد به الدير عبدالله
ابو محمد به عبد الرحمن به الحكم الربضي به هشم به عبد الرحمن الداخل .
ولي سنة ٢٠٠ هـ وانصرف الى تهمة الثورات
واذ كان القيد حتى صفاءه المذبح . ولما كانت سنة
٢١٦ هـ رأي منهف الخليفة العباسي "المقتدر" في العراق
وعرف باهتلافه الاخذول فجمع الناس وخطب فيهم
ذاكر الام حق بني امية بالخلافة وانهم استحقوا اليها من
بني العباس فامر انه ينادوه ائمة المؤمنين وأن يخطب
باسمهم وتلقب بلقب سلطان وهو الناصر ليدية له فخرى
ذات سنة لمه بعده وكان اسودف يسكنون بنح
الخدوئف ويخطب لهم بالامارة فقط .

قال ابنه - نفعه في المنتخب : عبد الرحمن الناصر العظيم
 امراء بني امية في هوندلس ، كان كبير القدر ، كثير المحسن ،
 محباً للعلماء ، مولعاً بالفتح وتخليد الآثار ، افتتأ مدينة
 الزهراء ، وهي عديعة النظر في الحسن وبني بل قصر الزهراء
 المتناهي في الجملة . وقال المؤرخ المقرئ في وصفه :
 ألبقى الناس على انه لم يُبين منه في موسم البتة بل
 لم يُسمع بشده بل لم يُتوهم كونه منه ! والمؤرخون
 يبالغون في مقداره انفق على الزهراء قال ياقوت : مدينة
 صغيرة قرب قرطبة بالاندلس اختطها الناصر ... ومحلها
 متزهاؤه وانفق في عمارته من الاموال ما تجاوز فيه حد
 الاسراف وجلب اليه الرخام من اقطار البلاد وأهدى
 اليه ملوك بلاد ما لا يحصى قدره وكان الناصر
 هذا قد قسم حياته ببلاد اندلس ثلث لجنده وثلث لبيت
 ماله وثلث لنفقة الزهراء وعمارته ... بدأ في سنة
 ٤٥٥ ومات سنة ٤٥٠ وهو لا يزال يتقوه على تحصيله وتزيينها
 كما ان الناصر ابيض اشهر من الوجه ربة عظيم
 الجسم قصير القامة ، ركاك سرجه يقارب الشبر ، طويل
 النظر جليل برهاً يخضب بالسواد ، طالت ايامه فلم
 يصبه سنة وستة اشهر ، وكان عريضاً عم المذاق

يتفأد منه عجيب امره في هذا الشأن ما رأيت في كتاب الحقيقة
 للسبكي (ج ١ ص ١٠٠) قد في ترجمة عبده ابنه : عبده ...
 هو ابنه الحليفة الناصر صاحب الهندس كان فقيراً شافياً
 أديباً متديناً ... مت نفسه الى الحب مخوفة في حياة ابيه
 وقابعهم واغفوا امرهم ويبتوا على اقبال والده واخيه
 المستنصر ولي عرشه عليه فبلغ اياه ، فالتبث أنه سجنه وكمن
 منه الملع على امره به متابعيه ، ثم اخرجهم واخرجهم يوم عب
 الاضي سنة ١٢٢٩ م به الحبس واغفروا وأغفروهم بيده
 وقال الخواص : هذا اخي في هذا العيد ثم اخرج له ولده
 وزجه بيده وقال لا تباعه : ليندج كل اخيه فاشمروا
 اصحاب ولده عبده فذبحهم عنه آخرهم ...
 ومنه غريب ما يؤثر عنه الناصر ما قرأته في تذاكر
 الذهب أنه كان يكتب في دفتر خاص ايام السرور
 التي كانت تصفوله به غير تكدير فيذكر تاريخاً وما كان
 بلا وقد اطلع كثيرون عليه بعد وفاته فاذا هي اربعة
 عشر يوماً !! فياه ما اعجب ما نرى ! صدك كالنار
 صفاله المثل عليه عاماً وضرب به المثل في ارتقاء
 معكم في ايام وخدم السعد ليري منه ايام سرور غير
 ذلك العدو البير ؟ !
 ومنه لطيف ما يذكر في اخباره انه استدعى الحبيب
 يوماً

ليلاً ليفحصه . فأخذ الدولة وحبس بيد المنيج وأذا برزوز
استرف مع المجلس وأرتقى إثناء ذهب وجعل يكرهه
البيتي :

أبلاً الفاضل رفقا / بأبير المؤمنين
أبنا تفحص عرقاً / فيه محبي العالمينا
فشر الناصر به ورسال عمه علمي ، فقيل له عهده ولد
الحكم فتوجه لأهل دولتين الف دينار .
توفي الناصر وهو في قرطبة وحلف أحد عشر ولداً
ذكرنا فيهم ولي عهده الحكم به عبد الرحمن الملقب المستنصر

المستنصر بن الناصر

ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفي سنة ٢٢٦ هـ

ولي بعد الناصر له به اسم ولد الحكم به عبد الرحمن الناصر به
محمد به عبد الله ، ولقب المستنصر بالله ، وكانت مبدود
بأكثر طائفة إلا أن ملك الأسيان في عهده اردون بن
الغفرس لمع به بعد موت أبيه زهياً حيث أدار أبو غارة على ما
تمه المسلمون من المبدود ولا سيما في عهد الناصر ، فعلم
المستنصر بعزم اردون فكتب كتابه وغزا الأسيانيين بنفسي
فبادروا له عقد مسلم به وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم
وكثر فتوحاته وانصلت الصداقة بينه وبين اردون

حتى انه اراد ان يفتي المستتر في قرطبة واظهر حضوره بهديه
 وكان الحكم كذا تعلم مكرماً لأهلها، احضرهم به الهدايا
 البعيدة ليستفيد منهم ويحسن اليهم، جاءها مكاتب
 في الزواجر، جمع نزلها لم يحضر احد قبله حتى قيل ان كانت
 اربع مئة الف مبدل، وكان عالماً نبيراً صافياً السيرة
 غارفاً بحروب يروى عنه شعر، ضليلاً بالعلم بالوفا
 مملاً بالتاريخ، ولي سنة ٤٥٠ هـ ومدة حكمه خمس عشرة
 سنة وخمسة اشهر، وكان اصرب اعيان اقصى عظيم
 الصوت ضخم الجسم افقر قصير كفيه غليظ العنق
 عظيم السواد، ايرته حسنة وليس فيها رأت
 من اخباره ما يثبت علم الاطالة، توفي في قرطبة.

المؤيد بن الحكم

ولد سنة ٤٥٥ هـ وتوفي سنة ٥١٠ هـ

[ما في ترجمة هذا الخليفة ما يجعله في عداد كبار الامراء الاول
 اخباره كانت في شأنا طويلاً في ابرار ^{محبته} واستغنى الموضع
 عن اشارة اليه فوجب افراد ترجمته ^{بشيء من الكلام ثم ياتي به} ~~لهم~~ ^{لهم}
 المؤيد ابو الوليد هتم به الحكم به عبد الرحمن الناصر،
 ببيع يوم وفاة ابيه بمره من سنة ٤٦٦ هـ ومرض ١١ سنة واهبط
 اثره

إليه لما رأى به ضعف المؤيد وأعلن ذلك ومعه اثنا عشر صبي
 بايعه الناس وشكوه وأخذ المؤيد نفسه معه في القصر
 ثم لما قتل الناصر أخرج المؤيد ودعا إليه يعزى إليه
 فضل المؤيد ثم أخفاه وأظهر أنه مات . ولما نه قدمات
 ابن نصراني رثبه المؤيد فأبرزه للناس وذكر لهم أنه
 المؤيد فلم يشكوا في موته وصلوا عليه ودفنوه في مقابر
 الفقهاء وبايع الناس ابنه عبد الجبار الملقب [بالمردي] .
 ثم تقصوا عليه أشياء منها أنه كان يعمل النسيج في قصره
 فسموه نباداً ومنزله بقعة للبربر فضمنوا عليه ومنزله
 أنه كان متلواً في موهبه فالتقوا عليه .
 ولما وقع في قلب أهل الوند من المردي (ابن عبد الجبار)
 ما وقع قصدوا هتتم به سليمان به عبد الله الناصر فأخرجوه
 من داره وبايعوه فتلقب بالرشيد [سيد] وذلك في أوخر
 سنة ٥٩٩ هـ واجتمعوا بنهر قرطبة فخرج إليهم المردي
 (ابن عبد الجبار) باصحابه فقاتلهم فأنزله أصحابه هتتم
 (الرشيد) وأخذ هو أسيراً فقتله المردي وماله
 معه من القنود واستقر أمره . ولما هتتم ابنه أخيه
 وبعد هذه الواقعة بيوميه انقسمت منازم من محباب
 هتتم المقتول ولما هتتم ابنه أخ له اسمه سليمان به هتتم
 به

ابيه سليمان بن الناصر فبايعوه ولقبوه [المستعين بالله]
 ثم لقب [الظاهر بالله] وساروا الى حاورهم من الفخاري
 الذين يبايعونه فصار لهم واسمهم فأتى بهم وساروا
 معهم الى قرطبة فقاتلوا ابيه عبد الجبار فانهزم وقصر
 بقصر قرطبة ودخل حمار (الظاهر بالله) البلد فحضر في
 القصر وانغار البدر والدم على قرطبة فنهضوا وسبوا
 وقتلوا عدة عظيمة . ولما رأى ابيه عبد الجبار ما كان عليه
 اظهر المؤيد . ولما به لوزال المبرك عنده في القصر . وظل
 انه الناس حتى رأوه يرجعوا اليه ويخلصوه هو وسليمان . وبكى
 الناس لم يجمعوا اليه فظنهم انه المزايد قد مات . فذهب
 اذ ذاك واخفى ودخل سليمان القصر فبايعه الناس
 بالخليفة (سنة ٩٠٠ هـ) وكانت عدة القتلى في هذه الوقف
 نحو خمسة وثلاثين الفاً . . .
 وسار ابيه عبد الجبار الى طليطلة فماده بعده
 احمى به فجمعوا جميعاً من شربة الارباباء وسلبتهم ودم
 بدم الارباباء ~~هذه سر~~ فحدثت وقعة انهم لا سليمان
 الى طليطلة ودخل ابيه عبد الجبار (المهدي) قرطبة وجد
 البيعة لنفسه وحجبه المؤيد الذي لم ينسبه له الناس
 وكان مع سليمان جماعة من الفتيان وعدوه خيراً

وانصرفوا الى ابيه عبد الجبار ولجئوا به قبول لما عندهم وانه يحلهم في
 جملة رجاله فاجابهم الامير قائلاً: فلما كان في راس الحجة سنة
 ٥٩٠ هـ اجتمعوا في القصر فمكثوا واخذوا ابيه عبد الجبار
 الى بيته واخرجوا المؤيد بالله فاحد به بمجلس مخددة
 وبابيه واهل بيته واخذوا ابيه عبد الجبار بيده فعدوا ذنوبه
 عليه ثم اربقتهم فقتلوا طيف برأسه في قرطبة وعمر
 ثوبه وشوشونه سنة ٥٩٠ هـ
 عاد المؤيد الى سر المملوك فلم يزل ينادي به الى
 رجل من العاربة فتيانه الوزير ابي عمر، يدعي راضياً
 وادخل اهل قرطبة الاخرة فوعدهم ومناهم واحببهم
 وكتب ~~الى~~ الى سليمان به الحكم واصحابه من البربر وهم
 في ساحة يدعهم الى طاعة فلم يجيبوه فامرا جناده بالخذ
 والاحتياط ثم انه سباه البربر وادخلوا ابيه الفونس
 ملك الاخر في انهم يملكونه اليه صوناً كان المنصور
 ابيه ابي عامر قد نزل مع ~~الملك~~ فمدونه فاجل ملك
 الاخر في الى المؤيد يعرفه الى وطلب منه ان يسميهم
 فسمي ابيه خيفة انه يسمي عليه سليمان . ولما ايسر
 البربر من انجاد الفرغ حذوا فذلوا قريباً من قرطبة وحبست
 خيلهم قنبر بمنى و~~في~~ بالو وغربوا السود فعمل المؤيد ورا
 ومند فاقم قرطبة امم السور كثير فانتقل سليمان
 الى الزهراء فمكثا عنوة ولفى البربر في اهلاً . ثم ارب
 راضياً

محمد واصل كاتبة سليمان يعرف انه يريد الانتقال من قرطبة
سراً ويشير عليه بمنزلة قتلها بعد مدة عنده ونما الخبر الى
المؤيد فقتله وحدثت وقائع كثيرة بين المؤيد وسليمان
راكل في آخرها سليمان نائب المؤيد بقرطبة وغيرها
يدعوهم اليه فاجابوه واتفقوا معه وانتهى الى قرطبة فدخلها
بعد حرب وحصار وشدة الجند وأخرج المؤيد من القصر محمولاً
الى سليمان ودخل سليمان قرطبة سنة ٤٠٢ هـ

وبعث ابنه الى...

ثم حدثت لمؤيد مع سليمان امور فخرج المؤيد الى شرق
الاندلس حيث قضى نحيبه في آخره غموض (راجع ابيه في تاريخه) حيث تفرق ما ذكره...

واستقر سليمان به الحكم به سليمان بن عبد الرحمن الناصر
المتلقب بالمتقن بالله اولاً ثم الظاهر ببول الله آخره
وكان اديباً شاعراً جليلاً عبقرياً في أيامه وملكه طاعة
ولاه البربرهم الحاكمون في دولة لا يفقد على خدمتهم كانوا
عامة جنده وهم الذين قاموا بعد حتى ملكوه...
ولا يرى بأساً بإيراد هذه القصيدة من شعر سليمان (الظاهر)
نقدت من كتاب المعجب في اخبار المغرب تفكرته قال:

سليمان بن عبد الرحمن الناصر

عجبا يهاب الليث عذبا	واهاب الى فواتر الوجفات
واقارع الدهر الى دونه ريبا	من سوي الدواعي والجران
وسمكت نفسي شوقا كالهوى	زهر الوجوه نواغم الوبدان
كلوا آكل الظلم ليس لنا ظر	منه فوجرا غصان على لسان

هذه الهوى قد بنت المآثرى أنا وهذي اختفص البان
 حاكمت فيهن السوء الصب فتضى سلطان على سلطان
 واجم من قلبي الحمى وغينتي في عز ملكي كالوسير العاني
 لو تغدوا ملكاً تذل للهوى ذل الهوى عز ومدة تاني
 ما خرا في جبهة صباية وبنو الزمان وهمة رعبه في
 انه لم ألمح فيه سلطان الهوى كلفاً بهت فلتت به مروان
 واذا انكرم احب امت الف خطبة القلى وهما اوثى سلوان
 واذا تجارى في الهوى الهوى عاسه الهوى في غبطة وامان

وهذه القصيدة انما نظمت المستعين معارضاً لبر الأبيات
 التي عملها العباس بن الوليد مع لسان هريرة الرشيد فنسبت
 اليه وهي :

سنة الثموش من ان جناي وحسن به قلبي بكل مكان
 ما لي قط وعني البرية كل والطير من دهر في عياني
 ما ذاك الا انه سلطان الهوى وبه قويه اعز منه سلطان
 وهذه القصيدة انما نسجت ~~بها~~ وأعذب به من قس
 المستعين وهو لا يني في ثورة رطله او غار موده
 ومندبه يهبره او عرسه يحافظ عليه فيجاري العباس به
 الوليد وهما الان عز رقيه بالشيخ ولا يعمل له رقيه بالشيخ

شعره وترويقه انتهى .

وكان من جملة جنده ~~جند~~ سليمان (المستعين الظاهر) عند دخوله
 قرطبة رجعون من دوله الحسن بن علي بن أبي طالب وها القاسم
 وعلي ابنه حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر
 ابنه إدريس بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
 فجعلها سليمان قائدين على المصاربة ثم دلى أحدهما علياً وهو
 المصفر منها مدينتي . بنة ولجنة أدلى القاسم الجزية
 الخفراء . ورأى علي ما صارت إليه حال خذوة المومنين
 فتحركت في نفسه غيرة العلويين فكاتب بعض العصاة من
 العبيد والبربر يخبرهم أنه المؤيد لما كان مصوراً في قرطبة
 كتب إليه يوليه عرشه . ويقيمهم وعوداً طائلة فاستجابوا له
 وبأيعونه فزحف بهم إلى مالقة فقتلوا ثم إلى قرطبة فدخلوا
 بعد قتال عنيف وكان ناقماً على سليمان أشياء يفتخرها له في
 نفسه فاستخفزه إليه وضرب عنقه بيده يوم الأحد تسع
 بقية المحرم (١١ محرم) سنة ٤٠٧ هـ وقتل أباه الحكم بن
 سليمان بن هشام أيضاً في ذلك اليوم وهو شيخ كبير له
 ٧٤ سنة . وكانت مدة ديوته سليمان منذ دخل قرطبة
 ١١ سنة قتل ثمانية أعمام وثلاثة أشقائه وأبائاً ولما قد ضلوا
 قبل ذلك سنة أشقائه وكانت مدة قلم مع البربر ١١
 إن قتل سبعة أعمام وثلاثة أشقائه . وبقتله الحفي

ذكر دولة بني امية مع المتأبر في هذا الوقت في جميع اقطار الهند

و دلي علي به حمود وتسمى بالهوية وتلقب بالناصر وقد
تقدم له فاستدله الامر في قرطبة عاماً و هجرة ١١٢
الى انه قد صقالة له في الحام سنة ٩٠٨ وحلف به الولد

يحيى وادريس

فولي بعده اخوه القاسم به حمود وكان استقاة سنة
٩١٤م وكان وديعاً رقيقاً فلم يغير للناس عادة فاسر
مع ربي كذمت الا سنة سبع مودل سنة ٩١٤ فقم عليه
ابو اخيه يحيى به علي به حمود بمالقة فهدب القاسم عن
قرطبة بموقته ورحل الى شيبيلة وزحف به اخيه يحيى
المذكور به مالقة بب مره ودخل قرطبة بموقته وتسمى بالهوية

وتلقب بالمعتك

يحيى والمعتك

وبقي المعتك كذمت الى انه اجتمع للقاسم امره واستد
البربر وزحف بهم الى قرطبة فدخلوا سنة ٩١٤ وهدب
يحيى (المعتك) الى مالقة فبقي القاسم بقرطبة سنة ٩١٤
ثم اضطر به وذهب به اخيه يحيى على الجزيرة الخضراء وابه
ثم اخذ به ادريس به علي صاحب سبنة على طنجة وراى تغيراً
من اهل قرطبة عليه فخافهم وانتقل الى شيبيلة وراحات
ابناه محمد وحسن فلما عرف اهل شيبيلة فروجه عن قرطبة
ومجئهم اليهم طردوا اليه وراح به البربر وحبوا به
فلحق

فلحق القاسم بن ريش واجتمع البربر على تقديم ابيه اخيه
 يحيى فوهده واخذوه الي يحيى ايرا حيث ظهر قننه ^{الله}
 وعند اخيه ادريس بعده الى ايه مات ادريس فقتل قيس
 مودة القاسم خنقا سنة ٩٤١ هـ وحمل الى ابيه محمد به مقام
 وهو باجرية فدفنه هناك وكانت دوية القاسم قد تسمى
 بالحنوفة بقرطبة الا انه عا ابيه اخيه ستة اعداء ثم كان
 مقبرها عليه - سنة دسنة سنة عند اخيه يحيى وادريس
 الى انه قتل وعمر ثمانون سنة وله من الاولاد محمد ومحمد
 الى انه قتل وعمر ثمانون سنة وله من الاولاد محمد ومحمد

يوضع هنا ما كتبه
 في سنة

اسمهم في الملتقى فقتلهم كقتلهم

سكانه في اواخر سنة ٩٤٠ هـ

وكان قتلهم اهل قرطبة على العلويين يلبس الى البرابرة ان شرفها المافزة
 وانقيادهم لهم فازعوا على رومور الى بني امية
 فاقتاروا منهم عبد الرحمن به هتتم به عبد الجبار به عبد
 الرحمن الناصر ولقبوه [المتنظرون] وكان اربابا فيها
 رقية النفس عارفا بعبودته واليها ؛ هكذا يعنف المؤمنون
 ولولا اراهم يفتونهم بالخبرة في السبابة والمعرفة بآثرون
 الملت على ان المملك لا يجد يحسن البتة عن معرفتهم
 بآثرون وادوب والوفضاء عنه بيان من لثهم في السبابة
 والدهاء وقته ما ^{الله} الحيلة وجل اصحاب نواريننا
 انما يُعنفون بالملت ^{الله} اذا كانت له اخبار مع داره حان

السنه لمسه
 به سكره به علم
 الزم

ادكان له اتخاها يهود وعلم بالظلم المستور ! ...
 ولد المستظهر سنة ٤٩٠ هـ وكنيته ابو المبرقظ
 وبيع بالخوفا في رمضان سنة ٩١٤ وعرس ٢٢ سنة فلم تطل
 مدة غير ٧٩ يوماً اذ ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله
 بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من اهل العامة فقتلوه
 في آخرة القعدة سنة ٩١٤ ولا عقب له .

ودلي بعده محمد بن عبد الرحمن المذكور ، ومولده سنة
 ٤٨٦ هـ وكنيته ابو عبد الرحمن . ولقب [المستكفي] به
 وكان في غاية السخف وكان له العقل وسوء التدبير فاستوزر
 حيو حاكماً (١) اسمه احمد بن خاله كان له المدير لاس
 والمدير له دولة . فذات خدوة سنة اشتهر وايماناً وساء
 القرطبيين بيه فدخلوا عليه فقتلوا وزيره حاكماً واخرجوه
 من اهل ظاهر المدينة مخلوعاً مطردوا فله بالفسور وبع
 قائد ضمير منه فعمد رجالة فاستلوا وقدموا اليه فاكلوا المستكفي
 فمات مكانه وهو في قرية تعرف بسجستان بالقرب من مدينة
 الم و ذلك سنة ٩١٨ هـ .

واقم يحيى بن علي الفاطمي (المتلي) فاقه الامرفي
 الرواية الا انه لم يدخل قرطبة وانما كان مقبلاً بقرمونة
 وبينما كان محاصراً لاسبيلية في سنة ٩١٨ هـ خرجت
 عليه جنود كانت كامة له فقتلته وانقلعت دعوته .

هذه الرواية
 في بيان
 الترتيب
 في

ملوك على غير تنسيق

- كشاف -

قدت الكهولم في هذه الملوك ، ولعل من هذه الملوك ،
 على دولة الراشدين في الجبال ، فالروميين في الرقيم ثم العبيد بين
 في العراق فالسويين في الهند ، وادوات لكل الامم الى زومتنا
 هذه مترجمات غير كل دولة من دول الكهولم كالدولة الهورية
 براكش و الاغلبية بتونس و الطولونية بمصر و دولة
 بني بويه بایران و المرابطین و الموحدین بمراتش و الايوبيين
 و الذیویین بمصر و هم جراً غیر انی لم اجد فی ذلک العمل کبیر
 نفع لونه و من کاناً حیاتاً من القتاب اُضطرّ فیہ عند ذکر کونک
 الی الامام بتاریخ دولته صمد و هذا غلطاً و قوتاً و ضغناً و هذا یتّبع الی
 کتاب کبیر بنفرد له کما صنع احد ادباء المعاصرين رزق الله مقروص
 الله فی فانه جمع کتاباً فی ثلثة مجلدات سماه « تاریخ دول اسلام »
 زکم فیہ مع سبع و عین دولة اسلامية و بوشه تدویناً لم یسجد الیه
 و لولا ما فیہ من ضعف فی الاشیاء و خلط فی بعض المواضع لکان المظفر
 عند الفضل . علی انه کتابی هذا انما جئت به بکلام کبار الرجال
 و اعظمهم لادعاء اخبار الدول و البتة من المأخذ فرأيت اجد بی الله اقف
 عند هذا الحد و اهتم باب الخلفاء و الملوك بآرهم بعد عباسية العراق
 و اموية المغرب کتفياً منهم بمهمله صبت او سار له ذکر و رسم

انتزع الركن منهم اهل البصرة والباقيون وتفرقوا
 واصبحوا في اقسامهم .
 وهذا آخر ما يقال في صديق المجال في الكلام على
 خلفاء بني امية في المغرب المعهدة فيه على عدة كتبه .
 يشهد بها العارفين بالتاريخ منظر : كتاب نفح الطيب للمقري
 وكتاب الكامل لابن الاثير ، والاشواق لابن اقدم ، والبيان
 للمغرب لابن عذاري ، والمعجب للشمسي ، والاشواق لابن اقدم .
 المغرب مرقى ، وفيها ما يطول في تحصيلها في بيانها .
 اني اخذت من في آخر هذا الكتاب انه .

المقدم والمراجع

د. محمد علوان سالماني

- دكتوراه في الأدب العربي الحديث
- عضو اتحاد الكتاب
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- صدر له العديد من الأعمال، منها:
 - * من وحي عينيك (شعر)
 - * عندما يبكي الربيع (شعر)
 - * صراخ الصمت (شعر)
 - * فلسطين في الشعر المصري (دراسة)
 - * مأساة لبنان في الشعر العربي (دراسة)
 - * الإيقاع في شعر الحداثة في مصر (دراسة)
 - * السريرة المنزعجة في شرح القصيدة المنفرجة للبصروي (تحقيق ودراسة)
 - * شرح ديوان الزّفيان السعدي (تحقيق ودراسة)
 - * فن الألغاز عند العرب (تحقيق ودراسة)
 - * من ديوان الشعر العربي ج ١، ويضم تحقيقاً لدواوين: أبي محجن الثقفي، وصفوان التجيبي، وابن مرج الكحل.

ج ٢، ويضم تحقيقاً لديواني: ابن طباطبا العلوي، وأبي بكر خوارزمي.

* عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للإمام العيني (٢٤ جزءاً) بالاشتراك.

* ديوان ابن سكرة الهاشمي (جمع وتحقيق ودراسة).

* ديوان البابا شنودة (جمع ودراسة).

* عيون الأخبار لابن قتيبة (اختصار وتقديم).

* حاصل على درع التفوق العلمي من أكاديمية الدراسات العليا بطرابلس الغرب.

* فاز بالميدالية التذكارية من المركز الثقافي المصري بطرابلس الغرب.

فهرس الكتاب

الإهداء	٥
التقديم	٧
بيت النبوة (أجداده وآباؤه وأبناؤه	٢٣
كتاب الملوك والأمراء (ملوك الجاهلية وأمراؤها)	٦٥
الخلفاء الراشدون	١٠٩
بنو أمية في الشام	١٢١
الدولة العباسية	١٦٥
بنو أمية في الأندلس ..	٢١١
ملوك على غير تنسيق	٢٢٧
فهرس الكتاب	٤٥١